الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ




# الحياة الاقتصادية في سورية في العصر الروماني ٦٤ ق.م -٣٠٥ م

رسالة دكتوراة

الطالب : محمد فوزي الميداني
اشراف
أ.د.محمد الزين

2013-2014

## الفهرس



### الفصل الأول

### لمحة عن الحياة السياسية والإدارية لسورية في العصر الروماني

## الفصل الثاني

## الزراعة

## الفصل الثالث

## الصناعة

## الفصل الرابع

## التجارة

**الفصل الخامس**

**النقود والنظم المالية**

# المختصرات

# Abbreviations

- **AAAS** : Annales Archéologiques Arabes Syriennes

- **ANRW**: Aufstieg und Niedergang der römischen Welt.

- **BASOR**: Bulletin of the American Schools of Oriental Research.

- **CAH**: Cambridge Ancient History.

- **CIS**: Corpus Inscriptionum Semiticarum.

- **CLL**: Corpus Inscriptionum Latinorum.

- **IGLS**: Inscriptions Grecques et Latines de La Syrie.

- **IGRR**: Inscriptiones Graecae Ad Res Romanas Pertinentes.

- **JAOS**: Journal of the American Oriental Society.

- **JNES**: Journal of Near Eastern Studies.

- **JRS:** Journal of Roman Studies.

- **OGIS**: Orients Greaeci Inscriptions Selectae.

- **SEG**: Supplementum Epigraphicum Graecum.

- Rostovtzeff M. SEH. : "Social and Economic History of Hellenistic World",

- **YCS:** Yale Classical Studies.

- **ZPE**: Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik.

## المقدمة

منذ أن ظهرت روما على الساحة السياسية في الشرق الهلينستي ، وهي تحاول إخضاعه لسيطرتها بشتى الوسائل والأساليب وخاصة بعد معركة مغينيزيا (Magnaesia ) سنة 189 ق.م ، التي غيرت موازين القوى لصالح روما في حوض المتوسط الشرقي ، وجعلت المملكة السلوقية بموجب معاهدة أفاميا تدور في فلك السياسة الرومانية، بما فرضته عليها من قيود سياسية وعسكرية وتعويضات مالية كبيرة ، استنزفت مواردها وحولتها في نهاية المطاف إلى مملكة محدودة ، تقتصر على سورية بالدرجة الأولى ، حتى سقطت في أيدي الرومان سنة64 ق .م وقد كان للمصالح التجارية الرومانية دور كبير في احتلال سورية، التي صارت من أهم الولايات في الإمبراطورية الرومانية بسبب موقعها الاستراتيجي ، وغناها بالموارد البشرية والاقتصادية.

وقد عانت سورية في البداية من الحروب الأهلية الرومانية ، لكن بعد أن استقرت الأوضاع في ظل النظام الإمبراطور ي ، وساد الأمن والاستقرار ، بدأت الحياة الاقتصادية بالانتعاش والازدهار ، إذ صارت سورية جزءاً من إمبراطورية عالمية شملت حوض البحر المتوسط بأكمله، تربطها بالأقطار الأخرى شبكة ممتازة من الطرق البرية والبحرية والنهرية ، وكان هذا مدعاة لانتعاش النشاط الاقتصادي في جميع المجالات الزراعية و الصناعية والتجارية، وانعكس ذلك في ارتفاع مستوى المعيشة، و ظهور مدن جديدة ، و انتشار مظاهر الحياة المدنية والحضرية ، حتى إن عدد سكان سورية ( الطبيعية ) وصل إلى سبعة ملايين نسمة .

وكانت التجارة بمظهريها الداخلي والخارجي المورد الأساسي للثروة ، واشتهر التجار السوريون بمهارتهم وخبرتهم، فسيطروا على الأسواق التجارية في شرق الإمبراطورية و غربها وانتشرت جالياتهم التجارية في كل مكان .

ولذلك كانت سورية من أهم بلدان العالم القديم باقتصادها وتجارتها ونشاط سكانها.

## 1-أسباب اختيار البحث

تعد دراسة التاريخ القديم من أصعب الدراسات، وذلك لقلة المعلومات المتوفرة حوله ،وندرة مصادره وصعوبة الوصول إليها ، واختلاف اللغات التي كتبت بها الأبحاث والدراسات القديمة . ويشكل تاريخ سورية في العصر الروماني واحداً من المجالات التي لا تتوفر عنه الدراسات باللغة العربية، بسبب الصعوبات المشار إليها ، فلم ينل الاهتمام والبحث العلمي الكافي ، خاصة في المجال الاجتماعي والاقتصادي.

كما أن معظم الدراسات العربية والأجنبية تناولت التاريخ الروماني ، وفصّلت في جوانب متعددة منه، وكانت في معظمها تركز على الجانب السياسي ، حيث ظهرت دراسات وكتب كثيرة ، غطّت أغلب الجوانب السياسية للإمبراطوري ة الرومانية وإن كانت متقطعة ، لكنها في الوقت نفسه حرمت القارئ والباحث من الدراسات الاقتصادية والاجتماعية ، بالرغم من أهميتها الكبيرة لكونها المحرك والمؤسس للحياة السياسية .

لهذه العوامل مجتمعة اتجهت الرغبة لاختيار تاريخ سورية الاقتصادي ، هذه المنطقة الحضارية المهمة والعريقة ، كي تكون مجالاً للبحث والتحضير لدرجة الدكتوراه في التاريخ القديم ، وتسليط الضوء على فترة مهمة من تاريخ سورية ، يقدم للباحثين، وللقارئ العربي دراسة شاملة، وبشيء من التفصيل لمظاهر الحياة الاقتصادية ، خلال الفترة الممتدة من سنة 64ق.م حتى سنة 305م. وهي تأتي استكمالاً للمرحلة التي درستها في رسالة الماجستير لتاريخ سورية الاجتماعي والاقتصادي في العصور الكلاسيكية.

و من الجدير بالذكر أنه سيتم التركيز في هذه الأطروحة على سورية بحدودها الحالية وإبراز أهمية المدن التي قامت في هذه المنطقة والدور الذي لعبته في الإمبراطورية الرومانية .

وقد يطرح هذا الشي ء تساؤلاً مفادُه: لماذا لا يتوسع البحث لكي يمتد إلى كل سورية بحدودها الطبيعية القديمة، وليشمل دراسة تاريخ الأردن وفلسطين ولبنان ؟ ذلك لأن دراسة هذه المنطقة الواسعة من كل جوانبها الاقتصادية سيؤدي أولاً إلى ضخامة العمل، وسيحتاج إلى عدة سنوات وجهد أكبر كي يخرج عملاً متكاملاً وشاملاً ، وقد لا يستوفي حقه ، لذلك اتجهت الرغبة في التركيز على سورية الحالية وتسليط الضوء على الدور الذي لعبته في الإمبراطورية الرومانية وتأثيرها على الحضارة الرومانية ، وأرجو أن أكون موفقاً في اختيار هذا البحث.

## 2-أهمية البحث .

تكمن أهمية البحث في أنه سيقدم دراسة مفصلة عن تطور الحياة الاقتصادية في سورية في تلك الحقبة من العصر الروماني، ، كون هذا البحث لم يحظ بدراسة شاملة معمقه، إضافةلوجود نقص في الدراسات الأجنبية المتوفرة لدينا لهذه الفترة ، التي لعبت دوراً هاماً ومؤثراً في تاريخ الإمبراطورية.

على الرغم من جود بعض الدراسات التي تتعلق بالموضوع ، فإنها لم تغطي مختلف نواحي الحياة الاقتصادية لهذه الفترة، فإما أن تتناول اقتصاد مدينة معينة (تدمر) أو جاء الحديث عنها ضمن مواضيع عامة ، لذلك كان لا بد من إعداد دراسة شاملة تغطي سورية في العصر الروماني ، لما له من أهمية ، خاصة أن السياسة ترتكز بشكل كبير على دعائم الثروات الاقتصادية.

وستلقي هذه الدراسة الضو ء على الأوضاع الاقتصادية في سورية ، وعلى مدى التأثير و التفاعلات التي تركها الرومان في مختلف النواحي الاقتصادية للسوريين ، وأهم التغيرات التي طرأت عليها من خلال الظروف السياسية والعسكرية ، مع الإشارة للأنظمة الموروثة عن المقدونيين الإغريق و التي استمرت في معظم الأحيان مع إضافة بعض التغيرات عليها.

كما أنها ستبحث في مسألة تربع سورية، على عرش التجارة المزدهرة في تلك الفترة، و ما ترتب عليه من ارتفاع مستوى المعيشة وظهور مدن جديدة .

كما أنه ا سيتناول تاريخ منطقة يتم فيها تحليل الأحداث، ومقارنتها مع المكتشفات الأثرية.

وبذلك تؤكد هذه الدراسة الدور الهام لسورية باقتصادها وتجارتها ونشاط سكانها، هذا إلى جانب مساهمتها الخاصة المتميزة في هذه الحضارة .

### *3- منهجية البحث*

سوف تطرح هذه الدراسة محورين:

- المحور الأول يبحث في ضرورة التأصيل والتوثيق التاريخي للموضوع مجال البحث ، وذلك بتقصي وجمع مختلف الوثائق والشواهد والأدلة الكتابية والأثرية التي تتناول أوجه الحياة الاقتصادية في سورية في العصر الروماني .
- أما المحور الثاني فيعتمد على منهج التحليل النقدي للمصادر، واستنباط الحقائق من بين السطور، ورصد الظواهر الاقتصادية من خلال ربطها بالتغيرات السياسية ، ومقارنتها مع النتائج التي توصلت لها عمليات التنقيب، والبحث الأثري.

ومن أهم المصادر التي تتناول هذه الفترة :

**1- المصادر الأدبية**

أ- الكاتب الجغرافي استرابون Strabo (64ق.م - 19 م ) الذي أفرد لسورية بحثاً مفصلاً في الجزء السابع من الكتاب السادس عشر ، الذي يحتوي على معلومات عن الجوانب الاقتصادية ، ولا سيما الزراعة وما يرتبط بها من معلومات عن الري والحاصلات الزراعية ومكان انتشارها، وكذلك الصناعة بمختلف أنواعها.

ب- بليني Pliny ( 23- 79 م ) في كتابه التاريخ الطبيعي Natural History الذي يضم عشرة أجزاء في سبعة وثلاثين كتاباً ، يبحث في علم الجغرافية والأجناس وعلم النبات والحيوان والمعادن .

ج- أبيانوس Appianus ( القرن الثاني الميلادي ) الذي شغف بالتاريخ الروماني وأعجب بالأباطرة الذين عاصروه ، فكتب عن تاريخ هذه الإمبراطورية في مؤلفه الذي يحمل اسم التاريخ الروماني.

د - ديو كاسيوس Dio Cassius ( 150 – 235 م ) المعاصر للأحداث ، لذلك يعتبر مؤلفه الضخم المعروف بالتاريخ الروماني من المؤلفات القديمة الحافلة بالمعلومات ، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام ، يشمل الأول منها على تاريخ الجمهورية ، والثاني على تاريخ الإمبراطورية منذ عهد الإمبراطور يوليوس قيصر حتى ماركوس أوريليوس ، وقد استعان كاسيوس في كتابته بالسجلات الرسمية التي سمح له الأباطرة بالاطلاع عليها ، أما القسم الثالث فأفرده للحديث عن وصف الأحداث التي عاصرها . لذا يعتبر كتابه هذا مهماً للبحث.

هـ- فلافيوس يوسيفوس ( FlaviusJosephus 37م- 100م ) وهو كاهن أسرة يهودية شارك في الحرب اليهودية وكتب عنها حروب اليهود (Jews Wars) وتتألف من سبعة كتب ، كما ألف أيضاً آثار اليهود ( Antiquities of Jews) ويشمل دراسة التاريخ منذ خلق العالم إلى سنة 66 ق.م في عشرين جزءاً ، ولقد اعتمد في بعض رواياته على المؤرخ نيقولاس الدمشقي .

و- يوحنا ملالاس (Johanna Malalas 491م –578م ) ولد في أنطاكية ،ألف حولية عالمية من 18 جزءاً من بدء الخليقة وحتى سنة 565م اشتهر بمحبته الفائقة لأنطاكية حتى وصفها بأنها مركز العالم، وكانت دراسته عنها علمية بحيث شملت كل النواحي .

ز- تاكيتوس (Tacitus) مؤرخ لاتيني اسمه ( Cornelius TacitusPublius 56-120م) عاش في بلاد الغال ، وتواجد في روما أواخر عام 75م، وتزوج من ابنة القنصل يوليوس أغريكولا (Julius Agricola)الذي أصبح حاكم بريطانيا في نفس العام ، وفي أوائل سنة 98م نشر أول كتاباته التي يتحدث فيه عن حياة أغريكولا وصدر له أيضاً كتاب تحت اسم جرمانيا " Germania " ومن كتاباته أيضاً كتاب " التاريخ" الذي يتحدث عن تاريخ الإمبراطورية منذ عهد جالبا وحتى عهد دوميتيان وأيضاً كتاب " الحوليات " ( Annals) الذي يؤرخ للفترة من موت أغسطس وحتى عهد نيرون.

ح- هيروديان (Herodian ) هومؤرخ روماني عاش بين سنتي (170-240م) و يُعرف بـ هيروديان السوري ( Herodian of Syrian) ،وكان موظفاً حكومياً صغيراً في الإمبراطورية ووضع تاريخاً زاهياً باللغة الإغريقية حول الإمبراطورية الرومانية بعنوان " تاريخ الإمبراطورية منذ موت ماركوس "، وتألف من ثمانية كتب تغطي الفترة بين عامي ( 180-238م ) بالرغم من أن تقريره الموضوعي نسبياً عن إيلاجبالوس ( Elagabalus) إلا أنه يعتبر أكثر نفعاً من تقرير ديو كاسيوس .كان إغريقياً ربمامن أنطاكية ، ويبدوأنه عاش لفترة طويلة من الزمن في روما ،ومن خلال ما تبقى من عمله نستنتج أنه كان مايزال حياً خلال عهد جورديان الثالث ( Gordianus III) الذي اعتلى العرش سنة 238م ، وبعد ذلك لا يعرف شيء عن حياته ، بالرغم من الأخطاء النادرة في التسلسل التاريخي والجغرافية ، إلا أن عمله صادقاً بشكل عام وغير متحيز وموضوعي .

ط- أميانوس مركلينوس Ammianus Marcellinus( 330-401م)

قائد عسكري وسياسي ومؤرخ بارز ، يعده كثير من المؤرخين المعاصرين آخر المؤرخين الرومان الذين تحدثوا عن الحقبة القديمة . ولد لعائلة يونانية ثرية في مدينة أنطاكية ، شمال غربي سورية ، انتسب في فترة باكرة من حياته إلى الجيش الروماني ، شارك في عدد من المهام العسكرية ضد الساسانيين الفرس مما أهله لمصادقة عدد من المسؤولين البيزنطيين، وكذلك الكتابة عن تاريخ الفترة من 96- 378م وهي الفترة التي عدها مؤرخو العصر تتمة لتاريخ المؤرخ الشهير تاكيتوس . بالرغم من أنه لم يُعثر على الأجزاء الثلاثة عشر الأولى من هذا المؤلّف التاريخي "كتاب تاريخ الأحداث" ( Rerum gestarum libri) ، فإن الأجزاء التي عثر عليها من الرابع عشر إلى الواحد والثلاثين والتي تغطي الفترة من 353-378م، تعد أهم روايات الفترة ، وتكاد تكون الوحيدة عن الأحداث السياسية والعسكرية لهذه المرحلة من تاريخ المنطقة .

يصف المؤرخون المعاصرون أميانوس بصفات المؤرخين العظماء ، ويلاحظ من تتبع كتاباته أنه كان يكتب تاريخ الحدث من خلال دراسته الشخصية الرئيسة في حصول الحدث ، وقد ساعده تمكنه من اللغة اللاتينية على قراءة عدد كبير من أعمال المؤرخين والأدباء الرومان وبالتالي الكتابة بلغتهم والإفادة من استعاراتهم وزخرفهم في صياغة لغته في بناء الأحداث التاريخية وبناء جملة حيوية ومميزة.

ي- ليبانيوس ( Libanius 314م –393م ) ولد في أنطاكية ،وكان واحداً من أشهر الفصحاء فيها، خلف أعمالاً تاريخية عن أنطاكية.

**2-المصادر غير الأدبية.**

أ - مجموعات النقوش والبرديات والنقود (Inscription-Papyrus- Coins)

أتاحت مجموعات النقوش والبرديات والنقد تبيان بعض الحقائق ، إذ إن معظم هذه النقوش والبرديات، التي احتوتها هذه المجموعات والبرديات تعود إما للفترة الهلنستية أو للفترة الرومانية الخاصة بآسيا الصغرى أو مصر البطلمية ، أو بعض النقوش والبرديات التي لاتهم بحثنا،وعلى الرغم من ذلك فقد اعتمدت على بعض هذه النقوش والبرديات ،التي تخص بعض المدن في آسيا الصغرى وقارنتها – مسترشداً بدراسات المؤرخين المعاصرين – مع مثيلاتها في سورية في الفترة الرومانية .

- تعتبر وثيقة لائحة التعرفة الجمركية التدمرية أهم مصدر لأنه يذكر لنا أنواعاً عديدة من السلع التي تم تصديرها ، أو تلك التي تستورد من الخارج ، ورغم أن هذه اللائحة تصب جل اهتمامها على السلع المتعلقة بالاقتصاد المحلي ، إلا أنها تطلعنا على ما يتم استيراده من سلع غير متوفرة .

وتعد مجموعة النقوش الإغريقية واللاتينية لسورية ( Les Inscriptions Grecques et Latines de Ia Syrie) التي صدر منها عدة مجلدات مصدراً لدراسة هذه النقوش ، والتي قدمت بعض المعلومات عن الحياة الدينية والإدارية في بعض المدن وخاصة مدينة أنطاكية، كما احتوت طريقة استخدام التقويم السلوقي .

كما ساعدت مجموعة النقوش (Orientis Greaeci Inscriptiones Selectae) على تقديم بعض المعلومات بمواضيع مختلفة.

ومن النقوش التي استفدت منها بشكل ملحوظ هي النقوش الهامة والمدروسة بدقة والتي تضمنها كتاب ويلز (Wells) المراسلات الملكية في الفترة الهلينستية .
(Royal Correspondence in the Hellenistic period) والذي أمدنا بمعلومات قيمةحول علاقات الملوك بمدنهم والعكس ومعلومات أخرى.

بالإضافة إلى بعض النقوش المتفرقة الموجودة في مجموعات النقوش التالية :

1. C.L.L: Corpus InscriptionumLatinorum .
2. C.I.S: Corpus Inscriptionum semiticarum.
3. I.G.R.R: Inscriptiones Graecae Ad Res Romanas Pertinentes.
4. S.E.G: Supplementum Epigraphicum Graecum,

كما حوت النقود على معلومات إدارية واجتماعية ،عن الملوك السوريين من حيث كتاباتها وما تحمله من صور الملوك ، وكذلك نوعية المعدن التي سك بها وتوزعه وتبعيته ومراكزه.

ب - الآثار ( Archaeology )

شكلت بقايا آثار المدن القديمة كأفامية و دوراأوروبوس وغيرها والمعابد كمعبد بايتوكيكي بالقرب من صافيتا والمقابر والمنازل وأقنية تصريف المياه في السلمية والأسوار في معظم المدن السورية معلومات مهمة ، وألقت ضوءاً على بعض الأحداث السياسية ولإدارية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ،إضافة إلى الطرق التي ربطت أرجاء سورية مع بعضها ببعض.

تنقسم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في دراستي لهذا الموضوع إلى ثلاثة أقسام:

**3- دراسات المؤرخين المحدثين والمعاصرين .**

وهي تقسم بدورها لثلاثة أقسام :العربية و المعربة والأجنبية وتضم الدوريات العلمية المتخصصة .

**أ - المراجع العربية**

تميزت المراجع العربية بأنها تخصصت بدراسة منطقة معينة، وبشكل عام تميزت المراجع العربية بدراستها لسورية في الفترة الرومانية بأهميتها، والقليل منها درست بشكل متخصص بعض المواضيع ، والكثير منها درستها ضمن الأحوال العامة الاقتصادية والاجتماعية للإمبراطوريةالرومانية كدراسة عدنان البني عن تدمر.

كما استفدت من بعض المراجع العامة عن تاريخ بلاد الشام وسورية،مثل كتاب يوسف الدبس «تاريخ سورية الديني والدنيوي »الذي يحمل على الرغم من عموميته وقدمه معلومات هامة ، وكتاب خليل سارة «تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية »، وكتاب أبو اليسر فرح «الشرق الأدنى في العصرين الهلنيستي والروماني»
وكتاب جرجي يني عن تاريخ سورية .

- هناك العديد من الكتب العربية التي سوف تدعم البحث بالمادة العلمية ، منها ( أنطاكية ، وتدمر ، و دوراأوروبو س) ، والتي تحتوي على عدة أمور تفصيلية في التاريخ الاقتصادي للمدن المذكورة خاصة ، و رسم إطار اقتصادي لولاية سورية عامة.

- هناك علماء آثار لهم دور في هذه الفترة أمثال : بشير زهدي بمؤلفاته المتعددة ، وقاسم طوير الذي خص مؤلفاته عن حوران وبصرى ، وساطع محلي في تعرضه للطرق التجارية لا سيما طريق الحرير ، وعفيف بهنسي في كتابه الآثار السورية ،

وهناك دراسات عامة عن تاريخ الرومان كدراسة محمد الزين ودراسة ابراهيم أيوب ودراسة عبد اللطيف علي عن التاريخ الروماني، ودراسة أحمد وصفي زكريا وبشير زهدي ، وكمال شحادة ، وعدنان البني ، في «مجلة الحوليات الأثرية السورية »وفي مواضيع مختلفة تخص الفترة الرومانية في سورية.

**ب -المراجع المعربة**

يعتبر كتاب «تاريخ سورية ولبنان وفلسطين »لفيليب حتي ترجمة (جورج حداوعبد الكريم رافق) من أهم المراجع المعربة رغم قدمه فقد عالج الفترة الرومانية بشكل عام سياسياً واجتماعياً واقتصادياً .

كما تطرق الكاتب الروسي أ.ش. شيفمان للفترة السلوقية وذلك في كتابه «المجتمع السوري» ترجمة(حسان اسحاق)، وعلى الرغم من عدم دقة ترجمته بما فيه الكفاية ، لكنه كتاب قيم وذلك من خلال مقارنة معلوماته مع معلومات المراجع الأخرى الموثقة والتي استقت معلوماتها من المصادر .

ويعد كتاب تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي لمخائيل رستوفتزف ترجمة(زكي علي ومحمد سليم سالم ) من أهم المراجع التي لا يستغني عنه أي باحث، فقد تناول دراسة الإمبراطورية الرومانية بشكل عام وعن ولاياتها من الناحية الاقتصادية والاجتماعية حيث تطرق إلى ولايات الإمبراطورية كاملة ومنها ولاية سورية .

وكتاب سورية الجنوبية لمؤلفه ج.م دانتزر،ترجمة (أحمد عبد الكريم ) وفيه أبحاث أثرية عن حوران في العهدين الهلليني والروماني، حملت معلومات اقتصادية عن تلك المنطقة.

- كتاب "العرب في سورية قبل الإسلام" للمؤلف رينه ديسو ،ترجمة (عبد الحميد الدواخلي و محمد زيادة) الذي ضم معلومات عن الأوضاع الاقتصادية .

ويعّد كتاب «الحياة الدينية في سورية قبل الإسلام العصر الهليني والروماني »لخافييه تيكسيدور ترجمة (موسى خوري) من أهم المراجع الحديثة التي أغنت بحثي في بعض المواضيع.

**ج - المراجع الأجنبية:**

- دراسة هايشيلهايم عن سورية القديمة في كتاب ( تدي فرانك) عن الاقتصاد الروماني الذي يعتبر البحث الوحيد المتوفر لدينا الذي عالج بدقة متناهية العلاقات الزراعية وتطور الحرفة والتجارة والضرائب .
- كتاب بوادبار " الطرق التجارية " حيث يعطي مسحاً جغرافياً تفصيلياً للطرق التجارية التي كانت تعبرها القوافل التجارية آنذاك ، و التي ما تزال أطلالها باقية حتى الآن .

- تعتبر كتابات المؤرخ" ميخائيل روستوفتزف" (M.Rostovtzeff ) المتعددة من أهم المراجع المتخصصة في العصر الهلينستي والتي شملت جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية و العسكرية، وأهم مؤلفاته التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للعالم الهلينيستي.

«Social and Economic History of Hellenistic World »

الذي يعّد من أهم المراجع المختصة عن تاريخ سورية في العصر الهلنيستي على الرغم من عدم الإحاطة بسورية من كل جوانبها الاقتصادية والاجتماعية فقد قدم للبحث معلومات هامة ، ليس فقط من خلال هذا المؤلف بل من خلال كتاباته في «مجموعة الكامبردج »، وأيضاً مقالاته المنشورة في «المجلات العلمية» ،كونه شارك في مواسم تنقيب عديدة في سورية تعود لهذه الفترة،خاصة تقاريره عن التنقيبات التي جرت في دوراأوروبوس.

ومن مؤلفاته أيضاً كتاب «Caravan Cities»الذي تطرق لأهم الطرق التجارية .

- مؤلفات وليم تارن ( W.W.Tarn) وأهمها كتاب « Hellenistic Civilization»والذي تناول فيه الحديث عن آسيا ومن ضمنها سورية بشكل موسع،

وخاصة عن المدن السورية وتنظيماتها الاجتماعية وأحوالها الاقتصادية أثناء الحكم السلوقي.

- كتاب من ألكسندر إلى زنوبيا «D'Alexandre ά Zénobie» للمؤرخ الفرنسي موريس سارتر (Maurice Sartre) وهو من المراجع الحديثة عن تاريخ سورية في العصر ين السلوقي والروماني ، إذ درس النواحي السياسة والإدارية الاقتصادية الاجتماعية وقدم للبحث معلومات هامة ، ليس فقط من خلال هذا المؤلف بل من خلال الاعتماد على مقالاته المنشورة في المجلات .

- مؤلفات أ.ه .م . جونز . ( Jones , A . H . M) وأهمها كتاب مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية «The Cities of Eastern Roman Provinces»وفيه دراسة عن المدن السورية أثناءالحكم الروماني، وكتاب المدنية اليونانية من الأسكندر إلى جوستنيان «« The Greek city from Alexander to Justinianوفيه أيضاً دراسة لأحوال المدن ومن ضمنها المدن السورية.

- مؤلفات جلانفيل داوني ( G.Dowiny.) وأهمها كتاب أنطاكية القديمة « Ancient Antioch»

و تاريخ أنطاكية في سورية من سلوقس إلى الفتح العربي .

« A history of Anyioch in Syria from Seleucus to the Arab Conquest»

اللذان عالجا أوضاع أنطاكية من كافة نواحيها باعتبارها عاصمة سورية ،إضافة لمقالاته المتنوعة.

- مجموعة الكامبردج في التاريخ القديم «Cambridge Ancient History» لمجموعة من الكتاب، وتعد من المراجع المهمة التي تلقي ضوءاً على الفترة الرومانية ، والتي درست الولايات الرومانية بما فيها الولاية السورية .

- كتاب سورية كولاية رومانية (Syria as a Roman Province ) لبوشيه ( Bouchier) وهو كتاب عام تناول تاريخ سورية في كافة المجالات.

- كتاب حكام سورية من أوغسطس إلى سيبتيموس سيفيروس ( The Governors of Roman Syria from Augustus to Septimius Severus) لادوارد دبروفا (Edward Dabrowa ) وتغلب على معلوماته الناحية السياسية ، والفترة التي يدرسها من أوغسطس إلى سيبتيموس سيفيروس.

- كتاب الرومان في الشرق الأوسط (The Roman Near East) لميلر (Millar ) وهو كتاب عام أيضاً ، تطرق إلى أمور سورية بشكل عام.

أما بالنسبة للمجلات التي تم اعتمادها :

مجلة سيريا «Syria»التي تناولت مواضيع مختلفة عن سورية وأهمها المواضيع التي كتبها هنري سريغ (Henrri Serig) عن الآثار السورية، إضافة لكتابات جان بول ري كوكيه (J.P.Rey Coquais) و التي تعتبر على قدر كبير من الأهمية لأنها تحتوي معلومات في جميع المجالات قدمها من خلال مقالاته المنشورة في هذه المجلة ، وفي مجلة دراسات رومانية (Journal of Roman Studies)والتي تضمنت في العدد 68 على مقالة هامة عن سورية الرومانية بشكل عام ، وكذلك مجلة ( Yale Classical Studies) .

- مجموعة المقالات التي تم نشرها في الحوليات العربية السورية ، فهي مليئة بالمعلومات عن سورية الرومانية في هذه الفترة ، وخاصة من الناحية التجارية والصناعية التي كان لها الدور الأكبر في تتبع التطورات الاقتصادية التي حدثت في هذه الفترة.

أما الخطوات المتبعة للتوصل إلى بحث علمي وموضوعي فكانت التالية:

1 -بدأت أولاً بجمع كافة الوثائق الأصلية المتعلقة بموضوع البحث إضافة إلى صور اللقى الأثرية وما وقع بين أيدينا من مراجع تحدثت عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الفترة ما بين 64 ق.م - 305 م . وبعد ذلك تناولت الوثائق لمعرفة مضمونها.

2 -بمساعدة أستاذي المشرف تعرفت على بعض القضايا المتعلقة بصياغة الوثيقة للوصول إلى نتيجة علمية صحيحة .

3 -بعد قراءة الوثائق قمت بتقسيمها إلى أقسام تبعاً لمخطط البحث لكي نصل إلى صيغة علمية لمعرفة ما يتعلق بالحياة والاقتصادية .

4 -زرت بعض المواقع التي تعود لهذه الفترة ،وتفحصت بعض القطع الأثرية لمعرفة المواد المستخدمة في الصناعة ،والتأثيرات التي دخلت على الصناعة السورية.

5 -ترجمت ما أمكن من المراجع الإنكليزية والفرنسية والألمانية ،واستعنت بمعلومات الهوامش المذكورة في المراجع بعد التأكد من صحتها ،للاستفادة منها في معرفة مواقع بعض المدن ، وأسماء بعض الأباطرة وأعمالهم ومعلومات أخرى.

إن جميع هذه الشروح وضعت في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

المقدمة : تضم عرضاً مختصراً يبين الأهمية الجغرافية الإستراتيجية لسورية ، مع تحديد الإطار الزماني والمكاني لموضوع الدراسة الذي يعالجه البحث . وإلقاء الضوء على أهمية البحث ، والهدف منه ومنهج كتابته ، يليها دراسة لأهم المصادر والمراجع المتعلقة بهذا لعصر .

**الفصل الأول** :يتناول أسباب الاحتلال الروماني لسورية ، ولمحة عن التاريخ السياسي والإداري لولاية سورية في العصر الروماني بدءاً من عهد الحروب الأهلية ، و قيام النظام الإمبراطوري منذ عهد أغسطس وخلفائه ، مروراً بحكم الأسرة الأنطونينية و السيفيرية ، حتى عهد الإمبراطور ديو كليتيانوس .

**الفصل الثاني** "الزراعة" وتشمل دراسة النشاط الزراعي ، وما يتصل به من ضرورة توضيح العوامل التي ساعدت على قيامه، ووضع الفلاح وعلاقته بالأرض والأباطرة الرومان أصحاب الأراضي ، ومدى تأثر الأرض والزراعة بالمستقرين الجدد، عن طريق إدخال أدوات وطرق ري جديدة للزراعة واستصلاح المزيد من الأراضي ، ومدى الاهتمام بالمحصولات الزراعية والأشجار المثمرة والنباتا ت والحيوانات والغابات واستثمارها.

**الفصل الثالث** : "الصناعة والحرف " وتشمل دراسة النشاط الصناعي في شتى المجالات ، والعوامل التي أدت إلى ازدهار الصناعة و الحرف في العصر الروماني ، واستعراض أهم الصناعات: كصناعة الزيوت و الخزف والصناعات المعدنية والزجاج والنسيج والرق والجلود والعقاقير والعطور وغيرها من الصناعا ت ، وتطور بعض الصناعات التي كانت موجودة في العصر الهلنيستي .

**الفصل الرابع** : "التجارة " وتشمل دراسة مميزات التجارة العامة في العصر الروماني ، والأهمية التجارية لسورية في هذا العصر ، والتجارة الداخلية والسلع والتبادل التجاري والأسواق ، واستعراض المحطات والمدن التجارية: كأنطاكية وتدمر و دوراأوروبوس و بصرى وحمص وأفاميا و دمشق و حلب وغيرها ، و طرق التجارة الداخلية والخارجية : كطريق البخور والحرير ، وقوانين التجارة والعلاقات التجارية الخارجية .

**الفصل الخامس** " النقود والنظم المالية " وتشمل دراسة نقود الإمبراطورية وأنواعها، والنقود المحلية للمد ن السورية : كنقود أنطاكية وحمص وتدمر وحوران وغيرها ، وحق سكّ النقود و قيمة النقد ، ونظام القروض المتبعة في ذلك العصر . والنظم المالية التي عمل بها الرومان ، والكيفية التي يتم بها الحصول على الموارد للإدارة المالية ونفقاتها ، وأنواع الضرائب النظامية : كضريبة الرأس والأرض ، والضرائب غير النظامية : كضريبة انتقال الملكية ، والضرائب الجمركية وضريبة حسابات المعابد وضرائب البلدية و تجارة الجملة .

الخاتمة: تضم نتائج البحث.

الملحق : يضم قائمة بأهم المدن السورية في العصر الروماني وقائمة بأسماء الأباطرة الرومان حسب الترتيب الزمني، ووقوانين التعرفة الجمركية التدمري ، إضافة إلى بعض الصور و المصورات الهامة لسورية التي تتعلق بالشؤون الاقتصادية في الفترة الرومانية ، وأخيراً قائمة المصادر والمراجع.

وختاماً لا يسعني إلا أن أقدم شكري وامتناني لأستاذي الدكتور محمد الزين الذي رعاني وأشرف على رسالتي وأخذ بيدي على طريقة البحث العلمي وإخراج الرسالة بهذا الشكل فله شكري وامتناني على ما بذله من جهد ورعاية حتى اكتمل هذا العمل ومع ذلك فإن بقيت أخطاء أو تقصير في بعض النواحي فإن المسؤولية تقع على عاتقي وحدي .

وكذلك أشكر كلاً من الأستاذ الدكتور خليل سارة و الأستاذ الدكتور عبد المجيد حمدان والأستاذ الدكتور والأستاذ الدكتور مأمون عبدالكريم و الدكتور خالد كيوان اللذين تكرموا بقراءة هذه الرسالة والمشاركة في مناقشتها ، ولكل من ساعدني في إنجاز هذا البحث وبخاصة العاملين في مكتبة مديرية الآثار ومعهد الآثار الألماني والفرنسي شكري وتقديري.

## ـ تمهيـــد ســــوريــــــــة.

تحتل سورية منذ القدم مكانة كبيرة نظراً لأهمية موقعها الجغرافي والاستراتيجي مما جعلها تسهم إسهاماً واضحاً في جميع الحضارات التي مرت عليها ، ولم تستطع أي حضارة مهما بلغت عظمتها أن تطمس حضارتها ، بل كانت سورية مركز التقاء الحضارات والمعتقدات ، فحققت التمازج الثقافي والحضاري نظراً لموقعها كملتقى للطرق التجارية في منطقة الشرق الأوسط (طريق الحرير) ونظراً لأهمية سورية الاقتصادية والإستراتيجية والسياسية ، ،لذلك أخذت حيزاً كبيراً من تفكير الرومان ومخططاتهم مما جعل أنظارهم تلتفت إليهالأهميتها ؛ لأن السيطرة عليها تعني السيطرة على منطقة غرب آسيا والساحل الشرقي للمتوسط إضافة لحماية النفوذ الروماني ، لذلك قامت الإمبراطورية الرمانية باحتلالها وضمها إلى ممتلكاتها سنة 64 ق.م ، وجعلها ولاية رومانية .

## ـ الإطـــار المكــاني والزمــاني.

يعالج هذا البحث الحياة الاقتصادية في سورية تحت الحكم الروماني في الفترة الممتدة من القرن الأول أي سنة 64 ق.م وهو الزمن الذي احتل فيه بومبيوس( Pompeius) سورية وجعلها ولاية رومانية، وتستمر هذه الدراسة حتى نهاية القرن الثالث الميلادي وبداية القرن الرابع أي حتى نهاية حكم ديوكليتيانوس( Diocletianus) سنة 305م حيث تبدأ فترة جديدة وهي الفترة البيزنطية.

إن المنطقة الجغرافية المدروسة هي سورية الطبيعية الممتدة من جبال طوروس شمالاً حتى سيناء جنوباً ، والتي حددت فيما بعد بولاية سورية الرومانية، وهي تطابق إلى حد

ما سورية ولبنان في الوقت الحالي، وذلك بعد قيام روما بضم الحكومات المحلية الموجودة في سورية والتي كانت تتمتع بالاستقلال نوعاً ما، وفصل أجزاء من الولاية السورية وجعلها ولايات قائمة بذاتها كالولاية اليهودية (فلسطين) والولاية العربية وغيرها.

## أولاً: أسباب الاحتلال الروماني لسورية

كما ذكرت منذ أن ظهرت روما على الساحة السياسية في الشرق الهلينستي وهي تحاول إخضاعه لسيطرتها وخاصة بعد معركة مغينيزية 189ق.م التي غيرت موازين القوى لصالح روما في حوض المتوسط الشرقي ، وقد اتبعت روما كافة الوسائل التي تقربها من هدفها وعلى رأسها سياسة فرّقْ تَسُدْ بين الدول الهلينستية ، لمنعها من تشكيل جبهة موحدة قوية ضدها ، وشجعت في سبيل ذلك الصراعات والتناقضات فيما بينها ودعم ت حركات التمرد والانفصال في تلك الممالك ، بهدف إضعافها وجعلها لقمة سائغة أمام الأطماع الرومانية ، اعتمدت هذه السياسة ضد السلوقيين بشكل خاص منذ انتصارها على أنطيوخس الثالث الكبير ، وفرضها معاهدة أبامية التي أضعفت المملكة السلوقية بما فرضته عليها وبذلك جعلتها تحت القيود الرومانية من الناحية السياسية و العسكرية [(1)]، وهكذا تحولت الإمبراطوريق السلوقية في نهاية المطاف إلى مملكة محدودة في سورية واعتبرتها روما منطقة مهمة لحماية نفوذها ومصالحها في الشرق ، بخاصة المصالح

---

**(1) محمد الزين ، الحلف المكابي – الروماني ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد 67-68 ، دمشق 1999، ص 23**

التجارية التي كان لها الأثر الأكبر في احتلال سورية . كما أن موقع سورية الاستراتيجي وغناها بالموارد البشرية والاقتصادية كانا سببين من أسباب احتلالها من قبل روما،إلى جانب مشكلة القرصنة التي ظهرخطرها بشكل واضح لروما ولسورية(1). فجرد الرومان حملات للقضاء على أوكارها وتطهير البحر منها ، ووقع اختيارهم أخيراً على بومبيوس سنة 67ق.م ، الذي حارب القراصنة في معاقلهم في كيليكية والجزء الشمالي الغربي من سورية المحيطة بأنطاكية (2) وكان من الواضح أنه إذا أُريد القضاء على القراصنة فلابد للرومان من الإشراف على المنطقة(3) فبعد أن دمر بومبيوس قواعد القرصنة في كيليكية وجزيرة كريت ، وجد هذا غير كاف طالما أن القراصنة الذين كانوا يُطردون من هناك يجدون في شواطئ سورية مأوى لهم (4)، وخاصة في سواحل فينيقية حيث ساعدت طبيعة جبال لبنان على تهيئة الظروف الجغرافية اللازمة لحمايتهم ، كما فعلت كيليكية قلعة القراصنة (5)، وبذلك كانت القرصنة من أسباب تدخل روما ، إلا أن السبب المباشر لتدخلها واحتلالها لسورية هو ضعف السلوقيين الذي سمح لتيغرانس ملك أرمينيا بالتدخل في سورية (6)، وقد دفعت الفوضى السياسية أهل سورية للالتجاء إلى طلب العون من خارجها ممثلاً بقائد قادر على حماية البلاد وإعادة الأمان لها ، فاستنجد أهالي أنطاكية بتيغرانس لحمايتهم ، أما أهالي دمشق ،فاستنجدوا بملك الأنباط الحارث الثالث وذلك ليحموا أنفسهم من الايتوريين(7) . بينما تذكر بعض المصادر أن تيغرانس

---

(1)J.P. Rey Coquais," Syrie Romain de Pompèe á Dioclètien" . Journal of Roman Studies.68, London,1978.p.44-45. (JRS).

(2)R . Thoumin, Histoire de Syrie, Paris, 1929, p.114.

(3) G.Downey, A History of Antioch in Syria from Seleucus to the Arab Conquest , Second printing , University press, New Jersey, 1961.p.140.

(4) J.Dobias, Histoire de la Province Romaine de Syrie, Praha, 1924, p.549.

(5) فيليب حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة جورج حداد ، عبد الكريم رافق ،الجزء الأول ، دار الثقافة ،بيروت 1982 ، ص 308-309.

(6)J.Malalas.The Chronicle, John Malalas, Translation by Elizabeth Jeffreys,Michael. Jeffreys and Roger Scott, Sydney, 1986 8.30. p.111.

(7) T.Page , W .Rouse, D. Litt, Appians Roman History , The Classical Library, "Syrian Wars" Syr,II, London, 1912. SyrII, 48-49

جاء بناء على دعوة وُجهت إليه من قبل سكان سورية الذين استقبلوا حكمه بالولاء والطاعة ، فإن مصادر أخرى تحدثت عن دخوله سورية بالقوة لوجود قسم من السوريين الرافضيين[2]،ويعود سبب هذا الرفض حسب رواية سترابون إلى خوف المدن الفينيقية على تجارتها البحرية من سيطرته ، وهذا ما يفسر حقيقة أنها لم تخضع لتيغرانس إلا في الفترة الأخيرة من حكمه ، خلافاً للمدن الداخلية التي أيدته، ويعتقد أن سورية عاشت في عهده فترة من الهدوء والنظام امتدت من سنة 83 حتى 69 ق.م[3]. خلال هذه الفترة عين نائباً له قائده ماجاداتس ( Magadates) الذي اتخذ من أنطاكية مقراً له [4]، وبدأت دار سك العملة في أنطاكية تصدر عملة باسم تيغرانس بوصفه ملكاً حيث حرص على الظهور في ثوب حاكم حليف ، وأخذ يوسع ممتلكاته على حساب الفرثيين والسلوقيين ، وكان حليف وحموه مثرايداتس ( Mithridates) ملك البونت [5] يوسع مملكته على حساب آسية الصغرى الرومانية ، فتصدى له الرومان فالتجأ لتيغرانس لحمايته ، ونتيجة لذلك قامت روما بإعلان الحرب على تيغرانس ، وانتصر القائد الروماني لوكولوس ( Lucullus) عليه ودفعه خارج البلاد سنة 69ق.م ، وقام بتنصيب أنطيوخس الثالث عشر على العرش السلوقي ، ونجح في ذلك ولكن عهده كان مضطرباً، وفي تلك الأثناء وصل بومبيوس سنة 64 ق.م إلى سورية ليحل مشاكلها باسم روما ، وتلقى نداء من أنطيوخس الثالث عشر ليساعده ويعيده للحكم [6]، لكن بومبيوس رفض ذلك وأرسل

---

(1)الايتوريون : هم العرب الذين سكنوا لبنان ولبنان الشرقي إلى الجنوب حول الحوض الأعلى من نهر الأردن حصل أميرهم سنة115 ق.م على اعتراف من السلوقيين ، كان لأمرائهم سلطات دينية وعسكرية لهم عاصمتان دينية هليوبوليس ( Heliopolis) بعلبك حالياً مدينة كالسيس ( Chalcis) عنجر شملت منطقتهم لبنان الشرقي وحوران والجولان.انظر:

A.H.M.Jones, Cities of the Eastern Roman Province ,Oxford 1971pp.254-255.

(2) Malalas. 8.30. p.111.

(3) أ .ب .شيفمان، المجتمع السوري في عصر البرنسيبات، ترجمة حسان إسحاق ، دمشق 1987م، ص44.

(4)Appian, " Syrian Wars"II,48-49.

(5) البونت : منطقة تطل على البحر الأسود تقع شمال كبادوكيا خضعت للفرس ثم للاسكندر الكبير قامت فيها مملكة البونت وخاض ملكها عدة حروب مع الرومان الذين ضموها عام 46 ق.م.

**(6)**Downey, p.138-142**.**

قائديه سكاوروس ( Scaurus) وكابيتوس (Capitus) اللذين أخضعا سورية ، ثم أتى بومبيوس إلى دمشق لينظمها ومن ثم ينظم سورية كلها . هذه المميزات الجغرافية جعلت سورية من أبرز الولايات الرومانية ومحط أنظار الأباطرة الرومان الذين أولوها الاهتمام الأكبر في نظامها الإداري والسياسي ، ناهيك عن أن هذا الموقع المهم جعلها عرضة لغزوات القوى المتصارعة آنذاك ونقصد القوى الرومانية مع القوى البرثية ومن بعدها الساسانية فغدت أرضها مسرحاً لكثير من الحروب ، وهذا ما دفع الأباطرة الرومان وولاتهم في سورية إلى إقامة سلسلة من المراكز والحصون الدفاعية لا على طول الحدود فحسب بل في المدن نفسها؛ حيث حصنها بالأسوار المنيعة لترد غزوات الطامعين ، لا سيما غزوات القبائل البدوية المرابطة عند حدود الصحراء .

## ثانياً :لمحة عن التاريخ السياسي والإداري لسورية في العصر الروماني .

### 1- سورية في عهد الحرب الأهلية .

بعد قيام بومبيوس بعزل انطيوخس الثالث عشر ملك سورية ، استقبلته بعض المدن السلوقية استقبال المحررين ، لأنه خلصها من أيدي الطغاة وأعاد لها استقلالها[1]، وحلت ولاية سورية ( Provincia Syria ) مكان مملكة سورية السلوقية ، وأبقى عاصمتها أنطاكية دفنه، بينما بقيت كيليكية ولاية مستقلة بذاتها[2]، حيث ضُمت إليها

---

**(1)Rey Coquais, p.45.**

**(2) فيليب حتي ، ص309.**

قبرص التي احتلها الرومان سنة 58 ق.م ووحدوها مع كيليكية وعينوا والياً عليها [1] ، واستبدلت أنطاكية وبعض المدن الأخرى التقويم السلوقي بتقويم جديد عرف بتقويم بومبيوس بدايته سنة 66 ق.م وهو عام انتصاره على تيغرانس [2].وكانت روما تفضل الاعتماد على الجماعات المحلية ، فقد كان من الصعب إعادة النظر في أوضاع اكتسبتها سورية خلال الحكم السلوقي الطويل بين ليلة وضحاها ، فهناك مدن وأمراء قد اعتادوا على الاستقلال ، تلك الأوضاع في النتيجة كان من شأنها خدمة مصالح روما ، لذلك لجأ بومبيوس إلى الرفع من شأن المدن التي صارت تشكل عماد الولاية [3]، وذلك من خلال إصلاحه لها وتقوية النظام في المدن اليونانية بينما ترك الحكم في أيدي بعض القبائل وبعض السلالات المحلية ، ولكن ذلك لم يكن دون مقابل ، إذا يتوجب عليهم أن يدفعوا عليهم الضرائب التي ترتبت عليهم ، وأن يسّيروا أمورهم وفق رغبات روما [4].

إن وضع سورية الجغرافي والسكاني وماضيها السياسي السابق ، إضافة لبعض الاعتبارات الإدارية التي كانت تتحكم بطابع خاص لهذه الولاية ، قضت بتجزئتها إلى وحدات إدارية سواء أكانت مدن ومستعمرات أم إمارات تخضع لسيطرة الأسرة المحلية[5]، وكان يحكمها جميعاً والٍ روماني يشرف على أمورها ، ويضبط " قانون الولاية " ويدعى ( Lex Provinciae )، وعلى الأرجح أن هذا القانون طبق في سورية ، ولكن المصادر لا تعطي معلومات بهذا الخصوص ، وقد يعود السبب في ذلك إلى أن القانون لم يأتِ بجديد من حيث الجوهر بخصوص الوضع القانوني والاقتصادي

---

(1) خريسوستمس بابادوبولوس ، تاريخ كنيسة أنطاكية ، ترجمة استيفانوس حداد ، بيروت 1984، ص32.

(2) محمد الزين ، التقويم السلوقي وأهميته التاريخية والحضارية ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان 85-86، دمشق2004، ص 63.

(3) M. Sartre, D´Alcxandre ÀZénobie, "Histoirc du Levant Antique" Fayard, 2001. pp.448-450.

(4)Thoumin, p.118.

(5)Dobias,p.552.

للولاية السورية ، ومن البدهي أنه فرضت على السوريين تأدية الضرائب لصالح خزينة روما بعد أن كانت تؤدى لصالح السلوقيين [1]وقد أصدر بومبيوس قانونه الخاص بتعين حكام الولايات ( Lex Pompeia de Provincec) الذي ينص على ألا يتم اختيار حكام الولايات من بين القناصل والبريتوريين السابقين، إلا بعد مضي خمس سنوات على الأقل على اعتزالهم المنصب ، وبمقتضى هذا القرار عين بعض القناصل السابقين الذين لم تسبق لهم الخدمة في الخارج ، ولعل بومبيوس كان صادق الرغبة في إصلاح أداة الحكم في الولايات ، فقد كان هدفه منع المرشحين للمناصب العليا من اقتراض مبالغ ضخمة على أمل تسديدها من غنائم الولايات التي تُسند إليهم عقب إنهاء خدمتهم السنوية مباشرة [2]، ونظراً لأهمية سورية كولاية رومانية أصبحت ولاية قنصلية (Proconsular Province)في عهد كراسوس ( Crassus)والي سورية [3]، يحكمها قناصل تتراوح مدة خدمتهم بين 3-5 سنوات ، ومقرهم العاصمة أنطاكية بعد قيام بومبيوس بوضع التنظيمات الإدارية الرومانية الأول ى في سورية حسب القانون الذي أصدره ، حيث عين في سورية قنصلاً سابقاً تساعده هيئة من الموظفين الذين كانوا يهتمون بواردات الدولة وجمعها مباشرة بطريقة التلزيم .وتم ذلك بإشراف الوالي الذي كان يتمتع بسلطات واسعة واستثنائية ، قد تصل في بعض الأحيان إلى حد إعلان الحرب [4]، فهو المسؤول عن الشؤون الإدارية والعسكرية والقضائي ة ، وعليه مراقبة العلاقات بين المجتمعات المختلفة في الولاية [5] .ويمكن القول بأن معظم الولاة الذين عينهم بومبيوس قد اعتمدوا تنظيماته ، ولم يأتوا بجديد باستثناء غابينيوس الذي قام بأعمال مميزة في مجال الإدارة ،وأما الولاة الآخرون فقد صرفوا وقتهم وجهدهم في

(1) شيفمان ، ص 46-47.

(2) عبد اللطيف أحمد علي ، التاريخ الروماني ، دار النهضة ، بيروت 1973، ص 227-230.

(3) جرجي يني ، تاريخ سورية ، الجزء السادس ، منشورات لحد خاطر ، بيروت 1986،ص 135.

(4) فيليب حتي ،ص315-316.

(5)ابراهيم أيوب ، التاريخ الروماني ، الطبعة الأولى ، لبنان 1996، ص188.

محاربة الفرثيين ، والدفاع عن الولاية ، ولكن حروبهم هذه انعكست بشك ل سلبي على الولاية ، فعمت الفوضى وارتفعت الضرائب ونهبت المعابد ، ولكن هذا لا ينفي جهود بومبيوس وبعض من مندوبيه في الولاية.

بعد أن حقق بومبيوس مهمته في الشرق عاد إلى روما التي كانت تعيش صراعاً سياسياً انتهى بتشكيل الحكومة الثلاثية الأولى المؤلفة من بومبيوس وكراسوس ويوليوس قيصر ذلك في سنة 60 ق.م ، واستمر هذا الوضع حتى سنة 53ق.م الذي قُتل فيه كراسوس في صراعه مع الفرثيين ، وبموته اتضح العداء السافر بين يوليوس قيصر وبومبيوس [1]، ثم نشبت الحرب الأهلية في إيطالية بين يوليوس قيصر ومجلس الشيوخ[2].

أثرت هذه التغيرات السياسية وخاصة الحروب الأهلية على سورية سلبياً فأدت إلى فرض ضرائب باهظة على السكان دون أن يكون هناك نظام محدد لفرضها أو جمعها ، فبحجة معاقبة هذه المدينة أو تلك نُهبت خيراتها ، وانقسم سكان سورية قسمين: قسم والى قيصر، وآخر والى بومبيوس ، وكنتيجة لهذا خسرت بعض الإمارات قسماً من ممتلكاتها كالايتوريين، وذلك لمساندتهم قيصر، إضافة إلى أن سورية كانت أثناء تلك الحرب مصدراً لرفد جيوش بومبيوس بالمال والمواد التموينية [3]، مما سبب إرهاقاً للولاية من الناحية الاقتصادية ، وبخسارة بومبيوس في معركة فرسالوس ( Pharsalus) عام 48 ق.م أمام قيصر أعلنت أنطاكية عدم مناصرتها لبومبيوس ، الذي كان قد فر من بلاد اليونان إلى مصر إلا أنه قتل بمجرد وصوله إليها، لكن أعماله بقيت تدل على الجهود التي بذلها في خدمة روما والشرق بشكل عام وسورية بشكل خاص ، فقد بقي النظام الدفاعي على الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية حتى نهاية العصر الروماني،فإذا تتبعنا

---

(1) يوسف الدبس ، تاريخ سورية الديني والدنيوي ، مجلد3 ، 1893، ص276.

(2)Dobias, p.557.

(3)شيفمان ، ص48- 49.

نهر الفرات على المصور من منابعه في أرمينيا الغربية إلى الصحراء العربية نتعرف على كل الأراضي الواقعة داخل هذا الخط بأنها كانت في يد الرومان أو تحت سيطرتهم ، إضافة لذلك قام بومبيوس بتشجيع المدن الهلنيستية وألقى عبء الإدارة على الحكومات المحلية التي أضعفها تشجيع المدن ، كل هذا جعل سورية تشعر في بادئ الأمر بالسلام والطمأنينة [1] التي ما لبثت أن انقلبت إلى فوضى إثر اندلاع الحروب الأهلية التي انتهت باستلام يوليوس قيصر الحكم.

أصبحت سورية بعد معركة فرسالوس تابعة لقيصر الذي قام بتنظيمات عامة للشرق وخاصة سورية وذلك على الرغم من قصر الفترة التي أمضاها في الحكم والتي اتسمت بالحروب الأهلية ، لقد أصدر عدة قوانين في مجالات مختلفة ، أهمها في مجال الحكم والإدارة المالية فخفض الضرائب في الولايات الشرقية التي أثقلت كاهلها مطالب جنود بومبيوس وضباطه [2]، ويشير قيصر إلى الأساليب الوحشية التي اتبعها بومبيوس في جمع الضرائب وربما أراد بذلك تشويه صورة بومبيوس ، ولكن من غير المعروف صحة كلامه[3].

نقل قيصر حق جباية الضرائب من يد الملتزمين الرومان ( Publicani)إلى الحكومات المحلية ، وفي المدن فقد عهد إلى المجالس بجمعها ، وشدد على الولاة منعاً للتعسف غير آبه بموقف الفرسان ،واستبدل ضريبة العشر(Decuma) بضريبة ثابتة على الأراضي، ولكن لصالح من كان هذا القرار ، لصالح روما أم آسيا (سورية ) ؟ من المؤكد أن

---

**(1) عبد اللطيف أحمد علي ، ص135-258.**

**(2)Downey, pp.152-153.**

**(3)عبد اللطيف أحمد علي ، ص292-300.**

الخزانة الرومانية استفادت أكثر من آسيا ، ولم يعمل قيصر على رفع الضرائب العادية ، بل كان يحصل على المبالغ الضخمة من الامتيازات المعطاة للمدن والممالك الدائرة في فلك الإمبراطورية الرومانية(1)، وتوج أعماله في مجال الإدارة المالية بإعلانه بدء تاريخ قيصر الجديد الذي أخذت به مدن عديدة(2)، ويوضح هذا العمل أهمية التقويم في الإدارة .

إن هذه التنظيمات العامة لا بد وأنها كانت تعني سورية بشكل أو بأخر وخاصة في مجال الضرائب حيث عانت سورية من هذا الأمر ، أما عن أعماله التي تخص سورية مباشرة فهي نظره إلى مطالب السوريين وقضاياهم(3)، وتوزيعه الهبات والامتيازات على المدن التي ناصرته في حربه على بومبيوس ، وذلك أثناء مروره في سورية سنة 47ق.م ما عدا صور التي كانت ملجأ لأنصار بومبيوس(4)، وخلافاً لأنطاكية التي كان لها النصيب الكبير من الامتيازات حيث وضع فيها حجر الأساس لمجموعة من الأبنية التي تحمل الطابع الروماني(5) ومنحه الحرية لها،وقد اتخذت بعد زيارة قيصر لها التقويم القيصري بل التقويم السلوقي الذي كانت تتبعه ، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على محاولة السياسة الرومانية إدخال أسلوب الحياة الروماني للشرق الإغريقي، كما برزت أعماله في المدن الأخرى فيعتقد أنه حرر اللاذقية التي اتخذت لنفسها لقب جوليا ، وأعطى جبلة (Gabala) امتيازات إضافية (6)، وعزم على أن يؤسس في بيروت (Berytos) مستعمرة رومانية وبذل جهده من أجل الاستقرار وتأمين الحدود من خلال الأمراء المحليين والملوك الصغار الذين كانوا يقومون بحراستها ، وأبقى الممالك الجنوبية خاضعة لحكامها بما يشبه الاستقلال، وأطلق عليها اسم الممالك التابعة(7).

---

(1)المرجع المتقدم ، ص300-315.

(2)Downey,p.157.

(3) جرجي يني ، ص167.

(4)Dobias, p.557.

(5)Malalas,9.5 p.114.

(6)Jones, 1971,p.260.

(7)Dobias, p.577.

كاليهودية، فقام بتكريم انتيباتر وهيركانوس على خدماتهم له، فقد وقفا إلى جانبه في حربه ضد بومبيوس ، وألغى قيصر كل الإجراءات الصارمة التي اتخذت من قبل غابينيوس ضد اليهودية [1] ومنحت الجماعة الدينية اليهودية في أورشليم حق التصرف القانوني في أمورها الخاصة ، أما هيركانوس فقد أعلن أنه حليف روما، وأعفيت المناطق التي يديرها من تأدية الخدمة العسكرية وتوسعت سلطته في هذه المنطقة فأعيدت لها يافا (Joppa) وعدداً من المدن في مرج ابن عامر[2].

أما الأنباط فقد اعترف بهم لأنهم كانوا موالين له[3]، وكذلك حمص والرستن أبقاهما بيد حكامها يامبلخيس ابن سمبسيغراموس ( Iamblichus)، وأيضاً الايتوريين [4]الذين حكموا عنجر وبعلبك ، إضافة للرمبائيين وملكهم الخيدمنوس وكانوا هؤلاء يسكنون على ضفة الفرات ، وبهذا يكون قيصر قد أيد الإمارات والممالك المحلية بهدف تهدئة الوضع وعدم زرع بزور العداء للحكم الروماني ، فالوضع كان مضطرباً والحروب الأهلية استنفذت قوتهم ، وتحولت سورية مسرحاً لانتفاضات نظمها أتباع بومبيوس ، مثل باسوس (Bassus) الذي استطاع أن يؤلب إحدى الفرق العسكرية الموجودة في سورية،

---

(1)Strabo, 16.2.46.

(2)Dobias, p.577.

(3) نقولا زيادة ، فلسطين من الاسكندر إلى الفتح العربي ، الموسوعة الفلسطينية القسم الثاني ، المجلد الثاني ، الطبعة الأولى ، بيروت 1990، ص176.

(4)Sartre, 2001.pp516-517.

وأن يحتل أفامية ، وإن استمرار هذا الوضع ومقتل قيصرسنة 44ق.م أدى لتصعيد جديد للصراع السياسي في روما الذي انعكس على شكل تغيرات حادة في سورية[1] .

نستنتج من خلال ما سبق أن عهد قيصر تميز بالنسبة للولاة بالمؤامرات، لذلك لا توجد أعمال بارزة في مجال الإدارة والتنظيمات الإدارية ، فكان جهدهم منصرفاً للاستيلاء على حكم الولاية من جهة وعلى محاربة الفرثيين من جهة أخرى ، لكن ما يميز هذه الفترة تنظيمات قيصر التي كانت بشكل واضح في مجال الضرائب وجبايتها ، حيث غير تنظيمات بومبيوس ، إضافة لاستبداله قانون تعين الولاة الذي وضعه بومبيوس .

ساد الاضطرا ب في الإمبراطورية الرومانية عقب مقتل قيصر، ثم ما لبث أن آلت السلطة إلى الحكومة الثلاثية الثانية المكونة من انطونيوس( Antoninus) ولبيدوس (Lepidus) واوكتافيانوس ( Octavianus)[2]، فكانت سورية من نصيب انطونيوس الذي لم يستطع الحفاظ عليها بشكل جيد ، وبعد سفره إلى مصر قامت ضده ثورة كبيرة في أرواد ، واستغل الفرثيون غيابه في إيطالية وانشغاله عن سورية [3]، فقاموا في أوائل سنة 40 ق.م باحتلال سورية وفينيقية ما عدا صور التي احتفظت باستقلالها ، وكان ذلك في عهد الملك باكوروس ( Pacorus) ونعمت سورية في عهده بالرخاء لمدة عام ، ويقول ديو: إن السوريين أحبوا باكوروس لعدالته [4] لأنه خلصهم من الاضطرابا ت ، وعلى ما يبدو أن الاحتلال حمل معه تغيراً هاماً في مجال التقويم ، فقد ألغى الفرثيون تقويم قيصر المعمول به وأعادوا العمل بالتقويم السلوقي [5].

---

**(1)Strabo, 16.2.10-12.**

**(2) Downey , p.159.**

**(3) Dobias, p.559.**

**(4) Downey , pp.159-160.**

**(5) محمد الزين ، 2004 ، ص63.**

إزاء هذه الأوضاع كلف انطونيوس قائده فنتيديوس (Ventidius) بالتصدي للفرثيين [1]، واتهم فنتيديوس انطيوخس الأول ملك كوماجينة [2]بمساعدة الفرثيين، وكان ذلك سبباً لقيامه بحملة ضده سنة 37 ق.م ، لكن هذه الحملة منيت بالفشل وتراجعت دون الحصول على مايغطي نفقاتها[3].

إن الحدث الأبرز الذي أثر على سورية في تلك الفترة هو زواج انطونيوس من كليوباترا ملكة مصر سنة 34 ق.م التي كانت ترغب بالحصول على جنوب سورية لأنه كان في أحد الأيام تابعاً للملكة البطلمية ، وفعلاً أهداها انطونيوس بعض مناطق سورية وفلسطين واعترف بأبوته لطفليها [4]، إضافة إلى أنه أعطاها كيليكية [5] ، وفي سنة 34ق.م نادى انطونيوس بكليوباترا ملكة الملوك ، ووضع كامل سورية المجوفة (Coele Syria)[6] تحت سلطتها فيما عين ابن بطليموس (Ptolemaios) ملكاً على فينيقية وسورية السلوقية[7] وهكذا أخذت كليوباترا تنظم ممتلكاتها الجديدة في سورية ، أثرت هذه الأحداث السياسية على تنظيمات انطونيوس الإدارية وخاصة بعد هباته لكليوباترا فقد قام بسك عملة أنطاكية وعليها صورتها[8].

حافظ انطونيوس على النظام الذي اتبعه بومبيوس في إنشاء شبكة من التحالفات ووسع هذا النظام وأصبحت ولاية سورية محاطة بممالك وإمارات حليفة من الرؤساء المحليين

---

(1) شيفمان ،ص52.

(2) كوماجينة : هي منطقة تمتد من سفوح طوروس ما بين كليكية والفرات ، عاصمنها ساموساط ضمت للإمبراطورية السلوقية وقام بطليموس أحد حكامها بثورة سنة 162 ق.م و أعلنها مملكة مستقلة .
انظر: هنري عبودي ، معجم الحضارات السامية ، ط2 ، طرابلس 1991، ص 728-729.

(3)Sartre, 2001 pp516-502.

(4)Downey , pp.161.

(5)Sartre, 2001. P.471.

(6) سورية المجوفة : هي كامل المنطقة الممتدة من حدود سلوقية تقريباً حتى حدود مصر والعربية ولكن المنطقة المعروفة بهذا الاسم في حالات خاصة هي لبنان ولبنان الداخلي ، أما الباقي الممتد من الرستن (أريتوزا- Arethuse) حتى بليزيوم (Pelusium) تدعى فينيقية . انظر : Strabo, 16.2. 12.

(7)Thoumin. p.123-124.

(8) خريسوستمس بابادوبولوس، ص33.

كإمارة كيليكية ومملكة أمنوس ومملكة كوماجينة وإمارة حمص ومملكة الايتوريين ومملكة هيروديس (Herodes) ومملكة الأنباط [1]، كما أنه أعاد تنظيم المدن ويعتقد أنه حد من حرية أنطاكية حسب اعتقاد بعض المؤرخين، ويتبين ذلك من خلال الألقاب التي كانت تحملها النقود كلقب ( مقدسة ، ومحرمة ) ، في عهده لم يعد يوجد على النقود سوى لقب متروبوليس (Metropolis) ، ويعد هذا إنقاصاً من سيادة أنطاكية السياسية ومرتبتها الإدارية [2]، كما قام انطونيوس بالتخلي عن بعض المدن من أجل مصالحه الشخصية كإعطاء الرستن وهيرابولس ( Hierapolis) منبج حالياً، ولاريسا (Larissa)شيزر إلى نبيل فرثي ، أما أرواد التي قاومته فاحتلها سنة 38ق.م وعاقبها بتحرير بالانية ( Balanea) بانياس التي بدأت تصدر عملتها مرة أخرى في ظله واتخذت تأريخاً بداية سنة 37 ق.م أو سنة 38ق.م ، ويعتقد أن مراثوس (Marathus) عمريت مقابل أرواد، وبالتس ( paltus )عرب الملك إلى الشمال من بانيا قد حررتا أيضاً من سيطرة أرواد[3]، وتؤكد النقود المكتشفة في اللاذقية على منحها الحرية مكافأة لها على مقاومتها لكاسيوس [4]، واستمرت مدن الساحل الفينيقية من أرواد إلى دورا (Dora) الطنطورة في فلسطين حالياً ومدن الديكابوليس[5] في تبعيتها للولاية ،

---

(1)Sartre, 2001. P.498.
الأنباط ،شملت مملكة الأنباط منطقة واسعة ضمت دمشق وسهل البقاع والأقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحوران وآدوم ومدين وسواحل البحر الأحمر وعاصمتها البتراء .

(2)Downey , p.159.

(3)Jones, 1971 ,pp.259-260.

(4)H.Seyrig" Antiqute Syriennes" Syria, 27, Paris, 1950,p.30.

(5) مدن الديكابوليس: تعني كلمة ديكابوليس اليونانية : (ΔΙΚΑΠΟΛΙC ) مجموعة المدن العشرة التي تقع جنوب سورية وهي:( ديون Dium،أم قيس( جدارة Gadara) ،نيساسكيتوبوليس( بيسان)،أم فحل Pilla (بيلا)، (آبيلا) Abilla،كاناثا( قنوات) Canatha ،جيراشا( جرش) Gerasa ،فيلادلفيا (Philadelphia)المعروفة باسم ربّات موبا( عمان)،هيبوس أوأنطاكية هيبوم(Antiochea ad Hippum)خربة سوسية،كابيتولياس Capitolias (بيتراس) . وأضيف للحلف فيمابعد ثماني مدن جديدة من بينها( بصرى/ Bostraبوسترا/،ودمشق،ودرعا ) Adraa ليصبح عددها ثماني عشرة مدينةً وذلك زمن تأسيس الولاية العربيّة سنة 106 م .وتقع اليوم بالقطرالأردني، وتتوزّع بين بحيرة طبرية وعلى امتداد نهراليرموك من الجهة الشرقية .وقدشكّلت هذه المدن فيما بينها اتحاداً وتآلف في القرن الأول ق.م، وذلك للوقوف في وجه المد الإيتوريّ الذي انتشر من لبنان الشرقي(Antiliban) ليشمل فيما بعد منطقة الحرمون، واللجاة،و الجولان. انظر: خريطة رقم (3).

أما الحكومات المستقلة فكانت علاقاتها مع انطونيوس تتحدد حسب موقفها منه؛ هل هي موالية أو معادية له ، ففي حمص اتخذ يامبليكوس ( Iamblichus) موقفاً معادياً فاتهمه انطونيوس بالخيانة وأعدمه ، وفي تلك الفترة كانت الصلات بين حمص وتدمر قوية ، فوجد تمثال يامبليكوس فيها(1)

أما مملكة تراكونديموتوس الأول ( Trachondimotos) في أمانوس في كيليكية الشرقية فكانت حليفة لأنطونيوس وعبرت عن ذلك بعبارة فيلا انطونيوس ( Philantonios) على قطع العملات (2)، كما ولى بتولمايس على إمارة عنجر في مسياس (البقاع) ، وتخلى الايتوريون عن قسم من أراضيهم لكليوباترا فأعطاها انطونيوس سورية المجوفة التي يقع فيها القسم الأكبر من أراضي الايتوريين والأراضي الغنية بالأخشاب حول جرش (3)، أما الأنباط فاتهم ملكهم مالك الأول بالتقارب من الفرثيين خلال اجتياحهم سنة 40ق.م الأمر الذي جعل فنتديوس والي سورية يعاقبه بدفع غرامة كبيرة وتقديم جزء من مملكته إلى كليوباترا (4)، التي تخلى لها مالك في سنة 36 ق.م عن الأراضي الممتدة من جنوب دمشق إلى شرقي الأردن، وأضاف انطونيوس إلى هذه الأراضي جميع المدن الفينيقية الواقعة في جنوبي نهر الكبير الشمالي ماعدا مدينتي صور وصيدا اللتين تمتعتا بأهمية كبيرة حالت دون إعطائهما لكليوباترا (5)، وعلى الرغم من ذلك كانت علاقة الأنباط بالرومان جيدة؛ حيث قام مالك الأول بتقديم مساعدة لانطونينوس وذلك بإرساله فرقاً لدعمه في حربه مع أوكتافيانوس ، إلا أن علاقتهم مع اليهودية كانت عدائية فهناك خصومة شديدة بين مالك وهيروديس والتي يعزوها المؤرخ يوسيفوس لأسباب طارئة تعود على الأرجح للصراع بين اليهود والأنباط للسيطرة على

(1) عيسى اسعد ، تاريخ حمص ،دمشق1940،ص358.

(2) Sartre,2001.P.51.

(3)S.A.Cook, F.E.Adock.Charlesworth .M.P, The Cambridge Ancient History. Vol.X, First Puplished 1934, Reprinted 19821982.p.29.

(4)Sartre, 2001.P.517.

(5) Dobias,.p.561.

مناطق شرقي الأردن ، ويعتقد بأن هيروديس كان مكلفاً من قبل انطونيوس بإرغام مالك على تأدية الغرامة لكليوباترا،فبعد أول انتصـار لـلـيهود استـطاع هيروديس إخراجهم من الجزءالشمالي من مملكتهم، ومن ثم انتصر النبطيين انتصاراً ساحقاً قرب قنوات ، مما أرغم هيروديس على التراجع إلى ما وراء الأردن، ثم عادت جيوش هيروديس بهجوم معاكس فأحرز اليهود انتصارين ، وقام مالك بحياكة مؤامرة مع هيركانوس الثاني وذلك للإطاحة بهيروديس وإحلال سليل من الأسرة المكابية مكانه [1]، ولكن هيروديس كان صديقاً للشعب الروماني وحليفاً له حيث لقي حظوة عند انطونينوس الذي كان كريماً مع اليهود فأعاد ليهود أنطاكية وغيرها من المدن الممتلكات التي كان كاسيوس استولى عليها [2]، إضافة إلى أنه وهب هيروديس اثنتين من مدن الديكابوليس هما أم قيس وبيسان [3]، ومنحه لقب ملك ، وقد حاولت كليوباترا الاستيلاء على بعض ممتلكات هيروديس الذي وقف في وجهها وبذل جهداً كبيراً للمحافظة عليها ، ولكنها استطاعت أن تأخذ يافا وغزة وذلك بإجباره التخلي عنهما ، وبعد ذلك أخذت كليوباترا تنظم أراضيها الجديدة وعينت حكاماً عليها ، ومنهم اثينيو (Athenio) في قنوات وذلك لمراقبة الملك هيروديس .انعكست هذه الأحداث على سورية بشكل سلبي من خلال الضرائب الباهظة التي عانت نيرها ، فإن انطونيوس منذ قدومه قام بجمع الأموال لسد نفقات الرواتب والحروب ، ففرض ضرائب عالية ، ولم يتوقف عند هذا الأمر بل قام بإرسال حملة لنهب أغنياء تدمر ، وكان هذا أول صدام يذكر بين روما وتدمر سنة 41ق.م حسب رأي

---

(1)Sartre, 2001.P.517.

المكابيون : هم الذين نسبوا إلى يهوذا المكابي من الأسرة الحمشونية تزعم حزب المكابيين في فلسطين 167 ق.م ضد السلوقيين ، والسبب في ذلك يعود لمحاولة انطيوخس الرابع هلينتهم واستمرت أربعين عاماً 175-135 ق.م ، وانتهت بقيام الأسرة الحمشونية .انظر : نقولا زيادة ، 145-150.اعتماداً على :

Josephe ,Flavius, Antiquies Judaiques , Traduit par G.Mathieu, L.Herrman, Livre XIII, paris 1929 , Jos,Ant.13.6.7.

(2)Downey , pp.160-161.
(3)Sartre, 2001.P.470.

المؤرخ ابيانوس ( Appianus)[1]ثم اشتبك انطونيوس مع اوكتافيوس في موقعة اكتيوم (Actium) الفاصلة سنة 31ق.م التي انتصر فيها أوكتافيانوس [2]، فكانت بداية عهد جديد بالنسبة للعالم الروماني ولسورية .

نستنتج مما سبق أنه في الفترة الممتدة من عهد بومبيوس إلى نهاية عهد انطونيوس تم وضع أسس الإدارة الرومانية في الولاية السورية وذلك من خلال الإصلاحات العامة بالنسبة للشرق والخاصة بولاية سورية ، وذلك على الرغم من الاضطرابات التي سادت الولاية ، والتي كانت انعكاساً للأضطرابات في روما بشكل عام ، وكان على الرومان تثبيت نفوذهم في المنطقة ، لذلك كان لابد من مواجهة الخطر الأكبر الذي يهددهم والذي تمثل بالفرثيين ،إضافة إلى أنهم عندما احتلوا سورية كانت مجموعة فسيفسائية من التنوع الإداري، فكان عليهم التعرف عليها بشكل جيد ليستطيعوا إدارتها ، فوجدوا أنه من الأفضل لهم ترك الأمور على ما كانت عليه أيام السلوقيين ، مع إضافة بعض التنظيمات الجديدة التي كان لابد منها لتوطيد سلطتهم في الولاية.

**2- سورية في عهد اوغسطس** (27 ق.م-**14م) وخلفائه**

يعتبر عصر أوكتافيانوس الملقب أوغسطس عصر انتهاء الحروب الأهلية وما حملته من اضطراب ، وبدء عهد السلام الأوغسطي ( Pax Augusta) بإصلاحات سياسية وإدارية واقتصادية منذ سنة 27 ق.م ، حيث قام بتقسيم الولايات إلى نوعين

(1)Dobias,.p. 559- 561.

(2)Downey , pp.160-161.

سناتورية وإمبراطورية ، وكانت سورية من الولايات الإمبراطورية وذلك لأهميته ا الإستراتيجية[1]، وبقيت كذلك حتى سنة 194م [2]، وكان يتولى حكمها مبعوث يدعى (Legatu Augsti Propraetore) في مرتبة قنصل سابق أو برايتور سابق (Procurator) من طبقة الفرسان يشرف على الشؤون المالية ، يقوم الإمبراطور بتعيينه ، يكون مسؤولاً أمامه ، والمقر الرئيس للمبعوث ومساعده في العاصمة أنطاكية ، إضافة لذلك زاد أوغسطس عدد الفيالق في سورية من ثلاثة إلى أربعة فيالق [3] ، وذلك بسبب تهديدات الفرثيين الدائمة للمنطقة [4]، كما قام بزيارة سورية وشيد فيها مباني ضخمة، خاصة في أنطاكية واللاذقية [5]، ويعد شارع أنطاكية الرئيسي من أهم الإنجازات التي تمت في عهده إضافة لإنشاء حفل الألعاب ( Koinon) [6]، هذا وقد حاول أوغسطس من خلاله ربط الولايات بروما عبر شخصه حيث شجع على عبادة الإمبراطور[7].

وللتعرف على تنظيمات أوغسطس الإدارية في سورية سنقسمها إلى ثلاثة أقسام:

أ - سورية الشمالية : التي تضم مدناً وقرى وجماعات قبلية وإمارات صغيرة ليس بالإمكان تحديد إلا القليل منها [8] أهم مدنها أنطاكية العاصمة التي حملت لقب ميتروبوليس في عهد أوغسطس [9]، وكذلك اللاذقية حملت نفس اللقب[10]، وبهذا

---

(1) ميخائيل روستوفتزف ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي ، ترجمة زكي علي ، محمد سليم سالم ، القاهرة ، 1957م، ص 80-85.
(2)E.Dabrowa , The Governors of Roman Syria from Augustus to Septimius Sevrus, Bonn, 1998,p.13.
(3)Rey Coquais, p.67.
(4)Thoumin, p.124.
(5)Dobias, p.562.
(6)Downey , pp.164-165.
(7) محمد الزين ، دراسات في تاريخ الرومان ، الجزء الثاني ، دمشق1988-1989، ص 66.
(8)Jones,1971.p.263.
(9)Rey Coquais, p.54.
(10) شيفمان ، ص211.

اعتبرت أنطاكية واللاذقية وسلوقية بيريه من أهم المدن الحرة في سورية الشمالية.
ويورد بليني عدد من الإمارات أهمها ديكساندروس (Dexandros)التي تعد من أشهر إماراتها ، والتي عرف منها رقَّم من أفامية [(1)]، وهناك معلومات عن أفامية في تلك الفترة تذكر بأن أوغسطس حرمها استقلالها بسبب وقوفها إلى جانب خصمه انطونيوس [(2)] ، ومن المقاطعات أيضاً التي يذكرها بليني مقاطعة نزاريني (Nazerini) المحاذية لمقاطعة أفامية والغابيني ( Gageni ) وهم سكان الغاب أي وادي العاصي ، أما التاردنتس ( Tardytenses) فهم أهل القرية المسماة تاروتيا (Tarutia) إلى الشرق من أفامية .
أما ما عرف عن إمارة حمص التي كان يرأسها ألكسندر الذي عزله أوغسطس عن إمارته وأعدمه [(3)] ، فقد يعود السبب في ذلك لوقوفه إلى جانب خصمه انطونيوس ، وهكذا عزل أوغسطس سلالة حمص لمدة عشر سنوات ثم أعادها إلى الحكم ، فلعله اقتنع أنه لا بد من وجود إمارة محلية لتلك المنطقة [(4)] ، وكان ذلك سنة 20 ق.م [(5)] ، حيث أعاد إلى يامبليكوس الثاني ( Iamblichus II) الذي حكم ما بين ( 20-14 ق.م) وعُدت فترته عصراً ذهبياً للإمارة[(6)] ، وسجلت حمص على أنها مدينة في السنين العشر الأوائل من حكم أوغسطس ، ولكن دون تحديد السنة بالضبط [(7)] ، وهكذا فإن المعلومات عن إمـارة حمص مـعروفة نوعاً ما على عكس تدمر التي كانت المعلومات عنها قليلة ،

---

(1)Rey Coquais, p.54.

(2) بشير زهدي ، " كتابات يونانية في أفامية " ، الحوليات الأثرية السورية ، مجلد 23 ، ج1+2 ، دمشق 1973، ص346.

(3)Sartre2001. pp.471-505.
(4)Rey Coquais, p.254.
(5)Jones,1971.p.262.
(6)Sartre, 2001.p. 505.
(7) Jones,1971.p.262.
.

خاصة بعد محاولة انطونيوس السيطرة عليها [1] ، أما كوماجينة فتركها تحت حكم ملكها[2].

ب- سورية الفينيقية : المعلومات في هذه المنطقة قليلة جداً وأهم ما ورد عنها أن أوغسطس حرم صور من حريتها حوالي سنة 20 ق.م. ولايعرف المعنى الحقيقي لهذه المعلومة التي صدرت عن ديوكاسيوس، إذ احتفظت هذه المدينة باستقلالها النسبيي تحت المراقبة ، وكذلك بعض المدن الفينيقة الأخرى[3]، ومنها أرواد التي توسعت على حساب بايتوكيكي (Baetocaece) وأرسلت إلى الإمبراطور أوغسطس مرسوماً يبدو من خلاله أنها كانت تسيطر على المعبد [4] ، ويفهم من هذا المرسوم أن أرواد كانت ملتزمة بالإعفاءات الضريبية [5]، كما قدمت النقود التي سكتها أرواد ومدن فينيقية عديدة في القرن الأول معلومات هامة كاستقلال عمريت وبانياس عن أرواد[6] .

ج- سورية الجنوبية : لم تؤلف سورية الجنوبية وحدة سياسية وإدارية واحدة ،فقد كانت مقسمة بشكل دائم إلى قطاعات ، أهمها القطاع الجنوبي الذي كان تابعاً باستمرار للمملكة النبطية، والقطاع الشمالي الذي كان يخضع أحياناً لسلطة الأمراء المحليين الايتوريين ، وتارة أخرى لحكام الولاية السورية ، أما اليهودية فكانت تولف وحدة منفصلة بحد ذاتها [7] ، وكذلك المدن العشر الديكابوليس . ومن الواضح أن أوغسطس قد رسخ سياسة بومبيوس في تأييده للحكومات المحلية .

---

(1) شيفمان ، ص204.

(2) C.A.H.,X,p.282.

(3)Rey Coquais, p254.

(4)IGLS, VII, 4028.

(5) F.Millar , the Roman Near East .31.B.C. 337AD. 2d. ed Harvard 1994. . p.272.

(6) Jones,1971.pp.261-262.

(7) ج . م.دانتزر ، سورية الجنوبية (حوران ) ، ترجمة أحمد عبد الكريم ، ميشيل العيسى ،سالم العيسى ، ج 2 ، ط1 ، دمشق 1995، ص309.

توالى على حكم سورية في عهد أوغسطس عدد من الولاة الذين كانوا يصطحبون معهم هيئة إدارية وتنفيذية تتألف من نحو ثلاثين شخصاً وضابطاً من الموظفين، يمكن تسميتهم موظفي الشرطة أطلق عليهم باللاتينية ( Speculatores Quaestionari)، وكانت سلطتهم على المواطنين وعلى السكان الرومانيين المقيمين؛ كان عليهم أن يراعوا الحقوق والامتيازات والعادات السائدة في المدن وشارك أعيان المواطنين بإدارة الولايات إذ أنهم كانوا يقومون بدور المستشارين القانونيين للولاية، وكان الوالي يقوم بحملات التفتيش بهدف الحفاظ على الأمن والنظام في الولاية ، إضافة إلى أنه كان يحضر الاحتفالات ، فهو يمثل الولاية والإمبراطور بنفس الوقت [1].

تولى **تيبيريوس(Tiberius )** الحكم بعد أوغسطس من سنة14م إلسنة37م [2]وخلال فترة حكمه قام بزيارة سورية ، وتابع سياسة أوغسطس في الإنشاء ، فبعد إقامة الشارع العظيم في أنطاكية بأروقته الضخمة ، أنشا أربع مصلبات (Tetrapylae) عند تقاطع هذا الشارع مع كل شارع رئيسي . ويقترن اسم تيبيريوس بتحسين حي أبيفانية (Epipphania) الذي أنشأه انطيوخس الرابع أبيفانس ،كما يُنسب إليه إنشاء أو إعادة بناء ثلاثة معابد فضلاً عن توسيع المسرح مرة ثانية ، إضافة للبرنامج الذي نفذه من أجل صرف مياه الأمطار والوقاية من السيول الجارفة .من المشروعات المهمة التي نفذت في عهده البوابة الشرقية لأنطاكية ، فكانت بذلك أول معلم يطالع المسافرين عند وصولهم لها من المناطق الداخلية، إضافة لتشيده حماماً ،

---

(1) م.ب، تشارلزوورث، الإمبراطورية الرومانية، إشراف إدارة الثقافة العامة ، الإقليم الجنوبي ، 1950، ص29.

(2) محمد الزين ، 1989،ص106.

واعترافاً من مجلس الشيوخ في أنطاكية بمكرماته وتقدماته تقرر إقامة تمثال له من البرونز ، وهكذا أخذت العاصمة الطابع الروماني بعد أن كانت مدينة هيلينية؛
فأصبحت مدينة إغريقية رومانية(1)، لكن هذه الأعمال شابها معاناة سورية ويهودية في بعض سنوات حكم تيبيريوس ، حيث يذكر تاكيتوس (Tacitus) أنهما كانتا مستنزفتين وهالكتين تحت الأعباء المالية في سنة 17م ، وقد يفسر هذا وضع الخزينة بأنها كانت ملأى بالأموال آنذاك (2).
تابع تيبيريوس سياسية الضم الذي بدأها أوغسطس، فبدأ سنة 17م بضم كوماجينة ( مع مملكة أمانوس ) بعد موت ملكها انطيوخس الثالث ( AntiochusIII) ، ولم تكن أسباب الضم واضحة ، ويذكر يوسيفوس أن ذلك تم بطلب من أشراف المملكة في الوقت الذي كان فيه الشعب متعلقاً بالملكية التقليدية ، وهكذا ضمت هذه الممتلكات إلى ولاية سورية وانتدب سرفوس ( Servaeus) والياً على كوماجينة (3). وكذلك ضمت تدمر للولاية السورية سنة 19م وكانت السيطرة عليها إدارية لا عسكرية ، وبهذا كان تيبيروس أول من أخضع تدمر للحكم الروماني، ويدل على ذلك أنه وجد فيها نصب أقامه ممثل الكتيبة العاشرة للإمبراطو ر تيبيريوس وابني أخيه جرمانيكوس( Germanicus)– ودروسوس ( Drusus)، ويربط معظم المؤرخين وجود هذه التماثيل بإلحاق تدمر بروما الذي كان نتيجة طبيعية لتشابك مصالح روما الاقتصادية بمصالح تدمر التي كانت تسيطر على أهم الطرق التجارية في المنطقة (4)، وضم تيبيريوس مملكة فيليب بعد وفاته ،بقيت تابعة لسورية حتى سنة 37م (5).

---

(1)Malalas,10.8-10.(p p.121-122).
(2)Downey , pp.174-182.
(3)G.Harper "Village Administration in the Roman Province of Syria" Yale Classical Studies, Volume 1, New Haven, 1928, p.159.
(4)موريس سارتر ، " تدمر ذات مدينة ذات طابع يوناني ، الحوليات الأثرية السورية، ترجمة عدنان البني ، مجلد 42، دمشق 1996،ص 294-301.
(5)ج.م. دانتزر ، 1995، ص309.

حيث وضعت تحت إمرة ابن أخيه أغريبا الأول مع لقب ملكي ، الذي تسلم أيضاً تتراخية ليزانياس . وواجه تيبيريوس بعض المشاكل مع الحكومات المحلية؛ حيث شكل الأنباط قوة كبيرة استطاعوا بواسطتها ضم دمشق فيسنة 37م أيام الحارث الرابع[1] ، وكانوا على خلاف مع انتيباس الذي لجأ إلى تيبيريوس فطلب هذا من قائده فيتيليوس والي سورية أن يرسل الحارث حياً أو ميتاً ، لكن وهو في اليهودية تلقى الخبر بوفاة تيبيريوس فأطلق سراح جنده وبقي الحارث في دمشق [2]،أما عن سلالة حمص فبقيت مسالمة ، واستمرت برئاسة سمبسيغراموس( Sampsigramus)[3]، وبقيت العلاقة متوترة مع الايتوريين ، أما الرها فقد حافظت على كيانها السياسي إذ كانت تحت حكم أسرة عربية منذ عهد بومبيوس [4]، وهكذا كانت معظم السلالات المحلية بطيئة الاندماج في الثقافة الرومانية وفي العالم الإغريقي الروماني ، لكن روما ستهضمها ببطء ، وهكذا واجه تيبيريوس مشاكل الحكومات المحلية بضم بعضها والإبقاء على حرية الآخر.

تميز عهد تيبيريوس بالصراع على الحكم ، كالصراع بين جرمانيكوس وبيزو، مما أدى لإهمال معظم الولاة والالتفاف لأمور الولاية ، إضافة لهذا فقد تركت سورية بدون والٍ سنتين وهي الفترة التي كان فيها أحد الولاة يدير شؤون سورية ولم يزرها أبداً [5].

---

(1)Sartre, 2001.pp509-520.

(2)Dobias, p.568.

(3)Sartre, 2001.pp505-506.

(4)سمبسيغراموس : هو كاهن أسرة الشمس في حمص استطاعت هذه الأسرة أن تستقل بحكم المدينة أكثر من نصف قرن قبل استيلاء الرومان عليها، وعندما جاء بومبيوس أقره رئيساً وعقد صداقة معه انظر :

عبد الحميد عز الدين مدينة حمص في العهد الروماني ، مجلة دراسات تاريخية العدد 29-30، دمشق 1988، ص86.

(5) شيفمان ،ص 201-224.

شهدت أنطاكية أثناء حكم **غايوس كاليغولا (Gaius 37-41م)** زلزالاً ،فقدم مساعدة لها ، وأرسل من روما موفدين (سناتور) ليتولوا أعمال البناء فيها ، فأنشؤوا مجموعة من الأبنية من أموالهم الخاصة [1]، كما قدم غايوس مساعدة لكوماجينة ، وأعاد لها استقلالها وملكها انطيوخس الرابع سنة37م ، ولكنه ما لبث أن عزله بعد فترة قصيرة، وأوضحت روما أن القيصر يحتفظ لنفسه بتنصيب الملك في ساموساط كما في أورشليم وبترا وحمص . استمر الحكم في هذه الحكومات المستقلة في عهد غايوس مما يدل على موافقة غايوس[2] ، ولكن هذا لا يعني عدم وجود بعض المشاكل معها ، وخاصة الأنباط ، لكن غايوس عفا عن ملكهم وأعاد دمشق إليهم وقد جاء في رسالة القديس بولس الثانية إلى أهل كورنثوس:

" في دمشق والي الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين "[3].

وبعد وفاة الحارث خلفه مالك الذي اعترف به ملكاً أم انتيباس فخلفه على العرش، واحتفظ فيليب بالتترارخية حتى وفاته سنة 34 م ، وفي سنة 37 م تسلم أغريبا الأول (37-44م) ممتلكات انتيباس حيث عزل الجليل وعبر الأردن وولاية فيليب ، كما أولى أغريبا بيروت اهتمامه فبنى فيها مسرحاً إضافة لمجموعة أبنية أخرى،وعندما عُين غايوس إمبراطوراً كان فيتليوس والياً على سورية ، استمر في حكمها سنتين في عهد غايوس ، وسببت شعبيته الزائدة خوف غايوس من العواقب المحتملة لذلك قام بعزله[4].

---

(1)Malalas,10.18-20. pp.129-130.

(2)Sartre, 2001.pp.500-505.

(3) الكتاب المقدس ، أعمال الرسل ، رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ، الإصحاح 11،22.

(4)Dabrowa, p.42.

وتسلم الحكم بعد غايوس الإمبراطور **كلاوديوس (Claudius 41-54م)**،ومن الآثار الدالة على هذا الإمبراطور التكرمة التي وجدت في قلعة فقرة في لبنان التي تعود لسنة 43م[1] ، تميز هذا الإمبراطور باهتمامه بمدن الشرق ، وبرز ذلك بوضوح في أفامية التي اتخذت اسم كلوديا أفامية التي أعطاها الحرية وذكر ذلك على العملات فيها [2]، أما بتولمايس( Ptolemais)– عكا حالياً ، فقد أسس فيها مستعمرة ، لكن دون إعطائها الحقوق الإيطالية ، وكذلك الأمر في بانياس . كما رفع مدناً إلى مرتبة مستعمرات لكن دون إرسال محاربين قدماء إليها[3]، وشهدت العاصمة أنطاكية اهتماماً في تنظيم حفل الألعاب الأولمبية ، وأيد كلاوديوس إعطاء امتيازات ليهود أنطاكية وسواها [4] إضافة لذلك تساهل في منح حقوق المواطنة [5]، واستمر وجود الإمارات المحلية في عهده ، فثبت انطيوخس الرابع على عرش كوماجينة ، وفي حمص ورث

عزيزوس(Azizos) الحكم بعد وفاة أبيه سمبسيغراموس نحو سنة 55/54 م لكنه لم يترك أثراً واضحاً[6] ، وفي فلسطين التي تسلمها أغربيا الثاني بالتدريج بعد وفاة أغريبا الأول ، منحه كلاوديوس في سنة 50م عنجر،ثم في سنة 53م طلب منه كلاوديوس إعادتها[7]، وأخذ أغربيا المنطقة التي كان يحكمها فيليب وولاية عرقة التي كانت دون والٍ بعد وفاة سحمون ، وفيما بعد تسلم إمارتين صغيرتين في الجليل وطبرية ، وهكذا فأعمال كلاوديوس منذ سنة 51/50م توجهت نحو إعادة تكوين دولة واسعة لحساب أغريبا الثاني في جنوب سورية ولبنان ، منتشرة بين سلسلة لبنان الشرقية والجليل

---

**(1) يوسف الدبس ، مجلد 3 ، ص 307.**

**(2) بشير زهدي ، 1973،ص 346.**

**(3) Rey Coquais, p.52-53.**

**(4)Downey , p.197.**

**(5) محمد الزين ، 1989،ص112.**

**(6)Sartre,2001.pp504-405.**

**(7)Rey Coquais, p.52.**

وجبل العرب، وفي أواخر سنة 52م، أعاد المملكة إلى روما مقابل المقاطعات الثلاث بالانية (Balanea) وتراخونتيد ( Trachonitis) واورانتيد( Auranitis)، بالإضافة إلى تترارخية ليزانياس وتترارخيات أخرى[1] ، وأما ايتورية فأصبحت سنة 49م جزءاً من الولاية الرومانية السورية [2]، كما استمر نفوذ الأنباط برئاسة ملكهم مالك الثاني (40- 70م) ، وشكلت جرش دليلاً هاماً للنفوذ النبطي القوي ، وتطورت تدمر إذ برزت حماية تجارتها والاهتمام بها [3]، وأسوة بالأباطرة السابقين واجه كلاوديوس مشكلة الفرثيين ، وكان له عمل مميز في هذا المجال وهو تقوية حدود نهر الفرات للتصدي لهم [4].

وقد شهدت المنطقة بعد ذلك اضطرابات لا حد لها ، كان اليهود القاسم المشترك بها. وفي عهد **الإمبراطور نيرون ( Neron 54-68 م)** شهدت ولاية يهودا ثورة عنيفة لليهود على الرغم من أنهم نالوا في عهده امتيازات ، فلم يكونوا مجبرين على عبادة الإمبراطور ، وأعفوا من الخدمة العسكرية [5] ، إلا أن هذا لم يقف حائلاً دون حدوث فتنة كبيرة بين صفوفهم أدت إلى هياج ضدهم في سورية وفلسطين، فاستدعى نيرون قائده فسباسيانوس لإخماد هذه الثورة سنة 66م ، والتي تركت آثارها واضحة على أنطاكية [6].

استمرت الحكومات المحلية في عهده ونال بعضها ثقة كبيرة كسلالة حمص ، فبعد موت عزيزوس حل محله أخوه سهيمون( Sohaemus) الذي عينه نيرون ، فتابعت حمص ممارسة نفوذ أقله ديني في بعلبك بعد أن نزعت سلطتها عن عنجر [7] ، أما

---

**(1)Sartre, 2001.p 509.**

**(2) شيفمان ، ص224.**

**(3)Sartre, 2001.pp516-517.**

**(4) محمد الزين ، 1989،ص112.**

**(5)Downey , p.198.**

**(6)Ibid , p.198-200.**

**(7)L.Jalabert, Rene Mouterde , Inscriptions Grecques et Latines de la Syrie VI, Paris , 1967, 2760.(IGLS)**

الأنباط فالحدث الأبرز هو استعادة نيرون لدمشق ( 62-63م) ، في تلك الأثناء بدأالنقد الإمبراطوري الدمشقي يظهر فيها ثانية ، كمـا ورد ذكر الايتوريين في مرسوم أغريبا الثاني لشجب بعض العادات ، ووجد ذكره أيضاً في النقش ( 2329) باليونانية واللاتينية كتب فيه: اغريبا الملك العظيم يُحيي قيصر والرومان[1].

يبدو أن عهد أوغسطس الذي يدعى بفترة السلام قد انعكس إيجابياً على الولاية السورية ، وكانت حنكة أوغسطس السياسية هي السبب الأهم في هذا السلام لأنه أدرك الخطر الأكبر ألا وهو الخطر الفرثي ، فعقد معاهدة معهم وانصرفت جهوده وجهود ولاته في سورية عن الحرب إلى أمور الولاية السورية ، وأهمها الإحصاء لتنظيم الضرائب ، وتشييد الأبنية ، ورصف الطرق . هذه الإصلاحات والتنظيمات الإنشائية تنم عن ازدهار اقتصادي واضح يعدّ انعكاساً لقوة الإدارة التي تمتع بها أوغسطس والتي انعكست بدورها على ولاته ، فعاد بالخير والسلام على الولاية ، وتابع الإمبراطور تيبيريوس سياسة أغسطس بالنسبة للسلالات المحلية ،ومن أبرز أعماله إلحاق تدمر ، كما تميز عهده بالاهتمام بالعمران والأعمال الإنشائية ، والتي يكون لها دور في ارتفاع الضرائب التي أرهقت السكان ، أما عهد الإمبراطور غايوس فكن قصيراً ، ووضح فيه غايوس سلطة الإمبراطور على السلالات المحلية ، ولقد اهتم الإمبراطور كلاوديوس بالمدن ، كما اهتم بشؤون اليهودية فعمل على تكوين دولة واسعة لحساب أغريبا الثاني ،وحاول إخماد بعض الاضطرابات فيها من خلال ولاته ، وكذلك الأمر بالنسبة للإمبراطور نيرون مع اليهودية ولكنها كانت بشكل أوضح ، وإضافة للمشاكل الداخلية التي تصدى لها الأباطرة، فقد جمعت بينهم مقاومة الخطر الفرثي .

---

**(1) يوسف الدبس ، مجلد 3 ، ص 325**

## 3- سورية في عهد الأسرة الفلافية

تولى العرش الإمبراطوري في روما الإمبراطور **فلافيوس فسباسيانوس(Flavius Vespasianus 69-79 م)** بتأييد من حاكم سورية ووالي مصر وتوجه فسباسيانوس بعد ذلك إلى بيروت ، حيث استقبلته الوفود الرسمية والشعبية لمبايعته ، وسار الملوك المتحالفين مع روما إلى إعلان تبعيتهم له[1].

وقد تميزت فترة فسباسيانوس بالتقشف والإصلاح المالي حيث قام بتعديل نظام الضرائب كله، فألقيت أعباء جديدة على الأفراد والمجتمعات ، وارتفعت الضرائب التي كانت تدفعها الولايات [2]، وربما عانت سورية من هذا الوضع.
وقدتابع فسباسيانوس سياسة الضم ، فضم اليهودية إلى الإمبراطورية وأنشأ فيها ولاية اليهودية ( Judaia) سنة 70م ، وفي البداية لم تر الحكومة الرومانية أي تغيير، فخلف الملك وكيل مالي وظل نظام الطوبارخيات قائماً دون تغيير حسب رأي يوسيفوس حتى قيام الحرب اليهودية [3]، التي أدت إلى بعض التغيرات بشكل عام ، فبعد القضاء عليها وتدمير الهيكل أمرفسباسيانوس بتحويل المبلغ الذي كان يدفعه اليهود لهيكلهم في اليهودية إلى هيكل (جوبيتر) في روما [4]،ويعتقد أن فسباسيانوس

(1) خليل سارة ، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية ، جامعة دمشق، ط1،دمشق- 2004م ،ص 297.
**(2)** محمد الزين ، 1989، ص 121.

(3) Jones,1971 .P.276.

(4) يوسف الدبس ، مجلد 3 ، ص374.

أو أحد أبنائه قام بإعادة بناء يافا بعد تخريبها ،وذلك بسبب لقبها فلافيا الذي يشهد على ذلك ، وفي السامرة أسست مدينة جديدة سميت فلافيا نيابولس ( Flavia Neapolis) نابلس فيما بعد،وأسس مستعمرة صغيرة في قرية عمواس قرب أورشليم أسكنها المحاربين القدماء، وكذلك في قيسارية التي سرعان ما حصلت على حق الإعفاء من ضريبة الرأس،وإن لم تنل الامتيازات الإيطالية( IusItalicum) [1]، ويظن أنه في عهد فسباسيانوس قد طرأ تغيير على أوضاع المدن العشر (الديكابوليس) في التبعية، فيعتقد أن جرش أصبحت تابعة لليهودية بعد أن كانت تابعة للمدن العشر ، وأعيد تخطيطها في عهد فسباسيانوس زمن واليها كومودوس (Commodus)[2]، كما ألحقت كوماجينة في عهده بإدارة ولاية سورية سنة 72 م[3]، أما حمص فيرد اسم أميرها سحيمون لآخر مرة سنة 72 م، والذي اشترك - بصفته ملكاً على حمص - في الحملة على كوماجينة مع والي سورية بيتوس (Paetus)[4]، ويبدو أن فسباسيانوس وضع نهاية لحكم السلالة الحمصية مابين سنتي (72-78م)، حيث وجدت شاهدة قبر في دار سمبسيغراموس تحمل إشارة إلى أن العائلة انقطعت عن الحكم مع أنها استمرت بالبقاء[5] ، ويعود سبب هذا الضم إلى

---

(1) Jones, 1971 . pp.276-277.

(2)G.WBowersock, Studies on the Eastrn Roman Empire, Goldbach, 1994,p.88

(3) شيفمان ،ص223 Rey Coquais, p.50 .

(4)Sartre, 2001.p.506.

(5) يؤكد البعض بأن حمص ضمت في عهد دوميتيانوس (Domitianus ) لكن لا يوجد إثبات على ذلك.

حقيقة احتلال حمص موقعاً حيوياً على طريق تدمر باتجاه البحر [1]، وبالنسبة لعنجر فبقي يحكمها واليها [2].

أما عن الأنباط فاستمر نفوذهم في سورية الجنوبية في عهد مالك الثاني وكانت العلاقات النبطية الرومانية جيدة ، والدليل على ذلك مساعدتهم للرومان في حملتهم على اليهودية وتخريب الهيكل في عهد رابل الثاني ( 71-106م) ، الذي يظهر اسمه على النقوش كآخر الملوك النبطيين ولُقب بعبارة " الذي جلب المياه والخلاص لشعبه [3] "، وبلغت المملكة النبطية ذروة نشاطها في عهده ، فالنصب الروماني المثير للإعجاب وهو القوس المؤدي إلى الطرف الغربي لمدينة بصرى والقوس الثلاثي شيّد كلاهما في عهد رابل الثاني ، وهما يسجلان بداية انتقال مركز الثقل من بترا إلى بصرى بسبب التحول التدريجي في أنماط وأشكال التجارة النبطية ، وأما بشأن تدمر فما زال الخلاف قائماً حول وضعها؛ فهل أصبحت مستعمرة رومانية في سنة 75 م ؟ لكن هذه المسألة مازالت غير واضحة ، ومن المعروف أن أهمية موقع تدمر الاقتصادي والعسكري أمر لا جدال حوله ، ومما يدل على ذلك الطريق الواصل بين تدمر والفرات ، والذي يؤكد على اهتمام فسباسيانوس بإنشاء الطريق من جهة أخرى ، كما وجد نصب جنوب جسر العشارنة يحمل اسمه ويحدد هذا النصب تاريخ طريق وادي العاصي ، وينسب إلى فسباسيانوس عمل هام وهو إنشاء أسطول سورية .

---

**(1)Bowersock, p.92.**

**(2)Rey Coquais , p.50 .**

**(3)إن هذه العبارة قد تلمح إلى العافية والشفاء من الدمار الذي حل على أيدي البدو.**

وقد عثر على مدفن أحد البحارة في ضواحي مدينة سلوقية بيريه التي أصبحت المرفأ العسكري الرئيسي الذي حظي بأعمال تنظيمية تجهيزية في عهده[1].

وحكم بعد فسباسيانوس **الإمبراطور تيتوس ( Titus -79-81 م)** ثم الإمبراطور دوميتيان ( Domitianus81-96م)، و لا توجد معلومات كثيرة في عهدهم باستثناء معلومات معظمها عن الحكومات المحلية ، وأهمها عن عنجر التي ضمت في عهده لسورية، وبدأت عصراً جديداً سنة 92 م[2] حملت فيه اسم فلافيا خالكيس( Flavia Chalcis)، ويظهر هذا من خلال النقود التي أصدرتها ، أما عن الأنباط فاستمروا في حكم بلادهم ، فلقد كشف نقش نبطي يعود لسنة 94 م في دمر قرب دمشق يؤكد على بقائهم في الحكم [3]، وتبرز أعمال هذا الإمبراطور في أنطاكية في إشادة أبنية متعددة ، إضافة لاهتمامه بألعاب الكوينون (Koinon) في سورية [4].

## 4- سورية في عهد الأسرة الانطونينية ( الأباطرة الصالحين )

يعتبر عهد الأباطرة الصالحين بدءاً من عهد الإمبراطور **(نرفا Nerva 96- 98 م)** وانتهاءً بعهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس من أفضل العهود بالنسبة لسورية التي ازدهرت في عهدهم، و يتضح ذلك من خلال أعمال الأباطرة وولاتهم ، وخاصة

---

**(1)ReyCoquais, p.70 .**

**(2)Jones1971. p.262.**

**(3) يوسف الدبس ، مجلد 4 ، ص143 .**

**(4)Downey , pp.208-209 .**

ترايانوس ( Traianus 98-117 م ) الذي تميز عهده بإصلاح الطرق والموانئ والمنشآت العامة، وعلى الرغم من ذلك لم يلجأ إلى ابتزاز الأموال [1]. وقد خص ترايانوس سورية بعنايته حيث كان على معرفة جيدة بأحوالها ، ويعود ذلك لكونه شغل منصباً عسكرياً فيها أثناء حكم أبيه ، وزار ترايانوس سلوقية بيريه وأنطاكية التي لعبت دوراً هاماً في حربه مع الفرثيين [2] التي حقق فيها انتصارات باهرة ، كما قام ببعض الأعمال في أنطاكية ومنها إنشاء قناة إضافية مرفوعة على قناطر لجلب الماء إليها من دفنه ، كما وسع دار المسرح وكلا المشروعين يدلان على زيادة عدد السكان في المدينة ، وبعد قيام ترايانوس بهذه الأعمال أصاب أنطاكية زلزال دمر الكثير من أبنيتها، فأعاد ترايانوس بناء ما تهدم من المنشآت ، وأنشأ البوابة الوسطى في أنطاكية [3]، إضافة لاهتمامه بإنشاء الطريق منها وإليها كطريق الفرات [4]، والعمل الأبرز الذي ميز عهد ترايانوس هو ضم المملكة النبطية وجعلها ولاية قائمة بذاتها وسماها بالولاية العربية [5]، وأصبحت عاصمتها بصرى ولقبت (ببصرى الجديدة الترايانية ) والتي ازدهرت بشكل واضح في عهده ، وأنشأ ترايانوس في هذه الولاية الطريق الجديد (Via Nova) الذي بدأ بشقه من بصرى حتى العقبة ، وانتهى العمل به في عهد هادريانوس ، كما بدأ بشق طرق فرعية أخرى في جميع أنحاء البلاد ، فاعتبر إنشاء الطرق من أهم أعمال ترايانوس [6]، وقد جعل بصرى مقراً

---

(1)DioCassius,RomanHistory,Tr.EamestCary,VolIX, London 1969-1970.68.7.1.

(2)Ibid . 68.18.1.
(3)Downey, pp.211-217.
(4)Millar,p.134.
(5)Sartre,2001.p525.
(6)لانكستر هاردنج، آثار الأردن ، ترجمة سليمان موسى ، الطبعة الثالثة ، المطبعة الوطنية ، عمان 1982، ص 52. يشير هاردنج إلى أن مدن الديكابوليس لم تضم إلى الولاية العربية.

للفيلق الثالث سيرينايكا (Legio III Cyrenaica)[1] ، وبضم المملكة النبطية يكون ترايانوس قد تابع سياسة الضم التي تميزت بها الأسرة الفلافية ، ومن البدهي أن أسباب الضم اقتصادية شأنها شأن الحرب مع الفرثيين ، وفي كلتا الحالتين كانت الغاية هي التخلص من وسطاء يسيطرون على طرق التجارة .كما قام بضم دمشق وتدمر لولاية سورية ، ووضع في تدمر أول حامية رومانية وعين ممثلاً عسكرياً يتخذ القرارات الهامة ، وعني بالطريق الموصلة إليها فهناك عدد من الأميال تحمل اسمه تم العثور عليها حوالي تدمر، ولم يكن المجلس ( Boule) التدمري إلا بمثابة مجلس بلدي [2].

أما القسم الشمالي لسورية الأكثر تمدناً فيعتقد أنه أجرى فيه تقسيمات للمدن ولكنها غير معروفة .

وهكذا يكون ترايانوس قد أحدث تغيرات هامة في إدارة الولاية ، كما أنه زاد في منح الامتيازات الرومانية لغير المواطنين [3] ، واهتم أيضاً بالألعاب الأولمبية في أنطاكية التي تدل عليها النقود البرونزية التي أصدرتها دار السك في أنطاكية [4]، إضافة لإشرافه على الإدارة المالية في أجزاء الإمبراطورية ككل وخاصة على طرق جباية الأموال [5] ، كما أنه اشتهر بإنشائه طرق المواصلات واهتمامه بها والتي مايزال بعض أثارها باقٍ إلى الآن ، ويبدو أن سياسة الإمبراطور ترايانوس الشرقية تتبع جذورها وأصولها من تلك السنين الأولى التي قضاها في سورية .

---

(1) نقولا زيادة ، ص 182.

(2) عدنان البني ، تدمر والتدمريون ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق 1978، ص 72.

(3) فيليب حتي ، ص 373.

(4)Downey , p.218.

(5) محمد الزين ،1989، ص 130.

اعتلى **الإمبراطور هادريانوس (Hadrianus 117-138 م )** عرش الإمبراطورية أثناء ولايته لسورية، وتميز عهده حسب رأي ديو ببناء المسارح وإقامة الألعاب وزيارة المدن ومنحها الامتيازات[1] ، فزار أنطاكية ثلاث مرات ، وأعطاها خلال تلك الزيارات العديد من المنح ، وعرفاناً بالجميل خلده أهلها بسبب إصلاحاته العظيمة ، وخاصة فيما يتعلق بموارد المياه والمرافق العامة الأخرى [2].

كما أنه أولى الشؤون المالية اهتماماً واضحاً ، وقام بإصلاحها في المدن السورية ، فبعث بعضوين من مجلس الشيوخ من أجل ذلك ، وتجددت مثل هذه الإرساليات في عصر الأباطرة الذين تلوه ، وأوكل هادريانوس في أواخر عهده بمهمة استثنائية إلى عضوي مجلس الشيوخ للذهاب إلى سورية [3]،واهتم هادريانوس بالضرائب وقام ببعض الإصلاحات الضريبية في الولايات فخفض الضرائب ورفع قسماً من المتأخر عنها[4]، وأصبحت الضرائب المباشرة بيد الولاة ومجالس المدن ، أما الضرائب غير المباشرة فأعطيت للجباة الذين وضعوا تحت رقابة الإمبراطور ، كما أنه منح الامتيازات والحريات لمجموعة من المدن أهمها اللاذقية ، وسلوقية ، وصور ، وطرابلس ، وجبيل ، ويعتقد بأن هادريانوس قد جدد بناء هذه المدن أيضاً، كما منح مرتبة ميتروبوليس إلى مدن أخرى كساموساط، ودمشق ، وصور ، وبقيت بعلبك تابعة لبيروت في عهده [5]، وتزخر المنطقة الممتدة من صنين إلى جبل البشري

---

(1) Dio Cassius . 69.10.1.
(2)Downey, pp.220-221.
(3)Rey Coquais, p.53.

(4) ألغى هادريانوس الديون المستحقة لصالح الخزينة العامة في روما محدداً فترة خمس عشرة سنة من بداية إلى نهاية تطبيق هذا الإعفاء ، ويدل هذا على أن قوائم الضرائب كانت تراجع كل خمس عشرة سنة انظر : Dio Cassius 69.8.

(5) Re quais, p.52.p.71.

(البقاع) بالنقوش ويعتقد المؤرخون أن سبب هذا الغنى بالنقوش هو جهود هادريانوس في تحديد ملكية هذه الأراضي، التي تحتوي على الغابات وتأمين الحماية لها، لأن هذه الأحراج كانت مصدراً هاماً للأخشاب في سورية عامة ، وإن إدارة هادريانوس لهذه الأراضي من الغابات الجبلية من خلال وكلاء معينين من قبله ، منع بصورة فعلية من الاستيطان العشوائي للمنطقة ونهب ثرواتها [1]

وظهرت في عهد هادريانوس مؤسسة جديدة بشكل واضح في أرواد ، وهي عبارة عن مجلس الشيوخ الجيروزيا ( Gerousie) الذي استمر حتى نهاية الأسرة السيفرية[2] . ولكن لا يعرف سبب ظهوره وما هي مهامه ، وفيما إذا كان يمثل اتساع السلطة المحلية ؟

وتميز عهده باهتمام بالطرق والتي تعتبر الشريان الرئيسي للتجارة والتحركات العسكرية ، فرصفت الطرق الواصلة بين دمشق وبترا التي عاد إليها مركز الثقل، وبالتالي تغير اسمها إلى بيترا هادريانا ( Pitra Hadriana)وحصلت على لقب المدينة الأم (Metropole)[3]، كما أعاد هادريانوس إحياءالطرق الجنوبية التي كان قد أهملها النبطيون ، وكذلك أعاد تنظيم الولاية العربية ، وأدخل نظام التجنيد المحلي وشجعه ، فصار الجيش أكثر دراية بأمور الولاية [4] ، كما قام بزيارة تدمر وأطلق عليها اسمه ( Palmyra Hadriana)وكانت آنئذ علاقة تدمر بروما جيدة فمنحها الحرية والاستقلال الذاتي ، إلا أن البعض يجد إن منح هذا اللقب لتدمر ليس رمزاً للحرية وإنما هو لقب تشريفي، لكن تدمر اتخذت لقب المدينة الحرة ( Civitas libera) الذي يخولها سن الضرائب وجبايتها بنفسها وأصبحت تقرر باسم

**(1) نقولا زيادة ، ص 189.**

**(2) جان بول ري كوكيه ، كتابات جديدة من أرواد ، الحوليات الأثرية السورية ، ترجمة عدنان البني ، مجلد 18، الجزء الأول والثاني ، دمشق 1971، ص 192-193.**

**(3)Rey Coquais , p.71.**

**(4) روستوفتزف ، ص 428.**

مجلس المدينة والشعب وتحكم في القضايا البلدية . ويمثل الإمبراطور فيها مندوب إمبراطوري يدعى ( Curator) يراقب سير الخزينة ، أسوة بجميع المدن الحرة ، وارتبط بهذا الحدث إعادة بناء تدمر ووعد هادريانوس بتصحيح الحدود فيها ، الذي تحقق في عهد خليفته انطونينوس بيوس ، وينسب لهادريانوس أنه أحدث تنظيمات جديدة في تدمر من إيجاد للعشائر الأربع ، ولكن بعد دراسات معمقة تبين للمؤرخين أن هذا التقسيم يعود لأبعد من زمن هادريانوس ، وربما إلىسنةوفاة الإمبراطور كلاوديوس . وأصبحت تدمر في عهده تبدو وكأنها مدينة يونانية، ويتبين ذلك من خلال قرار أصدره المجلس أيام هادريانوس وهو التعرفة الجمركية، وفيها سجل كامل للنسب التي يتم تقاضيها على مختلف السلع، ويذكر فيها رئيس المجلس وكاتبه والشعب والإرخونان والمحكمون العشرة[1] ، ويشكل هؤلاء أهم الوظائف التي تعتبر عماد الجهاز الإداري اليوناني –الروماني.

أما عن التطورات التي طرأت على أورشليم ، فقد تحولت إلى مستعمرة ايليا كابتولينا (Aelia Capitolia)[2]، وكانت معفاة من الضرائب ، وحرم على اليهود أن يدخلوها، مما أدى لقيام ثورة ضده استمرت من (132-135م) ، إضافة لذلك زودها هادريانوس بعدة هياكل ونقشت على عملتها شعارات دينية جديدة [3]، لذلك كان لابد من وجود فيالق في اليهودية، فتوزعت الفيالق الستة في الولايات السورية ثلاثة منها في سورية الأصلية، الثالثة الغالية (III Gallica) في رفانية (Raphanea) بالقرب

(1) موريس سارتر ، 1996،ص299.
المحكمون العشرة : ظهر هذا التنظيم أول مرة سنة 66م وانتشر في الولايات الشرقية من الإمبراطورية في القرنيين الثاني والثالث الميلاديين ، وهذه اللجنة العشائرية كانت لجنة مالية انبثقت من مجلس للمدينة تهتم بالهبات والدخول المدنية ثم غدت في القرن الثني مهمتها الوحيدة جمع الضرائب ، أعضاؤها عادة عشرة لكن من الممكن أن يبلغ عددهم العشرين في بعض الأحيان ويبقون في وظيفتهم خمس سنوات على الأرجح. انظر: جونز، بحوث في بلاد الشام "مدن بلاد الشام" ترجمة إحسان عباس،عمان 1986،ص77.

(2)Dio Cassius 69.12.1.

(3) Ibid. 69.13.1-2 .

من مصياف، والرابعة سكيثيكا في زيوجما، والسادسة عشرة فلافيا فيرما ( XVI Flavia Firma)في ساموساط، واثنتان في اليهودية وواحدة في العربية [1].

وبعد وفاة هادريانوس تولى العرش الإمبراطوري الإمبراطور **انطونينوس بيوس ( Antoninus Pius 138- 161 م )** فنعمت أنطاكية في عهده بالرفاهية والأمان، وتجلى ذلك من خلال الإنجازات التي قدمها انطونينوس لها حيث رصف الشارع الرئيسي وشوارع أخرى [2]، وبشكل عام تميزت إنجازات الأباطرة الأنطونيين في مجال الطرق من رصف وإنشاء وتصحيح للحدود [3] ، كما جرى في عهده تصحيح حدود تدمر مابين الأول والعاشر من شهر كانون الأول سنة 153م ، فأصبحت تمتد مابين مكان وجود حجر الحدود عند خربة البلعاس على مسافة 70كم شمال غرب تدمر ، وبين حجر الحدود الذي وجد عند قصر الحير الغربي على بعد 60كم إلى الجنوب الغربي منه [4].
أما في مجال البناء ، فقد أكمل انطونينوس بناء هيكل بعلبك، ويذكر واديتغتون العديد من الآثار التي حملت اسمه كالنقش الموجود في السويداء والنقش الآخر في طريق تدمر [5].

---

(1)Sartre, 2001..pp.618-619.

(2)Malalas. 11.24.p.149.

(3) متري اثناسيو ، ج1 ، ص215.

(4) عبد الحميد عز الين ، ص 91.

(5) يوسف الدبس ، مجلد 3 ، ص 563 . اعتماداً على نقوش وادينغتون (1836) و (2632)

وبعد وفاة انطونينوس بيوس تولى العرش الإمبراطور      ي الإمبراطور **ماركوس أوريـلـوس انـطـونـيـنـوس ( Marcus Aurelius Antoninus 161-180 م)** وقام هذا الإمبراطور بمنح إعفاء أوتخفيض للضرائب وطبق رقابة جدية على الأمور المالية في الإمبراطورية، وقد طال هذا سورية بوصفها إحدى ولايات الإمبراطورية[1]. ومن الأحداث الهامة التي تتعلق بسورية هناك حدثان: أولهما صد الفرثيين حيث أرسل ماركوس لوكيوس فيروس إلى سورية الذي استطاع مع قادته الأكفاء [2] ومن أبرزهم افيديوس كاسيوس (Avidius Cassius)[3] صد الفرثيين [4]. أما الحدث الثاني فهو ثورة افيديوس بعد توليه حكم سورية عام 175م وذلك بإعلان نفسه إمبراطوراً بعد أن وصله نبأ كاذب بموت الإمبراطور ماركوس أوريليوس [5]، وكان مركز هذه الثورة مدينة كيروس ( Cyrrhus) تل النبي هوري وأنطاكية التي عاقبها ماركوس بإبطال حفل الألعاب المحلية فيها ، وحظر كل الاجتماعات العامة ، وكانت هذه الإجراءات وسائل ضرورية للوقاية من استفحال التآمر [6]، إضافة لذلك أصدر قراراً مهماً بألا يتقلد الوظائف الكبرى في الولاية إلا للغرباء، وذلك ليقي الولاية من السبل المؤدية للثورة فإن ثورة افيديوس كاسيوس حدثت أثناء إدارته لسورية [7]، ويرد ذكر الإمبراطور ماركوس أوريليوس في العديد من النقوش وأهمها ذلك النقش الموجود على أحد صخور نهر الكلب، ومنه يتبين أنه وسع الطريق وكتب

(1) روستوفتزف ،ص 462.

(2)Dio Cassius. 71.1.3.

(3) افيديوس كاسيوس هو قائد الفيلق الثالث جاليكا وهو سوري الأصل من تل النبي هوري ويعتقد أن والده كان أمين سر لدى هادريان انظر : Dio Cassius. 72.22.2.

(4)Ibid .71.2.3.

(5)Ibid.72 .2.3.

(6)Rey Coquais, p.65.

(7)Dio Cassius. 72.31.1.

فيه ما ملخصه: " للقيصر ماركوس أوريليوس أنطونينوس بيوس أوغسطس لأنه مهد الجبال المشرفة على نهر الكلب ( Lycos)"، كما وجد في تدمر نقش باللغتين اليونانية والتدمرية فيه توقيع على لوحة الشرف التي أقيمت على شرف ماركوس من قبل عضو المجلس الوالي في أنطاكية [1]، وقد لقيت حوران اهتماماً واضحاً منه فهناك نقوش كثيرة تحمل اسمه فيها [2]، إضافة إلى نصب المسافات التي وجدت في بصرى والتي تحمل لقب ماركوس أوريلوس [3]، كما بنى في عهده أيضاً الطريق الذي يصل بين درعا وبصرى [4]، ومن أهم إنجازات الإمبراطور ماركوس أوريليوس إنشاء مصلحة الأحوال الشخصية التي تلزم الأفراد على التصريح بمواليدهم ، وذلك من أجل دفع الضرائب [5].

اختتم ماركوس اوريليوس عهد الأباطرة الصالحين الذين حققوا لسورية الازدهار، فلقيت منهم وكذلك من ولاتهم عناية كبيرة في مجالات عديدة ، كالحركة العمرانية ، وترسيم الحدود بين المدن ، وذلك من أجل الحصول على ضرائب مما يعكس اهتمامهم الواضح بالناحية المالية ، إضافة إلى نواحٍ أخرى كإمداد المياه الذي يعد من الخدمات المهمة والأساسية للمدن والقرى وذلك حرصاً على تطوير الزراعة مما أدى إلى ازدهار الاقتصاد ، واهتموا بإنشاء الطرق ورصفها ، وإقامة الجسور على الأنهار [6] خدمة للنواحي العسكرية والاقتصادية فضلاً عن المدنية، وقد برز الإمبراطور ترايانوس من خلال تأسيسه الولاية العربية ، واهتمامه بالطرق ، وكل ما سبق هو انعكاس للسياسة الإدارية التي اتبعها الأباطرة الصالحون ، ويُعَدُّ طريق حمص مثالاً على هذه الطرق

(1) شيفمان ، ص 102.

(2) جرجي يني ، ص 144. ( إن نقوش حوران تحمل الأرقام التالية اعتماداً على وادينغتون ( 2057-2071-2212)

(3) جان بول ري كوكيه ، الكتابات اليونانية واللاتينية في بصرى ، الحوليات الأثرية السورية ، ترجمة سليمان مقداد ، مجلد 15،دمشق 1968، ص 192-193.

(4) دانتز ، ج1 ص116.

(5) أندريه ايمار ، جانين اوبوايه ، تاريخ الحضارات العام ، ترجمة يوسف اسعد داغر ، فريدم داغر ، مجلد 2 ، بيروت 1964 ، ص330.

(6) تميز الرومان بإقامة جسور للأنهار بسهولة فائقة وذلك من قبل الجنود الذين يتدربوا على هذا العمل. للمزيد انظر : Dio Cassius. 71.3.1

حيث ورد في لائحة الطرق الأنطونينية . لقد كانت حمص تتصل مع مدن سورية الشمالية بطريق شمال جنوب مبتدئة بكيروس ومنتهية بحمص بطول 161ميلاً [1]مارة بالمحطات التالية : 20ميلاً XX Minnica: منكا / بنش جنوب اعزاز

32 ميلاًXXXIIBeroa:بيرويا /حلب

18 ميلاً XVIIICalcida: كلكيدا / قنسرين

20 ميلاًArra:XX أرا / معرة النعمان

23 ميلاًXXIIICapareas: كبارياس / كفررا

16 ميلاً XVIEpiphania: أبيفانية / حماة

16ميلاًXVIArethuse : أريتوزا / الرستن

16ميلاً XVIEmesa: حمص

تتقاطع هذه الطرق إلى الشمال من حماة عند كبارياس مع طريق أفامية تدمر، وتصبح جزءاً من طريق شمال جنوب مدينة حمص ، وكانت تصل حمص مع الجنوب (دمشق ) فكانت تمتد على نفس خط طريق سيرياني سيكثوبوليس ، وأما منطقة الحدود بين المدينتين فكانت تقع عند يبرود[2] ، التي كانت تتبع نفوذ حمص ، كما يشير إلى ذلك أحد النقوش الحجرية . إن هذه الشبكة الممتازة من الطرق التي كانت تربط حمص مع مدن سورية ساعدت على تقدم المدينة وتطورها ، إن جميع هذه الطرق تقريباً التي تقود إلى حمص هي اليوم استمرار للطرق الرومانية القديمة نفسها والتي لا تزال آثارها واضحة للعيان بسبب حجارة الرصف الكبيرة التي كان الرومان يستخدمونها والمسماة ( Via Strata : Plastor) [3].

(1) الميل الروماني = 1482م.

(2) يبرود اليوم في منتصف الطريق بين حمص ودمشق ، يذكرها الجغرافي بطليموس (الكتاب الخامس الفقرة 15) من المدن النابعة لمنطقة لاوديكيا، عاصمتها لاوديكيا في سفح جبل لبنان.
انظر :عبد الحميد عز الين ،ص101.

(3) المرجع نفسه، ص 97-98.

تولى العرش بعد الإمبراطور ماركوس أوريلوس انطونينوس الإمبراطور كومودوس (Commodus 180 -192 م ) وتعتبر فترة حكمه كارثة على الإمبراطورية وبالتالي على ولاياتها ، على الرغم من أنه من العائلة الأنطونينية التي قامت بإصلاحات واسعة ، ولكن عهده كان نهاية لها ، وتعتبر الآثار الدالة على كومودوس قليلة وانحصر معظمها في أنطاكية في مجال الألعاب والترفية ، فأعفاها من العقوبة التي فرضها عليها والده الإمبراطور ماركوس أوريليوس ، وذلك بإعادة الألعاب الأولمبية والمهرجانات بناء على طلب من أهلها ، إضافة إلى إعادة تنظيم التدابير الماليةلإقامة هذه الألعاب ، كما أنشِئَت مبان جديدة لاستخدامها في الحفل. وفي المرسوم الذي أعيدت بموجبه هذه الألعاب قرر كومودوس أن تخصص اعتمادات من أموال الدولة للإنفاق منها على ألوان عديدة من ضروب الترفية ، ونص المرسوم أيضاً على أن تتحمل الدولة إعانة أرباب التمثيل الصامت والراقصين ، ونظراً لاعتراف أهل أنطاكية بفضله أقاموا له تمثالاً من البرونز ، وبفضل أحد النقوش الموجودة في أنطاكية عُرِفَ بأنه كان يُحتفل فيها بعيد أطلق عليه اسمه ويُحتمل أنه من الأعياد السابقة مع تغيير في الاسم[1].

أما عن أعماله الأخرى خارج أنطاكية ، فكانت في حوران حيث وجد وادينغتون في السويداء نقشاً يونانياً تكريماً (2308)أقامه له والي العربية ذكرى لجلبه الماء إلى المدينة وضواحيها في العام الثامن لحكم كومودوس سنة 187 م [2]،وأرسلت في عهده الفيالق الثلاثة مفارز لتقوية الحاميات في حوران ، وهناك العديد من الآثار التي حملت اسمه كالنقود التي سكت في بيروت احتفاءً بالقرن الثاني لهذه المستعمرة [3]، وفي أرواد وجد نقش يشير إلى أن الأرواديين أقاموا تمثالاً للإمبراطور كومودوس [4].

---

(1) Downey , pp.230-235.

(2) يوسف الدبس ، مجلد 3 ، ص565.

(3)Rey Coquais, p.51.70.

(3) يوسف الدبس ، مجلد 3 ، ص565.

إن زخم ونوعية الإصلاحات العامة في فترة الأباطرة الفلافيين والأباطرة الصالحين يؤكد على أن الاقتصاد هو المحرك الأساسي للإصلاحات الإدارية التي أنجزوها ، والتي انعكست على كافة المجالات ، فقد تكون زيادة السكان في عهد ترايانوس نتيجة لها ، ومن نتائجها أيضاً ازدهار التجارة الذي يبرز من خلال الربط بين الولايات وبين المدن مع بعضها البعض والمدن والقرى من خلال إنشاء طرق جديدة ، ولا بد أن لإنشاء هذه الطرق انعكاسه على النشاط السكاني ، كما انعكست قوة الإدارة آنذاك على الحركة العمرانية فأدت إلى ازدهارها.

## 5- سورية في عهد الأسرة السيفيرية

بعد موت الإمبراطور كومودوس نودي بالإمبراطورين بيرتيناكس وديديوس يوليانوس اللذين قتلا بسرعة الواحد تلو الآخر سنة 193م ، وكان بيرتيناكس والي سورية فيما سبق، لكنه لم يكن على صلة بأنطاكية في أثناء حكمه ، وبعد مقتله نودي بديديوس يوليانوس ، فاستعان الشعب ببسكينيوس نيجر والموالين له في سورية لتخليصهم من الإمبراطور يوليانوس [1]، وعندما قام جنوده بالمناداة به إمبراطوراً في أنطاكية اتخذ منها قاعدة رئيسية واستخدم دار السك فيها لإصدار عملة باسمه ، وأثناء ذلك الوقت تقريباً نودي بسبتيميوس سفيروس إمبراطوراً على يد جنوده وفرقه ، مما أدى للصراع بين سبتيميوس ونيجر ، والذي سيُذكر لاحقاً في عهد سبتيميوس سفيروس[2].

---

(1)Dio Cassius. 74.13.5.

(2)Downey ,.236-237.

بعد أن أعلن **سبتيميوس سفيروس ( Septimius Severus 193-211 م )** نفسه إمبراطوراً كان أول عمل عليه القيام به هو القضاء على خصمه بسكينيوس نيجر الذي أعلنه جنوده إمبراطوراً في أنطاكية [1]، وانضم لهؤلاء الجنود شبان مدينة أنطاكية عرفاناً منهم بالجميل على معاملة بسكينيوس الجيدة لهم، حيث كان يشاركهم الاحتفالات والأعياد إضافة لإعفائهم من ديونهم [2]، أما سبتيميوس سفيروس فساندته اللاذقية بحكم علاقتها مع منافستها أنطاكية ، إضافة إلى مساندة مدينة صور، والتقى الجيشان في ايسوس قرب خليج الإسكندرونة سنة 194م[3]، حيث هزم بسكينيوس نيجر وقتل في نهاية المطاف واستسلمت أنطاكية لجنود الإمبراطور سبتيميوس سفيروس [4]، وكان لمحاولة بسكينيوس نيجر هذه أثر كبير على سورية ، فدفعت سبتيميوس لإحداث تغيرات إدارية فيها ، لأنه أدرك مدى أهمية السلطة التي يستمدها والي سورية من وجود أربع فرق عسكرية تحت إمرته، فضلاً عن كون ثروات الولاية تحت تصرفه ، لذلك قام بتقسيم ولاية سورية إلى ولايتين[5] : هما سورية المجوفة[6]، ( Coele Syria) وسورية الفينيقية ( Syria Phoenice)، وتضم سورية المجوفة القسم الشمالي من كوماجينة وقسماً كبيراً من سلوقية القديمة على الرغم من أنها لم تتسع إلى ما وراء أفامية وكانت عاصمتها اللاذقية حتى سنة 200 م ، ومن ثم أصبحت العاصمة أنطاكية،

---

(1)Downey ,op.cit, p.238.

(2) شيفمان ، ص231-232، 243.

(3)Rey Coquais, p.56.

(4)Dio Cassius. 75.8.2-3.

للمزيد حول صراع سبتيميوس ونيجر انظر : Malalas.12.21-22.(p.156)

(5) يرد تقسيم سورية لدى (Bouchier) على شكل أربع مقاطعات 1- سورية المجوفة 2- سورية الفينيقية 3- فلسطين 4- العربية . E.S.. .Bouchier , Syria as Roman province, Oxford 1926. p154 .

(6) إن سورية المجوفة في عهد سبتيميوس سفيروس غير التي كانت موجودة في العصر الهلينستي الواقعة بين لبنان و لبنان الداخلي ، أما في عهد سبتيميوس فقد فقدت اسمها هذا لصالح النصف الشمالي من سورية .

أما القسم الثاني سورية الفينيقية فيقع في جنوبي سورية [1] ، وشرقها وشرقي لبنان وبعلبك وحمص وتدمر ودمشق[2] ، و(كالاموس Kalamos ) القلمون أيضاً [3]، أي القسم الجنوبي من الولاية القديمة ، وقد اعتبرت سورية المجوفة ولاية قنصلية مع فيلقين وعاصمتها أنطاكية ، أما سورية الفينقية في الجنوب فاعتبرت ولاية حاكمية مع فيلق واحد وعاصمتها صور [4]، ولم يتوقف الأمر عند تقسيم سورية لولايتين ، فقد اقتطع سبتيميوس سفيروس من سورية الفينيقية حوران وباتانية[5] ليضمها إلى الولاية العربية ، وبهذا توسعت الولاية العربية من الجهة الشمالية لتراخونتيد ومن الجهة الجنوبية لباتانية ، ثم توسعت فيما بعد من منطقة تراخونتيد ، فكانت تضم سهل النقرة ، وهناك دليل على أن شمال تراخونتيد بقي في سوريةالفينيقية عند حصول هذا التقسيم سنة 194 م ، وهو وجود أحجار ميلية تحمل اسم الوالي الأول مانيليوس فوسكوس ( Manilius Fuscus)على بعد 14ميلاً إلى الجنوب من المسمية، ويرد النقش كما يلي :

Manil [io]
Fusco Leg (ato) Aug (usti)
Pro po (aetore) prov (inciae)Phoe-
Nices , co(n) s (uli)Leg (ato)
Aug (usti) pr (o) pr (aetore) prov (inciae)[6]

وربما أزيحت حدود سورية الفينيقية نحو الشمال قبل سنة 225 م ، ولكنه من المؤكد أن

---

(1)Sartre, 2001.p.514.

(2) يوسف الدبس ، مجلد 3 ، ص584.

(3) يوسف نصر الله ، " القلمون في العهد الروماني البيزنطي " ، الحوليات الأثرية السورية ، ترجمة ، عدنان البني ، مجلد 8-9، دمشق 1958-1959، ص200.

خضع القلمون في أول الأمر جزئياً إلى الأنباط واحتله الرومان علم 105م ، ومن ثم أصبح تحت تبعية تدمر ومن ثم ضم لولاية سورية الفينيقية .

(4) ري كوكيه، 1971 ، ص 192- 193 .

(5) باتانيا : حوران والسويداء ، تراخونيتيس (تراخونتيد ) : اللجاة ، اورانيتيس : حوران.

(6)IGLS, VI.2776.

إعادة التنظيم حصلت لمرة واحدة قبل سنة 225 م، فخضعت العربية بكامل تراخونتيد وشمال باتانية وأورنتيد أي كامل ولايات هيروديس التي ضمت سنة ( 92-93 م ) ، فأعاد هذا الإجراء الوحدة الإداريةلمجوعة متجانسة ثقافياً، وذلك بعد أنقطعها التوزيع بين الهيرودييونملوك بترا أواخر القرن الأول الميلادي، واحتفظ ملك الرها أبجر الثامن (Abger VIII 177-211م) بسلطته على إمارته وأقر له سيفيروس بلقب ملك الملوك[1]

إن هذا التقسيم لسورية لم يحدث أي تغيير في أماكن الثكنات العسكرية ، فكانت الفرقة الرابعة سكيثيكا والفرقة السادسة عشرة فلافيا فيرما فيلقَّيْ سورية المجوفة، والفرقة الثالثة الغالية فيلق سورية الفينيقية ، وحل الفيلق بارثيكا الثاني ( Parthica II) عدة مرات في أفامية [2]، وقد كان الهدف الأساسي لهذا التقسيم هو إضعاف ولاة سورية ، وذلك للحد من أية محاولة لتنصيب أنفسهم أباطرة على الإمبراطورية ، إضافة لذلك يُعتقد بأن هناك سبباً آخر ساهم بهذا التقسيم ، وهو رغبة سيفيروس بالانتقام من أهل أنطاكية لمضايقتهم له عندما كان يخدم فيها ويتولى قيادة الفرقة الرابعة في سنة179م[3].

فتح عهد السيفيريين مرحلة جديدة في تاريخ المدن ، فتحول كثير منها إلى مستعمرات رومانية ، البعض منها كان اعترافاً من سبتيميوس سفيروس بالدعم الذي قدمته له هذه المدن في صراعه مع نيجر [4] ، الذي هدم مدينتي صور واللاذقية وأعاد سبتيميوس بناءهما ومنحهما امتيازات عديدة ، وتحولت اللاذقية إلى مدينة كبرى سنة 194م ومستعمرة تتمتع بالحقوق الإيطالية في سنة 198/194 م ، وكذلك أعطى صور التي ساندته الحقوق الإيطالية وحولها إلى مستعمرة أيضاً في نفس التاريخ تقريباً ، وتؤكد ذلك النقوش التي وجدت على نقود صور[5]، أما أنطاكية التي انحازت إلى نيجر فعاقبها

---

(1)Sartre, 2001.pp.614-617.
(2)Rey Coquais, p. 68.
(3)Downey, p239.
(4)Rey Coquais , p.56.

(5) شيفمان ، ص210.

بأن حولها إلى قرية ( Kome) تابعة لمدينة اللاذقية حتى سنة 202م ، وبذلك حط من مكانتها الإدارية حيث جردها من لقب العاصمة وأعطى هذه الصفة للاذقية [1]مع تقديم امتيازات أخرى لها ، فتوجب على أنطاكية دفع ضرائب للاذقية التي سمح لها بأن تحمل لقب المدينة الأم ميتروبوليس (Metropolis)[2] ، إضافة إلى أنه نقل الألعاب الأولمبية من أنطاكية إلى ايسوس تخليداً لانتصاره فيها [3]، كما اهتم بالمنشآت العامة فبنى العديد منها في اللاذقية [4]، ويشير أحد النقوش عند وادينغتون ( 1838) الذي وجد في جنوب اللاذقية بالقرب من النهر الكبير الشمالي على وجود مركز عسكري ، كتب عليه تخليداً لذكرى سيفيروس [5]، وتؤكد الدراسات الأولية للتابوت الذي وجد في اللاذقية بأن سبتيميوس سفيروس أعاد تشييد اللاذقية وتجميلها [6]، إذ دعاها سبتيميا سيفيرا ومنح أهلها شرف الانتساب إليه فصاروا يدعون سبتيميين [7].

أما تدمر فرفعها إلى مرتبة مستعمرة ومنحها الامتيازات الإيطالية، وحافظت تدمر حين ضمت على قسط كبير من الحرية ، أكثر مما تسمح به العادة للمدينة في الولاية ، فبقي لها جيشها، وعلى ما يبدو أن قائداً رومانياً كان يعسكر فيها ، وحصلت في عهد

---

(1)Millar, p.256.

(2)Malalas,12.21. p.156.

(3)Downey, p.241.

(4)Malalas,12.21. p.156.

(5) يوسف الدبس ، مجلد 3 ، ص566.

(6) هشام الصفدي ، آغوب كريشيان ، " دراسة أولية لتابوت اللاذقية ، الحوليات الأثرية السورية ، مجلد 7 ، دمشق 1957، ص75.

(7) Malalas,12.21. p.156.

سبتيميوس على امتياز المواطنة الرومانية، فأخذ أفرادها يقدمون على أسمائهم لقب سبتيميوس ، وأهم من تلقب به سبتيميوس بن حيران رئيس تدمر، ويعتقد بأنه والد أذينة أو أخوه ، الذي أعان سبتيميوس سفيروس في حربه ضد الفرثيين[1]، ووجد بين تدمر ودمشق عدد من الحصون التي بلغ عددها 42 حصناً ، ولكن من غير المعروف من هو بانيها أهو هادريانوس أم سبتيميوس ؟ وعلى أي حال إن لم يكن سبتيميوس بانيها فإنه قد حافظ عليها وكفاها الزاد والمؤونة والرجال [2].

وتعتبر الحرب مع الفرثيين من أهم المشاكل الخارجية التي شغلت سبتيميوس [3]، فقام بحملة ضدهم سنة 196م ، وبعد هذه الحملة بفترة قصيرة صفح سبتيميوس عن أنطاكية وذلك بعد أن زارها ، وأهداها حمامين سماهما على اسمه سيفيريانوم ( Severianum)، كما فعلت أنطاكية بسك عملتها [4] ، وعلى ما يبدو أن هذه العطاءات من قبل سبتيميوس كان يراد بها رد الاعتبار للمدينة، وذلك ليؤكد على أنها لم تعد موضع سخطه،وقام سبتيميوس بزيارة مدن أخرى كأفامية [5].

ولم يتوقف منح سبتيميوس لقب مستعمرة عند حدود المدن التي وقفت إلى جانبه في صراعه مع نيجر ، بل إنه توسع في ذلك فمنح هذا اللقب لصيدا وبعلبك أيضاً [6]،التي بدأت تسك النقد في عهده ، إضافة إلى الرستن وطرابلس وبيروت وجبيل ، ويذكر النقش الذي وجد في تدمر ويعود لسنة 198 م تعين استرتيجوس مع صلاحيات

---

(1) عدنان البني ، ص73-75.

(2) يوسف الدبس ، مجلد 3 ، ص587.

(3)Dio Cassius.76.8.9.1.

(4)Malalas,12.22. p.156.

(5) فيليب حتي ، ص 339-340.

(6) تبين نقود بعلبك بأنها فصلت عن بيروت في عهد سبتيميوس ، ويوضح هيروديان بأن هذا الفصل كان عقوبة لبيروت التي انحازت إلى جانب نيجر ، ولا تعارض نقوش بيروت هذا القول .

Jones, 1971. p.466, n85.

بوليسية (قائد شرطة ) وبأن هذا التعيين قد تم في ظروف استثنائية لإحلال السلام [1]، و أما بالنسبة لحمص فإنها أصبحت مستعمرة ، ولها امتيازات إيطالية ، وكشف نشاط سبتيميوس في سورية الشمالية الغربية وفي وادي الفرات عن تيار التبادلات التي وضحتها الحركة النقدية التي تمكن الباحثون من دراستها بفضل اللقى في أنطاكية و دوراأوروبوس [2].

وفي فلسطين واجه سبتيميوس ظرفاً استثنائياً سنة 199م، حيث قامت فيها ثورة أخمدها بقوة ولم يتغاض عن أي مخالفة للنظام [3]، إضافة لذلك أسّس مدينتي اليثروبوليس (Eleutheropolis)على موقع قرية تدعى بيتوا جبرا (بيت جبرين ) وديوسبوليس (Diospolis) في موقع اللدّ وأرّخت كلتاهما العملة ب سنة (199-200م) أي سنة تأسيسهما، ومنح أيضاً حقوق المستعمرة لسبسطة [4]، أما نابلس ( Neapolis ) فسلبها سبتيميوس الحقوق المدنية [5]. تميزت إصلاحات سبتيميوس بأنها إدارية عسكرية ، فاتبع سياسة تقسيم الولايات إلى وحدات أصغر، وانطبق هذا على ولاية سورية وغيرها من الولايات وتوسع في اتخاذ نظام البلديات أساساً لجباية الضرائب ، وأنقص الفضة في الدينار إلى 60% ، إضافة إلى عنايته بالطرق وإنشائها . ويتضح ذلك في النقوش التي وجدت في الطريق المؤدية من صور إلى صيدا،ومنها أربعة نقوش تدل على الأميال ومؤرخة سنة 198م ، تذكر بأن نائب سبتيميوس عني بإصلاح الطرق في هذه المدن، إضافة لنقش آخر كُتِب عليه اسم سيفروس وجد في جوار اللاذقية ، ويدل هذا على أن معظم الإصلاحات نُفِذت في سورية الفينيقية[6] ، أما بالنسبة لإصـلاحاته العسكرية،فكانت

---

(1)Jones, op.cit. p.266.
(2)Rey Coquais, p.56.
(3) جرجي يني ، ص 146. يوسف الدبس ، مجلد 3، ص589.
(4)Jones,. pp.278-279.
(5)Harper , p.115.
(6) وليم لانجر ، موسوعة تاريخ العالم ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ، ج1 ، ط1 ، القاهرة ، ص 311. خليل مقداد ، حوران عبر التاريخ ، دار حوران للنشر ، ط1 ، دمشق 1996، ص 68.

عامة لكنها خصت ولاية سورية بشكل أو بآخر كونها ولاية من ولايات الإمبراطورية ، إضافة إلى متاخمة حدودها للفرثيين العدو اللدود للرومان ، ومن أهم هذه الإصلاحات تأسيس سبتيميوس مدرسة الحقوق في بيروت أثناء إقامته في سورية [1]، إضافة للتعديل الذي أجراه بالنسبة للخدمة في الجيش ، فكان على الجندي أن يقضي عشرين سنة في الخدمة لكي ينال المواطنة الرومانية ، لكنه عدله بأن جعل مجرد الانضمام للجيش كافياً لأن يعطي الرجل الحق في نيل المواطنة الرومانية ، وبذلك شجع الكثيرين على الانضمام للجيش[2]، كما أنه أمن بذلك لسورية متراساً هاماً لحمايتها ، وذلك بإيجاده ولاية جديدة وهي ولاية نصيبين ( Nisibis)[3]، وبهذه الأعمال وضع سبتيميوس لبنة جيدة لبداية الأسرة السيفيرية ، إذ وضع نهاية لفترة الضعف في الولاية ، ودشن عهداً جديداً .

بعد وفاة الإمبراطور سيبتيميوس سيفيروس ، تولى ابنه **كراكلا العرش( Caracalla 211-217 م)**الذي زار مدينة أنطاكية في سنة 215م، وكان كراكلا يحمل مشاعر طيبة تجاه سورية باعتبار والدته تنتمي إلى العائلة الملكية التي كانت تحكم مملكة حمص، لذلك أغدق على أنطاكية العديد من الامتيازات .

اشتهر كراكلا بفضل دستوره ( Constitutio Antoniniana) الذي منح بموجبه حقوق المواطنة الرومانية لجميع سكان الإمبراطورية الأحرار باستثناء فئة محددة [4] ، ومن المؤكد أن إصدار هذا الدستور كان نتيجة سياسة مدروسة تهدف إلى زيادة عدد

(1)Thoumin,op.cit. p.139.

(2) نقولا زيادة ،ص 191.

(3)Dio Cassius.75.3.2.

(4) لانجر ، ص 313.

دافعي الضرائب؛إذ لم يكن يترتب على المواطنين الأجانب (غير الرومان )دفع معظم الضرائب [1]، وبذلك يسهمون في نفقات الإمبراطورية ، بزيادة عدد من يحملون حقوق المواطنة الرومانية ، ويشير إلى ذلك قول كراكلا في بداية مرسومه:" إن الآلهة الرومانية خليقة بأن تبتهج بذبائح الشكر التي يقدمها حشد من المواطنين الجدد " [2]، وإن اشتراك الجميع في عبادة الآلهة الرومانية ما هو إلا رمز ودليل على وحدة الإمبراطورية.

لقد زادت الضرائب في عهد كراكلا إلى ثلاثة أضعاف ، إذ جمع أموالاً من خلال فرض ضريبة الميراث ومقدارها 10% وهي أصلاً لا تفرض على غير المواطنين الرومان [3]، وأضاف ضرائب جديدة كضريبة العشرة بالمئة التي فرضها بدل ضريبة الخمسة بالمئة المطبقة على عتق العبيد ، وألغى حق الإعفاء من الضرائب الذي كان يعطى في بعض الظروف الاستثنائية[4] ، وكانت هذه الإجراءات من أجل تغطية إسرافه في زيادة مرتبات الجند ، كما أصدر نقوداً جديدة سماها انطونينيانوس( Antoninianus) بقيمة اسمية قدرها ديناران، بينما تزن 2/3 الدينار [5]،ولم تتوقف أهمية إصدار هذا الدستور على الأمور المالية ، إذ وجد الباحثون في الوثائق التي عرفت عن المدن السورية أن هذا المرسوم توج عملية تحويل كل الأراضي التابعة للإمبراطورية الرومانية إلى أراضٍ رومانية ( Orbis Romanus)، كما جعل من قاطنيها مواطنين رومان ، بعد أن كانوا تابعين للإمبراطورية ، وبذلك توسعت القاعدة الاجتماعية للسلطة الإمبراطورية الرومانية إلى أقصى حد ممكن لها ، مع العلم أن المواطنة الرومانية لم تلغ المواطنة

---

(1)Dio Cassius.78.9.5-7.

(2) تشارلزورث ، ص184.

(3) روس لكي ، المرشد إلى الكلاسيكيات ، ترجمة جورج خوري ، ط1 ، بيروت 1994، ص43.

(4)Dio Cassius.78.9.4-5.

(5) لانجر ، ص 312.

المحلية ، لكنها جعلت من سكان الإمبراطورية كتلة واحدة تابعة للإمبراطور [(1)]، واعترفت أنطاكية بجميل كراكلا الذي رفع عنها باقي العقوبات التي كبلها بها أبوه سبتيميوس وحررها من إشراف اللاذقية عليها ، إضافة إلى أنه أعاد إليها الألعاب الأولمبية ورفعها إلى مرتبة مستعمرة ( Colonia)[(2)]، ولكن الخلاف قائم بين الباحثين أكانت هذه المستعمرة معفية من الضرائب أم لا ؟[(3)].

برزت عدة مدن في عهد كراكلا أولاها اهتمامه وأهمها حمص ، إذ أنها كانت منشأ أمه جوليا دومنا التي تنتمي لأسرة ملكية محلية ، منحها لقب مستعمرة مع الامتيازات الإيطالية،وكذلك اهتم برفانية التي بدأت تسك عملتها في عهده ، ويعتقد أن سبب بروزها تمركز حامية عسكرية فيها [(4)] .

أما تدمر فتشير نقوشها إلى أن أهلها قد حصلوا على حقوق المواطنة الرومانية ، ويدينون بذلك إلى الإمبراطور كراكلا ، لكن أبيانوس لا يسمي الإمبراطور الذي أعطى هذه الحقوق لتدمر؛ هل كان سبتيميوس أم كراكلا ؟ [(5)]، ويشير بعض المؤرخين إلى أن كراكلا قد أعفى تدمر من الضريبة الجمركية ، وظهر ذلك على النقود التي نقش عليها لقب مستعمرة، وبهذه الصفة أُعفيت من الرسوم الجمركية [(6)] . كما قام كراكلا بالقضاء على الأسرة المحلية التي تحكم الرها وبذلك تكون الحكومات قد شارفت على الانقراض في عهده [(7)]، وتميز عهد كراكلا بالاهتمام بالطرقات ، منها الطريق الذي يصل بين دمشق وفلسطين (طبرية) ، وكذلك طريق اللجاة الذي يربط بين بصرى السويداء ، دمشق [(8)]، ووجدت أيضاً العديد من النقوش التي تذكر اسمه مثل نقش وادينغتون

---

(1) شيفمان ، ص170.

(2)Downey , p.245.

(3) يرى كل من ري كوكيه وجونز أنها كانت غير معفية من الضرائب، بينما شيفمان وجونز أنها كانت معفية .

(4)Jones, 1971. p.267.

(5) شيفمان ، ص208.

(6) فيليب حتي ، ص435.

(7) شيفمان ، ص201.

(8) سليمان المقداد ، ص 68.

(2374)، وهو عبارة عن إقامة نصب تكرمة للإمبراطورين كراكلا وجيتا، إضافة لنقش آخر في حوران ( 2455)، يؤذن بإقامة تكرمة للإمبراطو ر كراكلا، و آخر في ازرع وهو النقش (2479) ، وعثر في منطقة فتقا بكسروان على نقش كتب عليه ما معناه : في السنة الأولى للقيصرين مرقص انطونينوس وجيتا أقيم هذا الهيكل والمذبح . وعلى الأغلب أن هذا النقش كتب سنة211 م لأنها السنة الوحيدة التي حكما فيها معاً.

وقام كراكلا بتكملة الأبنية التي بدأها أبوه في بعلبك أمام هيكل جوبيتر [1]، وأولى طريق الولاية العربية والتي يعود تاريخها للفترة الممتدة بين ( 213-214م ) [2] ، وبشكل عام اهتم كراكلا بالقضايا التي تتعلق بالولايات ، ويتبن ذلك من خلال توليه رئاسة الهيئة القضائية التي عقدت في 27 أيار سنة 216 م ، للنظر في استئناف الحكم في قضية تتعلق بمعبد زيوس في الضمير [3].

وشهدت دوراأوروبوس بعض التحولات في عهد كراكلا ، تحضيراً للحملة ضد الفرثيين، حيث وجدت فيها أعلام ثلاثة فيالق ، ويلاحظ بعض المؤرخين أن عصر السيفيرين شهد انزياح الفيالق الرومانية نحو الشرق . ومما يؤكد تزايد أهمية دورا على الصعيد السياسي والعسكري، هو إعادة تنظيم مخططها ، ففي الفترة الواقعة بين ( 209-216م) تحول القسم الشمالي من المدينة إلى ثكنة عسكرية معزولة بجدار عن القسم الآخر ، وأقيم على ضفة النهر قصر القائد العام للمنطقة العسكرية الملقب بقائد الضفة ( Dux Ripa) الذي تمتع بسلطة واسعة لكن لا يعرف مداها [4].

بعد مقتل كراكلا نودي **بماكرينوس ( Macrinus -217-218 م )** رئيس

---

(1) يوسف الدبس ، مجلد4، ص4.

(2) موريس سارتر ، " الكتابات اليونانية واللاتينية الجديدة في بصرى ، الحوليات الأثرية السورية ، ترجمة سليمان المقداد ، مجلد 22، دمشق 1972، ص 206-207.

(3)Roussel, pp.196-197

**(4)**Sartre, 2001.pp. 619-620.

الـحرس الإمبراطوري إمبراطوراً، وبدلاً من الذهاب إلى روما بقي ماكرينوس في أنطاكية للأشراف علـى الـحرب الفرثية وغدت أنطـاكية شبه عاصـمة شرقية ، وقـامت دار السـك فيها بسك العملة الإمبراطورية ، وواجه ماكرينوس خلال هذه السنة عدة ثورات ، نتيجة سوء معاملته لأفراد عائلة الإمبراطور السابق سيفيروس ، ومنهم جوليا مايسا ( Julia Maesa) شقيقة زوجة الإمبراطور سيفيروس وخالة الإمبراطور القتيل كراكلا، فأمر بإبعادها من روما ، وإعادتها إلى موطنها الأصلي في حمص ، وكانت جوليا مايسا على جانب كبير من الثراء وذات نفوذ واسع .

استغلت جوليا مايسا نقمة الجيش الروماني على سياسة الإمبراطور ماكرينوس وراحت تحرّض على الثورة ضد ماكرينوس ، وأثمر هذا التحريض عن مقتل الإمبراطور مع ابنه بالقرب من أنطاكية . ونادى الجنود بحفيد جوليا مايسا إمبراطوراً وعُرف الإمبراطور الجديد باسم **ايلاجبالوس ( Elagabalus 218-222 م)** نظراً لأنه كان كاهناً لمعبد الشمس الفينيقي ايلاجبال(1) ، من أهم التطورات في عهده أن صيدا أصبحت مستعمرة ومدينة كبرى بدلاً من صور التي ساندت ماكرينوس، فأسقط عنها ايلاجبالوس لقب مستعمرة، وبقيت كذلك حتى عهد سيفروس ألكسندر كما ازدهرت (عرقة) التي نالت لقب مستعمرة ، أما دمشق فمن غير المؤكد متى حصلت على لقب مستعمرة في عهد ايلاجبالوس أم في عهد سيفروس ألكسندر؟(2).

تولى الحكم بعده **سفيروس ألكسندر ( Severus Alexander 222 – 235 م )** ابن خـالة ايلاجبالوس وتولت أمه جوليـا ماميا الوصـايـة عليه واتخـذت لقب أوغستا ، وشـرع

---

(1) خليل سارة ، ص 301-302.

(2)Rey Coquais, p.57.

سفيروس خلال حكمه إصلاح ما أفسده ايلاجبالوس ، فأصدر التشريع الذي يوسّع الحق الروماني . ودافع عن الضعيف والفقير، وحمى حرية التفكير والاعتقاد،ووزع الأعباء بين المواطنين، وفرض مبادئ المساواة بين جميع السكان، وأخضع الإمبراطور نفسه إلى القانون ، واتخذ لقب الكاهن الأعظم لمدينة حمص، وأعاد آلهة حمص إليها كما أعاد أرباب روما إلى سابق عهدها، فحل السلام في عهده ، لكن ظهور الساسانيين ومحاولتهم مهاجمة سورية سنة (231-233 م) بقيادة ملكهم أردشير ( Ardashire) قوض هذا السلام[1] ، إضافة لمحاولة بعض الجنود في سورية القيام بانقلاب عسكري ضده وتسليم السلطة لشخص تابع لهم ، ويذكر المؤرخ هيروديان بأن الجنود أعطوا السلطة لشخص لم يكن جديراً بها فهرب واختفى وسرعان ما تم سحق هذه الحركة[2]، وكذلك استطاع سفيروس رد أردشير ملك الساسانيين والمحافظة على أملاكه[3]، كما أنه أعاد تمركز الفيلق الثالث الغالية في الضمير .

ويعتقد بعض الباحثين أن هذه العملية لابد أن لها علاقة بتحركات بعض القبائل العربية ، أما عن صور فقد رفع عنها العقوبة التي فرضها عليها ايلاجبالوس[4] ، وأصبحت بصرى في عهده مستعمرة[5]، إضافة إلى أنه أعفى دمشق من دفع الضرائب[6]، وزار تدمر حوالي سنة (130-231 م) ويعتقد أنه أعطى أحد المواطنين لقب عضو في مجلس المدينة ، وتم إنشاء الشارع الرئيسي فيها في عهد الأسرة السيفيرية في نهاية القرن الثاني الميلادي وبداية القرن الثالث ، كما وضع مخطط حمامات تدمر في هذه الفترة[7]،

---

(1)Downey , p.251.

(2) شيفمان ، ص249.

(3) أنور حاتم " الذكريات السورية في روما " الحوليات الأثرية السورية ، مجلد 11-12، دمشق 1961-1962، ص 170.

(4) Rey Coquais , p.57.

(5) شيفمان ، ص246.

(6) بشير زهدي ،بناء وتنظم المدن في العصر الروماني ، الحوليات الأثرية السورية ،مج 6،دمشق 1956م، ص48.

(7)عدنان البني ، 1978 ، ص 224-225.

إلا أنه إلى جانب الازدهار العمراني كان هناك تراجع في التجارة أدى إلى تراجع مكانتها، وذلك بسبب الساسانيين الذين احتلوا مصبات دجلة والفرات وسدوا على التدمريين طريق الخليج العربي ، فأخذت تدمر تفقد تدريجياً الطرق التجارية التي تحولت نحو نصيبين وأنطاكية والرها [1].

يتضح مما سبق أن الأسرة السيفيرية قامت بتنظيمات هامة بالنسبة للإمبراطورية عامة وسورية خاصة . فقد غير سبتيميوس خارطة سورية كولاية وقسمها لولايتين ، ووسع الولاية العربية على حساب قسم من ولاية سورية ، إضافة لمنحها لقب مستعمرة بشكل واسع للعديد من المدن السورية ، وتابع خلفاؤه من بعده هذه السياسة، أما كراكلا فقد أضفى بمرسومه لمسة جيدة على الولاية السورية باستثناء الضرائب التي ارتفعت في عهده، وأعاد سفيروس ألكسندر الأمور إلى نصابها بعد ايلاجبالوس؛ فسمح بحرية الاعتقاد وكان عهده ينم عن ازدهار وسلام ، ولكن مجيء الساسانيين قلب موازين الأمور وأخذت الولاية السورية تستعد لصد هذا الخطر القديم الجديد.

## 6- سورية في القرن الثالث الميلادي (سورية في عهد الفوضى العسكرية)

تميزت هذه الفترة بأزمة القرن الثالث حيث كان دخول الساسانيين على المسرح مؤذناً لسورية بحقبة من الحروب والغزوات أسهمت في تفاقم الفوضى التي دبت في الإمبراطورية . فبعد الأسرة السيفيرية توالى على العرش عدد من الأباطرة الذين حكموا فترات قليلة لم يتركوا فيها أثراً واضحاً، باستثناء البعض منهم ممن استطاع أن يترك بصمته في تلك الفترة الحافلة بالصراع من أجل السلطة وذلك خلال الفترة ( 235-244 م) [2]، وساهم هذا الصراع في إحاطة هذه الفترة بالغموض باستثناء الخطر الساساني

(1) المرجع المتقدم، ص 224-225.

(2) برز صراع على السلطة فتولى عليها عدد من الأباطرة مكسيمينيوس (235-238 م) ثم جورديانوس الأول سنة 238 م ، ثم جورديان الثاني في نفس السنة.

الذي كان واضحاً متمثلاً بغزو الملك سابور الأول ( Shapour I 241-272 م) على سورية، وفيما يلي سرد للأباطرة حسب ترتيبهم الزمني مع ذكر لأهم أعمالهم في سورية ففي عهد الإمبراطو ر جورديانوس الثالث ( Gurdianus III 238-244 م ) ركزت المصادر والمراجع على الخطر الساساني حيث غزا الساسانيون دوراأوروبوس[1] ، إضافة إلى قيامهم بتهديد أنطاكية [2]، ويليه عهد الإمبراطو ر فيليب العربي ( Philippus Arabianus 244-249م ) الذي ولد في شهبا التي سماها فيلبوبوليس (Philippopolis) وأعطاها لقب مستعمرة [3]، وكان أبوه شيخاً من شيوخ حوران ، وتبوأ فيليب عرش الإمبراطورية في مدينة زيتا [4]بالقرب من دوراأوروبوس على إثر مقتل الإمبراطور جورديانوس الثالث في حربه مع الساسانيين [5]، وأصدرت فيلبوبوليس في عهده نقداً ، كما كان لها تقويمها الخاص ، أما دمشق فارتفعت إلى مستعمرة، وكذلك بصرى ، ولكن هناك خلاف فيما إذا كانت بصرى قد تحولت إلى مستعمرة في عهده ، أم أنها ارتفعت في مرتبتها المدنية فقط دون التحول لمستعمرة . لقد شجع فيليب المدنية في سورية واهتم بالطرق كالطريق الصحراوي الذي ربط بين الولاية العربية وتدمر والفرات،وبنيت في عهده على جوانب الطرقات في أماكن مرتفعة أبراج المراقبة حفاظاً على الأمن وسلامة السير على هذه الطرقات ، وأيضاً وجدت مصادر للمياه على الطرقات التجارية ومراكز الاستراحة للنوم [6]، وقد عثر وادينغتون في حوران على العديد من النقوش التي تكرم الإمبراطور فيليب العربي لأعماله فيها ،

---

(1)Rey Coquais, p.58.

(2)Downey, p.235.

(3) شيفمان ، ص246.

(4) يعتقد بأنها المروانية .

(5) أنور حاتم ، ص170.

(6) سليمان المقداد ، ص 68.

كما وجد نصب في صور ، لكنه غير مسجل يشير إلى اهتمامه بالطرقات، ومن نشاطات هذا الإمبراطور قيامه بزيارة لأنطاكية سنة 177 م ، وتعيين أخيه رئيساً للعساكر في سورية [(1)]، ومن أهم أعماله تأسيسه منشأتين أحدهما جولياس على موقع بيت صيدون عند النهاية الشمالية لبحيرة طبرية ، ولم تكن مدينة وإنما مركزمقاطعة(طوبارخية) الجولانية، والثانية قيسارية بانياس عند منابع نهر الأردن والتي اتخذت لقب مدينة فأصدرت نقوداً وحملت تاريخ تأسيسها في السنة الثانية ق.م [(2)].

وهكذا استطاعت إصلاحات فيليب الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية والدينية إيقاف تدهور الإمبراطورية،نتيجة تحوله لسياسة الإصلاح والتفاهم التي تخدم الشعب وبشكل خاص مع الساسانيين [(3)]، إذ قام بعقد صلح مع سابور الأول وبذلك جنب الإمبراطورية عامة وسورية خاصة خسائر فادحة ، ولكن محاولات فيليب لإرساء الاستقرار بشكل عام لم تكن ناجحة دائماً ، وذلك بسبب قيام ثورة داخلية في سورية بقيادة رجل يدعى ايوتابيانوس ( Iotapianus) وعلى الأغلب أنها كانت في أواخر سنة 248م ، وأدت هذه الثورة إلى انعكاس السخط المحلي على الإدارة المركزية وبدأ الفزع يزداد في أنطاكية، ومال الشعب نحو الساسانيين لأنهم أخذوا يفقدون ثقتهم بالأباطرة كالإمبراطور ديكيوس ( Decius 249-251 م ) الذي جاء بعد الإمبراطور فيليب ، ومن ثم الإمبراطور **غالوس ( Gallus251-253 م )**، وفي عهده قام الساسانيون بغزو أنطاكية سنة عام 253م . ويلاحظ الباحثون انتقال دار السك من أنطاكية إلى حمص في تلك الفترة [(4)] ، فبعد معركة بارباليسوس ( Barbalissos) مسكنة حالياً توزع الجيش الساساني إلى عدة مجموعات نهب أحدها سورية الشمالية

(1)Rey Coquais, p.70.
(2)Jones, 1971. p.282.
(3)عبد المجيد حمدان ، " الإمبراطور فيليب العربي " ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد 85-86، دمشق 2004، ص 92.
(4)Downey , pp.257-258.

واستولى على أنطاكية في تشرين الأول سنة 253 م ، وسار قسم آخر إلى حلب وقنسرين وأفامية ورفانية، و امتنعت عليه حمص عاد وتبع وادي العاصي إلى جسر الشغور، والتقى بالجيش الذي نهب أنطاكية ثم عاد الجيشان معاً إلى وادي العاصي يتقدمان فيه عكس التيار، واحتلا شيزا وحماة والرستن إلى أن توقفا عند حمص حيث هزموا عندها، وتراجع الساسانيون إلى الفرات، واستمرت الحرب وهدمت دوراأوروبوس بعد احتلالها لفترة سنة 253 م ، أما أنطاكية فتوقف إصدار العملة فيها سنة253 م، ثم عاد النشاط إليها في نهاية السنة نفسها أو مطلع سنة 254 م ، وقد يكون سبب هذا التوقف ليس النزاع على العرش وغياب السلطة إنما الاستيلاء على أنطاكية التي احتلت مرتين من قبل الساسانيين في أواسط القرن الثالث [(1)]، وتعزى هزيمة الساسانيين أمام حمص إلى أورانيوس انطونيوس ( Auranius Antonius) الذي كان ينتمي إلى عائلة الأمراء الكهنة والإمبراطوريات السوريات [(2)]، ولما كانت كنوز المعبد تحت تصرفه فقد أخذ يضرب في حمص نقوداً من الذهب والفضة والبرونز [(3)]، وكانت العملة المسكوكة شبيهة بعملة كراكلا المنتصر على الساسانيين وعملة ايلاجبالوس وسفيروس ألكسندر . ويعتبر معظم المؤرخين أن أورانيوس انطونيوس أمير حمص لم يكن مغتصباً للحكم، فقد تولى السلطة بسبب خطورة الأوضاع وضعف السلطات الرومانية . وعندما عادت السلطة الرومانية للظهورمجدداً في سورية في شخصالإمبراطورفالريانوس(Valerianus253-260م).

---

(1)Rey Coquais, pp.57-58.

(2)L.Jalabert, Rene Mouterde , Claude Mondesert, inscriptions Grecques et Latines de laSyrie, I. IV, Paris , 1955, n1799-1801.

(3)Downey ,p.258.

فإنه تخلى عن السلطة له ، وبرز فيهذه المرحلةفي تدمر أذينة الذي استطاع وقف الغزو الساساني[1]، ولعب دوراً هاماً في عهد الإمبراطو ر فالريانوس الذي قام بعدة أعمال في ولاية سورية فأعاد بناء أنطاكية ، وأنشأ دار سك ثانية للنقود فيها ، وذلك من أجل الدفع للجنود [2]، ووصل فالريانوس إلى أنطاكية في آواخر سنة 254 م أومطلع سنة 255 م وكذلك إلى دوراأوروبوس التي احتلت في نفس السنة ، وفي سنة 257 م انتصر فالريانوس عليهم ، ومما يدل على ذلك وجود تخليد لهذا الانتصار على العملة المسكوكة في أنطاكية[3]. وهنا يبرز دور أذينة حاكم تدمر الذي ساعد فالريانوس على تحقيق هذا الانتصار ولذلك أنعم عليه فالريانوس بعدة ألقاب أهمها لقب قنصل [4]، وهناك خمس كتابات تعود ل سنة 258/257 م تعطي أذينة[5]لقب القنصل المستنير، وهو لقب لا يعني بالضرورة أنه كان حاكم الولاية وقد تسلم أذينة المزيد من التكريم والسلطات [6].

وهكذا أخذ نفوذه يتسع مستغلاً الصراع الروماني الساساني ، وخاصة بعدأسرالساسانيين فالريانوس في معركة قرب حمص سنة 260 م واستيلائهم على أنطاكية [7]، وانتهز الأعراب فرصة الكارثة التي حلت بفالريانوس وأخذوا يهاجمون الخطوط الدفاعية

---

(1)Rey Coquais , pp.57-58.

(2)Downey , pp259-261.

(3)Rey Coquais , p.58.

(4) فيليب حتي ، ص 437.

(5)يعتبر بعض المؤرخين أن أذينة الثاني كان حاكم ولاية سورية الفينيقية التي كانت تضم تدمر وحمص وبعلبك ودمشق ، ولكن ليس هناك ما يؤكد هذه الفكرة أو ينفيها .عدنان البني ، تدمر والتدمريون ، ص75.

(6)Rey Coquais, p.59.

شيفمان ، ص253-248.

(7)S.A. Cook, F.E. Adock,M.P.Charlesworth, C.A.H, Vol XII, First Published 1939,Reprinted 1981, p.135.

الرومانية ومدنها،مما جعل من بعده من الأباطرة يقوم بتقوية الحصون وإعادة ترميم استحكاماتها . ومن هذه المدن التي تعرضت لغارات الأعراب درعا ( Adraha) التي كثرت عليها الغارات [1]، واستمر الغزو الساساني في عهد الإمبراطور غالينوس (Gallinus 259-268 م)، فعرض عليه أذينة أن يساعده في رد الساسانيين وكان يقصد من وراء ذلك توسيع نفوذه ، فرحب غالينوس بهذه المساعدة ، وفعلاً استطاع جنود تدمر أن يردوا الساسانيين على أعقابهم إلى نهر الفرات ، ونتيجة لجهود أذينة أنعم عليه غالينوس بلقب قائد الجيش ( Dux Orientis) وعينه قائداً على القوات الرومانية في الشرق ، ويُعتقد بأن غالينوس أعطاه لقب إمبراطور سنة 262 م ، وبدأ أذينة يُحكم سيطرته على المدن واحدة تلو الأخرى إضافة لمساعدته غالينوس ضد الساسانيين ، استطاع رد العرش إليه بعد محاولة باليستا ( Ballista) وكويتوس ( Quietus) اغتصاب الحكم في أنطاكية ، حيث بدأا بإصدار نقد باسمهما . لكن أذينة استطاع التغلب عليهما سنة 262 م وإيقاع الهزيمة بهما،وأعاد سورية إلى حكم غالينوس الاسمي وكان هو الحاكم الفعلي.
ووقعت أنطاكية تحت حكمه ، فأيد أسقفها بولص السمساطي [2] الذي يعتبر أهم شخصية فيها، حيث أوكلت إليه مهام مدنية ودينية ، وكان بولص يتمتع بتأييد تدمر ويؤدي مهام المندوب المفوض عنها في حكم أنطاكية ، وكان يفضل أن يعرفه الناس باسم المندوب المفوض ( Ducenarius ) أكثر من الأسقف ، ولقد اتهم أنه أقام نفسه قاضياً (Secretum) وبأنه لا يفصل في الدعاوى جهراً، وجرت محاولات كثيرة لعزل بولص من منصبه ، لكن دعم تدمر حال دون ذلك ، فبعد مقتل أذينة سنة 267/266 م تابعت زنوبيا دعمها له [3].

---

**(1)** جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج2 ، ط3، بيروت 1980، ص68.

**(2)** بولص السمسياطي : هو أسقف أنطاكية وهو من سمسياط ينتمي للشطر السامي من أهل سورية ويمثل مصالحهم أكثر من مصالح الشطر الإغريقي الروماني من السكان .

(3)Downey , pp262-263.

حكمت زنوبيا وصية على ابنها وهب اللات في عهد الإمبراطور كلوديوس الثاني (Claudius II) فوسعت سيطرتها مستغلة ضعف السلطة الرومانية والاضطرابات فيها ، فتدرجت من نصر إلى نصر بدءاً من سنة ( 268-271 م) وانتزعت من الرومان أنطاكية قاعدة سورية، وسيطرت على الولاية منتصرة على الجيش الروماني ، وامتدت في توسعها حتى مصر وشمال الجزيرة العربية ، وسار ابنها إلى مصر سنة 270 م على رأس جيش كبير لتأمين طرق التجارة إلى الهند بعدما أغلق الساسانيون طريق الخليج العربي [(1)]، وبسيطرة زنوبيا على سورية ومصر تحكمت بأعظم مصدر للقمح بالنسبة للإمبراطورية الرومانية [(2)] ، ولم تكتف زنوبيا بذلك بل تابعت توسعها **في عهد الإمبراطور أورليانوس (Aurelianus 270- 275 م)** حتى أصبح ملكها أشبه بالإمبراطورية . وسكت دار النقود في أنطاكية نقوداً تحمل على أحد وجهيها رأس أورليانوس وعلى الوجه الآخر وجه وهب اللات ، ومن ثم حذفت منها رأس أورليانوس مستغله انشغاله ، وأعلنت سنة 271 م استقلال تدمر استقلالاً تاماً واتخذ ابنها وهب اللات لقب أوغسطس، وأمر دارَيْ السك في كل من أنطاكية والاسكندرية أن تسكا عملة مشفوعة بهذا اللقب كما تمنحه القطع النقدية الألقاب التالية: " يوليوس اوريليوس سيبتيميوس وهب اللات افينودور رئيس القناصل إمبراطور الرومان ، استراتيجي الرومان " ، ويذكر النقش ( CIS II،3971) الألقاب التالية :"سبتيم وهب اللات افينودور الملك القدسي ملك الملوك ومجدد الشرق كله "، وبهذا ورث وهب اللات جميع هذه الألقاب عن أبيه [(3)]، أما زنوبيا فكتبت على أحجار المسافات في سورية اسم الإمبراطورة زنوبيا أوغستا ، وأقيم على عامود عال في شارع الأعمدة في تدمر تمثال للملكة سنة 271 م نقشت عليه كتابات باللغتين اليونانية والتدمرية[(4)].

---

(1) أثناسيوس،متري هاجي سورية الشمالية ، خمسة مجلات ، لبنان 1937، ص104.
(2) تشارلزوورث ، ص186.
(3) شيفمان ، ص255.
(4) فيليب حتي ، ص 439.

وسكت نقوداً باسم زنوبيا أوغستا ، ويسميها النقش المذكور سابقاً الملكة القدسية، ولم تكتف زنوبيا بهذه الألقاب بل أخذت تطالب بالسلطة الإمبراطوريق ، وعندما أدرك أورليانوس أنه لا بد من القضاء عليها، وبعد عدة مناورات استطاع الانتصار عليها سنة 272 م، فبعد محاصرته لتدمر انتصر عليها وأسرها عند نهر الفرات ودخل أنطاكية وطرد الأسقف بولص منها وعين بدلاً عنه دومينوس ( Dominus)[1]، وبعد أن استولى على تدمر فرض عليها غرامات باهظة وعين عليها حاكماً رومانياً مع عدد من الرماة [2]، وقام بفصل سرجيوبوليس (Sergiopolis) الرصافة التي كانت تابعة لها [3]، ولكن تدمر لم تهدأ ، إذ قامت فيها ثورة أدت إلى اغتيال القائد الروماني والتغلب على حامية المدينة فعاد أورليانوس وقام بهدمها، ومنذ ذلك الوقت زالت أهميتها ، وذلك بعد أن شكلت إمبراطورية لمدة خمس سنوات [4]. وعلى الرغم من قصر الفترة التي حكم فيها أورليانوس ، لكنه استطاع أن يعيد للإمبراطورية الوحدة السياسية والاستقرار المالي إلى حدٍ ما، وخاصة لأنطاكية في السنين الأولى من حكمه ، فأعاد لها الهدوء بعد معاناة ثلاثين عاماً من الغزو الساساني والنهب والتدمير ، ومن الاضطرابات الدينية والمدنية التي أثارها بولص فيها ، وبانهيار تدمر عادت التبادلات مع فارس عن طريق نصيبين ، وجاء بعد أورليانوس مجموعة من الأباطرة ( 275-284 م) حكموا فترات قصيرة ، لم يتسنّ لهم خلالها القيام بأعمال إدارية .

---

(1) عدنان البني ، ص75.

(2) فيليب حتي ، ص 441.

(3)Downey , p.268.

(4) فيليب حتي ، ص 441. عدنان البني ، ص86.

وعندما تولى **الإمبراطور ديوكليتيانوس العرش ( Diocletianus 284-305م)**استطاع نقل الإمبراطورية إلى مرحلة جديدة حيث حولها من دولة يحكمها المواطن الأول (Princeps) إلى دولة ذات نظام ملكي مطلق .

وقـــــام بـإدخـال تـغـيـرات هـامـة وضـروريــة لإعـادة اسـتـتـبـاب الأمـن والـنـظـام وتنظيم الإدارة المدنية وإصلاح نظام الضرائب والعملة وحماية العرش ونظام الوراثة وتأمين حدود الإمبراطورية والدفاع عنها(1)، ولكي يتمكن ديوكليتيانوس من الإشراف على هذه الرقعة الواسعة ، أدخل نظاماً جديداً للحكم فأشرك معه إمبراطوراً آخر في حكم الإمبراطورية التي قسمها لقسمين سنة 289 م شرقي وغربي ، يحكم كل إمبراطور قسماً منها ويساعد كلاً منهما قيصران ، ثم قسم الإمبراطوري ة لأربعة أقسام وذلك سنة 296م: غالية وإيطاليا وإليريا والشرق، وتولى الأمر فيها إمبراطوران برتبة أوغسطس وكان تحت إشراف كل منهما قيصر وتحت إشرافهما والٍ عام (2) ، ويورد وادينغتون في تدمر النقش (2626) الذي يذكر هذا التغيير الذي أحدثه ديوكليتيانوس ، كتب فيه: " لمصلحي العالم المدافعين عن النوع البشري موليينا ديوكليتيانوس ومكسيمان العاهلين الظافرين، وقسطنطين ومكسيمان القيصرين الشريفين بنيت هذه القلعة بعناية الوالي سوسيانوس هيادكليتوس " (3)، وبعد أن قام ديوكليتيانوس بتقسيم الإمبراطورية لأربعة أقسام ، قسم هذه الأقسام إلى أقسام أصغر يسمى كل منها دوقية ( Dioccesis) يحكمها فيكاريوس (Vicarius) مستقل في عمله عن الوالي العام وتابع للإمبراطور مباشرة ، وانقسمت الدوقيات بدورها إلى عدد من الولايات الجديدة، والتي لم تكن سوى أجزاء من الولايات القديمة . وزاد عددها من ستين ولاية إلى مئـة وست عشـرة ولاية (4)، وكان الهدف من هـذا

---

(1)Downey, p.317.

(2)Thoumin, p.144.

(3) هو والي سورية في عهد ديوكليتيانوس ويحتمل أن يكون نفسه الذي يذكره يوسف باسم سوسيانوس هيادكليتوس انظر : يوسف الدبس ، ج2 ، ص 12-13.

(4)Thoumin, p.144.

التقسيم عرقلة محاولة أي والٍ للوقوف في وجه سيده ( السلطة) ، وقد طبقت سياسة التقسيم في سورية وتم تقسيم الولايات الكبيرة فيها إلى وحدات إدارية أصغر ، كما عدل التقسيمات السابقة فجاءت تقسيماته كما يلي:

1 -العربية ( Arabia) : وهي النصف الجنوبي من مقاطعة ترايانوس،والتي تتضمن شبه الجزيرة العربية ، والشريط الساحلي المقابل لها ، وعاصمتها بترا.

2 -( Arabia Augusta Libanensis) : وهي الجزء الشمالي من ولاية العربية ( ولاية ترايانوس) ، بالإضافة إلى اورانتيد ، وباتانية ، وتراخونتيد ، وقد تضم جرش وعمان من المدن العشرة وجميعها مقتطعة من سورية الفينيقية وعاصمتها بصرى.

3 -فلسطين (Palaestine) ، عاصمتها قيصرية وهي تخضع لحكم قنصلي .

4 -سورية الفينيقية ( Syria Phoenice) : عاصمتها صور ، ويحكمها المتقدم ( Praeses) وهي أدنى درجة للحاكم آنذاك ، والذي أصبح بعد عصر ديوكليتيانوس أعلى درجات القنصلية .

5 -سورية المجوفة ( Syria Coele) : وعاصمتها أنطاكية وهي تخضع للحكم القنصلي.

6 -أوغستا الفراتية ( Augusta Euphratensis) عاصمتها كيروس (تل النبي هوري) ، وتتضمن كوماجين وكيرستيكة ( Cyrrhestice) المقتطعان من سورية المجوفة والموضوعتان تحت حكم المتقدم ( Praeses).

أما بالنسبة للبنان ( Libanensis) : فكان يحكمها ديوكليتيانوس بنفسه ، ويعود ذلك لأهميتها بسبب الغابات التي كان يعتبرها ملكاً له. وبجوار هذه المقاطعات أوجد إلى الشمال الشرقي منها مقاطعة أوسريني ( Osroene) وعاصمتها أديسا ( Edessa) الرها ، ومقاطعة مابين النهرين ( Mesopotamia) ، ولقد كان ديوكليتيانوس هو المشرف على هذه المجموعة من الأقاليم الآسيوية ، وأمضى الكثير من الوقت في أنطاكية وخاصة عند تنظيم دفاعات الجبهة الشرقية[1].

---

(1)Bouchier , pp154-155.

ولم يكتف ديوكليتيانوس بهذه التقسيمات فقام بتقسيم الولايات إلى أقسام أصغر ، وذلك للتحكم بالمنطقة ، فقسم فلسطين إلى ثلاث ولايات ، ولاية فلسطين الأولى وتشمل السهل الساحلي من جنوبي الكرمل إلى جنوبي رفح ، كما ضمت جبال القدس والخليل ونابلس والجزء الأوسط من شرقي الأردن ، والولاية الثانية هي فلسطين الثانية وتضم مرتفعات الجليل ومنابع الأرض الفلسطينية ، وشمال غور الأردن والجولان ، أما فلسطين الثالثة فهي تشمل جنوب فلسطين ، النقب. وتمتد جنوباً بحيث تشمل بلاد الأنباط،وربما بعض أجزاء الحجاز الشمالية حول مدائن صالح في الغرب وجنوب الأردن في الشرق ، كانت تابعة لها ، إضافة إلى ما ضم إليها من الولاية العربية القديمة . أما الولاية العربية ، فقد قسمها إلى قسمين ظل الجزء الشمالي منها والذي ينتهي عند نهر الموجب (أرنون) يسمى الولاية العربية وعاصمتها بصرى [1] التي توسعت في الشمال على حساب ولاية سورية الفينيقية [2]، أما القسم الجنوبي من الولاية العربية فقد ضم إلى النقب واعتبر جزءاً من ولاية فلسطين الثالثة الصحراوية ، ويدل هذا التقسيم على إدراك ديوكليتيانوس الدقيق للتقسيمات الجغرافية للمنطقة ،فإن بصرى وجرش وعمان وإزرع مرتبطة بدمشق تجارياً من جهة الشمال بوادي سرحان ( عند الأزرق اليوم) إلى أواسط الجزيرة، وبطريق البتراء جنوباً وذلك في سيطرة الأنباط على التجارة ، ولما احتل ترايانوس البتراء احتفظ بالطريق الجنوبي الشمالي إدارياً وعسكرياً وأنشأ طريقاً آخر . أما في عهد ديوكليتيانوس فقد تبدل وضع طريق تدمر الذي كان قد توقف ولو مؤقتاً بعد تدميرها على يد أورليانوس وقلت الأهمية التجارية للمدن العشرة ، ولذلك كان من الطبيعي أن يعود شريان التجارة الآتي من جهة البتراء ، ولو بصورة أضعف ،ومن هنا ضم ديوكليتيانوس المنطقتين الشرقية

---

(1)Rey Coquais, p.67.

(2) أثناسيو ، ج 1 ، ص369.

والغربية الواقعتين جنوبي البحر الميت إدارياً ، كي تكون الأعمال التجاري ة و الإدارية تحت إشراف جهة واحدة [1]. ووفر هذا النظام الأمن والرخاء لسورية . وقام الإمبراطو ر ديوكليتيانوس بعدة زيارات لأنطاكية ، وتوقف فيها سنة 286م ، ثم زارها في أيار سنة 290 م ، كما أنه كان في حمص في 10أيار سنة 297 م ، لمواجهة الملك الساساني نرسيس ( Narses) الذي هاجم سورية ، ولقد قضى شتاء سنة 298/297 م في أنطاكية واحتفل مع غاليريوس بالظفرضد الساسانيين في سنة 298 م ، وبقي فيها بعد الفوز على الساسانيين حيث قضى شتاء 298-299 م، وهناك منشور يظهر بأنه كان موجوداً في المدينة في شباط سنة 299 م ، كما أنه جعل أنطاكية مركز أعماله في ( 300-301 م) والتي كان فيها في 12 شباط و 16 آذار و25 حزيران لسنة 300 م ، وفي 4 تموز سنة 301 م[2] . ومن أهم أعماله في أنطاكية القصر الذي وصفه خطيب أنطاكية ليبيانوس ، والذي يعتقد بأنه شيد في وقت سابق لسنة 298م ، وربما يكون قد بني على أسس وضعها الإمبراطور فالريانوس في سنة 256 م [3]، والغرض من تشييده أن يستخدمه الإمبراطور لإقامته عند زيارة أنطاكية ، ولقد وضع تصميم القصر على نمط التخطيط القياسي الذي كان يستخدم عند إقامة معسكر حصين للجيش الروماني .

وإن اختيار أنطاكية لبناء القصر فيها يزيد من أهميتها بوصفها مركزاً رئيسياً من الناحيتين العسكرية الإدارية ، هذا وقام ديوكليتيانوس بتجديد بناء أنطاكية [4]، أما الألعاب الأولمبية في أنطاكية فكانت موضع عناية خاصة من قبله لأنها كانت تقام إجلالاً للإله زيوس ، لذلك قام بإعادة بناء مضمار الألعاب الأولمبية في دفنه وأنشأ في ذلك المضمار معبدين [5].

---

(1) نقولا زيادة ،ص 192-197.

(3)Bouchier, p152.

(3)Downey , p. 318.

(4)Ibid . pp. 317-324.

(5)Malalas,12.38.p.167.

وفضلاً عن ذلك فإنه مارس في إحدى المناسبات مهمة الألوتارخ ( Eleutharch)[1] ، ولعل ذلك سنة 330م وهي السنة التي قضى فيها وقتاً طويلاً في أنطاكية[2]، ومن أهم أعماله الإدارية إعادة تحديد القرى والمدن وذلك ضمن برنامجه الإصلاحي ، وإعادة توزيع العقارات والأملاك . وقد وجد في المنطقة عدداً كبيراً من حجارة المسح العقاري تشير إلى الحدود المساحية بين العقارات والمدن[3] ، وذلك بوضع أحجار الكاداسترو[4]. كما قدم ديوكليتيانوس امتيازات للقرية كتحويلها إلى مدينة ومنحها رتبة مستعمرة وتقويم خاص بها[5]، أما عن إصلاحاته العامة في المجال العسكري فعني بالجيش عدداً وعدة وتنظيماً، فزاد عدد فرق الجيش إلى ستين فرقة وكذلك عدد أفراد الجيش إلى نصف مليون بعد أن كان 300000، مع الاهتمام بزيادة عدد الفرسان وأنشئ ت فرق احتياطية يمكنها التحرك السريع إلى أماكن الخطر ، وأقام دُوراً لصناعة آلات الحرب والقتال[6]، وبالنسبة لإصلاحاته الخاصة بسورية، بنيت مصانع للأسلحة في أنطاكية وكذلك في الرها ودمشق ووجد في أنطاكية مصنعان أحدهما لصناعة الدروع والأسلح ة والآخر لصنع أردية من الزرد ، كما أن ديوكليتيانوس بنى فيها مخازن للغلال لسد حاجات المدنيين والعسكريين على السواء[7]، أما العمل الأساسي الذي قام به في المجال العسكري فهو حماية حدود

---

(1) الألوتارخ : موظف كان يرأس إدارة الألعاب عند الاحتفال بإقامتها.

(2)Malalas,12.44.p.169.

(3) خليل مقداد ، حوران عبر التاريخ ، دار حوران للنشر ، ط1 ، دمشق1996، ص76.

(4) الكاداسترو : هي أحجار المساحة والكاداسترو يعني السجل العام الذي تثبت ملكيات الأرض في بلد ما مع مساحتها وأوصافها ، والكلمة من أصل إيطالي ، درجت في اللغة العربية والفرنسية. انظر : ليلى ، الصباغ ، دراسة في منهجية البحث التاريخي ، جامعة دمشق ، ط4،دمشق 1992.

(5)Jones1971. p.285.

(6) نقولا زيادة ،ص 192-197.

(7)Malalas,12.38.pp.167-168.

الإمبراطورية ، فكان له الفضل الأكبر في بناء مراكز للجيوش ، فقد أوجد على حدود العربية عدداً كبيراً من المواقع العسكرية ، وكذلك على الفرات . وتعتبر دبسي الفرج على الفرات من أهم أجزاء النظام الدفاعي الذي بناه ديوكليتيانوس ، ولقد كشف فيها عن أربعة أبواب من عهده [1]. وإضافة لهذه الأعمال قام بعمل إداري عسكري في نفس الوقت ففصل بين السلطتين المدنية والعسكرية فصلاً تاماً في الوظائف الحكومية في الولايات [2]، كما أصبح الولاة من طبقة الفرسان ( Equestrian) بدلاً من السيناتوريين [3]، وتولى أمر الحماية العسكرية في كل ولاية دوق أو كونت، ولم تكن هذه الحاميات مرتكزة في معسكرات كبيرة كما كان الأمر في فجر الإمبراطورية ، وإنما بين مراكز صغيرة على طول الحدود وكان رجالها غالباً من الفلاحين ، ولقد وضع في كل قسم من أقسام الإمبراطورية الأربعة الكبيرة قوات متحركة تحت إمرة قادة المشاة والفرسان ، لإرسالها بسرعة إلى الأماكن التي تتعرض للخطر ، وفضلاً عن ذلك أوجد لدى الأباطرة وحدات كبيرة خاصة بحراستهم [4] .

وكان لزيادة عدد أفراد الجيش أثره البالغ على الزراعة ، لأن معظم المجندين كانوا من الفلاحين والعمال بالدرجة الأولى، وأدى ازدياد عدد الجنود إلى الحاجة لكمية أكبر من

---

(1) دبس الفرج : آتيس الرومانية ، موقع في وادي الفرات بين مسكنة وسورا ، غمرته مياه بحيرة سد الفرات . انظر: ريتشارد هاربر ، " التقرير الأول والثاني من الحفريات في دبسي الفرج، الحوليات الأثرية السورية ، ترجمة خالد اسعد ، مجلد 24، الجزء الأول والثاني ، دمشق 1974، ص 233-235.

(2) نقولا زيادة ،ص 192

(3) تشارلزوورث ، ص197 .Bouchier, pp.154

(4 ) وليم لانجر ، ص 322.

النقود وإلى ضرورة زيادة الخدمات المقدمة لهم ، وإذا كانت الولاية قد توصلت إلى حل مشكلة الرواتب ولو جزئياً فدفعت للجيوش ما يترتب لها ، فإن ما تبقى من النقود على الأرجح أنه يقع على كاهل السكان المدنيين .

كما تحمل أهل الريف تقديم الحاجات العينية للجنود وأعمال السخرة ، وتعتبر من الضرائب التي تسمى بالأنونا (Annona) إلا أنها لم تكن منتظمة ، إلى أن جاء ديوكليتيانوس فجعلها ضريبة محددة ومنتظمة وسميت ( Iugatio) ، كما كان يفرض على الفلاحين تقديم الوسائل اللازمة لنقل البريد الإمبراطوري ، وكان أكثر المتضررين من هذه الضرائب من يعملون في مجالات المواد الغذائية وصنع الثياب، ولم ينج من العمل الإجباري أو السخرة حتى أعضاء المجلس البلدي . ومما كان يترتب على السكان تقديمه للجيش المأوى ، فالقانون الروماني يجيز للجنود الإقامة في بيوت خاصة إذا لم يجدوا في المدينة خاناً أو فندقاً ، ولكن مع ازدياد عدد الجنود ، لم يكن من المتيسر تأمين مأوى لهم ، فأصبح هذا الأمر عبئاً على السكان ، ولكن الناس قبلوا به رغماً عنهم . وهكذا أثقلت الإصلاحات العسكرية كاهل السكان بالضرائب ، لأن ديوكليتيانوس كان بحاجة إلى الأموال لسد حاجات الدفاع والإدارة ، لذلك قام بإصلاحات ضرائبية فأصبحت بعض أنواع الضرائب عيناً ، ولعل ذلك يعود إلنقص السيولة أو انعدام النقد في السوق [1] . وفرضت الضرائب على أساس مساحة الأراضي ومقدرتها الإنتاجية وما يشغل منها ، بغض النظر عن إنتاجها السنوي ، وصنفت الأراضي درجات على هذه الأسس ، ووضع لكل صنف منها ما يجب أن يدفع عيناًً أو نقداً كما نص على ذلك ، وكان القواد البريتوريون هم الذين يعينون المراكز التي تحمل إليها الضرائب العينية ، ولم تكن ثمة ضمانة ألا يتلاعب هؤلاء أو غيرهم من الموظفين بالكيل والميزان [2] . وإن ارتفاع نفقات الحكم اقتضى توفير

---

(1) نقولا زيادة ، ص 193-194.

(2) المرجع نفسه ،ص 193-194.

الـمال اللازم ، لذلك وضع نظام جديد للضرائب وأعيد مسح أراضي الإمبراطورية من جديد وفرضت ضرائب جديدة حيث وضع ديوكليتيانوس نظاماً جديداً سنة 297 م ، ورأى أن يعدل هذا النظام مرة كل خمس عشرة سنة، وسميت السنة الخامسة عشرة بالاصطلاح الدال عليها انديكتيو ( Indictio) وهو تقدير ما يلزم لسد نفقات الإمبراطورية،ويقوم بالنسبة للممتلكات على أساس وحدة الإنتاج وهي المساحة التي يستطيع الرجل الواحد أن يزرعها بالغلال ، واستطاع ديوكليتيانوس تدارك الهبوط الذي أصاب النقد باستخدامه عمله جديدة حدّت من التدهور النقدي والفوضى المالية التي كانت سائدة من قبل، فقرر ضرب نقود ذهبية هي الأوريوس ( Aureus) وهي تزن 7,4 غ، ويساوي الأوريوس الواحد خمس عشرة قطعة فضية ، وأعيد تنظيم دار السك في أنطاكية وأصبحت جميع دور سك النقود في الإمبراطورية خاضعة لإشراف الإمبراطور مباشرة وتصدر قطعاً من المعدن ذات طراز موحد [1]، إلا أن جميع هذه الإجراءات لم توقف التضخم المالي ولا ارتفاع الأسعار ، لذلك نشر ديوكليتيانوس مرسوماً سنة 300 م نصّ فيه على الحد الأعلى لكل سلعة ،وعلى أجرة كل عمل في أنحاء الإمبراطورية وذلك من أجل مكافحة الغلاء[2].

ومن خلال ما سبق يتضح بأن إصلاحات ديوكليتيانوس شملت التنظيمات الإدارية والمالية والعسكرية، وبهذا يكون ديوكليتيانوس قد أنقذ الإمبراطورية من التدهور بإصلاحاته التي شملت كافة النواحي ، فانعكست بدورها على سورية .

---

(1) تشارلزوورف ، ص 197-198.

(2) نقولا زيادة ،ص 192.

وهكذا طرأ تغيير واضح على مصور سورية ، وقد يكون هذا التغيير لصالحها إذ أنه أتاح إدارتها بشكل أفضل ، ومنع الاضطرابات والثورات التي كانت تحدث ، لكن هذا لا ينفي العبء المادي الكبير الذي ترتب نتيجة هذه الإصلاحات على الشعب وأدى إلى إرهاق الناس ، ومن جهة أخرى لا يمكن إغفال قدرة ديوكليتيانوس في الناحية الإدارية وغيرها ، والتي تدل على معرفته بجغرافية المنطقة وعلى اهتمامه بالناحية الاقتصادي ة وخاصة التجارة.

بالنتيجة نستطيع القول: إن الفترة الممتدة من سبتيميوس إلى ديوكليتيانوس هي من أغنى الفترات بالنسبة للتقسيمات الإدارية؛ وذلك من خلال إنشاء ولايات جديدة كان الهدف منها التحكم بشكل أفضل بالولاية ، إضافة إلى منع قيام أي انقلاب على السلطة ، كما لعب الاقتصاد دوراً هاماً حيث هدف الرومان من هذه التقسيمات تنشيط التجارة .

# الزراعة

## - تمهيد

لقد أبدى الرومان الاهتمام الكبير بولاية سورية وإخضاعها لنفوذهم المباشر ؛ لاستغلال الثروات الاقتصادية التي تمتلكها واستخدامها في تحقيق أطماعهم السياسية والعسكرية؛ لذا فقد عمد الأباطرة إلى النهوض بها اقتصادياً طمعاً في الحصول على مقدراتها، وتمثلت جهود الأباطرة والولاة من خلال إصدار القرارات التي تنص على استصلاح الأراضي وحفر القنوات وإقامة السدود ، مما انعكس على سورية بالرخاء الاقتصادي، فقد اهتم الأباطرة وخاصة بهذه الأراضي عن طريق تشجيع الملكية الخاصة واستثمار جهود الفلاح في الأراضي الزراعية ، فأدى ذلك إلى قيام طبقة من ملاك الأراضي وخاصة أصحاب المساحات الكبيرة من أراضي الاقطاعات العسكرية ، التي يملكها المحاربون القدماء نظير خدماتهم ومكافأة لهم وتشجيع اً لهم على منح الأراضي التابعة للإمبراطور لزراعتها ، وبالتالي عملية استصلاح الأراضي البور مقابل إعفائهم من الضرائب.

وبديهي أن ثمة عوامل مجتمعة قد تظافرت وساعدت على هذا الرخاء ، ويمكننا تقسيمها إلى عوامل طبيعية وعوامل بشرية.

## أولاً - العوامل المؤثرة في الزراعة :

### 1- العوامل الطبيعية:

بقيت الزراعة في العصر الروماني كما كانت عليه سابقاً المهنة الرئيسية في الولايات التي شكلت الإمبراطورية الرومانية كافة ، وقد كانت الزراعة ال مهنة الطبيعية للرجل الحر أو المواطن ، فهي الحرفة المربحة ، الصحية ، سهلة التعلم ، كما شكلت الزراعة عاملاً أساسياً في رفد اقتصاد الإمبراطورية الرومانية بشكل عام ، كما أن الرومان كانوا ملتزمين بالاهتمام، وتط وير الزراعة للمساعدة في عمليات الاستقرارفي المحطات وبناء القرى والمدن ، ويؤدي ذلك لتأمين سلامة الطرق التجارية والحصول على المواد الغذائية .

كما ازدهرت الزراعة في ولاية سورية على أثر ما أبداه الأباطرة الرومان من حرص على النهوض بهذه الولاية في شتى المجالات ، وعن طريق ذلك أسهمت الزراعة في ازدهارالحياة الاقتصادية لسورية إلا أن هذا الازدهار والرخاء الذي نعمت به سورية في ظل هؤلاء الأباطرة إنما يعود أيضاً لعوامل مهمة اتسمت بها هذه الولاية وهي:

#### أ -خصوبة الأرض وتنوعها:

كان لعامل الطبيعة والتنوع البيئي أثر كبير في ازدهار الزراعة وتطورها ؛في ولاية سورية .حيث إن طبيعة هذه الولاية تمتاز بخصوبة وتنوع كبيرين ، مما سهل على المزارع القيام بزراعات ناجحة في قرى هذه الولاية ومدنها وخاصة في جزئيها الجنوبي و الساحل السوري ،حيث تعتبر تربة حوران من أجود أنواع الترب وأخصبها للزراعة؛ نظراً لكثرة المادة البازلتية المكونة لتربتها والرواسب التي تخلفها السيول المنحدرة من الجبال[1]،لا شك أن هذا النوع من التربة تتوافر في السهول والأودية التي تغطيها طبقة من التراب والرواسب التي تخلفها السيول المنحدرة من الجبال[2].

(1) رينة ديسو ، العرب في سورية قبل الإسلام ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ، محمد زيادة ، القاهرة 1959 ، ص 26-27.

(2 ) Heichelhehn.F.M.Roman Syria ,Teny Frank An Economic survey of AncientRom vol IV . New jersey 1959.p.144.

كما هو الحال في منطقة نهر العاصي الذي تكثر فيها الرواسب و المستنقعات ومراع للأبقار والخيول، مما جعل الأرض خصبة صالحة للزراعة ومنتجة للحبوب والأشجار المثمرة[1]. كما أن الساحل السوري عريق بحضارته وتاريخه وغني بأمطاره وأنهارها وغاباته والمتميز بضيق سهوله الزراعية وخصوبتها حيث نرى الجبال فيه تقترب من البحر،إن أرض الساحل السوري تتميز بأن الطبقة الصخرية فيها قريبة من الأرض فكان يزرع فيها تبعاً لذلك نوعان من المزروعات : الحبوب في السهول برواسبها الفيضية ثم الأشجار عل المسطحات الصخرية حيث يصعب أي استغلال آخر [2].

وفي أنطاكية التي وصلتنا من ابنها الذي كتب عنها وهو ليبانوس الأنطاكي ، والذي وصف لنا مناخها وأرضها ، حيث قال : (فمن تربة غنية إلى ينابيع غزيرة المياه وعيون جارية ومناخ طيب معتدل ، الأرض عندنا مسواة ومستوية كسطح البحر ، ناعمة عميقة التراب لينة طيعة على المحراث يتجاوزإنتاجها كل توقعات مزارعيها ، مهيأة دائماً لاحتضان البذار وبعث الحياة فيها، طيبة للحرث والزرع والنمو ملائمة لزراعة الأشجار الباسقة ذات الروعة والجمال ، فسنابل القمح فيها تطاول في نموها وارتفاعها أشجار الأراضي الأخرى مع إنتاج عالي للحبوب يفوق ماعدابالوفرة والجودة ، مثلما نحن محظوظون باعتدال الفصول ولطفها ، فأننا محظوظون بالنسبةلموقعنا من البحر، وضاحيتها دفنه ببساتينها وحدائقها الملكية ، وقد قام الأباطرة الرومان بإنشاء العديد من أقنية الري والمياه فيها) [3].

وهكذا فقد ساهمت خصوبة التربة في تنوع المحاصيل الزراعية وهذا ما جعل ولاية سورية محط أنظار المستغلين ليست فقط طمعاً بموقعها إنما طمعاً بإمكاناتها.

---

(1) J.Lassus ,la d’ Antioche a l’ époque Romaine dapres LArcheologie ANRW, II, 1977.p85.

(2) ج.كونتنو،الحضارة الفينيقية،ترجمة محمد شعيرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة 1970، ص 341-342.

(3) لبيانوس الأنطاكي ، ترجمة محمد الزرقة ، دار اسكندرون ،ط1، دمشق2004م ، ص50.

## ب- اعتدال المناخ.

تنتمي ولاية سورية إلى الإقليم المتوسطي ، فهي تتأثر بمناخ هذا الإقليم من سقوط الأمطارفي فصل الشتاء واعتدال الحرارة في فصل الصيف حيث أن حرها وبردها ليسا بالشديدين ، كما يعتدل فيه الفصلان الخريف والربيع في أوقاتها ، ولا شك أن وجود السلاسل الجبلية التي تتوسط أراضيها تساهم في اعتدال المناخ مابين التيارات الهوائية القادمة من الساحل وتلك الموجودة في الداخل إلا أن كمية الأمطار تتناقص وفقاً لدرجة الابتعاد من الغرب نحو الشرق ، ومن الشمال نحو الجنوب (1). كل هذا أدى إلى خلق جو مناسب لنمو أنواع متعددة من المحاصيل الزراعية ،وانتشار الغابات والأشجار والبساتين، كما كان لوفرة المياه وعذوبتها عظيم الأثر في الازدهار والتنوع حيث كثرة الينابيع والواحات و الأنهر الصغيرة.

## ج- وفرة المياه.

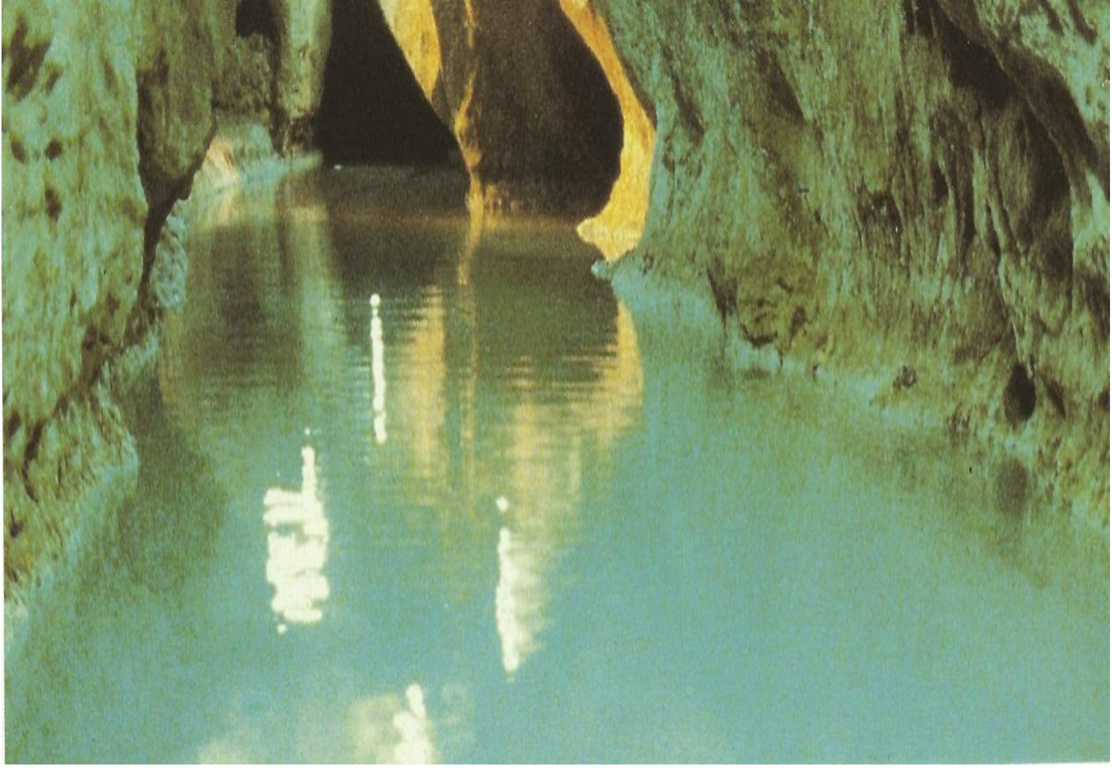
لقد كانت وفرة المياه وعذوبتها من أعظم الهبات التي حبا الله بها الأرض السورية ، إذ توفرت فيها المياه العذبة في مدنها وبساتينها وشوارعها وأسواقها ، وتخللت هذه الأراضي أنهار غزيرة لتروي مساحات واسعة من الأراضي المحيطة بها ، فهناك نهر العاصي الغزير الذي يروي مساحات واسعة جعلها تنعم بالأشجار والخضرة على طول امتداده إلى أن يصب في البحر المتوسط ونهر بردى الذي يخترق مدينة دمشق ويتفرع إلى عدة فروع تغطي مساحة المدينة ويروي ما حولها ليجعل منها غوطة خضراء ، أما نهر الفرات الذي يروي الأراضي الشمالية الشرقية لولاية سورية فيرفده نهرا الخابور

---

(1) أمين سليم ، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ،دار المعرفة ، الإسكندرية 1992، ص227-228.

والبليخ، ليجعل من ضفافه شريطاً أخضرمن الأراضي الزراعية المليئة بالخضراوات والفواكه المثمرة هذا بالإضافة لاحتواء هذه الأراضي على مياه العيون والآبار لتسقي.كل جزء من أراضيها [1]كما هوالحال في ينابيع البادية السورية مثل نبع الفوارس غربي تدمر ، الذي كان له أهمية و شأن في تزويد تدمر بمياه الشرب ، وعين السخنةالنجراء ونبع أفقا التدمري[2].

وبذلك تعد ولاية سورية بوفرة مياهها واعتدال مناخها وتنوع تربتها من أخصب الأراضي التي تجود بالمزروعات المتنوعة .



**صورة رقم (1) نبع أفقا**

(1)عادل عبد السلام ، البيئة الجغرافية الطبيعية للبادية التدمرية وطريق الحرير ، الحوليات الأثرية السورية، دمشق 1996 ، مج 42، ص30-31.

(2) محمد علي مادون ، ، تفاعلات حضارية على طريق الحرير ، دمشق 1995م، ص41.

## 2-العوامل البشرية.

كما ساهم في ازدهار الزراعة وتطورها توافر اليد البشرية وتنوعها ، ويقصد به الفلاح الذي تقوم على عاتقه مهمة الاهتمام بالأرض ، تلك الحرفة التي توارثها المزارع السوري عن أجداده، وأخذ على عاتقه مهمة فلاحة الأرض واستغلال الظروف المناخية والبيئية لاستثمار أكبر قدر ممكن من الأراضي ، وبالتالي زيادة الإنتاج الزراعي من حيث الجودة والنوع، هذا بالإضافة إلى العبيد الذين يسخرون في خدمة هذه الأراضي بتحويل كثير من الأراضي القاحلة إلى أراض صالحة للزراعة والسكن.

## 3 - العوامل السياسية.

كما لعبت العوامل السياسية دوراً مهماً في تدهور الإنتاج الزراعي في ولاية سورية منذ أواخر عصر الإمبراطورية حيث تراجع الإنتاج الزراعي نتيجة الاضطرابات السياسية نظراً لكون سورية مسرحاً للكثير من الصراعات الداخلية [1]، و خاصة تنصيب الأباطرة، أو الصراعات الخارجية المتمثلة بالصراع مع الفرس الساسانيين ؛لذلك أثرت سياسة الأباطرة في محاولة انتعاش هذا النشاط أوالإسهام في تدهوره. ولاننكر مساعي

---

(1) يمكن التمييز بين دورين في تاريخ الإمبراطورية خلال القرن الثالث ، الدور الأول الذي شهد حكم سلالة الأسرة السيفيرية السورية والتي سعت جاهدة بقيادة مؤسسها سبتيميوس سيفيروس على تحقيق الأمن والاستقرار والازدهار للولاية السورية بشكل خاص ليس على اعتبارها ولاية منشأ زوجته فحسب بل لأنها غنية بالموارد الطبيعية والزراعية التي تحتاجها ولايات الإمبراطوريات الأخرى ، ولا سيما القمح المادة المقننة للجيش ، والدور الثاني يأتي بعد مقتل الإمبراطور ألسكندرسفيروس لتتعرض الولاية لبعض الاضطرابات والفتن حتى عهد أورليان الذي أمر بتدمير مدينة تدمر .

الأباطرة السوريين وجهود هم في رفع مستوى إنتاج البلاد عن طريق توفير الأمن والطمأنينة للمزارعين ، ومحاولة القضاء على محاولات الفتن والحروب ، سيما وأن المزارع أكثر الناس تضرراً بهذه الاضطرابات المستمرة ، فالوسائل المتبعة من قبل الطرف الأخر كانت حرق المزارع وتخريب البساتين حتى التي تقع خارج أسوار المدينة، وهذا ما شهدته مدينة أنطاكية الزراعية خلال الدمار الأول والثاني الذي ألم بها على يد الفرس ، لكنها في نفس الوقت لاقت العناية والإصلاح في عهد الإمبراطور دقلديانوس ومن أتى بعده.

## ثانياً : الري ووسائل تنظيمه.

### 1 - مصادر الري :

تعددت مصادر المياه في ولاية سورية نتيجة الطبيعة الجغرافية التي نعمت بها وجعلت أرضها خصبة ، فهناك مياه الأمطار التي تأتي في المرتبة الأولى من حيث ملاءمتها لمعظم النباتات خاصة الخضروات ، لخواصها المعتدلة وسرعة امتصاص التربة لها ، وهناك مياه الأنهار التي تقارب مياه الأمطار في الأهمية لما تتميز به من جريان وحمل لبعض المواد العضوية النافعة للزراعة ، ونذكر منها ( نهر الفراتEuphrates – والعاصي Orontes– وبردى Chrysorrhoas – والكبير الشمالي والجنوبي والخابور) ومنها ما هو متفرع مثل نهرا سيحان وجيحان.
كما شكلت مياه العيون و الآبار مصدراً هاماً من مصادر المياه ، وتعود أهميةهذا النوع من المياه إلى أن المصدرين السابقين (الأمطار - والأنهار ) لا يوفران المياه في الغالب طول العام، لهذا كان الاعتماد على الآبار المحفورةوالينابيع[1] التي تستخدم مياهها من

---

(1) Heichelheim, p.148.

المياه الجوفية أمرا ضرورياً، كما هو الحال في نبع أفقا التدمري الذي جعل من هذه الأراضي الصحراوية أرضاً زراعية بات فيها الاستقرار واستمرار الحياة اليومية أمراً ممكناًومع تعدد مصادر المياه في ولاية سورية كان لا بد من الحفاظ على هذه الثروة واستغلالها بطرق عدة ، ومن هنا نشأ الري الصناعي تبعاً للظروف المناخية التي تحتم ضرورة تجميع مياه الأمطار والثلوج في مسطحات مائية ذات مساحة هكتارية تتلاءم وحجم المياه التي تحتاجها المنطقة المزروعة (1)، وعلى ذلك فقد جلبت المياه المتوفرة على السفوح الجبال والأودية إلى الحقول عن طريق القنوات ، وهكذا يبدو أن مصادر المياه قد تعددت في ولاية سورية ، مما أتاح الفرصة للفلاحين أن يستفيدوا من ذلك في فهم العلاقة بين خاصية كل نوع من هذه المياه وما يناسبها من محصولات.

## 2- وسائل الري وأدواته.

ظهرت براعة الهندسة الرومانية في حفر القنوات وإقامة السدود لاستغلال المصادر المائية، وخاصة تلك التي مدت تحت سطح الأرض حفاظاً على مستوى المياه من التبخر، وبالتالي حل مشكلة التغلب على المستويات المختلفة للمياه، فمنذ القرن الأول الميلادي وحتى عصر دقلديانوس كانت تشق المجاري المنخفضة للأنهار القريبة من الأراضي الزراعية، وقد سار أباطرة القرن الثاني والثالث على هذا النهج في أعمالهم الاقتصادية، التي ركزت على ضرورة إنشاء قنوات بسبب المخاوف الناجمة عن الخطر المترتب على صرف البحيرة بعيداً بإنشاء قناة بدلاً منها (2)،وفي هذا توفير للوقت والمال تزامناً مع الفترة الحالية التي تتطلب استعداداً للخوض في حروب مع القوات الفارسية ؛ لذلك نجد بعض الأباطرة قد أصدروا أوامر ببناء أسطول ليستخدمه في نقل رجاله ومؤنه من نهر الفرات إلى نهر دجلة بواسطة قناة مائية تدعى القناة الملكية (3).

---

(1) Heichelheim, p.148.
(2) Pliny.N.H,61.4
(3)Sartre, 2001, p.322 .

كما شيدت على الأراضي الكثير من السدود لحفظ مياه الأمطار في مواسم الجفاف؛ سواء السدود المؤقتة التي تقام على بنيان حجرية داخل النهر ، أم تلك القنوات الدائمة التي أقيمت بكثرة في البادية التدمرية، وهذا ما يسمى نظام حجز المياه في السدود كما هو الحال في سد خريقة " ممر البصيري "،وسد المنقورة الذي حفر مجراه في الصخور وسد ريشة وغيرها من السدود [(1)].

وعلى ما يبدو كانت تقام قنوات مدت تحت سطح الأرض تفادياً للتبخر ، ولا سيما في الأجزاء التي تكون فيها المصادر المائية قليلة [(2)]. وإن الزراعة في هذه الأجزاء الشرقية ( قرب الصحراء ) اعتمدت بشكل أساسي على الصهاريج [(3)]لحفظ الماء للسقي والشرب.

كما كانت تصنع الصهاريج بشقوق الصخور بهدف حفظ مياه الأمطار ، وبقربها دور ذات سراديب رفيعة [(4)]تستند على أعمدة ، وكان يقام تحت كل دار صهريج لحفظ المياه للسقاية والشرب وبرك صغيرة من أجل الحيوانات، ولا سيما المناطق الصحراوية شديدة الحرارة[(5)].وهناك الكثير من الأراضي السورية كانت لزاماً أن تسقى صناعياً توجد قرب دمشق[(6)]،حيث لا يزال اسم القنوات في دمشق خير شاهد على ذلك ، وهي مؤلفة من مجرى حجري تحمله ركائز أقنية موجودة آثارها القديمة في دمشق حتى اليوم ، فهي إن كانت منطقة خصبة سابقاً إلا أنها اليوم تعاني من جفاف نظراً لتحولها لمناطق سكنية.

---

(1) محمد علي مادون ، ص87.

(2) موريس سارتر ، التنقل والاقتصاد ومجتمع الجبل في سورية الجنوبية ، ترجمة : بشير زهدي ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 46، 1997، ص195 .

(3) وهي عبارة عن أحواض مصنعة تجمع فيها كميات كبيرة من مياه الأمطار والأنهار لتستخدم عند الضرورة خلال سنوات القحط وكانت تتميز بالصلابة. انظر : Heichelheim,p. 141,142.

(4) Bouchier..p.150.

(5)Ibid. p.160.

(6) في هذه المنطقة تم إقامة شبكة معقدة لتحويل مياه نهر بردى من أجل توزيع المياه على أكبر قدر من مساحات الأراضي وبفضل إقامة السدود سمحت الفرصة الاكبر لتجميع مياه الأمطار المتساقطة ، بهدف ري الأراضي ذات التربة الجافة التي يكون تساقط الأمطار فيها غير منظم بشكل تؤثر على العملية الزراعية. انظر : جلافيل داوني ، إنطاكية القديمة ، ترجمة إبراهيم نصحي ، القاهرة 1967م ، ص132-133.

هذا بالإضافة إلى إنشاء القنوات في كل من حمص و بعلبك وقصر الحير في تدمر وأنطاكية، فقد أنشى في دفنه خزاناً محكم الصنع لحفظ مياه الينابيع ، وقد أطلق على اسم هذا الخزان اسم المسرح نظراً إلى تصميمه وهئية واجهته التي تشبه المنظر الخلفي للمسرح وقد جرت مياه لهذا الخزان من ينبوع يدعى سارامنا . كما أعاد هادريان تشيد المنشأة العامة عند منبع آخر يدعى بالاس وأنشى مجرى لجلب مياهه إلى دفنه[1].

أما في واحة تدمر فهنالك إشارة إلى وجود مثل هذه الخزانات سواء لاستخدمها كمياه للشرب أو في سقاية الأراضي الزراعية " هذا خزان المياه الذي بني سنة 290 م من الأموال العامة والخاصة بالقرية بم بلغ وقدره 150000دينار شكر وتقدير لجهود فلافيوس كورينليانوس (Flavius cornelianus)[2].

كما أظهرت التنقيبات في منطقة سيع التطورات الكبيرة التي أقيمت في القرن الثالث الميلادي؛ من خلال إقامة الخزانات لتجميع المياه ورفع الحجارة وتقسيم مساحات الأراضي، كل هذا يهدف إظهار إلى القيمة الزراعية مع انتشار وإقامة المعاصر في كروم العنب[3].و كذلك الخزان في منطقة حوران الموجود قرب معبد الإله Zuos حيث يدعى " خزان قنوات "،ويبلغ عمقه سبعة أمتار وطوله سبعة عشر متراً، يقوم سقفه على ثمانية عشر قوساً مرتبة على ستة صفوف ، وكانت تحفظ فيه المياه لتوزع على المدينة ، وكذلك خزان خلخلة الكبير والذي يبلغ طوله جانبه 201 م تقريباً ويرتكز سقفه على 20 عموداً[4].كما تم جر مياه جبل حوران لتشكل ينابيع صغيرة في طريق أقنية حجرية تم نقلها من سيع إلى قنوات بجانب معبد ز يوس، كما تم بناء برك متعددة في كل من القرّيا والسالمية والسويداءً[5].

---

(1)جلافيل داوني ، إنطاكية القديمة ، ترجمة إبراهيم نصحي ، القاهرة 1967م ص132-133.

(2)Heichelheim ,p.143.

(3)جان ماري دانتز ، الأبحاث الأثرية الفرنسية على ضوء استكشاف سورية الجنوبية البازلتية، ترجمة حسن حاطوم ، الحوليات الأثرية السورية ، مج41،دمشق1997 ، ص140.

(3) غالب عامر ، داود نمر ، جبل العرب في العصور القديمة ، مديرية الآثار ، ط1، دمشق 2001، ص89 .

(5) ماجد علاء الدين ، سويداء سورية ، موسوعة شاملة عن جبل العرب ، دمشق 1995 ، ص 206.

وبشكل عام فإن أحواض المياه في حوران تتواجد في القرى أكثر مما هي عليه في المدن، وفي بصرى عمل الرومان على توفير المياه ، حيث قام الوالي القيصري كورنيليوس بالما سنة 106م بإنشاء قناة لنقل المياه من الينابيع في جبل حوران إلى الكرك في سهل النقرة حيث انتشرت خزانات المياه والآبار في المنطقة بكثرةخاصة في سهل النقرة ذي الكثافة الزراعية فيه(1).

وكذلك تمكن المحاربون القدماء (Veterari) من فلاحة الأراضي التي رويت عن طريق قناة المياه في دورا أوروبوس، حيث كان عليهم أن يستثمروا تلك الاقطاعات الزراعية التي وزعت عليهم من قبل الإمبراطور ، فقد أمر الإمبراطور تر اجان وكذلك الإمبراطور سبتيموس سيفيروس بتجديد وترميم الأجزاء المهدمة من القناة(2).
وتظهر البردية التي تعود إلى سنة227 م من مدينة دوراأوروبوس (3)أيضاً أمراً صادراً عن كل من تراجان و سبتيموس وجولينوس بإصلاح الأجزاء المهمة من القناة الملكية في المناطق التي تخضع لسيطرتها في بلاد الرافدين ، ولم يتقاعس المزارعون بجهودهم الفردية في توفير المياه لأراضيهم الزراعية بحفر الآبار ، وغالباً ما يكون ذو حيز صغير لعدم توفر الإمكانات وخاصة في فترات الجفاف من أجل حفو الآبار.
وبناء عليه يشير بوشيه إلى أن نظام الري الذي كان سائداً في الأراضي السورية خلال الفترة الرومانية عن طريق خزانات لحفظ المياه ، أو في حفر الآبار أسفل كل منزل بالقرب منه برك صغيرة كانت تستخدم للسقاية .(4).

---

(1) ورس ميلر ، بصرى في بلاد العرب مدينة نبطية رومانية في بلاد الشام، ترجمة شوقي شعث ، الحوليات الأثرية السورية ،مج 36-37، دمشق 1987، ص137.

(2)Heichelheim,p.120,148.

(3)Heichelheim,p.142.

(4) Bouchier. p.160.



**صورة رقم (2)**

**شكل أقنية المياه في قنوات[1]**

## ثالثاً : العمل الزراعي وتقنياته

كانت للإمكانات الزراعية للشرق الأدنى الروماني درجة عالية من الأهمية ومنها ولاية سورية، حيث ان الفلاح السوري اعتاد قبل غرس الأرض أن يعرف الأرض الجيدة من الرديئة ومايلائمها من البذور وطبيعة الأرض ، فالأرض البعل يشرع حرثها في أوقات سقوط الأمطار ، أما أراضي الري الدائم تحرث في أي وقت تبعاً للنباتات المختلفة.

كما بلغ الفلاح السوري في إتقان حرفة الزراعة شأواً كبيراً وساعدت على ذلك تنوع وخصوبة الأرض في سورية، سواء في أراضي حوران والأراضي الواقعة على

---

(1) حسن حاطوم ، قنوات (قاناتا القديمة) ، ط1 ، دمشق 1997 ، فهرس الصور.

ضفاف نهر العاصي والسهول الممتدة على شاطئ المتوسط (1)، إضافة إلى جهود الفلاح السوري في تحسين التربة وتسميدها وطريقة استخدام المحراث و الحراثة وكيفية البذار فمنها ما يحتاج لحراثة الأرض أكثر من مرة بهدف قلب باطن الأرض ظاهرها لتتعرض للشمس فتقلل من رطوبتها ، وكانت الأرض تترك بدون زراعة لأراحتها أو يستعاض بزراعة نباتات تزيد التربة خصوبة (الفول والترمس ) (2). وكان يستخدم المحراث لحراثة الأرض تجره الثيران والأبقار بأعناقها ، وإلى جانب المحراث هناك الفأس والمنجل وأدوات أخرى (3) وبعد حرث الأرض وقلبها عاليها سافلها ، تتم تسوية التربة ويأخذ التراب من المكان المرتفع ووضعه بالمكان المنخفض ، حتى يستوي جري المياه عليها لتأخذ حاجتها من الماء ، وقد اهتم الفلاحون بمعالجة الأرض قليلة الخصوبة عن طريق التسميد.

وقد شملت التطورات التقنية في الأدوات الزراعية استخدام اللو لب الأرخميدي الذي تم ذكره من خلال رقُم عثر عليه على ضفة نهر الفرات قرب ساموساط (4)، كما أشارت المكتشفات إلى استخدام طاحونة المياه (النواعير ) من خلال لوحة فسيفسائية تعود إلى مدينة أفامية، يذكر فيها استخدام هذه الآلة في العمليات الزراعية في بداية القرن الرابع الميلادي(5) .

---

(1) يوسف الدبس ،ج4، ص 142-144.

(2)Pliny. N.H, XVIII, 174,175, p.299.

(3)أحمد إسماعيل علي ، تاريخ بلاد الشام ج1 دمشق 1998. ، ص 437.

(4) Sartre, L'oriant Roman.31B.C-235 A D.Parisl991.p.322-323.

(5) Harper, p.162.

أما عن النظم الزراعية فإن تطور العمل الزراعي في ولاية سورية ليس بأدنى مستوى من غيره من الولايات الرومانية الأخرى عامة ،بحيث استخدمت نفس الطرق والأساليب الزراعية المتقدمة من تسميد وتلقيح[1] واستخدام أدوات ضخ المياه، كل هذا بهدف تطوير وتحسين النشاط الزراعي.

ولا تمدنا المصادر بمعلومات وافية عن النظم الزراعية ، وبما أن العمل الزراعي يحتاج إلى مجموعة من المزارعين [2] لمساعدة صاحب الأرض في الحفاظ على سلامة أرضه وزيادة إنتاجها، فقد نشأت علاقة مابين صاحب الأرض والمالك والمستأجرين ( عمالاً أو عبيد).

أما عن العلاقة ما بين المالك وعماله فإننا نرى في ثنايا السطور أنهم مستأجرون أحرار، ولكن المالك يستغل أُجَراءه بحيث يعيشون في فقر ، ومع ذلك لم يكونوا ملحقين بالأرض أو مستعبدين، لذلك كان هؤلاء الفلاحون مستعدين لإعلان الكراهية ضد ملاك الأراضي في أول فرصة تسنح لهم[3].

ويمكن التنويه إلى مستحوذي الأراضي من العسكريين القدماء (Veteran)،وهم عناصر من الجنود المسرّحين الحاصلين على شهادة Diploma في السلك العسكري، فتسعى الإدارة الرومانية إلى توطينهم في القرى لزراعة الأرض وحصادها لجني محصول يعود بالنفع والخير عليهم .

---

(1)Heichelheim, p.142.

(2) روستوفتزف ، ص348.

(3) المرجع نفسه ، ص348.

فغالباً ما كانوا يسعون وراء استملاك أكبر قدر من الأراضي ، وإما أن يعملو ا بأنفسهم في هذه الأرض، أو أنهم يستخدمون المستأجرين العمال في حال تباعدت القطع الزراعية بعضها عن بعض [1]. حتى أنهم امتلكوا قرى ارستقراطية كاملة ، واستطاعوا جني أرباح من خلال توظيف وكلائهم الذين لهم دراية كاملة بطبي ع الأرض والقواعد المتعلقة بها ، فهم يسعون دائماً إلى تأجير الضياع لجماعة من المتعهدين يحتفظون لأنفسهم بزراعة جزء من الأرض ، ويعرضون ما تبقى منها للإيجار مقابل نسبة معينة من المحصول[2].

ويمكن التميز بين أنواع مختلفة من المستأجرين من بينهم ( aris البستاني)،وهو عامل حر ( يأتي في موسم الحصاد )،يقدر أجره في جزء محدد من المحصول ، ويعمل ضمن نطاق منتظم ، ويمكنه أن ينتقل من مزرعة إلى أخرى بعد فترة محددة ، وكلما كبرت مساحة الأرض كلما ازداد عدد المستأجرين لخدمة هذه الأرض ، ويعتبر هذا النوع من المستأجرين أكثر الأيدي العاملة اهتماماً بالأرض ، نظراً لمعرفته الواسعة بالأرض من حيث قلب الأرض وحرثها في وقت التقليب ، ومعرفة نوعية المحصول المزروع تبعاً للتربة ، بهدف زيادة خصوبتها وطريقة تسويتها بأخذ التراب من المكان المرتفع إلى المكان المنخفض وعلاج الأرض عن طريق التسميد [3].

---

(1)Heichelheim, p. 148 .

(2)شيفمان ، ص 77-78.

(3) Heichelheim, p.147-148.

أما النوع الثاني من المستأجرين فكان (Hoker)وهو أقل شأناً من (Aris )، وهو يعمل بأجر ثابت ، حيث يأخذ لقاء عمله مرتباً محدداً، ويدعوهم رستوفتزف بالمتعهدين، وأقدم إشارة إلى هذه المجموعة تعود إلى عهد تراجان، وقد بسط هادريان حمايته لهم، ومنحهم ماركوس أوريليوس الإعفاء من الخدمة في البلديات، أما سيفيروس فقط حفظ لهم هذه الامتيازات [1].

أما النوع الثالث من المستأجرين فهو الغراس (shatla)وهو من أفضل المستأجرين، حيث يتمتع بالحرية مثله مثل الأنواع الأخرى من المستأجرين، و لم يكن هناك زمن محدد لمدة التوظيف . فمن المحتمل أن (shatla) كان يعمل في الأرض مدى الحياة؛ لذلك غالباً ما يخلف الولد أباه في هذه الحرفة إذا لم يتم طرده من العمل لأسباب يراها مالك الأرض، ولكن لهذا المستأجر " العامل" الحق في ترك العمل بأرض ما بعد أربع سنوات، ويطالب بتعويض مناسب فيما إذا غادرها دون رضاه[2].

ومن المحتمل أن المستأجرين الذين يعملون في الضياع الواسعة التي يملكها المواطنون في أنطاكية وكانت لديهم بعض الأملاك الصغيرة ، وهذا ما نجده مشابهاً في الأراضي الزراعية في أفامي ة وغيرها من المدن التي استمرت حتى القرن الرابع الميلادي.

---

( 3) روستوفتزف ، ص 348.

(2)O.G.I.S, 585 I.G.R.R, Gagnat ,III,1055,1012,1054.

( 3)روستوفتزف ، ص 348.

ولقد أوردنا سابقاً عقود الإيجار التي غالباً ما تتحدد مدى الحياة ، بحيث غدت هذه المهنة وراثية يتناقلها الأبناء عن الآباء ، وكثيراً ما كان يتفوق الابن على والده ، ويعتبر هذا تطوراً مألوفاً في النظام الإقطاعي الذي انتشر في ذلك الوقت.

ورغم توقيع هذه العقود كان لا بد من وقوع مشاحنات بين المالك والمستأجر ، إذ إن المالك يسعى إلى أن يحدد وقت الحصاد بهدف تسريع قطف المحصول حتى قبل نضجه ، على عكس المستأجر الذي يفضل الحصاد على وقته ليس ل يتقاضى الأجر فحسب ، بل لأن هذا المحصول قد يشكل جزء من قوت يومه كماهو الحال مع Aris ، فالمالك هدفه الأول الحصول على محصول وفير عن طريق الحصاد المبكر للمتاجرة به بأقرب وقت ممكن، وبالتالي زيادة رصيده ، أي تفضيل المحصول الوفير كماً على حساب النوع[1].

بالإضافة إلى العبيد ، كان هناك أنواعاً أخرى من المستأجرين يدعى(Operavii ) العامل الذي يأخذ أجراً مقابل العمل الذي يقوم به " وما يسمى أجير بالخدمة " ( Mercennavii)العمال المستأجرون الذين تدفع أجورهم تبعاً لساعات العمل أي " الأجير باليوم."

رابعاً : المحاصيل الزراعية .

1 – المحاصيل الغذائية

**أ- الحبوب**

تعتبر سورية من أوائل الولايات الشرقية التي اشتهرت بجودة وتنوع محاصيلها الزراعية، وتعد الحبوب الغذاء الرئيسي للسكان ، ومن أهم المحاصيل الغذائية ، وهو محصول السنة الذي يبدؤون به ببذر الحبوب.

---

(1)Heichelheim, p148.

وقد امتاز القمح السوري من حيث الجودة إذا ما قورن بغيره من حبوب المناطق المجاورة كولاية مصر مثلاً [1].ومن أجل زراعة القمح كان لا بد من أن تخضع التربة لدورة زراعية منظمة، فبعد أن يتم قطع نصل النبات مرتين ، فإنه في المرة الثالثة تترك المواشي لترعى فيها فتنعم الأرض بالخصوبة من جراء ذلك ، وبعد ذلك فإن الفلاح لا يجد أدنى صعوبة في العمل بعد أن تغمر الأرض المبذورة بالماء قدر الإمكان [2].

ويشير بليني إلى أن طبيعة الأرض السورية تسمح بنمو هذا النوع من المحاصيل ، ولا سيما بعد أن تحرث التربة وتهيّأ المناسبة من أجل تعرضها لأشعة الشمس [3]، أما عن وقت زراعته فهي في الأيام الدافئة من الشتاء.

وقد زرع أنواع مختلفة من القمح في مناطق متعددة كان أهمها منطقة سورية الجنوبية – حوران وجبل العرب وبعض مناطق شمال سورية [4]،حيث خصوبة التربة البركانية مكنت الفلاح من جني محاصيل جيدة من القمح تمتاز عن سائر أنواع القمح بلونها الذهبي وحبتها الكبيرة الحجم .إذ اعتاد أن يختار من بذور القمح أجودها بأن يكون أساسياً (سليماً) يضارع لونه الذهبي [5]، وحتى أنه يقال إن منطقة ولاية سورية تعتبر صومعة رئيسية لتموين بعض أرجاء الإمبراطورية بالحبوب .

وهناك وثيقة يعود تاريخها إلى سنة 200 م قد نشرها ث . ميللك تذكر أنه ( ينصح من أجل زراعة الحقول حبوباً صيفية أن يقوم البستاني بجلب البذار إلى المخزن بعد تجهيز الأرض لاستقبال البذار)[6].

---

(1)Heichelheim,op.cit.p.128. Pliny, N.H. XVIII.p. 192.

(2)Pliny, N.H. XVIII.. 162. p. 291 .

(3)Pliny, N.H. XVIII.. 162. p. 292.

(4)Heichelheim,p.128 .

(5)Boucheir, p163.

( 6) شيفمان ، ص69.

ويقال إن الفلاح السوري هو الذي عرف كيف يزاوج بين القمح والماء ، وكيف ينبت من السنبلة الواحدة العديد من السنابل ، فكانت تنتج أجود أنواع القمح في منطقة البحر المتوسط.

و كان الشعير من الحبوب التي جادت زراعته في الأراضي السورية ، وخاصة لتوفر الظروف المناخية لزراعته، والتي تتطلب لنموه شروطاً مناسبة من اعتدال المناخ واليد العاملة، وقد اعتاد الفلاحون حصد الشعير قبل القمح حتى لا تتقلص حباته ويصفر لونه ، وينصح بالحقل المزروع قصباً أن يبذر شعيراً أو يروى جيداً[1].

وقد زرع الشعير في أماكن متفرقة إذ يعتبر غذاء الفقراء الشعبي في القرن الثاني ، فوجد في منطقة حوران وفي أراضي دوراأوروبوس على الفرات وفي أنطاكية على نهر العاصي.

أما الأرز فزراعته قليلة إذا ما قورن مع غيره من الحبوب ، ويزرع بشكل متقطع خاصة قرب الساحل السوري إذ أن الأرز يحتاج إلى كميات كبيرة من المياه ليتم زراعته ، لهذا فهو بحاجة إلى الري الصناعي [2] لتعويض النقص في مياه الأمطار ، ونظراً لقلته فقد انحصر تناوله بفئة معينة من الأفراد الأثرياء[3].

**ب- زراعة الخضروات والبقول**

اشتهرت ولاية سورية بزراعة معظم الخضروات والبقول على اختلاف أنواعها ، حيث كان يجنى كميات كبيرة من الخضروات والبقول من مناطق متعددة في ولاية سورية ، وتعتبر الخضروات ذات الوراق من أكثر الأطعمة شيوعاً إلى جانب الحبوب [4]. أما عن الأصناف فهنالك الكرنب السوري (الملفوف ) الذي كان مشهوراً بشكل كبير[5] والفطر

---

(1) المرجع المتقدم ، ص62-69

(2)Strabo ,Geog, XVmC692, 18 , p.27-29.

(3)Heichelheim, p.128.

(4) فيليب حتي ، ص325.

(5)Pliny, N.H,XX, 33. p.23.

في القدس ، والكراث والثوم في بعلبك ،والبصل في عسقلان ،وهي من المزروعات المستساغة من قبل الفقراء [1].وقد عثر على نقوش تعود إلى دورا أوروبوس تحدثنا عن الخضروات مثل ( الفجل ، الخس ، الخيار ، اللفت ، وكذلك الفطر والبطيخ والقرع ). ويعدد بليني أنواعاً من الفجل إذ يورد أنه نبات تختص بزراعته ولاية سورية ، وقد صدّر الكثير منه، حتى أن روما أدخلت زراعته في أراضيها [2].

وكان للري الصناعي دور هام من أجل إنتاج الخضروات في منطقة آسية ,وقد عرف الفلاحون كيف يجعلون من نمو بعض الخضار لإحضارها إلى الأسواق والمتاجرة بها في غير أوقات زراعتها بهدف تواجدها على مدار السنة [3]. ومن ناحية أخرى جلبت الخضروات ذات المنشأ الأجنبي وزرعت في سورية طبقاً لما أشار إليه التلمود مثل: القرع اليوناني ونبات الزوفا ( نبات أوراقه عطرة الرائحة ). هذا بإضافة إلى زراعة نبات عرق السوس الذي يعتبر نبات اً برياً ينمو قرب المستنقعات وعلى ضفاف الأنهار [4].

أما عن البقول فقد تم زراعة العديد من البقوليات [5]،مثل الفول والحمص والعدس والفاصولياء بأنواعها ولا سيما ذات الكلية ، البازلاء ، البيقة ( نبات علفي )،اللوبياء ونبات الترمس الذي تم زراعته بشكل واسع كما استخدم كطعام المواشي . كما كان يؤكل من قبل الإنسان (وقد تم نقل أصناف الفاصولياء من منطقة النيل إلى كل من سورية وفلسطين وبابل) [6].

---

(1)Strabo ,Geog, XVI, c759,29,p.277.

(2) فيليب حتي ، ص325.

(3)Heichelheim,p.133

(4) فيليب حتي ، ص325.

(5) Pliny, N.H,XV,24-25,p.305.
(6)Heichelheim, p.131.

## ج- الفواكه

كانت الفواكه بأنواعها من أهم المحاصيل البستانية التي اشتهرت بها ولاية سورية[1]،مثل الرمان الذي تتطلب زراعته الكثير من الماء ، وكذلك التين والخوخ الدمشقي[2] من أشهر الفواكه المعروفة ولا سيما في دمشق وتدمر [3]،وكان يصدر إلى الخارج وبشكل خاص إلى روما ، سواء كان مجففاً أم طازجاً عن طريق وضعه بسلال مخروطية الشكل [4]،ومن الفواكه أيضاً التفاح والإجاص السوري اللذان تميزا بحسن الطعم والرائحة، وكان التفاح مرغوباً بشكل كبير من قبل سكان روما الأثرياء [5]،وكذلك العنب الذي كثرت زراعته في المناطق الداخلية القريبة من الساحل ، ويشير التلمود إلى انتشار زراعة ثمرة البلح والذي يدعى اللحم السوري لكثرة فوائده الغذائية [6]ولا سيما في واحة تدمر ،كما زرع التوت والمشمش والنارنج [7].

## د- زراعة الكروم

انتشرت زراعة الكرمة في سورية بشكل واسع ولا سيما على سفوح التلال [8]،حيث استخدم أسلوب المصاطب على شكل مدرجات لكي تتلقى القدر الكافي من مياه الأمطار ، وهي عبارة عن حواجز من الأحجام الصلبة لكي تساعد النبات على النمو وتُدعم بقطع خشبية قائمة مساعدة لكي تلتف حولها النباتات[9].

---

(1)Strabo ,Geog, XVI, c763,41,p.291.
(2)Pliny, N.H. XV.39,40. p. 315-319.
(3)C.A.H,XI ,p627.
(4)Boucheir, p.105.
(5)Pliny, N.H. XI.47. p. 319. XV,53,54, p.325-327.
(6)Pliny, N.H. XV.44,45. p319. ,XIII,49,p.127-129.
(7)Heichelheim, p.138.
(8)Pliny, N.H. XIV.41. p. 213.
(9)Boucheir, p.163.

وتعتبر كروم اللاذقية من أشهر أنواع الكروم ذو اللون الأرجواني [(1)]،ويروي لنا استرابون أن منطقة اللاذقية منطقة هامة لزراعة الكرمة ، وهذا ما جعل اللاذقية تخ تص في تصدير الكرمة إلى أجزاء العالم القديم، وبشكل خاص إلى روما [(2)]،وأيضاً إلى مصر وأجزاء متفرقة من حوض المتوسط .حيث كان النبيذ من السلع المطلوبة من قبل الأباطرة والأثرياء [(3)].هذا بالإضافة إلى قرى المنطقة الشمالية من سورية كالبارة وكفركيرم وفي الجهة المقابلة السفلية لجبل سرير(المدن المنسية) [(4)]،وكدليل على ذلك وجود معاصر الكرمة في عدة قرى في جبل الزاوية ، وفي جيراد والرويحة والبارة ، ولكن هذا غير مؤكد لأنه لا يوجد ميزة تفرّق معاصر الكرمة عن معاصر الزيتون وقد أشار ليباينوس إلى بيع النبيذ المنتج في سورية في المناطق المجاورة لأنطاكية [(5)] كروم عسقلان وغزة ، وأفاميا [(6)]، وأنطاكية على العاصي وسلوقية بيريه وحلب ومنطقة حلبون قرب دمشق .

وقد هيمن التجار السوريين على إحدى العلامات التجارية للنبيذ في وادي العاصي قرب أفاميا، وعثر على كثير من المعاصر ما تزال آثارها باقية حتى الآن ، وقد نقش على سكافة البوابة بعناقيد العنب [(7)].

كما عثر على نقش آخر يوناني يحو ي على جزء من قانون زراعة العنب يظهر بأن زراعة العنب كانت مهمة في المنطقة السورية ولا سيما الساحلية منها، وكذلك في الجزء الجنوبي من سورية ـ منطقة حوران وجبل العرب [(8)]،وهناك إشارة تعود إلى القرن

---

(1)Pliny, N.H. XIV.14,15.p. 195.
(2)Strabo ,Geog, XVI,II ,9 ,23,42.
(3) Pliny, N.H. XV,15,16,17,. P.195,197.
(4) وتتوزع هذه المدن على كتلة جبل سمعان وكتلة جبل بريشيا والأعلى والدويلة والوسطاني وكتلة جبل الزاوية في الشمال السوري بين القمم الجبلية والسفوح والوديان ويطلق عليها علماء الآثار المدن المهجورة أو القرى المنسية أو العتيقة. تكثر في سورية المدن المنسية ومنها قلب اللوزة، كرك بيزة، البارة، سيرجلا، جرادة، موقع إيبلا الأثري التاريخي، تل مرديخ إضافة إلى متحف إدلب ومتحف معرة النعمان، مقام الخليفة عمر بن عبد العزيز، حمامات الشيخ عيسى وشلالات عين الزرقا، وتعتبر سيرجيلا من أهم المدن الأثرية وأكبرها إذا صحَّ التعبير.
(5) G.Tate. Les Vellages Oublies De La Syria DU NOR .Février 1999.p.243.
(6)Strabo ,Geog, XVI.C,752,9,10 p.249-251.
(7)Boucheir, p.163-164.
(8)ج.م.دنتز ، الكرمة في جبل العرب ، البعثة السورية الفرنسية ، معرض الآثار السورية ، دمشق ،ص127.

الثاني الميلادي تذكر أن النبيذ في صور كان رخيصاً عما هو عليه في فلسطين ، وأن السلطات قد منعت تصدير كل من النبيذ وزيت الزيتون مثل الدقيق من فلسطين لتجنب النقص.

## هـ- زراعة الزيتون

تأتي أهمية زراعة أشجار الزيتون بالدرجة الأولى بين الزراعات، وأخذت مكانة بارزة في كل العصور و اشتهر الساحل السوري بزراع ته[1]،والذي يعتبر من الأغذية الأساسية في سورية ، ولذا جاز القول بأنه من أهم المحاصيل الزراعية السورية حيث استخدم زيته في الطهي وكدواء لعلاج بعض الأمراض ، والذي ساعد على انتشاره هو مناخ البحر المتوسط المعتدل[2].

كما انتشرت زراعة الزيتون في قرى المنطقة الشمالية من سورية ( المدن المنسية ) يدلّ عليها عدد معاصر الزيت المنتشرة، فقد عثر على حوالي 245 معصرة في قرى تلك المنطقة ( 56 في جبل سمعان وحلقا - 157 في جبال باريشا وايل العلا و 36 في جبل الزاوية )، لكن زراعة الزيتون في تلك المنطقة تذهب أبعد مما تقترحه هذه الأرقام، لأنه من جهة المعاصر المكتشفة لا تكوّن إلا جزءاً من المعاصر التي كانت موجودة حقاً، بعضها تحت الأرض وأخرى مغطى بالتراب. من جهة أخرى إذا كان وجود المعاصر يدل على زراعة الزيتون فالعكس غير صحيح، فالزيتون لم يكن يعصر كله وأشجار الزيتون يمكن أن تكون في قرى مجاورة [3].

وفي منطقة حوران حيث الأرض السوداء الخصبة الملائمة للزراعة انتشرت زراعته ،

---

(1) انتشرت زراعة الزيتون وخاصة أنها لا تتطلب الكثير من العناية ، وقد استخدم في الغذاء وفي الإضاءة وفي صناعة الروائح والأغراض الطبية ، واستخدم لب الزيتون بعد عصره في إطعام الحيوانات.
انظر أمين سليم ، ص228.

(2)Pliny, N.H. XII.77,78.p. 57.

(3)Tate, p.243.

و كان يصدر إلى الخارج أكثر من استخدامه محلياً،وخاصة أنه بلغ درجة عالية من التقدم في ذلك العصر[1].

أما عن زراعته فكان بين فصل الخريف ونصف الشتاء [2] ويزرع جنباً إلى جنب مع شجرة التين ( لأن كل منهما مكمل للآخر في خصوبة الأرض ) وتكاد شجرة التين تلامس أوراق الزيتون [3] وقد اعتاد الفلاحون أن يبد ؤوا في جمعه إذا احمّر الماء داخل الحبة،حيث يصعد الفلاحون الأشجار ومعهم عصاً طويلة يضربون بها الأغصان لإسقاط الثمار .

وقد اعتبر زيت الزيتون السوري من أجود أصناف الزيوت قاطبة ، ولا أدل على ذلك من الرسوم الجمركية الباهظةالمفروضة على تصدير الزيت السوري بوجه خاص ، ومع ذلك لم تحدّ من تصديره [4]،وما يؤكد على كثرة الطلب عليه أن عُثر في شرقي حمص على أكثر من 20 رحى لعصر الزيتون[5]،كما يشير بليني إلى أن الأشجار التي تحمل ثمار الزيتون تنمو نمواً تلقائياً في الأجزاء الساحلية وثمرها حلو الطعم ويستخدم في الأغراض الطبية [6].

**و- التوابل**

تعددت أنواع التوابل المزروعة في سورية مثل كزبرة - خردل - يانسون -كمون - زنجبيل - نعناع -- دخن [7]،إلا أن هذه الأنواع لم تكن معروفة خارج المنطقة الأسيوية [8] لذا فقد استهلكت محلياً ، وقد تفوق الخردل المصري عن ذلك الموجود في سورية؛إذ

(1)Sartre, l991.p.323.

(2) Pliny, N.H. XVII.129.p. 91.

(3) Pliny, N.H. XIV.137,138.p. 97.

(4) مفيد العابد ، سورية في عصر السلوقيين، دار شمأل للنشر والطباعة، دمشق 1993، ص264.

(5) سليم عادل عبد الحق، بحث موجز في تاريخ مدينة حمص وآثارها ، الحوليات الأثرية السورية، مجلد 10 ، دمشق 1960م ، ص15.

(6)Pliny, N.H. XV.8,9.p. 195 .

(7)Pliny, N.H. XII.82-84.p. 61-63.

(8)Pliny, N.H. XIV.28,29.p. 21.

تم إحضار بذرته وزراعتها في الأراضي السورية بت أمين الظروف الملائمة لنموه[1].وهنالك نباتات أخرى مثل الزعفران - الوسمة ( نبت عشبي) ، الحناء؛ ولا سيما حناء عسقلان الذي كان يباع بأسعار عالية . وكما هو معروف تحتاج هذه النباتات إلى تربة خصبة جداً، ويجب أن تكون التربة قد تعرضت لدورة زراعية بإهمالها لفترة ما بما يدعى ( تريح التربة لاستعادة نشاطها).

## 2- المحاصيل غير الغذائية

### أ- المحاصيل النسيجية

وهي التي تدخل في صناعة المنسوجات وأهمها القطن الذي يزرع في الأجزاء الشرقية من الولاية السورية، وساعد على ازدهار زراعته زيادة الطلب على منتجاته و ملاءمه الظروف المناخية لنموه ( حرارة الشمس توفير مياه التربة المخصصة لزراعته)، وتركزت زراعة الكتان[2] في أراضي الفرات، وقد صدر قسم كبير من النسيج الكتاني إلى كل من بيروت وصور و بيبلوس ، هذا بإضافة إلى نبات القنب الذي يدخل في صناعة الحبال و أكياس الخيش [3].

### ب- النباتات العطرية والطبية

إن النباتات أنواع منها ما هو عطري، وكان الطلب عليه شديداً لسد حاجات الأثرياء والمعابد ، ومنها ماهو طبي يستنبط منه المراهم والأعشاب لمعالجة بعض الأمراض.

---

(1) Heichelheim,p.131.

(2)Pliny, N.H. XIX. 4, 5.p. 423.

(3)Boucheir, p.163.

أما عن النباتات العطرية فقد اهتم الفلاحون بزراعة الورود والرياحين والأزهار[1]،بهدف الحصول على عطورها مثل الزنبق من أنطاكية [2]، والياسمين التي اشتهرت بها حدائق دمشق ، ونبات الغار ونبات اللبلاب وهي نبتات متعرشة ، وأزواج من الورود الملتفة حولها زهرة الحب ( الولع) ، والدفلي (نبتة سامة عطرة الزهر )، والتوليب( زهرة من فصيلة الزنبق ) ونبتة السحلب ( تنتج تأثيرات الألوان الرائعة )، وهذا تم استيراد نبات الزوفا من الأراضي اليونانية وهو نبات أوراقه عطرة الرائحة[3].

ويشير بليني إلى أنه كان يستخدم أنواع عديدة من النباتات العطريةومنها (الورود،العنبر، القصب ، العسل ،السمار السوري،الشنجار،صباغ أحمر) وذلك لصناعة أنواع مختلفة من العطور[4].

وقد ظهر إنتاج الأعشاب الطبية نظراً للحاجة التي يتطلبها المريض ، وهناك العديد من النباتات التي تم استخراج الأدوية منها [5]،مثل نبات ( سنبل الطيب ) الذي استخرج منه مرهم لمعالجة الأمراض الجلدية ، ونبات ( أموميوم ) وهو نبات عطري وحيد الفلقة استخدم في الأمور الطبية يشبه في تكوينه نبات الهال[6].

وهناك مرهم الناردين [7] السوري ، والبلسم [8]حيث انتشار حدائق البلسم في جنوب سورية .

---

(1)Pliny, N.H. XIII.1,2.p. 99.

(2)Pliny, N.H. XIV. 5.p. 105.

(3)Boucheir, p.159.

(4)Pliny, N.H. XIII.7,8.p. 103-104.

(5) أحمد اسماعيل ، ص 440.

(6) مفيد العابد ، ص 266 .

(7) الناردين : هو نبات ذو لون أسود لاذع مذاقه ورائحته كالسم ، وفي بعض الأحيان يصل ثمنه إلى مائة دينار .

(8)Pliny, N.H. XII.42-46.p. 31-33.

## ج - نبات البردي

كذلك نبات البردي كان ينمو أيضاً في سورية في منطقة المستنقعات ، وعلى وجه الخصوص في دورا أوروبوس على نهر الفرات، وقد كان يصدر إلى الخارج أكثر من استهلاكه محلياً ، إلا أنه كما أشار بليني أن بردي مصر يعتبر أجود وأفضل الأنواع ، حيث كان يصدر إلى أرجاء العالم القديم كوسيلة للكتابة [1]،إلا انه نظراً لغلاء تكلفة البردي المستورد من مصر [2] فقد استعيض عنه بالرق ، وإن لم يتم انقطاع استخدام البردي المصري بشكل كلي حيث إن الكمية والنوعية الجيدة الموجودة بمستوى أدنى عما وجد في مصر .

## خامساً - الأشجار والغابات

توفرت بولاية سورية ثروة الأخشاب حيث الغابات المنتشرة على مساحات واسعة من الأراضي السورية ، ونظراً لحاجة السكان الدائمة للأخشاب والحطب ، فقد كانت الأشجار تقطع وبشكل منتظم لحماية الأشجار البرية من الاندثار ، وخاصة أشجار الأرزالتي تجلب من جبال لبنان، واستخدم في صناعة السفن[3]فقد امتاز هذا النوع بمتانته وصلابته عن باقي الأخشاب ، وخاصة في الفترة العسكرية الحرجة التي كانت تتطلب بناء العديد من السفن البحرية والنهرية سواء الصغيرة أو الكبيرة.

وكذلك أشجار السنديان والصنوبر[4] في سورية الشمالية [5]،وأشجار السرو والاتنج[6]وما يستخرج منهما المادة الصمغية [7]،وكذلك الصفصاف والتوت وينمو شجر البلوط في

---

(1) Pliny, N.H. XIII.,73,p143.
(2)Boucheir, p.160.
(3) Strabo,Geog, XVI, c779,p353.
(4)Pliny, N.H. XIII.52,53.p. 129.
(5)Pliny, N.H. XVI.39,40.p.415,417.
(6)Pliny, N.H. XII.73-74,p.55.
(7)Pliny, N.H. XII,51,p37 .

جبال لبنان والمناطق المحيطة بمدينة دمشق ، كما نجد أيضاً شجر السماق والخرنوب في أجزاء مختلفة.

وقد طبق الأباطرة نظام حماية بعض الأشجار من القطع العشوائي وحماية الغابات، فقد أمر الإمبراطور هادريان منع قطع أنواع معينة من الأشجار مثل (الأرز والسرو والصنوبر )[1]،وتابع من بعده الأباطرة هذا الاهتمام وخاصة الإمبراطور سيفيروس الذي حرص على حماية وسلامة الأرض المشجرة ، وبشكل خاص تلك القريبة من نهر الفرات [2]؛على أن يتم قطع الأشجار باعتدال بحيث لا يتم القضاء على هذا الصنف من الأشجار أو ذاك، وقد استخدم هذا الخشب المقطوع في أغراض متنوعة أهمها في صناعة السفن.

فقد أمر الإمبراطور سبتيميوس سيفروس جنوده بناء أسطول كبير لنقل جنوده من نهر الفرات إلى دجلة حفاظاً على سلامتهم من خطر الغرق ، فاستخدم هذا النوع الصلب المقاوم [3]،وكذلك الملكة زنوبيا والإمبراطور أورليان فقد احتاج كلّ منهما لفترة في الولاية السورية إلى بناء القوارب الصغيرة والسفن الكبيرة [4]بهدف محاولة كل منهما السيطرة على أكبر قدر من الأراضي الجديدة سواء في آسيا الصغرى أو مصر أو غيرها من أراضي الإمبراطورية . كما استخدم هذا الخشب المقطوع كحطب وفي وصناعة التحف، وكذلك في بعض الآلات التي يدخل في صناعتها الخشب مثل الآلة التي تستخدم في نفخ الزجاج لإيقاد النار وفي الأثاث المنزلي وأغراض البناء وغير ذلك[5].

---

(1) يوسف الدبس ، ص574.

(2) Heichelheim, p.153.

(3) جودفري تورتون ، أميرات سُوريات حَكمْن روُمَا 193-235م ترجمة خالد عيسى وأحمد سبانو ، ط2 ، دمشق 2000 م ، ص 75-77.

(4) تشالزولث ، ص149.

(5)Bouch i er, p.159.

وهناك العديد من الأشجار الزراعية الغذائية أهمها أشجار الجوز (1) وأشجار البندق وأشجار الفستق (2)، وهنالك المشاتل الزراعية التي وجدت لأغراض زراعية كما انتشرت أشجار النخيل (3) بكثرة كمادة غذائية لماله من أهمية اقتصادية (غذائية:البلح ، صناعية : الأثاث) وأشجار التين ولا سيما في البادية السورية.

.ويتضح من وثيقة السابقة الذكر، التي نشرها ث.ميللك و أشار إليها شيفمان، حيث تبرز " النخيل وكيفية ريَه في الأراضي السورية "(4). أما أشجار الجوز التي تزرع على مساحات واسعة فقد تواجدت على سفوح الجبال المنخفضة (5).

ونجد في المناطق القريبة من الأنهار ينمو نبات الغار والآس وشجيرات مزهرة محاطة بأكاليل من نبات اللبلاب (6)،ويذكر أن بادية تدمر ووديانها مكسوة بالأشجار منها الزيتون والبطم – البربريس –التين(7).

وقد ظهر الاتجاه الواضح نحو تشجيع تطور نظام البستنة في المدن ، ذلك أن حياة الأباطرة الرومان والنبلاء كانت نتيجة البذخ والترف وحب التمتع بالمناظر الجبلية أي ما يسمى بـ حدائق المتعة ، وتعتبر البستنة السورية مظهراً جمالياً تمتاز به هذه الولاية ، وقد ازداد فن البستنة إتقاناً في العصر الروماني ، وتعتبر دفنه أهم ضواحي أنطاكية إحدى أهم المناطق المشهورة بجمالها في العالم الروماني آنذاك، وانتشر هذا الفن في كل من دمشق و أنطاكية، ولا يزال الماء يستعمل كعنصر فني كما في النوافير التي تنشر المياه في باحات الدور بدمشق (8).

وتسمح لنا المواد الأثرية التي تم اكتشافها في أنطاكية من خلال التعرف على ملكية

---

(1)Pliny, N.H. XVI,105,p457.
(2)Pliny, N.H. XII,135.p.35.
(3) Pliny, N.H. XIII,28,29,p115, 38-40p.151.
(4) شيفمان ، ص69.
(5)Heichelheim,p.153.
(6) Bouchier, p.159.
(7)Pliny, N.H. XII.28,29 ,p.115 , 38-40,p151.
(8)فيليب حتي ، ص325.

الأرض العثور على مجموعة من المزارع في منطقة الرفادة [1] تعود إلى القرن الثاني الميلادي، وفي كل مزرعة من هذه المزارع عبارة عن مجموعة من المنشآت الضخمة ( مسكن مستقل مع أقسام أخرى عبارة عن مصاطب مفتوحة باتجاه واحد أو أكثر وعليات أخرى لتخزين المؤونة ) وكانت البساتين والحدائق الواسعة تتخللها الطرقات والنافورات وينابيع المياه التي لا تنضب فهي تت دفق بسرعة تحت الأشجار الظليلة بفروعها المتشابكة في طريقها لري البساتين والحدائق . وكان الفلاح السوري على دراية عالية في أسلوب زراعة البساتين وغرس الأشجار لما تحتاجه من عملية تنظيم السقي وتصنيف المزروعات ، فلا تغرس الشجيرات التي تتعرى أوراقها مع تلك التي لا تتعرى مثلاً.

## سادساً :الرعي والثروة الحيوانية

يعتبر الرعي من أوائل النشاطات الاقتصادية التي مارسها الإنسان إذ إن الأرض الزراعية الخصبة وتنوع المناخ ومصادر المياه في سورية من أمطار وأنهار وآبار وعيون كان من أهم العوامل التي ساعدت على اتساع النشاط الرعوي للسكان الأوائل فيها.

وقد لاقت الثروة الحيوانية رعاية واهتماماً خلال العصر الهلينستي ، حيث جرى تناسل سلالات محلية من حيوانات جديدة وتبادلها عن طريق التهجين كالمواشي والدواجن والجمال، مستفيدين في عملهم من خبرة المستوطنين الجدد ، فظهر عدد من السلالات الجديدة من الحيوانات،وبخاصة الأغنام التي تمتاز بنوعية جيدة من الصوف والجمال التي ربما استخدمت في مصر لأول مرة بشكل عملي وعلى نطاق واسع في عهد السلوقيين ، واشتهرت منطقة سهل الغاب ذات السهول الواسعة للمراعي بتربية الفيلة والخيول

---

**(1) أكثر المنشآت قدماً في أنطاكية و يعود تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي أو الأول.**

لاستخدامها في الأغراض الحربية، فقد ذكر سترابون أن سلوقس جمع في هذه المنطقة ثلاثمئة جواد وثلاثين ألف فرس وخمسمئة فيل هندي(1).

ونالت تربية الخنازير أهمية كبيرة في عهد السلوقيين بعد أن استوطنوا في سورية، إذ لأول مرة في تاريخ سورية تربى فيها الخنازير ، ذلك أن السوريين يعدون الخنزير حيواناً قذراً لا يجوز أن يأكلوا لحمه لذلك لم يهتموا بتربيته قبل عهد السلوقيين، واستمرت هذه الرعاية والاهتمام خلال العصر الروماني.

وقد أظهرت الاكتشافات الحديثة مدى الاهتمام بتربية المواشي ، وهذه الظاهرة شيء طبيعي في منطقة حوض المتوسط التي تعتمد على تربية الحيوانات للاستفادة من لحومها وألبانها كغذاء رئيسي لحياتهم المعيشية وكذلك الصناعة ، بالإضافة لاستغلالها كوسيلة للنقل ، ووسيلة مساعدة في أعمال الزراعة(2).

وهناك أنواع للرعي منها الرعي شبه الصحراوي الذي لا يتعاطى أصحابه مهنة غيره، وهذا ما نلاحظه في البادية السورية ، وهناك الرعي المختلط بمناطق الزارعة ، حيث ودعت القبائل حياة الترحال إلى حياة الأمن والاستقرار في إطار السياسة الجديدة التي اتبعها الأباطرة الرومان . وصاحَبَ عمليةَ الغرس واستصلاح الأراضي زيادةٌ في الثروة الحيوانية للاعتماد عليها في أعمال الزراعة والنقل ، بالإضافة إلى الاستفادة من لحومها وألبانها وأصوافها وجلودها.

كما تنوعت الحيوانات التي ظهرت في سورية المليئة بالمناطق الرعوية الجيدة التي يرتادها الرعاة لما بها من عشب وكلأ ، وخاصة أنها تتمتع بتضاريس متباينة من سهل ساحلي وجبال متوسطية وصحراء داخلية (3).

---

(1)Strabo,VII- 752

(2) Sarter , l991 .p.324.

(3) أمين سليم ، ص 20.

وتأتي الماشية بالمرتبة الأولى من الثروة الحيوانية وبشكل خاص الغنم والماعز[1]، غير أن الحيوانات الأخرى لم تكن غائبة لكنها ثانوية ، حيث تستخدم بشكل خاص في حمل الأثقال ونقل البضائع سواء كانت خيولاً [2] أم حميراً،ولا سيما الجمل"سفينة الصحراء" السريع، وهذا غير مستغرب كون موارد البادية ضعيفة نسبياً ، فلا بد من وجود حيوانات مقاومة تكتفي بغذاء قليل نسبياً وتسير مسافة كبيرة تتحمل العطش والجوع، وإن كان نادراً ما يغادرون إلى البادية البعيدة ، فقد انحصرت تنقلاتهم من الأودية إلى أعالي الجبال في فصل الصيف ويعود إليها في فصل الشتاء [3].

وغدت تربية الأغنام مربحة جداً إلى الحد الذي يجعل الهيئة التلمودية تؤكد أن أي شخص إذا كان تواقاً لأن يصبح غنياً يجب أن يكرس نفسه لرعاية الماشية الصغيرة ، وطبقاً للتلمود فقد اعتبرت رعاية المواشي الصغيرة العمود الفقري للزراعة ، وكان لحم الغنم و لا سيما السمين منه مرغوب من قبل السكان الفقراء ، فقد ازداد إنتاج الغنم حتى صار الكبش من الغنم يباع مابين أربعة إلى أربعين ديناراً . وقد حرم التلمود رعاية الغنم والغزلان خارج الأحراش غير المشجرة حفاظاً على سلامتها [4].

---

(1)Pliny, N.H. XIII.178-179.

(2)Strabo,Geog, XVI, c755,10,p251.

(3) رينة ديسو ، ص 107.

(4) Heichelheim, p.153 -154.

ويشير ديسو إلى أهمية تربية المواشي في جنوبي سورية وبشكل خاص في حوران، حيث نجد الحمل والدلول (الحمل السريع ) الناقة ، الحمل الصغير ، والخيول[1].
وهناك نقوش آرامية تؤكد أهمية تربية المواشي منها " رعي المعز وولد الشاه " "رعى همعز وولدت شاهي " [2].

وهناك إشارة إلى أسعار الأغنام والأبقار[3].
القرن الأول والثاني الميلادي : ذكر أن الكبش يقدر بـ ثمانية دنانير.
القرن الأول والثاني الميلادي : الحمل يقدر بـ أربعة دنانير.
في سنة159م- 210م : الحمل يقدر ما بيناثنين إلى أربعة دنانير.
في القرن الأول الميلادي : الحمل المولود حديثاً من السنة إلى ست سنوات بدينارين

أسعار الحمير

القرن الأول والثاني الميلادي : حماران ما بين 100 دينار و200 دينار.
في سنة150 - 210 م حمار مولود حديثاً ما بين إثنين إلى أربعة دنانير.
في القرن الثالث الميلادي : الحمار الرضيع بثمانية دنانير.

هناك مناطق أخرى ذات أهمية أو أنها تملك الإمكانات البيئية للثروة الحيوانية مثل أفاميا التي اشتهرت بأراضيها الخضراء التي تكثر فيها الأبقار والثيران وماله ا من دور في العمليات الزراعية كالحرث وإدارة الآلات حيث تترك لترعى بعد جني

---

(1) Sarter , l991.p.323-324.

(2) رينة ديسو ، ص 107.

(3)Heichelheim, p.155 -156.

المحصول لتنظيف التربة، فإذا احتاجوها في الأعمال الزراعية جمعوها حتى إذا أنجزوا هذه الأعمال تركوها ترعى مرة أخرى ، وحيث كان هناك نظام الدورة الزراعية أي إراحة الأرض فقد كانت تترك مساحات فارغة لترعى الماشية خلال فترة طويلة هذا بالإضافة إلى أهميتها الغذائية ونعومة ملمسها[1].

وهناك نقش آرامي يذكر فيه تربية الأبقار

"رعى بقرة هيبخل " رعي البقرة في هذا الوادي " [2] يقصد هنا بوادي الشام

كما استخدم الثيران من... (الحلبة) الخاصة بالمصارعة.

أسعار المواشي [3]

في القرنين الأول والثاني الميلاديين : الثور بـ 100 دينار.

في القرنين الأول والثاني الميلاديين : اثنان من الماشية بـ 200 دينار.

أسعار الثيران

في سنة 130-160 م : الثور بـ 200 دينار

في سنة 135 - 220 م : ثوران الواحد بـ 120 ، والثاني بـ100 دينار.

.

---

(1)Heichelheim,op.cit. p.155.

(2)رينة ديسو ، ص 107.

(3)Heichelheim, p.155.

في القرنين الأول والثاني الميلاديين : البقرة مابين 100 – 200 دينار.
في القرنين الأول والثاني الميلاديين : العجل بـ 20 ديناراً.

كذلك انتشرت المراعي في أنطاكية على نهر العاصي حيث أراضيها المليئة بالأشجار والغابات ، أما في دورا أوربوس فقد عمرت فيها الأغنام والغزلان (1)واعتبرت أراضي اللاذقية مرتعاً خصباً للثروة الحيوانية وأن حيوان Zebu هو من فصيلة البقر ، وقد اعتقد القدماء سابقاً أنه نسل اختصت به سورية لوحدها ، ولم يتم الإشارة إلى سعر الأبقار في سورية إنما في جز ئها الجنوبي (فلسطين ) حيث تم الإشارة إلا أن قيمة الأبقار ما بين مئة إلى مئتي دينار (2).

أما بالنسبة للطيور المنزلية والتي تم العناية بتربيتها بغرض أكلها أو بيعها أو الاستفادة من زبلها في إصلاح الأراضي منها الدجاج ، ولا سيما أن زبل الحمام يعتبر من أفضلها لما يحتويه من عناصر مغذية تساعد على خصوبة التربة
أهم هذه الطيور ( الوز – البط – الحمام – الديك البري –الطاووس – العصافير )
بالإضافة إلى فائدتهم الزراعية ،كانت الفائدة الغذائية حيث أكلت لحومها من قبل الفقراء والأغنياء(3).
ذكر أنه في القرن الأول الميلادي كانت الوزة تباع بدينار واحد.

---

(1) Strabo,Geog, XVI, c779.

(2)Heichelheim, p.152.

(3) Ibid ,153-154.

وفي أوائل القرن الأول الميلادي فإن كل عصفورين قدرا بـآس واحد،وفي نهاية القرن الأول الميلادي كل خمسة عصافير قدرت بإثنان بـ آسين اثنين، و قد شجع اتساع السوق على تطور التخصيص في أعمال تربية ( الحمام – الطاووس – الدواجن ) للأتجار بها .

وبالإضافة إلى الثروة الحيوانية المحلية تم استيراد بعض الحيوانات ، إما لزيادة ما هو موجود أو لجلب عناصر أخرى غير متوفرة ، وبمعنى أخر إما لقلتها أو ندرتها ، ولاسيما من آسيا الصغرى حيث المناخ الجوي المناسب (الجمال الفارسية ، البغال و الثيران المصرية،والأحصنة و الخيول من الجزيرة والتي كان لها أهمية كبيرة كسلاح الفرسان الرومان وكذلك للسباق)[1].

و قد قّيم سعر خيول سلاح الفرسان : حصان عمره أربع سنوات غير مُخْصٍ /فحل/ في دوراأوربوس ما بين 55 حتى 400 دينار وذلك سنة 208م.

حصان سلاح الفرسان سنة245 قدر بـ 125 دينار

حصان سلاح الفرسان سنة250 قدر مابين55 إلى 135دينار[2].

---

(1)Heichelheim,op.cit. p.153.

(2)Ibid ,p.155.

وإلى جانب اهتمام الحكام الجدد بتربية الخنازير فقد اهتموا أيضاً بمشاريع جديدة ، منها العناية بتربية النحل الذي شكل العنصر الهام في الزراعة ، خاصة لما كان يعنيه العسل في العالم القديم كالذي يعنيه السكر في العالم الحديث والمعاصر ، إضافة لاستخدام الشمع ولغايات كثيرة، فليس مدهشاً أن تكون العناية بتربية النحل إحدى المهن المربحة لملاكي الأراضي القدماء التي كانت تتأثر بالتأكيد بالخبرة الإغريقية التي نقلها الإغريق إلى سورية في الفترة الهلينستية [(1)]كما كان للدولة خبراء مزودون بتفاويض خاصة للتجول والترحال هنا وهناك وتقديم كل ما يحتاج الفلاحون إليه ، من إرشادات وتوجيهات وأدوات عمل وغيرها .

ولاشك أن انتشار البساتين المليئة بالورود و الأزهار قد ساعد على كثرة أعشاش النحل بها، حيث يذكر أنه ينبغي أن يتواجد النحل في الأماكن طيبة الرائحة كثيرة العشب والرياحين [(2)].

أما عن الثروة السمكية فرغم قلة المصادر التي تتحدث عن الأسماك غير أنها تشير إلى مكان تواجدها في الأنهار والبحيرات ، بالإضافة إلى البرك الصناعية التي ترعى فيها الأسماك والتي تعد بهدف المتاجرة بها ، و بشكل خاص اشتهر الساحل السوري بالثروة السمكية [(3)] ولا سيما اللاذقية Loadcia طرطوس Trtous ، و صور Tyrosحيث يكثر الحلزون الأرجواني ، وكذلك سلوقية بيريه و أفاميا حيث وجد قربها بحيرة تم تربية الأسماك الصغيرة فيها [(4)]. وهكذا أسهمت خبرة المستوطنين الجد وخبرة المشرقيين في ظهور نبتات وحيوانات جديدة .

---

(1) M .Rostovtzeff, Social and Economic History of Hellenistic World. (Cambridge 1953)p.1163 ,( S.E.H.)

**(2) مفيد العابد ، ص356.**

(3)Pliny ,N H. .Ix 59.p.203

(4) Heichelheim, p.154.

## سابعاً : ملكية الأرض:

### 2 ـأنواع الملكيات:

كانت علاقة الملوك بالأرض في كل من آسيا الصغرى وسورية وطيدة ترجع قواعدها إلى أعماق التاريخ،ومن المحتمل أن معظم الأراضي قبل وأثناء الفترة الفارسية كانت تابعة في الأصل إلى عدد من مدن الكهنة[1]الصغيرة التي كانت الاعتداءات تتكرر عليها باستمرار من الغزاة والبدو . ونتيجة لهذه الاعتداءات فقد تقلصت وأصبحت خلال الفترة الفارسيةتنقسم إلى ثلاثة أقسام ، هي: أرض الملك و أرض المدينة و أرض المعبد، ولما جاء السلوقيون ادعوا ملكية أراضي دول المعابد و استملكوها ، وعلى الرغم من استيلاء السلوقيين على أراضي المعابد إضافة إلى أراضي الملك بحق الاحتلال ، إلا أن معظم هذه الأراضي الجديدةتبعت الملك السلوقي، فقد كان يجري منحها لكبار الملاك من الإغريق والمحليين تودداً وضماناً لولائهم ، أو تقديمها هبة لمدينة إغريقية أو قسماً منها لمستوطني مستقر عسكري توزع عليهم كأنصبة ( κλήρος) كما جرى في دوراأوروبوس . وقد ساعدت التقسيمات الصغيرة للسلوقيين على تقسيم الأراضي الإمبراطورية التي وقعت في حوزتهم ، والتي كانت مقسمة فيما سبق إلى ثلاث فئات أرض الملك ــــ أرض المدنية ــــ أراضي المعابد.

لم يدخل السلوقيون أي جديد على هذا التقسيم سوى أنهم قاموا - كجزء من سياستهم الرامية إلى إضعاف دولة الكهنة الغنية القوية النفوذ والضعيفة الجانب والمنتشرة في سورية - بضم أراضي المعابد إلى الأراضي الملكية (λικηβα)[2].

---

(1)W.W.Tarn, Hellenistic Civilization, 3d (London-1966) p. 134.

(2) Ibid. p. 134- 135.

التي آلت إليهم فورثوها عن ملك الملوك بحق الفتح، ليتسنى لهم حشد أكبر قدر ممكن من الأراضي التي يمكن بالتالي توزيعها إلى إقطاعات (κλήρς) لتطبيق سياستهم إلى توطين أكبر عدد ممكن من الجنود الإغريق و المقدونيين الذين كان السلوقيون بأمسّ الحاجة إلى خدماتهم، وهكذا أصبح هنالك من جديد ثلاثة أنواع للأراضي

أرض الملك التي ضمت أراضي المعابد.
أرض المدينة التي لم يطرأ عليها أي تبديل .
أرض الإقطاع.

كانت أراضي الملك أراضي منفصلة عن أراضي المدينة ، وتعود ملكيتها إلى الملك وحده، وتؤمن له دخلاً يؤديه العاملون فيها على شكل أتاوات . لكن هذه الفئة من الأراضي كانت تضم على ما يبدو قسماً آخر تعود ملكيته لأفراد.

وتبرز أيضاً بوضوح سيطرة الملكية الخاصة من خلال تحصيل الضرائب من الملكيات الخاصة المتوضعة داخل حدود المدينة ، ونجد ذكراً لهذه الملكيات في النقش الوارد من مدينة اللاذقية[1] المؤرخ في كانون الثاني سنة174ق.م.

ورغم ذلك لم تحظ ملكية الأراضي في الفترة الرومانية لسورية بدراسة وافية نظراً لعدم توفر المعلومات الوثائقية الواضحة عن هذه الملكية التي أصبحت بعد انهيار

---

(1)H. Seyrig, Décret Des Péliganes de Laodicée-Sur-mer , Syria 23. (Paris 1946) p.21-24
=<u>Les Inscriptiones Grecques et Latines de la Syrie</u>,III, Paris,1183,(IGLS)

الممالك الهلنيستية وتحول أراضي سورية إلى ولاية رومانية ملكاً للإمبراطور الروماني[1]، والتي أشار لها سارتر بـ Saltus.[2] ومن خلال توزيعه للأراضي نشأت الملكيات الفردية سواء أكانت ملكية صغيرة يملكها فرداً واحداً أم ملكية كبيرة [3] تتركز في أيدي عدد كبير من الأشخاص ، ويمكن الإشارة إلى المحاولة التي قام بها ها يشلهايم لتصنيف الأراضي معتمداً نفس المقاييس التي اعتمدها رستوفتزف لتحديد فئات الأراضي إذ إن منظومة ملكية الأراضي إن جاز لنا التعبير لم يطرأ عليها الكثير من التغيير .

## أ- الملكية العامة:

يقصد بالملكية العامة ملكية كل مدينة قائمة بذاتها والقرى التي تحيط بها ، والذي عرف في ذلك العصر بنظام Polis الذي استمرت عليه الإمبراطورية طوال القرون الثلاثة الأولى الميلادية ،فقد حافظت الأراضي السورية على نظام المدينة كوحدة سياسية إدارية ميزت المجتمع السوري في الفترة ما بين القرن الأول حتى القرن الثالث ، وكانت سلطة هذه البوليسات تمتد على حدود واسعة حتى خارج أسوار المدينة ، لذلك فالتناسب بين مختلف أشكال هذه الملكية تبقى غير واضحة ، بالتالي لا يمكننا أن نعطي تلك الصورة الواضحة والمتكاملة عن هذه الملكية[4].

---

(1)شيفمان ، ص 58.

(2)Sartre ،l991. p.325.

(3) Heichelheim, p.146.

(4)شيفمان ، ص 58.

فقد جاء في أحد الشواهد الأثرية والتي تعود إلى القرن الثالث الميلادي التي تتحدث عن حملات سابور على سورية عندما قام بنهب المدن السورية وضواحيها فذكرت عدة مدن مثل آراك ، صور ، هيرابوليس ، بيريه ، خالكيدا ، ابيفاني ة ، أنطاكية ، أ فلميَ ، دورا، بلاتية ، وإن ضاحية كل مدينة من هذه المدن هي دون شك المنطقة التابعة لهذه البوليسات [1].

ومن المعروف أن بلاتية قرية صيداوية تقع على حدودها ، وكذلك أراضي الكرمل تدخل ضمن أملاك مدينة صور ، كما يروى سترابون أن اللاذقية كان يحيط بها مساحات من التلال المغطاة بأشجار الكرمة وكذلك مدينة أنطاكية كانت تضم أراض واسعة بالإضافة إلى ضاحيتها دفنه وما يحيط بها[2].

## ب ـ الملكية الخاصة:

أما الملكية الخاصة فهي أجزاء من الأراضي سواء كانت زراعية أم منش آت عقارية، وتعود ملكيتها إما لجماعة مترابطة على أمر واحد أو أن شخصاً واحداً يمتلك جزءاً من أرض في مكان ما أو عدة قطع زراعية متفرقة في أماكن متعددة كما هو الحال لدى الجنود القدماء ( Viteranii. ) واتخذت منظومة ملكية الأراضي في هذه الفترة شكل الإقطاعات الزراعية ذات الطابع العسكري ، أي تلك الأراضي التابعة للإمبراطور التي تم توزيعها على الجنود القدماءليقوموا بزراعتها بدلاً من دفع مرتباتهم ؛ نظراً لإرهاق الخزانة العامة بأعباء الحروب ، وفيما إذا تم استصلاح هذه الأراضي بحيث تصبح قادرة على الإنتاج عندئذ يتم إعفا ؤهم من الضرائب المفروضة على هذه الأراضي، وبذلك ظهرت المزارع المكونة من المنشآت الضخمة.

---

(1)شيفمان ، ص 59.

(2)Strabo,Geog, 751.

وهناك فئة من الأراضي التي تعتبر ملكاً جماعياً لكل أعضاء الجماعة المتساوية الحقوق،وإلى جانب هذه الملكية الجماعية كانت هناك فئة أخرى من الأراضي التي يملكها أشخاص وهي تضم على الأرجح الأراضي الزراعية والبساتين والكروم وغيرها. إلا أنه لم نستطع أن نحدد مستوى التناسب الذي كان قائماً بين هاتين الفئتين ، فلُحدالرُّقم يذكر أن قرية قارينا اتخذت قرار اً بمنع استخدام أراضي العشيرة لإقامة البيادر، وفي هذا إشارة صريحة للتخوف أو وجود عمليات لاغتصاب أراضي العشيرة بهدف تحويلها إلى ملكية خاصة[1].

وهناك الأراضي التي تأتي إما عن طريق الإرث أو عن طريق الشراء ، وغالباً ما كانت هذه الأراضي تتعرض للجفاف نتيجة الإهمال جرّاء تضييق الخناق على الفلاحين وإرهاقهم بالضرائب دون مراعاة فيما إذا كانت المواسم مثمرة أم غير ذلك، مما أدى إلى انتشار ظاهرة استغلال أرض الآخرين ظلماً وتعدياً ، عندها يضطر الفلاح إلى بيع أرضه بثمن بخس،وبالتالي يستحوذ بعض الأشخاص على أملاك الكثيرين[2].

## ج ـ ملكية المعابد:

وهي الملكية المقدسة والتي تشمل أرض المعبد وملحقاته حتى ولو أنها غدت منشآت عقارية، ويشرف على ملكية هذه الأرض كهنة المعبد المكرسين لخدمة الآلهة المقامة لهم المعابد، ويعود ريع ملكيات هذه الأرض لخزينة المعبد للاستفادة منه.

ومن المعروف عن المدن السورية أهمية العقيدة الدينية بالنسبة لسكانها ، ولكن مع كثرة الإشارة إلى المعابد القائمة على أراضي مدنها ، إلا أنه لا توجد إشارة متكاملة وواضحة عن ملكية أراضي المعابد على الرغم من التأثير الديني وظهوره ، في المدن السورية – أنطاكية – حمص – بعلبك – أفاميه – تدمر – دمشق وغيرها من المدن إلا أنها تفتقر إلى المادة الوثائقية التي تبرز هذه الملكية.

---

(1) شيفمان ، ص 77.

(2) المرجع نفسه ، ص78.

تطالعنا نقوش ثلاثة تعود لمراحل مختلفة بتصوير جزء من هذه الأراضي و علاقتها الاقتصادية، ولعل أحد هذه النقوش[1] التي تؤكد على وجود ملكية لأراضي أحد المعابد التي تمثل عبادة الإله زيوس التابعة لإحدى القرى التي تدعى قرية ب ايتوكيكي. فحسب نقش بلدة بايتوكيكي[2] كانت ملكية هذه القرية ، قبل أن يهبها أحد السلوقيين إلى معبد زيوس تعود إلى دميتريوس بن دميتريوس بن مناسيا .

ويشير النقش المذكور إلى وجود أراض داخل أراضي الملك تعود ملكيتها للمعبد ، وهي تلك الأراضي التي وهبها الملك نفسه للمعبد ، وفي هذه الحال لا فرق أبداً بين المعبد وأي فرد أخر .

ويرد في رسالة أنطيوخس الأول أن هذا الملك قد أهدى بلدة بايتوكيكي وما يتبعها إلى المعبد ، وقد تمتعت بلدة هذا المعبد بإعفاء كامل من الضرائب [3] وذلك من خلال الرسالة[4] التي بعث بها الملك أنطيوخس الأول إلى بلدة بايتوكيكي[5].

---

(1).IGRR .1020

(2) شيفمان ، ص 31-32

(3) روستوفتزف، ص349.

(4)J.P.Rey Coquais, Inscriptions Grecques et Latines de la Syrie, VII,Paris 1970 , 4028, (IGLS)

(5) انظر خريطة رقم (4)

# ̉Επισολή ̉Αντιόχουβασιλέως15

βασιλεύ̉ς ΑντιόχουΕύήμωχαίρειν . έδόθηόκατακεχωρισμένος-

ύπομνηματισμός . γενέσθωούνκαθότίδεδήλωταιπερίώνδειδιάσουσυντελεσθήναι18

Προσενεχθέντος μοι περί τής ένεργείας θεου˜ Διός Βαιτοκαικης18

Έλρίθη συνχωρηθηναι αυτώ είς άπαντα τόν χρόνον , οθεν καί ή δύναμις του

θεούκατάρχεται, κώμην τήνΒαιτοκαι[κη]νήν , ήν πρότερον έσχεν Δημήτριος20

Δημητρίου του Μνασαίου έν Τουργωνα τής περί̉ Απάμιαν σατραπίας,σύν τοίς

συνκύρουσι καί καθήκουσι πασι κατά τοίς προϋπάρχοντας περιορισμοίς

καί σύν τοίς του ενεστώτος γενήμασιν , όπως ή άπό ταύτης πρόσοδος

άναλίσκηται είς τάς κατά μήνα συντελουμένας θυσίας καί ταλλα τά πρόςαυξη24

σιν του ίερου συντείνοντα υπό του καθεσταμένου υπό του θεοϋ ίερέως ,ώς εί-

θισται, αγωνται δέ κατά μήνα πανηγύρεις άτελεις τη πεντεκαιδεκάτη καί

τριακάδι,καί είναι τό μέν ιερόν άσυλον, τήν δέ κώμην ανεπίς(τα)θμον μηδεμιάς

28 απορρήσεως προσενεχθείσης .τόν δέ εναντιωθησόμενόν τισι τών προγε-

γραμμένων ενοχον είναι ασεδεια . άναγραφηναί τε καί τά αντίγραφα εν

στήλη λιθίνη καί τεθηναι εν τώ αυτώ ίερώ . Δεήσει ούν γραφηναι οίς ει-

θισται,ινα γένηται ακολούθως τοίς δηλουμένοις.

رسالة من الملك أنطيوخس الأول

من الملك أنطيوخس الأول إلى إيفيموس تحية.

أعطيت المذكرة المنقولة أدناه لتقوم بكل الإجراءات التي يجب عليك كما هو مبين .

(بعد أن عرض علَي قرار قوة الإله زيوس من بايتوكيكي قررت (عزمت) أن أمنح من الآن بلدية بليتوكيكي التي كانت سابقاً في حوزة دمتريوس بن دمتريوس بن مناساس الساكن في تورغانا ومرزبانة أبامية مع كل ما تملكه وما تعود إليهما حسب النظام الموجود سابقاً ، وكل محاصيل العام الجاري ، إذ إن العائد الذي تجنيه يخصص للتضحيات المقدمة في كل شهر ولكل ما يسهم في ازدهار المعبد ، وذلك على يد الكاهن المعين من قبل الإله كما جرت العادة. ليكن هناك أعياد في 15 و 30 من كل شهر معفاة من الضرائب، وليكن من حق المعبد أن يكون ملجأ وملاذاً ، ولتكن البلدة معفاة من مصادرة المسكن ، مادام أي رفض لم يعلن ضد ذلك، وكل من سيعترض عل ى أي من الإجراءات السالفة الذكر يعدّ مذنباً كافراً ، وسوف توضع نسخة من هذه الوثيقة في المعبد ).

وما يميز هذه الوثيقة عن غيرها من الوثائق أنها لا تشير إلى إهداء الأرض مع العاملين.

والكلام هنا يجري عن إهداء المعبد موسم العام الجاري فقط . بالإضافة إلى ذلك يشترط أن تخصص الأتاوات المفروضة على السكان لتغطية نفقات تقديم الأضاحي .

هكذا فإنه بالإضافة إلى منح المعبد حق ملكية القرية المعنية ( على الأرجح أن المقصود هنا هي الأرض ومختلف أصناف المنشآت التي أصبحت ملكاً للمعبد ) أكد الملك أيضاً على حقه في الحصول على مختلف أنوع الواردات ، ووهب للمعبد حق جباية الضرائب التي كانت فيما مضى تجبى لصالح خزينة الملك ، لكن حق جباية الضرائب لم يكن يعطى بشكل أتوماتيكي مع إهداء الأرض أو القرية كما هو مفروض[1].

---

**(1) شيفمان ، ص32.**

وفي حال كون الأمر عكس ذلك لم تكن هناك أية حاجة للإشارة بشكل خاص إلى إعطاء الحق المذكور، بل أكثر من ذلك أن حق جباية الضرائب لم يعط إلا لمدة عام واحد فقط .

وتبرز أيضاً بوضوح سيطرة الملكية الخاصة من خلال تحصيل الضرائب من الملكيات، وقد أكد الإمبراطور ان فاليريان و جالينيوس على ملكية حقوق هذا المعبد والامتيازات التي حصل عليها، على ألا تتعارض حقوق المعبد مع الأعراف السائدة في المقاطعة "الولاية"،حيث أن التجاوزات تعتبر عملاً غير قانوني. وبناءً على هذه الوثيقة نستطيع أن نعتقد أن معبد ب ايتوكيكي كان هو المالك الشرعي للقرية التي تحمل نفس الاسم حتى في العهد الروماني [1].

وكان موقع الحج هذا لا يزال مقصوداً بشكل كبير في العصر الروماني عندما أعيد نسخ التدوين المحفوظ اليوم بعناية فائقة ، ويشتمل نص الجزء الذي يشتمل على مذكرة الملك السلوقي الكلمات التالية:

**(( لما كان قد قدم لي بيان حول مقدرة الإله زيوس بايتوكيكي ، فقد قرر ت منحه إلى الأبد ما يصدر عن مقدرة إله بلدة بايتوكيكي ... مع كل ما تملكه وما يعود إليها ، بحسب الحدود الموجودة من قبل ، ومع محاصيل العام الجاري ، بحيث إن العائد الذي تجنيه تنفقه للتضحيات المقدمة في كل شهر ولكل ما يعزز ازدهار المعبد ، وذلك على يد الكاهن المعين من قبل الإله كما جرت العادة))[2] .**

---

(1) المرجع المتقدم ، ص 79.

(2) خافييه تيكسيدور ، الحياة الدينية في سورية قبل الإسلام ( العصر الهليني والروماني)، ترجمة موسى الخوري، دمشق 1995 ، ص 29-30.

**وقد أضيف إلى هذه المذكرة في بداية العصر الإمبراطوري مرسوم المدينة :**

**((مرسوم للمدينة نقل للمؤله أوغسطس ، على كافة البضائع أن تصعد بشكل إجباري برعاية المندوبين إلى هنا وإلى المقاطعة (خورا Chora) ، وذلك لكي تباع في كل عيد بحيث تكون متوفرة دائماً بين أيدي الحجاج الصاعدين ولكي تقدم الساحة الصغيرة في المدينة مساعدتها، دون أي تدخل ضار أو منع بحجة المصادرة أو الضريبة أو الابتزاز أو الاعتراض: فليبع كذلك في الساحات العبد والماشية والحيوانات الأخرى دون أية ضريبة أو أي ابتزاز أو اعتراض ))[1].**

وفي نقش أخر يعود إلى إحدى القرى التابعة لمدينة أفامي ه ويؤرخ في نهاية القرن الثالث وبدايات القرن الرابع الميلادي يبرز فيها عملية البيع والشراء بأن من يبيع الأرض للمعبد يحتفظ لنفسه بحق استثمارها ، وعلى اعتبار أنها وثيقة وحيدة فهي لا تسمح لنا تأكيد الاستنتاج أوالاعتقاد بمعرفة كافية في تاريخ العمليات التجارية ومدى انتشارها، إلا أننا نستطيع الاعتقاد أنه في نهاية القرن الثالث و بداية القرن الرابع لوحظ في سورية وجود ظواهر تذكرنا بما يسمى بالبريكاري الأوربي [2] في بداية القرون الوسطى هناك ، وعلى هذا فنحن ليس أمامنا سوى إشارات بسيطة لحق استثمار الأراضي التابعة للمعبد لفترة زمنية معينة ولهذا نعتبر أن مالكي هذه المعابد قد شاركوا

---

(1) المرجع المتقدم ، ص 29-30.

(2) البريكاري – هو حق استثمار الأرض لفترة زمنية معينة يحددها مالك الأرض نفسه بعد أن يوافق على الطلب المقدم عليه بهذا الشأن .

في مختلف الأعمال المتعلقة بالأراضي بما في ذلك عملية البيع و الشراء ، ومن الممكن تأجير الأراضي التي تعود ملكيتها لآلهة المعابد للفلاحين وتذهب عائداتها إلى خزانة المعبد.

ومع ذلك كله لم تحظ ملكية الأراضي خلال القرون الثلاثة الأولى بدراسة وافية نظراً لندرة النقوش الوثائقية التي تسلط الضوء على هذه الملكية بفر وعها العامة والخاصة ، ولذلك ولكي نتمكن من التعرف على ماهية هذه الملكية سنحاول استنباط الأوضاع العامة من خلال التركيز على المدن السورية كل على حدة ، مع العلم أن معظم الدراسات السابقة تشير إلى أراضي Polis وإلى القرى الزراعية التي تحيط بها وهيαρoX[1].

طبقاً للأحداث السياسية التي ألمت بالإمبراطورية الرومانية عامة ومن ضمنها الولاية السورية في نهاية القرن الثاني الميلادي خاصة ، فإن الأباطر ة قاموا بمصادرة أملاك خصومهم وجعلها ملكاً خاصاً لهم يتصرفون بشؤونها حسبما يشا ؤون. وهذا ما اشار إليه سارتر بـ.Saltus[2].

ومن خلال قيام الأباطرة بتوزيع الأراضي نشأ تعدد في سبل الملكية الخاصة ، سواء أكانت ملكية فردية تقتصر على مساحة محدودة من الأراضي الزراعية أ م مساحات ليست بالقليلة تعود ملكيتها لعدة أشخاص كما هو الحال في الملكيات العشائرية ، والتي نجد الأمثلة عليها واضحة بشكل جلي في مدينة تدمر وبصرى وغيرها [3].

---

(1)شيفمان ، ص -8079.

(2)Sartre ‹l991. p.325.

(3) Heichelheim, p.146.

ويساعدنا النقش الثالث [1]على رسم صورة تقريبية لمصادر دخل المعبد ، فقد جاء في هذا النقش (( من الواردات تلك الآتية ممن هم مدينون للإله ميفسين (Obliyatorum dei Mifseni) ومن القرية ومن عابدي ( etcultoribus eius ) وطالبي حمايته حنينة وساتسيرودت ، زبيدة وقنديدة ، ومغان وسيمون وزبيدة وبيديان))

وقد أشار كليرمون أن هذا النقش يدل على وجود أراض تعود ملكيتها للآلهة وتؤجر للفلاحين، وتذهب عائداتها إلى خزنة المعبد ، ويعتبر أ ن ملكية الإله منفصلة تماماً عن ملكية العشيرة المحلية، ومع ذلك كان المعبد يستغل الفئتين معاً .

في حين يقترح ري .كوكي أن تترجم مقدمة النقش على الشكل التالي (( على الواردات والأرباح الآتية من الأراضي المرهونة لصالح الإله ميفيس )) مضيفاً لهذا أن المخصصات التي تسمح بممارسة فعل الإهداء كانت تؤمنها الواردات العادية التي تأتي من الأرض المرهونة لصالح المعبد ، ومن العشيرة الريفية التي يملكها المعبد وكذلك من تقدمات المؤمنين .

وعلى الأرجح أن تعبير ( Obliyatorum dei Mifseni) يعني الناس المرتبطين بمعبد ميفسين بالتزامات محددة ويحتمل أن يكونوا تابعين له . وهذا التفسير هو الوحيد الذي يعطي صيغة الإضافة dei Mifseni معناها الصحيح . لكن هناك تساؤل عن وضع هؤلاء المدين يِن للإله ميفيس . مع الأسف لا نستطيع استجلاء الأمر بالوضوح الكافي لشح المصادر ، ويمِكن القول أن معبد ميفيس يلعب هنا دور المستغل ، وعلى الأرجح مالك القرية كلها، وهنا يكون وضعه مشابهاً لوضع معبد بليتوكيكي[2].

---

(1) شيفمان ، ص 80 . رقم النقش: JMI,6 ,.2946

(2) المرجع نفسه ، ص80-81.

لا شك أنه من الصعوبة بمكان تحديد مدى توافق هذه الصورة مع واقع الحال في سورية، مع العلم أن كل المعابد السورية كانت إلى هذه الدرجة أو تلك ، من كبار مالكي الأراضي والقرى، كما وشاركت هذه المعابد في مختلف العمليات المتعلقة بالأرض بما في ذلك عمليات البيع والشراء . والأمر الذي له أهمية في هذا الإطار أن ملكية المعبد للأرض كانت ممكنة ليس فقط في الأراضي التابعة للملك ، وإنما في أراضي المدينة أيضاً .ولا بد من الإشارة إلى أن معظم معلوماتنا مأخوذة عن معابد صغيرة غير معروفة نسبياً، وعليه يمكننا أن نتصور حجم العمليات التي كانت تقوم بها المعابد الضخمة الغنية[1] .

## 2-أنواع الملكيات الزراعية في المدن:

## أ - الملكية الزراعية في أنطاكية:

كانت مدينة أنطاكية العاصمة من أهم البوليسات ، وتضم داخل حدودها عدداً كبيراً من القرى، ولعل أبرز هذه القرى الروضة الغناء دفنه التي كانت مقراً للهو و التسلية لكثير من الأباطرة المولعين بأسرار الطبيعة الخضراء ، ويشير كاسيوس بروايته التي تعود إلى القرن الثالث الميلادي على أن إحدى هذه القرى التابعة لأنطاكية لـ Polis ، تبعد عنها مسافة 22 ميلاً[2].

---

(1) المرجع المتقدم ، ص80.

(2) Dio Cassius, II , p. 230-231.

وفيما لو أردنا تحديد طبيعة الملكية لإعطاء صورة متكاملة عن العلاقات الزراعية في أنطاكية خلال هذه الفترة ، فلابد من العودة إلى وثائق يعود تاريخها لمرحلة متأخرة لتوفر لنا إمكانية تحديد بعض اتجاهات التطور التي يتصف بها هذا البوليس ، فقد تجلت الاتجاهات في إبراز ملكيات عقارية كبيرة وفي تجمع عدد كبير من قطع الأراضي الصغيرة في يد قلة من الناس، حيث تضمن هذه الملكيات مساحات واسعة من الأراضي، وهذا ما يسمح لنا برسم صورة مشابهة للوثائق التي وصلتنا من دوراأوروبوس فالتشابه واضح بين هذه الصورة وتلك التي ترسمها الوثائق التي وصلتنا من دوراأوروبوس، فنجد أن القطبين الاجتماعيين الرئيسين كانا يشكلان أقلية( واحد على عشرة الأغنياء ، وواحد على عشرة الفقراء) ، بينما كانت الشريحة الوسطى تشكل الجزء الأعظم من الناس، وكانت هي التي تملك قطع الأرض المتوسطة المساحة.

## ب- الملكية الزراعية لمدينة دوراأوروبوس:

إن الدليل على ملكية الأرض بدورا في القرنين الأول والثاني آتى من الوثيقة [1] التي عثر عليها (كومونت Cumont)والمتضمنة مايلي : في السنة الثانية قبل الميلاد ، حسب تصنيف براد فورد وويلز [2]( وهي تتحدث عن بيع قطعة أرض تحتوي على أشجار مثمرة مع منزل وحدائقه وخدماته كافة) ، ولكن الوثيقة لم تشر إلى مساحة الأرض ، كما لم تشر إلى مقدار التناسب بين ملكية الأرض الكبيرة وملكية الأرض الصغيرة ( أن قطعة الأرض ، التي يمكن أن تباع وتشترى ، أو ترهن ، وهي معروفة بـ ( έκάς غير معرفة المعنى ) و κλήρος ( واجب محدد أو أرض مهمة ) ، وكانت كل قطعة أرض معروفة باسم مالكها ) وهذه التقسيمات للأرض كانت مسجلة فيمخطط أو خريطة المسح (γειτνίαι) ومحفوظة على نفقة ملكية أو مدنية في

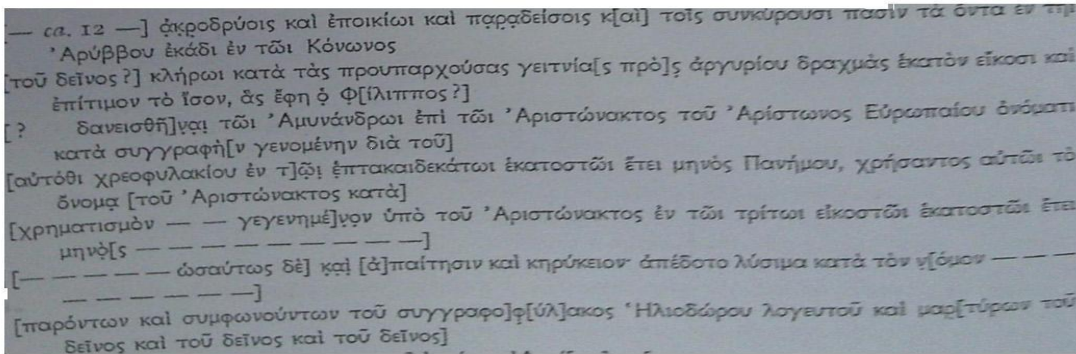
(1)B. Wells_the Excavations at Dura-Europos, The Parchments and Papyri with and Account of the Iranian Fragments by W.B. Henning report V, Part I, London, Oxford 1959. , p89.

(2) شيفمان ،ص 70.

مـديـنـة في مكتب التسجيل ، وعلى الأرجح في دوراأوروبوس نفسها [1].

ولم يقتصر توزيع الحصص على الرجال العسكريين بل وزعت على العناصر الوطنية والمرتزقة .وكان كل جندي يتسلم نصيبه ، إما هبة من الملك أو يدفع ثمنها أو تعطى له مقابل إيجار معين [2].

وفي العصر البرثي لم تحرم دوراأوروبوس من أراضيها الكبيرة وقراها الأساسية ، وقد وجدت عدة وثائق من المرحلة البرثية في دوراأوروبوس محفوظة في أرشيفها ، تؤكد بأن دوراأوروبوس كانت مركزاً للقرى والأرياف المحيطة بها ، ومن هذه القرى التابعة لها قرية باليجا[3]. فقد ساد في العصر البرثي في دورا نظام الإقطاع البرثي ، كما تشير الوثيقة التي وجدت في برج السهام سنة 121م. وهي من بوناج (Peonage) وهي أرض زراعية من القرى التابعة لمدينة دوراأوروبوس، وربما كانت تابعة لقرية باليجا[4]. وكانت تخضع الأرض للوراثة مع العبيد.



— ca. 12 —] ἀκροδρύοις καὶ ἐποικίωι καὶ παραδείσοις κ[αὶ] τοῖς συνκύρουσι πᾶσιν τὰ ὄντα ἐν τῇ
'Αρύββου ἑκάδι ἐν τῶι Κόνωνος
[τοῦ δεῖνος ?] κλήρωι κατὰ τὰς προυπαρχούσας γειτνία[ς πρὸ]ς ἀργυρίου δραχμὰς ἑκατὸν εἴκοσι καὶ
ἐπίτιμον τὸ ἴσον, ὡς ἔφη ὁ Φ[ίλιππος ?]
[? δανεισθῆ]ναι τῶι 'Αμυνάνδρωι ἐπὶ τῶι 'Αριστώνακτος τοῦ 'Αρίστωνος Εὐρωπαίου ὀνόματι
κατὰ συγγραφὴ[ν γενομένην διὰ τοῦ]
[αὐτόθι χρεοφυλακίου ἐν τ]ῶι ἑπτακαιδεκάτωι ἑκατοστῶι ἔτει μηνὸς Πανήμου, χρήσαντος αὐτῶι τὸ
ὄνομα [τοῦ 'Αριστώνακτος κατὰ]
[χρηματισμὸν — — γεγενημέ]νον ὑπὸ τοῦ 'Αριστώνακτος ἐν τῶι τρίτωι εἰκοστῶι ἑκατοστῶι ἔτει
μηνὸ[ς — — — — — — — — —]
[— — — — — ὡσαύτως δὲ] καὶ [ἀ]παίτησιν καὶ κηρύκειον· ἀπέδοτο λύσιμα κατὰ τὸν ν[όμον — — —
— — — — — —]
[παρόντων καὶ συμφωνούντων τοῦ συγγραφο]φ[ύλ]ακος 'Ηλιοδώρου λογευτοῦ καὶ μαρ[τύρων τοῦ
δεῖνος καὶ τοῦ δεῖνος καὶ τοῦ δεῖνος]

(1) Wells , p84-91

(2)Tarn , 1966.p177.

(3)Rostovtzeff, S.E.H.p846.

(4)Rostovtzeff,Excavations at Dura Europos ,Preliminary Report Secont, of work October 1928- April 1929.London Oxford 1931.p202-204.

يشير شيفمان إلى أن ملكية الأرض في العصر الروماني ، تمركزت في أيدي كبار الملاك وهم الإمبراطور وأفراد عائلته وعددٍ آخرمن الأشخاصذوي الحظوة والجاه[1].

وأدخلت في عهد أغسطس بعض التغيرات الهامة على تنظيم وإدارة المستعمرات ، وجوهر هذه التغيرات هو عدد من المقاطعات السورية لتكون تحت الإشراف المباشر للإمبراطور . فقد سعى أكتافيوس لإرضاء المشاركين في الحروب الأهلية بروما ، بإعطائهم قطعاً من الأرض مع مكافأة مالية ، وأكد أغسطس على زراعة الأرض ، التي صادرها من مالكيها السابقين [2]

هذه الإجراءات تجاه المستعمرات الجديدة ، الواقعة على خط حدود الدفاع الروماني ولا شك أن السلام الروماني ، الذي دام مئتي عام أدى إلى ازدهار المدن السورية ، ورفع المستوى الاقتصادي .وأهم ما يميز العصر الروماني ، هو إيجاد ما يعرف بالمسح الزراعي للأراضي الزراعية ، وتقسيمها إلى حصص ، وبذلك تكون مساحة القطعة الزراعية الموزعة على إقطاعيات معروفة ، أو يمكن معرفتها وفق النظام التالي : تقسيم الأراضي الزراعية إلى وحدات مئوية مساحة كل وحدة مئوية مئة فدان [3]، وكانت الوحدة المئوية تقسم إلى 100 قطعة زراعية مساحتها 5 دونومات [4]،تسلم إلى عائلة فلاحية ، لتستثمرها مقابل دفع ضريبة معينة[5].

---

(1) شيفمان ، ص9.

(2) المرجع نفسه ، ص 57.

(3) الفدان يساوي 50 هكتار أو 500 دونم .

(4) الدونم الواحد يساوي 1000م$^2$

(5) فرح ، نعيم ، ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر العربي السوري ، العصر القديم ، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية وقضايا الفلاحين في الوطن العربي ، المجلد الأول ، دمشق1993، ص112-113.

كما أن الرُّقم الآرامي الذي وجد في برج قاذفي السهام والذي يعود تاريخه إلى سنة 200م ويشير ث.ميليك ناشر هذا الرُّقم إلى أن طابعه غير واضح، و أن هذه الأراضي تتألف من مجموعة من أشجار النخيل ، وتشير هذه الوثيقة أن واضعها يوجه نصائحه إلى" مالك مفترض " لمجمّع زراعي مليء بمزارع النخيل والكروم والتين والحبوب ، وافتراض إمكانية استصلاح الأراضي المهجورة ، وكذلك تقديم النصائح العامة للبستاني الذي سيقوم على استصلاحها وزراعتها بهدف عدم إرهاق التربة الزراعية.

وأغلب الظن أن الرُّقم احتوى على أوامر بخصوص ضريبة العادة والطقوس الدينية،بمقدار العشر من كافة المحاصيل الحبوب ، وتنص الوثيقة بزراعة الحقول (حبوب صيفية ) ومن المفروض أن يأتي (البستاني ) بالحبوب خلال ثلاثة أيام ، الشعير وباقي المحصول .

يرى شيفمان بأن المقصود به هنا هو توفير الحبوب إلى الفلاح بعد تحضير الأرض للبذار ، وفي حال حراثة حقل كان مزروعاً بالقصب ينصح بزرعته شعيراً وريّه جيداً [1].
نستنتج من النص الآرامي بأن الأراضي الزراعية في دوراأوروبو س كانت تزرع بالأشجار المثمرة ، ومنها النخيل والتين والكرمة ، بالإضافة إلى المحاصيل الحولية كالحبوب والشعير والقصب .
كما استصلحت أراضٍ جديدة في دوراأوروبوس لتزرع بمحصول الشعير ، أما الضريبة المفروضة على المحاصيل الزراعية فكانت العشر .

وفي وثيقة أخرى تتحدث عن بيع قطعة من الأرض تحتوي أشجاراً ومنزلاً بكافة خدماته و حدائقه إلا أنه لم يشر تحديداً إلى مساحة هذه الأرض لنقدر فيما إذا التناسب بين الملكية الكبيرة أو الصغيرة للأرض [2].

---

**(1) شيفمان ، ص69.**
**(2) المرجع نفسه**

ويمكن تقسيم الأراضي التي خضعت لعملية البيع والشراء في دورا أوروبوس إلى ثلاثة أقسام [1].

1- أراض المدينة ويقصد بها( Polis) .

2- القرى أو الأراضي الرملية (οραΧ)وهي الضواحي المحيطة بدورا.

3-الكليروس : κληρος وهي الأراضي الأكثر انتشاراً في هذه المنطقة نظراً لموقع دورا الحصين والاستراتيجي ،الذي جعل الإمبراطور يوزع الكثير من الأراضي على الجنود لقاء خدماته العسكرية.

هناك وثيقة عقد بيع أرض مع حق استعادتها بالشراء ثانية ، والوثيقة عائدة للقرن الثاني للميلاد، وهذا ماتشير إليه الصفقة دبدوتوليزيما (Depedotolysima) ، حيث تباع هذه القطعة الزراعية بمبلغ مئتين وأربعين دراخمة ، مائة وعشرون منها كانت ديناً للبائع بذمة امييننادر، التي كانت باسمه، والباقي عبارة عن غرامات مستحقة على المدين، وتمت عملية البيع بعد انقضاء المدة المحددة لإيفاء الدين[2].

هذا النوع من العقود يدعى بيع الأراضي المرهونة التي يحق للبائع استردادها في حال تمكن صاحب الأرض الأساسي من إيفاء كافة ديونه المفروضة عليه خلال المدة المتفق عليها بين الطرفين.لذلك فالصيغة العامة التي تشترك فيها هذه الوثائق هي التأكيد على أن كل من يملّك المستدين يعتبر رهناً للدائن ، مع العلم أن هذه الملكية تبقى بحوزة المدين حيث يستثمرها . وفي هذا يكون مالك الأرض الشاري يريد ترسيخ أقدامه في قرية معينة وبهذا يكون مالكاً لأراضٍ عديدة ويريد توسيعها على حساب سكان القرية.

ووثيقة أخرى تشير إلى بيع نصف بستان مليء بأشجار وعرائش العنب ، وتسجل الوثيقة بنداً خاصاً يحمي الشاري من أية مطالب جانبية تتعلق بالأراضي التي اشتراها ، فنحن هنا بصدد حالة انتقال ملكية الأرض الناتجة عن بيع قطعة أرض زراعية [3].

---

(1) شيفمان ، ص70.

(2) المرجع نفسه ، ص70. Wells , p84-91

(3) المرجع نفسه، ص70-71.

وهناك حالة أخرى يتم فيها بيع الأرض الزراعية أوما يسمى نقل الملكية من أيدي الذين لا يحسنون استثمار الأراضي إلى مالك أخر قادر على الاستصلاح ،فيمكن أن تسحب الأرض بموجب القانون من مالكها إذا لم يستطع استثمارها لمدة سنتين، وتصبح ملكاً قانونياً لصاحبها الجديد.

بموجب هذا القانون يمكن اعتبار كل قطعة جزءاً لا يتجزأ من الأرض الكلية ، التي هي أرض المدينة ككل، ولم تكن المدينة تسمح من خلال سلطتها التنفيذية بإيقاف عملية استثمار أراضيها ، ولذلك كانت تعطيها للشخص الذي يستطيع استثمارها .

نجد من خلال عقود البيع والشراء بأن سلطة المدينة لم تتدخل في عمليتي البيع والشراء، وقد تكون الفاعلية القانونية لهذه العقود جارية ، وأصيلة ولم تكن بحاجة للتصديق من سلطات المدينة . بما أن الأرض كانت موضوع بيع وشراء ، هذا ما خلق إمكانية كبيرة لتجميع الأراضي في أيدي قلة ، وانتزاعها من مالكها.

وتحظى وثيقة تم العثور عليها في دورا أوروبوس تعود لسنة 227م باهتمام كبير لما تتضمنه من معلومات عن القوانين الهلنستية المحلية والتي اعتمدها القانون الروماني.

**تشير الوثيقة " لقد اشترى[ يو ]ل [ي]موس دميتريوس الذي محا [باً]في الكتيبة الأوغسطية الثالثة والذي يعيش حالياً في راكوكتيا،من ثيروس بن عبداب من [قرية ] سهرادا- أوراي ، أرضاً تعود ملكيتها له ، وتقع داخل حد هذه [قرية ] التي اشترها هو بنفسه من عبيب ابن قريته زايرادا- سهراي التي يسميها الاثنان معاً قرقفة ، في سنة157م[1]. أما نصها السفلي فقد جاء فيه (( في عهد القنصلين نوموس ألبين وأيليوس مكسيم ، وفي اليوم السابع قبل الأيام الأولى من شهر حزيران ، بحضور الرجال الموقعين أدناه على أختامهم الشخصية ، في صهارا ، في الثكنات الشتوية التابعة للكتيبة الأوغسطية الثالثةأنه اشترى يوليوس دميتريوس الذي كان فيما**

---

**(1) المرجع المتقدم ، ص70.** **Wells , p137-138.**

**مضى جندياً من جنود الكتيبة المذكورة ، والذي يعيش حالياً في راكوكتيا ، من اتيرنوس بن عبداب من قرية زايردا أواراي ، أرضاً تعود ملكيتها له والتي تقع في نفس القرية المذكورة ، وكان هو نفسه قد اشتراها بالحجم الذي هي فيه من عبيب بن يوزان ابن قريته في زايرادا – سهراي والذي يسميها الاثنان قرقفة الأرض مع طريق الدخول إليها والخروج منها بالإضافة إلى الأشجار المثمرة وغيرالمثمرة وكل الحقوق المتعلقة بالأرض بثمن وقدره مئة وخمسة وسبعون ديناراً استلمها البائع من الشاري ونقل إلى ملكيته الأرض لتصبح ملكاً قانونياً له يبيعها ويتصرف بها كما شاء ، وهذه الأرض سليمة من كل أذية وغير مرهونة أو يختلف عليها طالب وضمت هذه الأرض ستمئة غرسة عنب )) وتحدد الوثيقة حدود الأرض (( من الشرق قناة مائية لنهر الخابور ، من الغرب – كرم العنب الذي تعود ملكيته للبائع ، ومن الجنوب أرض – عبد اللات ، من الشمال أرض البائع ، وأرض اللات[1].**

النص الأعلى

كتب هذا العقد أفريلي سليمان المحارب القديم نيابة عن اثيرنوس الأمي الذي يؤكد أنه باع هذه الأرض وقبض ثمنها ووقع عليها ثلاثة شهود تم ذكرهم و ذكر مهنهم ،وإن كان هناك أي خلل بشروط البيع يستوجب على البائع ضمانات تنفذ بمساعدة الأمر الإمبراطوري و الإتاوة الريفية. يتمتع هذا النص بصيغة صريحة وواضحة لعقود بيع أو شراء الأراضي والتي أصبحت صيغا تاريخية في العصر الروماني حيث يذكر فيها :

1- المكان الذي تجرى فيه عملية البيع و يشار إلى الشهود.
2- طرفا العملية (( البائع والشاري)) .
3- حقوق البائع.
4 -السعر والاستلام (( الأرض)) .
5 - يشار إلى الضمانات التي تترتب على البائع إعطاؤها للشاري فيما إذا كانت الملكية المباعة تخضع لمطالبات الآخرين[2].

---

(1) المرجع المتقدم ، ص70 - 71.

(2) المرجع نفسه ص70-71 . Wells , p84-91.

᾿Επρίατο [᾿Ι]ούλ(ιος) Δημήτριος, πάλαι στρ(ατιώτης) σπείρ(ης) γʹ Σεβ(αστῆς), οἰκ(ῶν) ἐν
῾Ρακουκαίθα, πα(ρὰ) ᾿Οταρναίου ᾿Αβαδάβου κώμ(ης) Σαχαρη-
δα-ạọụạṛά̣η τὴν ὑπάρ(χουσαν) αὐτῷ χώραν κειμέν(ην) ἐν ὁρίοις τῆς αὐτῆς κώμ(ης), ἣν ἑώνηται
πα(ρὰ) ῾Αββειβᾶ συνκωμ(ήτου) αὐτοῦ
ẹ̓[ν] ṭ[όπ]ọ̣ῳ ἐπικαλου(μένῳ) Ζαιρα-δα-σαχαράη, ὅσου ἐστὶν μέτρου, ἐπικαλουμέ(νην) Καρκαφά,
⳨ροẹʹ.

᾿Επ̣ὶ ὑπάτων Νουμμίου ᾿Αλβείνου καὶ Λαιλίου Μαξίμου, πρὸ ἑπτὰ Καλ̣(ανδῶν) ᾿Ịουνίων,
ἐπὶ τῶν ἐπιβεβλημένων καὶ ẹ̓σφραγεισμένων ἀνδρῶν ἐṿ Σαχάρῃ π̣α̣ραχειμασίạ
[σ]πείρ(ης) γʹ Σεβ(αστῆς) Θρᾳκῶν. ἐπρίαṭο ᾿Iọύλιος Δ̣ημήτριος, πάλαι στ̣[ρ]α̣ṭιώτης σ̣π̣είρηṣ
ṭῆ̣[ς προγεγρ(αμμένης)], ọἰκῶν ἐν ῾Ρακουκαίθα, παρὰ ᾿Οταρναίου ᾿Αβαδά̣β̣ου κώμης Σαχ[α-]
ρ̣η-δα-αουαράη τὴν ὑπάρχουσαν αὐτῷ χώραν κειμέν(ην) ἐν ὁρίοις τῆς αὐτῆς
κώμης, ὅσου ἐστὶν μέτρου, ἣν ἔνωται παρὰ ῾Αβ̣β̣ε̣ιβᾶ Βωζάνου συνκωμή-
ṭ[ο]ṿ αὐτοῦ, ἐν Ζαιρα-δα-σαχαράη ἐν τόπῳ ἐπικαλουμένῳ Καρκ̣ạφθά, σὺν εἰσό̣δ[ῳ]
καὶ ἐξόδῳ καὶ τοῖς ἐνοῦσι δένδ̣ρ̣ο̣[ι]ṣ καρποφόροις τε καὶ ἀκάρποι[ς] καὶ παντὶ δικαίῳ τῆ[ς]
αὐ̣[τ]ῆ̣ṣ χ̣[ώ]ρ̣ας, τειμῆς ἀ̣ρ̣γ̣υ̣ρ̣ί̣ο̣υ δηναρίων ἑκατὸν ἑβδομήκ̣ο̣ντ[α]
π̣έ̣ν̣ṭε, ἣν τειμὴν ἀπέσχεν ὁ πεπρακὼς παρὰ τοῦ ἐω̣ṿημένου καὶ τὴṿ
χ̣ώραν αὐτῷ ἔδωκεν εἰς τὸ ἔχειν αὐτὸν κυρίως καὶ βεβαίως εἰς τὸν ἅπαντα χρό-
ṿον κτᾶσθαι χρᾶσθαι πωλεῖν δι[οι]κεῖν τρόπῳ ᾧ ἂν αἱρῆται, γείτονες τῆς αὐτῆς
χώ̣ρας ἀπὸ μὲν ἀνατολῶν κ̣α̣νάλιν ὕδατος καὶ ῾Αβ̣ο̣ύ̣ρα ποταμός, δ̣υσμῶṿ ἄμ̣-
π̣ελος τοῦ ἠγορακότος, ṿό̣ṭο̣υ ᾿Αβδελάθ, βορρᾶ αὐτοῦ ἐστι τοῦ ἠγορα[κ]ό̣ṭ[ος
κα̣[ὶ ᾿Αβδελά]θ̣, εἰ δέ τις λήθη ἦ̣ ẹ̓σ̣ṭι̣ν ἢ ἐγένετο ἐν ταῖς γειτνίαις, οὐκ ἔσ[τ]α̣ι̣ ἀ̣ν̣τ̣ί̣[ρ-]
ρ̣ημα, ἣν δὲ πρὸ τούτου ἐν τῇ αὐτῇ χώρạ στελέχη ἀμπέλων ἑξακόσια·
τοῦ πεπρακότος παρεχομένου τῷ ἠγορακότι τὸ αὐτὸ ἀγό̣ρασμα ἀνέπαφον
κ̣[α]ὶ̣ ἀνεπιδ̣ά̣νειστον καὶ ἀναμφισβήτητον πάσηṣ ἀμφισβητήσεω[ς] κ̣[αὶ] κ̣[α-]
θαρὸν ἀπὸ παντὸς ἀντιπο̣ι̣ο̣[υ]μένου, ἐὰν δὲ μὴ παράσχηṭα̣ι̣ ἀκ̣[ολούθως,]
ἐνποιηθεὶς δέ τις ἐγνεικῆτ̣α̣ι̣ τ̣ὸ̣ αὐτὸ ἀγόρασμα ἢ μέρ̣[ο]ṣ αὐτ[οῦ, ὁ πεπρα-]
κ̣[ὼ]ṣ δ[ι]α̣δ[ι]κήσει καὶ καθ̣α̣ρ̣[ο]π̣ο̣ι̣ήσει τῷ ἐωνημένῳ, εἰ δ' ọ̣ὐ̣, ἐκτείσẹι α̣[ὐτῷ τὴν]
ṭ[ει]μ̣ὴν διπλῆν καὶ τὸ βλάβος ὁμοίως· τοῦ ἠγορακότος δειδοῦντος πᾶν [τὸ]
ἐπιβάλ̣λ̣[ο]ṿ τῇ αὐτῇ χώρạ εἰς λόγ[ο]ṿ κυ̣ρ̣ι̣α̣κ[ο]ῦ καὶ κωμητικῆς ὑπηρεσίας·
κυρίας οὔσης τῆσδε τῆς ὠνῆς π̣α̣ṿταχοῦ προφερομένηṣ. πίστει ἐπ̣ηρώ̣τησ̣[εν]
ọ̣ ἠγ̣ο̣ρ̣α̣κὼ[ς] κα̣[ὶ] πίστει ὡμολόγησεν ᾿Οταρναῖος ὁ π̣ε̣πρ[α]κ̣ώ̣ς.
*vacat*
(2d H.) Αὐρῆλιṣ Σαλμάνες, ọ̣ὐ̣ẹτ[ρ]α̣ṿό̣ṣ, ẹ̣ρωτηθὶς ἔγ̣ρ̣α̣ψ[α ὑπὲρ ᾿Οταρναίου ᾿Αβα-]
δάβου ἀγ̣ρ̣α̣μάṭọṿ, ὁμολ[ογουμένου ἀποδόσθαι τὴ]ṿ ὑ[π]ά̣ρ̣χ̣[ουσαν αὐτῷ χώ-]
ραν καὶ ἀ̣π̣ẹ̣σ̣κεκένε δ̣η̣[νάρια ἑκα]ṭ[ὸν ἑβδομ]ή̣κ̣ọ̣ṿτα πέν̣[τ]ẹ [καὶ εὐδο-]
κ̣ε̣ῖ̣ṿ κ̣α̣ṭ̣ὰ̣ ṭ̣ὰ̣ προγεγρομένα. *vacat*

## ج- الملكية الزراعية في تدمر:

على الرغم من كثرة النقوش التدمرية بما فيها لائحة التعرفة الجمركية إلا أنها لا تتضمن معلومات نتمكن من خلالها إيضاح الملكية السائدة في تدمر ، وكذلك من خلال النقوش التي نشرها شلمبرجر [1]على أن قصر الحير هو الحد الفاصل بين حدود تدمر وحدود مدينة حمص ، وأن خربة البلعاس نقطة أخرى فاصلة بين حدود تدمر مع جيرانها، وهذا ما ظهر في سنة117م على عهد هادريان ، والتي أقرها فيما بعد أنطونيوس بيوس عام 153م، على هذا يقدم لنا شلومبرجيو اقتراحاً موفقاً في حدود هذه المدينة من الشمال إلى الشمال الشرقي على امتداد الفرات ، ثم عبر منطقة سهل الرصافة في الجنوب حتى خربة البلعاس ، ومن هناك إلى خربة العين عبر قصر الحيرة وسهل الصو [2]..

على أن هذه المناطق كانت تضم قبائل مارست الرعي كمهنة لها ، وتحولت إلى مرحلة التحضر والاستقرار وفق ما يشيربطليموس في كتابه الشهير عن الجغرافية معدداً كافة البوليسات الموجودة في هذه المنطقة ، والتي أبرزتها الوثائق ولا سيما التي تعود إلى القرن الثالث ( فترة صعود تدمر وأوج قوتها و أنها ولفترة طويلة خضعت لسلطة تدمر.

وغالباً ما تشير الوثائق التدمرية المتبعثرة التي نوه عنها Starcky إلى طابع الإنتاج الزراعي الذي تميزت به تدمر ، ويرمز لها بكلمة بستان أي أن نظام البستنة منتشر في قرى تدمر، وهذا ما ورد في نقش يعود إلى قرية خربة الدهور 238-239 م يشير فيها إهداء بستان [3]، وهنا تبرز جهود الاستثمارات الفردية أو الجماعية التي تنمو عليها علاقات الملكية الخاصة ولكن هذه النقوش لا تدل على طريقة سير هذه العملية

---

(1)D.Schlumberger, Palmyre et La Mesene,Syria 38, 1961. p.256-260.

(2) شيفمان ، ص61.

(3)Starcky, Palmyra, Paris1952. p.44-50.

الاستثمارية أو كيفية الاستفادة منها ، غير أن شواهد القبور و الأضرحة تحوي معلومات متعلقة بعمليات الملكية العشائرية الوراثية للأرض ، والتي يمنع منعاً باتاً إهداؤها أو وهبها أو بيعها خارج نطاق العشيرة ، ومنها النقش المكتشف لإحدى القرى الريفية في تدمر تدعى بازورية تعود ل سنة171م يذكر فيها الملكية الجماعية للأرض والتي يمنع إهداؤها أو بيعها خارج العشيرة[1].

كما تحتوي المصادر التدمرية صنفاً لمختلف أنواع المحظورات ، وقد ورد في أحد النقوش[2] نموذج من المحظورات المذكورة (( فلتبق هذه المشكاة مغلقة إلى الأبد لا يفتحها عليه أحد ، فلتنقطع ذرية كل من يفتحها ، وليحرم من المساعدة إلى الأبد ، بل وليحرم من العدل، وليبق إلى الأبد محتاجاً إلى الخبز والماء )).
ومن الواضح هذه المقولات لا علاقة لها بأي عملية تجارية وهدفها هو المحافظة على حرمة القبر فقط وحمايتة من اللصوص.

وهناك نوع آخر من المحظورات وهو يتعلق بالعمليات التجارية وعمليات البيع والشراء ويذكر النقش[3]: (بنيت هذا النصب وكرسته لأولادي وأحفادي الذكور بحيث لا يقبلون فيه أي شريك تماماً كما كتبت).

وهناك نص تدمري شبيه به :( هذا القبر الذي شيدته لأبنائي وأحفادي الذكور وليس لهم الحق ببيعه أو التصرف به أو قبول شركاء لهم فيه حسب ما كتبت ).

---

(1) شيفمان ، ص64.

(2) CIS, 2, 4218.

(3) CIS, 2, 4214.

لا شك أنه كان لهذه المحظورات أهمية عملية محددة، فعدم وجودها كان يعني وجود إمكانية حقيقية لخضوع هذه القبور لعمليات البيع والشراء وغيرها، وذلك حسب القانون التدمري .

وهذا ما يؤكد على المشاركة العشائرية من الناحية الاقتصادية التي لا يمكن جعلها صورة على عملية البيع والشراء.

أما النوع الأخر فيدل على أن المالك باع حصته من الضريح ، وباستطاعة المالك الجديد أن ينقل أيضاً ملكية القسم الذي يعود إليه إلى شخص آخر كما هو الحال في النقش الذي يعود إلى سنة191م؛ حيث أن المالك الجديد له مطلق الصلاحية في الملكية المكتسبة سواء بالبيع أم بالشراء[1].

وإذا ما افترضنا أن مكان هذا الضريح هو قطعة أرض زراعية فإن عمليات بيع الأراضي الزراعية تظهر تلاشي الملكية الجماعية.

وبمعنى آخر كانت عقود نقل ملكية الأرض القياسَ المعتمد لنقل ملكية العقارات أو غيرها من الأملاك ، والتي تقضي وفق المرجع القانوني كما يلي : الأطراف المشاركة في العملية ، تحديد العقارات أو ما شابهها والخاضعة لعملية النقل ومنع توسيع حدود العقار المنقول.

---

**(1) شيفمان ، ص67.**

## د- الملكية الزراعية في أفامية:

يشير سترابون [1] في كتابه أن مدينة أفاميا كانت تضم مساحات واسعة من الأراضي الزراعية . وأهمية هذا المصدر تكمن في إبراز أن هذه المدينة Polis محاطة بعدد كبير من القرى المحصنة التابعة لها [2]، ومن هذه القرى التابعة لأفاميا كفروزبادين( Kaphrozabadion)[3] ، و أخرى تدعى الفانا وهذه القرية إحدى أهم الأماكن المقدسة في أفاميا[4].

تحظى مدينة حمص التي حصلت على لقب المستعمرة وتلقت العناية من الأباطرة السوريين السيفريين،و تمت عملية المساواة في ملكية الأراضي الموزعة على المستوطنين – المحاربين القدماء بهدف استصلاحها و استثمارها – ومن المرجح أن هذا يعود إلى قدوم موجة جديدة من المستوطنين في القرن الثالث الميلادي حين غدت مدينة حمص أكثر ظهوراً.

ومما سبق يمكن الاستنتاج بأن الملكية الخاصة للأراضي هي النظام الذي كان سائداً في المدن السورية خلال تلك الفترة .

وقد خضعت هذه الملكية لقوانين متعددة من أهمها : أن أي أرض تسحب من مالكها في حال الإهمال وعدم الاستثمار لمدة سنتين مهما كانت ظروف إيقاف عملية الاستثمار ، تنقل ملكيتها قانونياً لصاحبها الجديد الذي يكون قادراً على استثمارها بشكل أفضل ، وهذا ما نشأ عنه تمركز الأراضي في أيدي قلة من الأفراد وانتزاعها من المدنيين[5].

---

(1)Strabo , Geog, XVI, c752

(2) قرية تابعة لأفامية .Pliny , N.H.5,81

(3)S.E.G,II.19.648.

(4)S.E.G,II.19. 893.

**(5)**Heichelheim,p**.149.**

وعلى هذا فالملكية الخاصة تنقسم إلى قسمين:

1- ملكية خاصة كبيرة تتمركز في أيد ي قلة من الناس 2- عدد كبير من قطع الأرض المتباعدة يملكها أشخاص عدة [1] .

وفي هذا الصدد ، صدر قرار بفرض غرامة مالية على من يهجر أرضه أو يتركها من غير زراعة واستثمار ؛ لإجبار المزارع على التمسك بأرضه وعدم الانتقال إلى المدينة أو عدم ترك أرضه بوراً دون زراعة، وهذا كله في سبيل المحافظة على مستوى الإنتاج الزراعي الذي كانت فيه ولاية سورية والإمبراطورية أحوج إليه في فترة اعتبرت من أصعب الفترات التي مرت على التاريخ الروماني.

أما عن أسعار الأراضي طبقاً لما ورد ذكره عند ها يش طهام فقد تباينت الأسعار طبقاً للمكان ولما تتضمنه الأرض ، فمثلاً لا نفاجئ إذا وجدنا أن سعر بستان الزيتون الممتاز في أنطاكيةعلى العاصي يستحق مبلغاً مرتفع القيمة مقارنة بأرض زراعية في دوراأوروبوس تم تحديد سعرها بمبالغ رخيصة [2].

وتشير وثيقة أخرى تعود إلى سنة195م إلى بيع عقارات(صالحة للزراعة – مزارع عنب- بساتين- منازل) في دوراأوروبوس بمبلغ قدره 120 دراخمة فضية [3].

مزارع حدائق الزيتون الممتازة في أنطاكية على العاصي بمبلغ و قدره 15000 حتى 20000دراخمة. أرض صالحة للزراعة من دوراأوروبوس بمبلغ 1000 دراخمة.

أراض زراعية مزروعة بأشجار الفواكه على قناة الخابور قرب دوراأوروبوس تساوي 175 دينار[4].

عقارات زراعية تعود إلى سنة 180 م قيمة الواحدة منها ليس أقل من 200 دراخمة[5].

---

(1) شيفمان ، ص75.

(2) Heichelheim ,p.149.
(3 ) Ibid,p.194.
(4) Dura , pg , 101.
(5) Heichelheim, p.151- 152.

# الصناعة

## - تمهيد:

حظيت الصناعة في سورية بالاهتمام الكبير من قبل السلوقيين ، وذلك من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي ، وتوفير فائض لتصديره إلى الخارج ، وقد أدى ازدهار الزراعة إلى إيجاد صناعات تعتمد على المنتجات الزراعية ، كصناعة النبيذ وزيت الزيتون التي ارتبطت بها صناعة الأواني الفخارية اللازمة لتخزين النبيذ والزيت ، وقد عرف السلوقيون صناعات عديدة كالصناعات العسكرية وذلك بسبب الحروب كصناعة السفن والأسلحة ، وصناعات أخرى كالزجاج والنسيج والمشغولات الفضية والذهبية .

## أولاً - عوامل ازدهار الصناعة:

ازدهرت الصناعة في الولاية السورية ازدهاراً واضحاً في العصر الروماني ، بنفس القدر الذي ازدهرت به الزراعة ؛ نتيجة تشجيع الرومان للصناعة في سورية ؛ مما أدى إلى ازدهار المراكز الصناعية في مختلف المدن السورية ، وقد ذاع صيت هذه المدن في هذا المجال لما حققته الإدارة الرومانية من أمن واستقرار في منطقة الحدود ، لحراستها ودعمها بشق الطرق وإقامة الحصون ، حتى غدت تنعم بالصناعات المتنوعة ، بل إن الصانع السوري زادت مهارته واكتسب خبرات إضافية في الدقة والإتقان ، ويتضح ذلك في تنوع المصنوعات الأساسية التقليدية ، والتي لاقت رواجاً واسعاً في الأسواق المحلية وأسواق الإمبراطورية ، فزاد الطلب على السلع السورية الصنع ، ونشطت المدن التجارية، واقترن ذلك بنشاط واسع في النقل البري والنقل البحري ، وهذا ما أبدته الوثائق الأثرية التي تبرز هذا التفوق كماً ونوعاً ، ويعود أسباب هذا التفوق إلى توفر الأيدي العاملة، وتشجيع معظم الأباطرة الصناع على تطوير هذه الحرفة ، مما أدى إلى ظهور صناعات أكثر دقة وإتقاناً عما كانت عليه من قبل .

كما كانت لوفرة الموارد النباتية مما جادت به تربة الولاية السورية من المنتجات الزراعية، فضلاً عن المنتجات الحيوانية إلى جانب توفر المواد الأولية التي تقوم عليها الصناعة، سواء أكانت محلية أم مستوردة ، فهناك المواد النباتية الأساسية اللازمة لصناعة المنسوجات من قطن وكتان أو حرير ، كما أن الولاية السورية غنية في مجال الصناعات المتعلقة باستخدام الأخشاب، خاصة أشجار الأرز التي تستخدم في بناء السفن البحرية فضلاً عن استخدامه بأغراض أخرى. كما ساهمت الثروة الحيوانية من ماشية وأغنام وماعز وغيرها في توفر المواد اللازمة لصناعة الجلود ودباغتها وصناعة المنسوجات الصوفية [1].ولا شك أن المواد المعدنية الأولية مع قلتها كان لها أهميتها ، وذكر منها النحاس والحديد الخام المستخرج من مناطق جوف ولاية سورية ، والملح في شمال سورية، هذا بالإضافة إلى مادة الصلصال لصناعة الآجر و الجبس، وأنواع متعددة من الحجارة والرمال ولا سيما رمال صيدا والكهرمان والأحجار الكريمة والرخام الأبيض من الساحل السوري [2].

وكان لازدهار النشاط التجاري وسيادة الأمن والسلام في سورية أثره الواضح في تنشيط الإنتاج الصناعي ورواج منتجاته، فللمنتجات الصناعية كانت بحاجة إلى أسواق داخلية وخارجية لتصريفها ، لذا انتشرت الأسواق بنوعيها الداخلية والخارجية ضمن مجموعة من الطرق البرية والبحرية ولم يكن للتجارة دور في تصريف المنتجات فحسب؛ بل تعداه إلى توفير المواد الخام اللازمة للصناعات التي لا تتوفر داخل الولاية ، وذلك عن طريق استيرادها من الولايات الأخرى .

---

(1) آن ماري شتوفر ، نسيج من تدمر ، ترجمة ريما خليل ، مجلة الحوليات الأثرية السورية ، مجلد 39 ، دمشق 1996 ، ص 11.

(2)Heichelheim , pp.156-157.

ويمكن الفصل بين تاريخ الصناعة في القرن الأول والثاني عن القرن الثالث ، بحيث نقول: إن التطور الصناعي بلغ مداه، وذلك لعدة أسباب: أبرزها تركيز رأس المال الحرفي بأيدي رجال الصناعة أو العاملين بالصناعة ، وفي مقابل تدهور الصناعات الاستهلاكية ، فقد انتعشت الصناعات الحربية نتيجة اضطراب الأحوال السياسية والعسكرية في منتصف القرن الثالث، فانعكس ذلك بشكل إيجابي على الصناعة الحربية من أجل البحث عن بعض المواد الصناع ية التي تخدم هذه السياسة ، سواء من صناعة الحبال وصناعة الأسلحة اللازمة في العمليات الحربية التي كانت سمة هذا العصر أم في صناعة السفن الحربية منها والتجارية على حد سواء ،وهذا ما جعل الإنتاج الصناعي لا يستطيع أن يعيش بعيداً عن التنافس الصناعي في الولايات المجاورة .

وما من شك في أن إتقان الصناع السوريين لحرفتهم جعلهم يتفنون بمنتجاتهم التي لاقت رواجاً في أسواق الولايات الأخرى، مما زاد الطلب على المنتجات السورية ، وفي هذا الصدد يشير سترابون [1] كيف أن أهالي المدن استفادوا من خبرة وتجارب أسلافهم ، واستطاعوا أن يصبحوا أسياداً للعديد من الحرف الصناعية .

## ثانياً ـ الصناعة وأرباب الحرف:

على الرغم من قلة المصادر والوثائق المتعلقة بالحرفة والحرفيين ، إلا أنها تعطي صورة مقبولة عن ممارسة المهن في المجتمع السوري ، وعن التنظيم السائد داخل الورشة الحرفية، وتواجد وحدات أو نقابات حرفية واسعة في مختلف فروع الصناعات ( الفخار – المنسوجات – الأحذية – المعادن ) .

---

(1)Strabo , Geog, XVI, p750.

ومن المعروف أن الحرفة في المدن السورية لها تقاليدها العريقة ، تعود جذورها إلى ما قبل العصر الهلنيستي ، وقد حافظت عليها واستمرت في تطورها لتكتسب الدقة والإتقان عبر مراحلها المختلفة، حتى بلغت في القرنين الثاني والثالث الميلاديين ما يمكن تسميته باتحاد نقابي قائم بذاته ، على أساس تجمع الحرفيين ممن يمارسون الحرفة الواحدة، وتطلق هذه النقابة على نفسها اسماً طبقاً للحرفة التي تمتهنها ، ولا بد لهذه النقابة أن يكون لها رئيس أو ربّ عمل يقوم بالإشراف عل ى هذه الحرفة [1]،وهذا الرئيس لا يبقى في منصبه أكثر من سنة ، ويجب على أعضاء الحرفة عدم ممارسة مهن أخرى ماداموا تابعين لنقابة حرفية معينة ،ولا بد أن يتقيدوا بالشروط والضوابط التابعة للنقابة التي ينتمون إليها ، ويجب الإشارة إلى أن هناك قرى بأكملها سكنتها أعضاء من نفس الصنعة؛ أي أن أصحاب الحرفة الواحدة كانوا يعيشون بمكان واحد ، حتى دكاكينهم أخذت صفاً واحداً في الأسواق [2]، مما جعل كل منطقة من مناطق سورية تمتاز بإتقان صناعة معينة.

وبناء عليه كان لكل حرفة شارع أو سوق خاص يسمى باسم الحرفة الصناعية ، مثل سوق الصبلغين والعطارين وغيرها من الحرف ، حتى إنّ القرن الثالث امتاز بانتساب الحرفة تبعاً لمكان صناعتها ؛ فمدينة صور تمتاز عن غيرها من المدن السورية بصناعة الأصبغة ومدينة صيدا بصناعة الزجاج ، واللاذقية بالكتان والمنسوجات الكتانية ، وتدمر في صناعة المنسوجات القطنية والحريرية [3]،و دوراأوروبوس بصناعات فخارية المتعددة، وخاصة التي تستعمل لتخزين الزيت الذي اشتهرت به أغلب المدن السورية.

---

(1) شيفمان ، ص 81-85.

(2) Heichelheim , p189.

(3) تشارلزورث ، ص 150.

وبذلك نستنتج أن يكون التجمع الحرفي قائماً على أساس الحرفة التي تمارسها الجماعة، وهذا يؤكده النقش [1]الذي يعود إلى القرن الثالث الميلادي من مدينة تدمر،والذي يشير إلى تواجد اتحادات حرفية قامت على أساس ممارسة الحرفة الواحدة كاتحاد العاملين في مجال الحلي والمجوهرات على سبيل المثال.

وهناك أيضاً وثيقة أخرى في تدمر مؤرخة في سنة 117م تشير إلى وجود جماعة دينية، وتكمن أهمية هذه الوثيقة في أنها تظهر بعض الصفات الداخلية لتنظيم هذه الجماعات، حيث يقف على رأس كل جماعة شخص يدعى ( Rb) ورغم أن هذه الوثيقة تتحدث عن أعضاء جماعة من الكهنة، لكنها تفيدنا بمعلومات عن وجود اتحادات حرفية تتجمع حول إله واحد . كما أن وجود هذا الواقع بحد ذاته يعطينا إشارة لوجود اتحادات تمثل باقي الجماعات الاجتماعية الأخرى [2].

وهناك نقش[3] مؤرخ سنة 243م يتحدث عن رئيس الجماعة يارخي بن اغريب بن يرخاي الذي خدم وأشرف على التنجيم وجلب الخمرة المعتقة للكهنة على مدى عام كامل .

ونستنتج من هذا النص أن رئيس الجماعة لم يبق في منصبه لأكثر من عام واحد وأن واجباته تتضمن التنجيم وتأمين الخمرة للكهنة وبعض الواجبات الأخرى الضرورية. وتشير الوثيقة أيضاً إلى عدد من الوظائف داخل الجماعة ، أي أن الجماعة كانت تمثل تنظيماً دينياً يمارس على وجه الخصوص إقامة الولائم ، بالإضافة إلى تقديم الهدايا وما شابه من أعمال لخدمة الإله ، ويعود منشأ هذه الجماعات الدينية إلى مرحلة سابقة للعصر الهلنيستي، ولكن هذا الطابع قد تغير بنشوء الاتحادات المهنية في العصر الروماني مستفيداً من النظم التي كانت قائمة أساسها على الجماعات الدينية[4] .

---

(1) شيفمان ،ص85. رقم النقش CIS.II, 3945.
(2) أحمد اسماعيل ، ص 455.
(3) شيفمان ص89 ، رقم النقش .CIS .II,3945
(4) المرجع نفسه ، ص 88-89.

وفي نقش[1]آخر يعود إلى سنة 267م يشير أن بعض هذه الجماعات قد تحول إلى قوة سياسية هامة ، حيث حاولت جماعة كهنة بعل في النصف الثاني من القرن الثالث دعم نفوذ عائلة أُذينة وزوجته زنوبيا ؛ لتحقيق طموحها السياسي بالاعتماد على الأشخاص الملتفين حول الجماعة ، ويبدو أن الجماعات الحرفية الأخرى مارست نفس التأثير بشكل ملحوظ ، ويبرز ذلك من النقش [2] الذي يعود إلى سنة258م، والذي يشير إلى إقامة نصب لسبتيميوس آذينة من قبل جماعة من الحرفيين العاملين في مجال الفضة والذهب. من خلال ما ورد نستنتج أن الحرفة شغلت حيزاً هاماً في الحياة الاقتصادية وحتى السياسية للمدن السورية ، وأن الإنتاج الحرفي قد انقسم إلى نوعين من الورش ، فبعض الحرف لا تتطلب تجميع عدد من العمال لذلك اقتصرت على صناعتها ، ونوع آخر لم يكن ممكناً دون اتحاد مجموعة من حرفيين قائمين في جمعيات لإتمام هذه الحرفة على أكمل وجه[3].

وتقودنا رواية لوقيانوس[4] إلى جوّ الورشة التي تعلم فيها الشخص الحرفة التي تم اختيارها؛ بأن المتلقن يغدو في احتكاك مباشر مع رب العمل منذ اليوم الأول لدخول الورشة، وأنه يعاقب فيما إذا اقترف الخطأ ، وعلى اعتبار أن مالك الورشة يتقن الحرفة هذا يعني أنه يشاركهم شخصياً في عملية الإنتاج على أنه كان يأخذ إنتاج تلاميذه لنفسه ، وكان على متلقن الحرفة أن يتعلم الصنعة من معلمه في مدة ليست بالقصيرة قد تمتد إلى عشر سنوات[5].

---

(1) نقلاً عن شيفمان ،ص89 ، رقم النقش .CIS .II,3942

(2) المرجع نفسه، ص89 ، رقم النقش .CIS .II,3945

(3) المرجع نفسه ، ص 83-84.

(4) سوري الأصل تعلم اليونانية

الرواية ( هي حول الاهتمام الذي أولاه والد الكاتب لمستقبل ولده فعندما بحث مع أصدقائه مسألة اختيار المهنة التي على ولده أن يتعلمها توجب عليه أن يأخذ بعين الاعتبار شح ميزانية العائلة وحاجتها إلى مساعدة عاجلة ويرسم لوقيانوس الصورة التالية لطريقة تفكير الابن " لو تعلمت حرفة ما لأصبحت أملك ما يكفي وتحررت وأنا في هذه السن من العوز وليس هذا وحسب بل ولأدخلت السرور إلى قلب والدي مقدماً إليه مدخولي "

انظر : شيفمان ، ص86.

(5) المرجع نفسه ، ص 90-91.

وعلى اعتبار أن الصناع السوريين كانوا يمتازون بالطموح في انتشار ورواج مصنوعاتهم، فقد سعى كثيرمنهم في نقل مؤسساته بكامل هيئاتها إلى الغرب وخاصة إلى روما، كما هو الحال لدى الحرفي ( آرتاس Artas)، الذي نقل ورشته التي تمتهن صناعة الزجاج من صيدا إلى روما ، وافتتح له فرع اً آخر في أقصى الشمال كما انتشر الحرفيون على طول نهر الراين والبلقان ساعين إلى رواج الحرفة السورية التي امتازت في دقتها وتفننها [1].

وفي حرفة بناء السفن التي تتمركز على جهود عدد من العمال قد يكون وا عبيداً أو عمالاً مأجورين؛ يبدو أن شكل هذا الإنتاج في هذه الورش اتسمت بالطابع السلعي بشكلٍ واضح، لذلك لا بد من أعضاء هذه الجماعة مجتمعة أن تدفع الضريبة السلعية ، أو يمكن أن يسمى تغطية النفقات المفروضة عليهم من قبل الدولة ، ولكن لا توجد إشارات واضحة إلى تأدية هذه المدفوعات ولا كيفية عملية تنظيم البيع السلعي من خلال النقوش، إلا أن هذا العدد القليل من النقوش التي تتحدث في أنواع الحرف يعطينا الحق بالقول: إن الحرف الأخرى غير المذكورة لم يفرض عليها الضرائب[2].

## ثالثاً- أهم الصناعات السورية:

### 1- الصناعات الغذائية ( الزراعية )

#### أ- صناعة الزيوت :

تأتي أهمية صناعة الزيوت كمنتج يومي للغذاء في المرتبة الأولى للصناعات الغذائية، وقد امتازت شهرة سورية بهذا المنتج نظراً لوفرة محصول الزيتون وجودة صنفه، إضافة لاستخراجه من السمسم ومن البندق [3].

ولا شك في أنها تقدمت تقدماً ملحوظاً بفضل اهتمام وعناية الإغريق بهذه الصناعة ، من خلال زيادة مساحة الأراضي المزروعة بمحصول وفير من الزيتون ،اشتهر بجودة

**(1) تشارلزورث ، ص 150.**
**(2) شيفمان ، ص 84-85.**
**(3) فيليب حتي ، ص323.**

صنفه، وكان طبيعياً أن ينتج عن ذلك قيام صناعة نشطة في إنتاج الزيت من صنف جيد، صادف رواجاً ملحوظاً في أكثر أسواق العالم القديم وأهمها روما والإسكندرية.

ويعد زيت الزيتون المستخرج من أشجار الزيتون المزروعة على المنحدرات الجبل ية الساحلية الأكثر رواجاً وانتشاراً ، نظراً لأسلوب وإتقان الحرفة ، وعند المناطق الفسيحة قرب حوض العاصي ، وبالتحديد في منطقة اللاذقية وأنطاكية ، فقد أبرزت المكتشفات الموجودة هناك على بقايا الكثير من المعاصر البازلتية التي ما تزال آثارها حتى الآن [1]، وكذلك في منطقة حوران وبشكل خاص في سيع حيث المنشآت الكرمية، وبالمقربة منها سلسلة أحواض العصر التي تنسب إلى القرن الثالث الميلادي [2] . أما في مدينة حمص وفي القسم الشرقي منها فقد عثر على الكثير من الرحى التي تستخدم في عصر الزيتون مختلفة الأحجام، وقد تراوح عددها نحو عشرين رحى [3] ، كما عثر على العديد من الرحى في قرية الفرقلس في حمص تعود إلى أسرة سمبسيغراموس[4].

ونظراً لتعدد أنواع الزيت فقد استخدمت في مجالات عدة ، فكان أفخر الأنواع يصنع منه الزيت المطيب ذو الروائح العطرة ، وهذا النوع كان يتم تصديره إلى الخارج ولا سيما إلى روما، و يعتبر هذا النوع من الزيوت ذو تكلفة عالية ، إلا أن الطلب عليه كان في تزايد من قبل فئات الشعب الثرية[5].

ولم يقتصر استخراج الزيت من الزيتون فحسب ، بل تعداد إلى زيت السمسم ،إذ ازداد الطلب عليه نظراً لفوائده الغذائية ، وإن كانت نسبه إنتاجه أقل من زيت الزيتون ، ونجد انتشاره في شمال مدينة دمشق وحمص [6]. كما استخرج الزيت من البندق وإن لم يكن

---

(1) Bouchier, p.164.

(2) جان ماري دانتز، تنقيبات في سيع ، ترجمة بشير زهدي ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 36-37 ، دمشق 1987 ، ص 189- 192.

(3) يوسف الدبس ،ج4، ص 141.

(4) عماد الدين الموصلي ، ربوع محافظة حمص ، دمشق 1981، ص134

(5)Bouchier, p.155.

(6) فيليب حتي ، ص 323.

ذا أهمية عالية، ورغم انتشار القطن والكتان في ولاية سورية،إلا أن المصادر لم تشر إلى استخراج الزيت من بذور كل منهما .وقد استخدم أرخص أنواع الزيوت في إضاءة القناديل ، أما الأنواع الجيدة فقد استعمل للطهي ، كما كان للزيت بعض الفوائد الكبيرة وقد احتل تجار الزيت مكانة عالية في العصر الروماني [1].

وقد تنوعت المعاصر بالنسبة لأحجامها وأشكالها [2]، فمنها ما يكون كبير الحجم و آخر صغير الحجم ، وبشكل عام نجد المعصرة ذات الشكل المجوف ، ويحميها سقف من الخشب يستند على أعمدة ، ومعاصر أخرى تكون ضمن حفرة صخرية ، بالقرب منها أحياناً حوض مستطيل ذو حجارة مدببة تستخدم لعصر الزيتون واستخراج الزيت منه[3]

## ب- صناعة النبيذ

كانت صناعة النبيذ من أهم الصناعات القديمة المنتشرة في آسيا الصغرى وجزر بحر إيجة[4]، وأدى اهتمام السلوقيين إلى توسع زراعة الكروم في أماكن مختلفة مثل اللاذقية وأنطاكية وجبيل وطرابلس وحوران وعسقلان [5]، وقد تصدرت مدينة اللاذقية[6]عن باقي المدن السورية في استخراج هذا المنتج ؛ نظراً لجودة نوعه عن باقي الخمور، مما جعله الأكثر طلباً في الخارج ، وبشكل خاص من قبل أباطرة روما ، كما صُدّر إلى بلاد الهند، حتى إن القسم الأكبر من النبيذ المُصدّر إلى الإسكندرية كان يأتي من مدينة اللاذقية [7].

كما نشطت صناعة النبيذ في منطقة جبل العرب لتوافر مادتها الأساسية أيضاً

---

(1) Pliny , N.H.XV,103.

(2) انظر الصورة رقم (3)

(3)Heichelheim , p192

(4)Rostovtzeff, S.E.H. pp.1253-4.

(5) فيليب حتي ، ص 336.

(6)Bouchier, p.111.

**(7)**Strabo Gecg, XVI, C751-752,8-9, p249.

والذي دخل ضمن السلع المتاجرة فيها لدى الأنباط ، وقد ذكر فيلنوف [(1)]أن معاصر العنب كانت متبعثرة في الريف ، وهذا يدل على أن بعض العنب كان يعالج في مكانه في الكروم بعد قطافه .

وكان يحفظ النبيذ في جرار مختلفة الحجم معدة لذلك ، وقد تم الكشف عن معصرة مع خوابٍ للخزن أثناء عمليات التنقيب في سيع ، مبنية بحجارة خشبية ، و الحجارة بحالة جيدة بما فيه الحجر الأوسط الذي يتضمن جزءاً محفوراً ( لا يعرف الهدف منه) ، ويتجه الميل العام في الأحجار نحو فتحة جريان تعود إلى خزان حجري مستدير ، والغرف الصغيرة موزعة على المحيط، وهناك أيضاً برج مجاور للمعصرة مبني من الحجارة ،قد يكون المقصود به مقراً لحارس أو برجاً للمراقبة ، واحتوت كافة القرى على معاصر العنب، ويمكننا مشاهدة بقايا أساسها الآن بالعين المجردة مبعثرة في مختلف القرى والخراب الأثرية [(2)].

كما عثر في شرقي حمص على أكثر من عشرين رحى لعصر العنب،وقد عرف عن الأسرة الكهنوتية سمبسغرام كثرة استخدام الخمور في معابدها المنتشرة في مدينة حمص خدمة للإله الشمس (Elagabalus)، وكان يتم عصرها بواسطة الرحى العديدة المنتشرة في مدينة حمص [(3)].

كما عثر أيضاً على عدد من معاصر النبيذ في أجزاء متعددة في شمال سورية وهي عبارة عن رحى في سقفها شقوق صخرية مدببة ، وجوفها كان محمياً بواسطة سقف من الخشب يستند إلى أعمدة ، وهناك معاصر أخرى تكون داخل حفرة صخرية تحت الأرض، وعادة يوجد حوض مستطيل مع حجارة مدببة تستخدم لاستخراج العصير،

---

(1) فرانسوا فيلنوف ، الاقتصاد الريفي والحياة الريفية في حوران القديمة من القرن الأول ق.م وحتى القرن السابع الميلادي ، سورية الجنوبية ، ترجمة أحمد عبد الكريم ، سالم العيسى ، ميشل العيسى ، ج1، ط1 ، دار الأهالي دمشق 1985، ص 176.

(2) بيير جانتيل ، عناصر جديدة لكتابة تاريخ ومناطق جبل حوران الجنوبي ، سورية الجنوبية ، ترجمة أحمد عبد الكريم ، سالم العيسى ، ميشل العيسى ، ج1 ، ط1 ، دار الأهالي دمشق 1985، ص 88.

(3) يوسف الدبس ، ج4،ص 144-145.

وبجواره بكرة صغيرة جداً من أجل المياه ، قرب قاع البركة يوجد صهريج مياه مستدير مغطى بغطاء حجري[1] .

وتذكر المصادر التدمرية في هذا المجال تكراراً لكلمة الخمر من ضمن المنتجات المصدرة إلى الخارج ، وهذا يدل على أن استخراج النبيذ كان يشكل قطاعاً رئيسياً في النشاط الإنتاجي والتجاري، حيث يذكر أنواع للخمور منها الخمور الكثيفة ومنها الخفيفة، وهناك نوع أخر من الخمرة الكثيفة ، وعلى الأرجح أن ما يميزها عن سواها فقط طريقة استخراجها حيث تستخدم لهذا الهدف عصّارات خاصة [2].

وقد هيمن التجار من Orants قرب مدينة Apamea على إحدى العلامات التجارية، للنبيذ السوري ، وأن معصرة العنب في هذا الجزء مازال منقوشاً عليها في أعلى الباب بواسطة عناقيد العنب [3]. وقد اختصت كل مدينة بتصدير منتجها لأماكن معينة، فمثلاً صدّر نبيذ دمشق لبلاد فارس ، ونبيذ اللاذقية وعسقلان إلى مناطق حوض المتوسط، وإلى روما نبيذ جبيل وصور [4].

## ج- صناعة الغلال والخبز

ازدهرت صناعة طحن الغلال في سورية نتيجة لوفرة إنتاجها من الحبوب مثل القمح والشعير. وطبقاً للتلمود فإن أرغفة الخبز كانت تخبز بمهارة منزلية من قبل خبازين محترفين، وحسب ماذكر أن هؤلاء الخبازين لا يتحملون أعباء جلب المواد من دقيق ووقود للخبز بل تؤخذ من الزبائن الذين يحملون الطحين والحطب لخبزه مقابل أجر معلوم. وعلى العموم فإن الاختراع الهلنيستي للطاحونة قد جعل من فن الطحن مهنة محترمة[5].

(1) أحمد اسماعيل ، ص 244-245.
(2) شيفمان ، ص 63.
(3) Heichelheim , p198.
(4) تشارلزورث ، ص 85.
(5) Heichelheim , p197.

## 2-الصناعات غير الغذائية
## أـ صناعة الزجاج

كانت لسورية شهرة خاصة في صناعة الزجاج منذ أمد بعيد ، وانتعشت أكثر في عصر السلوقيين ثم الرومانيين حيث ظهرت في هذا العصر مراكز جديدة لهذه الصناعة أيضاً إلى جانب مراكزها القديمة، وصنعت أنواع جديدة من الآنية الزجاجية التي وجدت رواجاً كبيراً في كافة أنحاء العالم القديم ، ونستدل على ذلك بما وجد من بقايا في تلك الأنحاء، والتي أثبتت الاكتشافات المتعددة التي سوف نذكرها أنها قد صنعت في إحدى مراكز إنتاج الزجاج الفينيقية الكثيرة [1].

وخلال العصر الهلنيستي استمرت المدن القديمة الواقعة على الساحل الكنعاني – الفينيقي (صيدا وصور) في إنتاج أصناف ممتازة من المصنوعات الزجاجية ، خاصة الزجاج المطّعم بالذهب ، وقد تصدرت مدينة صيدا التي اشتهرت برمالها الذهبية المائلة إلى اللون الأصفر الفاقع المدنَ الساحلية الأخرى في إتقان هذه الحرفة المتميزة والتفنن بها[2]، وقد تمتع الصيداويون بمهارة عالية في استخدام الحملاح " قصبة نفخ لإذكاء النار" والمخرطة وأدوات النحت المختلفة والصغيرة الحجم [3]. وقد أتت كل من صور وعكا في المرتبة الثانية بعد صيدا في هذه الصناعة ، كما اشتهرت مدن أخرى مثل دمشق وأنطاكية وحلب كما عثر على الكثير من الكؤوس الزجاجية في منطقة دوراأوروبوس .

ويشير شيفمان[4] أنه ابتداءً من عصر الإمبراطور كلاوديوس ( 41-54م) ، بدأت تتطور صناعة الأواني الزجاجية وتعدد طرق أشكال صنعها منها:

---

(1) محمد أبو الفرج العش ، الزجاج السوري المموه بالميناء والذهب ، مجلة الحوليات الأثرية السورية ، مج 16-ج1 ، دمشق 1966، ص5-7.
(2) تشارلزورث ، ص 85.

(3)Bouchier , p.152.

(4) شيفمان ، ص 85.

**1ً- طريقة الصب في قالب**

صنع الزجاج في البداية من خلال صب الزجاج المنصهر في قالب من الرمل ،  حيث يؤتى بقطعة من المعدن ويوضع حولها طين ورمل وتغرس في العجينة الزجاجية وهي في حالة تكون فيها لزجة ، وبعد سحبها من العجينة تشاهد عليها الطبقة الزجاجية ، وقد استمر العمل بهذه الطريقة اعتباراً من القرن الخامس عشر قبل الميلاد حتى القرن الأول الميلادي.  ونتج عن ذلك ظهور الأشكال الخزفية الإغريقية ، التي أثرت في صناعة الزجاج في المدن السورية ، وانعكس ذلك في أشكال الأواني الزجاجية ، التي تعود إلى القرن السادس والخامس قبل الميلاد . وأخذ صُناع الزجاج بزخرفة الأواني الزجاجية بزخارف نباتية [1].انظر الصورة رقم (4).تحتوي على ثلاث أواني زجاجية.  أ- الإناء ذو الرقم (1) إناء زجاجي كامل باستثناء كسر في الرقبة من جهة اليسار ، تظهر عليه عوامل الطبيعة ، وبشكل خاص على حافته الخارجية ،لونه أزرق ، يحمل بقعاً بيضاء (مقزح اللون)، يوجد بين الفوهه والعنق خطوط دائرية متوازية ، وله كعب ، يعلو سطحه زخارف نباتية على شكل ثلاث وريقات متناوبة ، الأولى والثانية خالية من التزينات أما الثالثة والعريضة فهي تحمل تشطيبات مصنوعة بالقالب[2] .

ب- الإناء رقم ( 2) وهو إناء سليم يشبه الإناء السابق وجد في دوراأوربوس ، لونه أزرق ، متقزح ، يحمل فقاعات ، وزخارف هندسية على شكل وريقات عريضة وأخرى تنتهي بزاوية في الأعلى،وتحمل الورقة الخامسة تشطيبات متناظرة ، يعلو الإناء خطوطاً دائرية متوازنة بين الفوهة والقاعدة ، كعب الإناء مستدير [3].

---

(1) بشير زهدي ، لمحة عن الزجاج القديم وروائعه ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 10، دمشق1960.ص122-123.

(2) A.Perinkins, Excavations at Dura-Europos , Final Report IV , part V.
the class vessel .Yale University1963.PIXXXII , p103.

(3)Ibid .p.115.

ج- الإناء رقم (3) لونه أخضر فاتح ضارب للبياض نتيجة تعرضه لعوامل الطيعة ، مما أكسبه تنقيرات مع بعض الفقاعات ، يبلغ عمق الإطار ( 14سم) ، تعلو الإناء خطوط مستديرة مسلفتها ( 2,6 سم) تقع بين الخط الأول والثاني تحت الشفة ، تعلو جسم الإناء زخرفة هندسية مكونةمن دوائر منتظمة بدً من الكعب ، وإنتهاءً بجدار الإناء[1] .

**2- طريقة نفخ الزجاج**

يرى بعض المؤرخين أن طريقة نفخ الزجاج تعود إلى بداية تأسيس الإمبراطورية الرومانية دون تحديد ذلك بدقة، ويرون أن تاريخ ابتكاره مع استعمال الأسطوانة في نفخ الزجاج إلى منتصف القرن الأول قبل الميلادي ، وذلك بعدما تقدمت صناعة العجينة الزجاجية في المدن السورية ، ولا في سيما صيدا وصور ، ولا شك أن ابتكار طريقة النفخ في صناعة الزجاج ساعدت على تقدم هذه الصناعة وانتشارها ورخصها،ويرى(زهدي) أن أقدم أنواع الزجاج المصنوع بطريقة النفخ يعود إلى القرن الأول الميلادي[2].

- نفخ الزجاج في قالب :

يعود ابتكار نفخ الزجاج في قالب إلى سكان الساحل الكنعاني – الفينيقي ، فهم يستعملون القوالب الخشبية لنفخ الكتلة الزجاجية فيه ، وذلك لإعطائها شكل القالب ، ولهذا نلاحظ أن الزجاج المصنوع في قالب يمتاز بخصائص تكاد تكون واحدة . تتألف القوالب الزجاجية من قطع عدة ، كانت تساعدهم في الحصول على زخارف كثيرة تغطي سطح الأواني حتى قمتها ، وتساعد في صنع الأواني ذات الفوهات الواسعة كالبالون كما في الصورة رقم (5)،التي تحتوي على إناء زجاجي [3]، وأن هذا الإناء ذو اللون الأزرق صُنع على شكل قارورة بطريقة النفخ ، وهو عبارة عن ثلاث انتفاخات تشبه البالون لها ثلاث رقيبات،وثلاث فوهات أسطوانية الشكل ، ثبت فيه عروة عريضة محززة ، تصل

---

(1) Perinkins, p.115.

(2) بشير زهدي ، 1960 ،ص122-123.

(3) Perinkins, p.103.

العروة بين رقبتين من الإناء الثلاثي الانتفاخات ، والجسم باثنين من الانتفاخات المتصلة مع بعضها . الإناء كامل ماعد ا كسر في العنق يقع تحت الفوهة ، وقد تعرض الجسم الخارجي لتأثيرات الطبيعة ، فنرى اللون أصبح متقزحاً وفيه فقاعات داخلية[1]،وهو من أجمل الأواني الزجاجية المكتشفة في دوراأوروبوس .

يتميز زجاج القرن الأول والثاني الميلاديين بلونه الأزرق المخضر ، كما نلاحظ فيه قلة التنوع في الأواني ذات العرى الغليظة ، التي تشكل مع الإناء زاوية قائمة [2].

نلاحظ أن أشكال الأواني الزجاجية كانت تتشابه مع أشكال الأواني المعدنية المنتشر ة في الصورة رقم (6)، تبين عدة نماذج زجاجية.

1- الإناء ذو الرقم (1) من مكتشفات جامعة يل يحمل الرقم 736:

وهو إناء عثر عليه في بوابة تدمر ، مكسور الفوهة ، ما يميز هذا الإناء الطويل المتصل مع انتفاخ في الوسط ، يميل إلى اللون العاجي ، حوافه رقيقة ، نلاحظ أثر عوامل الطبيعة عليه ، حيث نجد فقاعات وأثار التربة الملتصقة ، واللون المتقزح .

2- الإناء ذو الرقم (2) يحمل الرقم 718:

الإناء مضلع الشكل ، ضارب للزرقة ، تبدو الفقاعات واضحة على الجدار الداخلي ، له قاعدة مستديرة ، نلاحظ أنه أكثر اتساعاً في القاعدة ، ويضيق باتجاه الفوهة المستديرة.

3- الإناء ذو الرقم (3) يحمل الرقم 711.

لونه أخضر سليم، تظهر عليه بقع سمراء من تأثيرات العوامل الجوية ، لكننا نلاحظ أنّ عليه تقزح لوني و فقاعات .

4- الإناء ذو رقم (4) يحمل رقم 726:

الإناء كامل ، جسم الإناء يبدأ بحوض أسطواني ، واسع في الأسفل يضيق باتجاه. الأعلى، كما نجد اتصال الرقبة بالإناء ، وتعلو ه الفوهة المستديرة ، الإناء ملون بألوان

---

(1)Perinkins, p.103.

(2) بشير زهدي ، 1960، ص 126.

ضاربة للصفرة ، نلاحظ أثر العوامل الطبيعية عليه، مع بعض التقزح اللوني ، تظهر عليه بقع سوداء كما صنع بطريقة النفخ في القالب الزجاجي الحليبي اللون والذي يعود ايضاً للقرنيين الأول و الثاني الميلاديين ، وهو من أقدم وأجمل أنواع الزاج غير الشفاف . انظر الصورة رقم (7).

- الزجاج المنفوخ في الهواء بواسطة أسطوانة:

توصل بعض الحرفيين إلى صناعة الزجاج بالهواء، منذ بداية القرن الأول الميلادي، دون الاستعانة بالقوالب [(1)]، و أتاحت هذه الطريقة للحرفيين صنع أوانٍ زجاجية، تتألف من عدة انتفاخات ، يعلو بعضها بعضاً ، وأضافوا لها العرى اللازمة ، ووضعوا القواعد والكعاب اللازمة لها .وبعدما كان لون الزجاج أزرق أو أخضر أخذ الزجاجيون يميلون إلى إيجاد الصفاء في لون ه ، الذي أصبح كما لو كان شفافاً [(2)]، وانتشرت الأواني الشفافة في أواخر القرن الثاني الميلادي . انظر الصورة رقم (8).

ومع العصر الروماني بدأت زخرفة الزجاج بالخيوط الزجاجية والحبيبات والأقراص من لون الزجاج أو لون مغاير له ، وقد عرفت منها أنواع الخيوط : منها مستقيمة أومتموجة أو منزلقة بالتسحيب ومقصصه ، ويعتبر هذا النوع من الزخرفة بالخيوط ممهداً للزخرفة بالميناء، والتي برع بها الفنانون خلال القرن السادس والسابع الميلاديين، ويذكر Lamma أن هذه الطريقة ابتكرت منذ العصر الروماني [(3)] إلا أن سميث يعيدها أو يعتبرها إبداعاً عربياً [(4)].

وكذلك ازدهرت الزخرفة بالخيوط الزجاجية البيضاء أو الملونة ، وفي الوسط الزجاج الأزرق أو الأسود، فقد ازداد إنتاجها خلال العصر الروماني [(5)].

---

(1) فيليب حتي ، ص 215.
(2) بشير زهدي ، 1960، ص 126.
(3)Lamma. Mitteeterliche . Glaser and Steinschaitarbeiten. Aus. Dem. Nahen. II. Tafel .p.20-24. نقلاً عن العش
(4 ) نقلاً عن العش ص37. Smith, Glass from the ancient world, 1975, p.257-257.
(5) محمد أبو الفرج العش ، ص 38.

إن أهم الصناعات الزجاجية تميزت في الأواني الزجاجية ، ولا سيما الصحون التي زخرفت ولونت بأشكال متعددة ترمز لأشكال نباتية أو دينية ، وغالباً ما تكون بالنحت البارز [1].

وهناك المصابيح والكؤوس والأقداح واللوحات الفسيفسائية ، وزجاج البواق المصمم بألوان زاهية، والمصابيح المموهة بالميناء والذهب[2].

أما عن أهم اللقى المكتشفة فسوف نبرز أشكالها وتواريخها طبقاً لما توضحه التنقيبات الأثرية :

1 -كأسين متشابهين عثر عليهما قرب معبد الإله نبو الذي تم هدمه على يد الإمبراطور أورليان سنة 271 ق م أحدهما من الزجاج الأخضر المزوق عبر الشفاق ، عليها صورة لونت أجزاؤها بورقة لهيبة بعد أن عرضت للنار ، تظهر فيها صورة شاب قوي ظاهر العضلات، يمسك قرن وعل يتحرك بعنف.

2 -عثر في دوراأوروبوس على أبريق زجاجي رسم عليه مشاهد الفسيفساء الزجاجية التي وجدت في منطقة بلاد الرافدين ، والمعتقد أن صناع الزجاج السوري كانوا يجوبون بمنتجاتهم عبر الطريق التجاري ، طريق الحرير الذي كانت تدمر مركزه الرئيسي في القرن الثاني والثالث الميلاديين[3] .

3 -صحن صغير من الزجاج الرقيق المدهون ، رسمت عليه صورة مشهد عن مواقع تل أم حوران، وهناك كرة صغيرة من طاسة زجاجية نادرة ، رسم عليها صورة غزال من أهم مكتشفات تدمر 1961 م [4].

---

(1)Sartre, l991 .p.350.

(2) بشير زهدي ، لمحة عن المرايا القديمة ونماذجها في المتحف الوطني بدمشق ، الحوليات الأثرية السورية ، مج20، دمشق 1970، ص27-29.

(3) سليم عادل عبد الحق ، أواني زجاجية مصورة من العهد الروماني ، الحوليات الأثرية السورية ،مج15،ج1، دمشق 1965، ص 87-92.

(4) الزجاج عبر التاريخ ، مديرية الآثار والمتاحف ، وزارة الثقافة ، دمشق 1964، ص 10-15.

4- صحون زجاجية خمرية اللون ، طريق النفخ في قالب ، قارورة زجاجية عسلية ذات عنق اسطواني وفوهة عريضة زينت أشكالها بحبات عنقود العنب من حوران ، وهذا طراز الفن في القرن الثالث الميلادي .

5- مرآة زجاجية من روائع مكتشفات مدينة حمص و سوار زجاجي عريض من حوران.

إن هذه الصحون المصورة تشبه بالألوان التي طليت بها المشاهد الممثلة ، فيها وإن هذه الاكتشافات تعزز القول بأن سورية كانت موطن صنع هذه الأواني التي تعد من أروع ما أنتجته صناعة الزجاج في العصور القديمة .

نستدل من هذه اللقى على استخدام الألوان المختلفة التي امتاز ت بها هذه الفترة، بالإضافة إلى الأشكال الحيوانية والنباتية و الهندسية المتعددة ، والتي صورت وقائع تلك الفترة كما الحال باللوحات الفسيفسائية الزجاجية التي تعود أيضاً إلى هذه الفترة .

وخلال حفريات 1947م عثر على صحن زجاجي ملون وأكبر الظن أنه يرقى صنعه إلى النصف الثاني من القرن الثاني أو النصف الأول من القرن الثالث الميلادي.

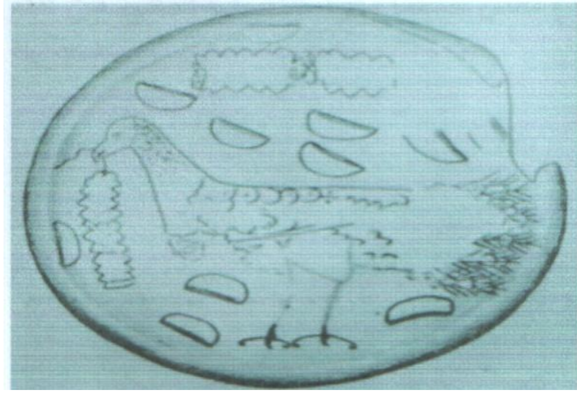
وفي سنة 1955م تمكنت مديرية الآثار بالاستعانة بالخبراء من إجراء حفريات أثرية هامة في موقع أم حوران شمالي قرية نوى ، التي كانت مدينة هامة في العصر الروماني ، وتم اكتشاف مقبرة قديمة ، واعتماداً على النقود التي ظهرت في القبر تبين أنها تعود إلى أوائل القرن الثالث الميلادي ، وعثر على أربعة صحون ملونة تعود للنصف الثاني من القرن الثاني الميلادي[1].

الصحن الأول ذو سطح زجاجي مقعر استخدم اللون الأسود في رسم إطارات الأشكال التي تظهر في تأليف الموضوع الم مثل فيه ، ثم جعلت المساحيق البيضاء والبنفسجية والخضراء ضمن هذه الإطارات بعد أن أدخلت في تركيبها المادة الصمغية ، وضمن

---

(1) الزجاج عبر التاريخ ، مديرية الآثار والمتاحف ، ص 10-15.

الأشكال الظاهرة في الصحن نجد طاووساً يرى وجهه الجانبي حاملاً بمنقاره إكليلاً من العشب، وفوق الطائر إكليل آ خر وحوله حوالي عشرة كؤوس ، وللطاووس معنى رمزي(إشارات للانبعاث والخلود )، وكذلك الإكليل والكؤوس الموزعة حوله لها نفس المعنى(1).



الصحن الأول



الصحن الثاني

الصحن الثاني يشبه الصحن الأول، فقد زين بنفس الأسلوب، تمثل فيه الطاووس من وجهه الجانبي ويحمل بمنقاره اكليلاً إلا أنه زالت الألوان عن قسم كبير منه.

أما الصحن الثالث فهو صغير الحجم، انفصل جزء من أسفله، وزين بالطريقة ذاتها، تمثل صورة جانبية له جناح عصفور يحمل بيده اليمنى كأساً والأخرى عنقوداً من العنب ، واستخدمت الألوان لتبيان الشكل المراد ، وترمز الصورة إلى اعتبار الروح أنها تفارق الجسد كطائر له جناح عصفور ، وغالباً ما ترى على المدافن السورية تصاوير أطفال جانحة وهم يحملون الأعشاب ويعصرونها في شربة للخلود (2).انظر الصورة رقم(14).

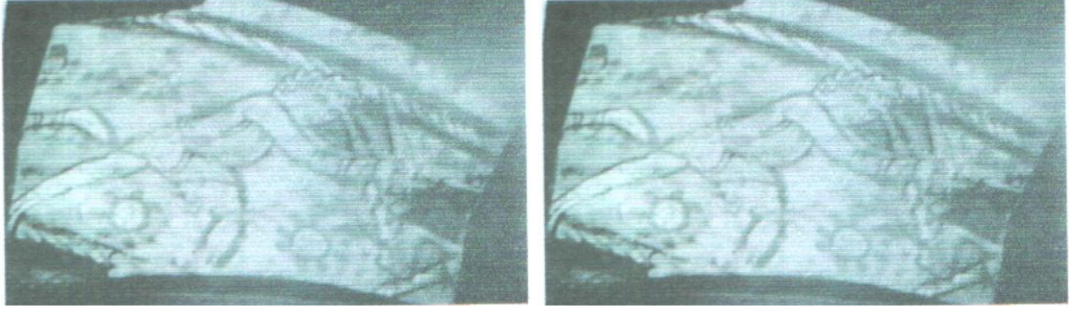
وتم العثور على كسرات زجاجية ذات أشكال ذهبية في تدمر وهي من أهم مخلفات الصناعة الزجاجية السورية ويعتقد أن هذه الكسر كانت لكأسين متشابهين .

---

(1) سليم عادل عبد الحق ، 1965 ، ص87-88.

(2) المرجع نفسه ، ص89.

تتألف الكسرة الزجاجية الأولى من الزجاج الأخضر المزرق الشفاف عليها صورة لونت أجزاءها بورقة ذهبية ، وعليها شاب قوي الجسم يعتقد أنه هيراكلس – ملقارات المنتشرة عبادته في تدمر ، وهو يمسك بقرني وعل يتحرك بعنف .



صورة رقم (15)

الكسرة الأولى الكسرة الثانية

أما الكسرة الثانية فهي من نفس نوع زجاج الكسرة الأولى ، عليها صورة وعل آخر في حركة عنيفة ، يظن أنها لنفس الكأس السابقة .

الكسرة الثالثة تخالف الاثنتين ، زجاجها أقل سمكاً ،يرى عليها رجل يلبس سرو الاًعريضاً،ويعتقد أنها جزء من كأس ثان وهي مزينة أيضاً بصور ذهبية .



الكسرة الثالثة

وهذه الكسرالزجاجية الثلاثة مشابهة لنفس الكسرة الزجاجيةالمذهبة المكتشفة في دوراأوروبوس وهي من النماذج النادرة والتي اكتشفت في سورية ، وكلها تعود لفترة النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي وبداية القرن الثالث الميلادي.

---

(1) سليم عادل عبد الحق ، 1965 ، ص87-88.

وقد سعت الأسر الثرية بغبطة إلى اقتناء أطقم الأواني الزجاجية ،التي كانت في الغالب بديعة النقش دقيقة الصنع ، بينما اقتصرت الأسر الفقيرة على اقتناء الأواني الفخارية غير المصقولة ، ويشير هايشلهايم بأن من يتقن أن حرفة فن صناعة الزجاج تعبير عن كبار الأثرياء لأنها تجلب الربح السريع [1].وتذكر المصادر التي تتحدث عن الورش الصناعية التي تتم فيها صناعة الزجاج ، فهي تضم عدداً من العمال ، والانجاز والعمل بدقة، وقد كانت كثير من الصناعات تحمل أسماء صناعها المهرة أو أصحاب الورش المتعددة من أشهرهم أرتاس Artasوابنون Ennion الذي انتشرت منتجاته في مناطق متعددة مثل مصر وقبرص وإيطاليا وأماكن أخرى [2].



**صورة رقم (16) آنية زجاجية موقعة بإسم صانع الزجاج الصيداوي أرتاس**

أما عن باقي صناع الزجاج الموجودين في صيدا ، أو الذين كانوا يصدرون منتجاتهم إلى الخارج وبشكل خاص إلى الولايات الغربية نذكر منهم:

1- ايرني Eirenaios 2- ياسون والذي كان له فروع من أعماله في أماكن متفرقة وبعيدة إلى حد ما في أرجاء الإمبراطورية 3- ماغي Viston -4Meges ويعتقد الباحثون أن ورشته معاصرة لورشة اينون [2].إن منتجات هذه الورش المتعددة كانت تصدر إلى مدن حوض المتوسط، وحتى إلى بعض مراكز البحر الأسود مثل أوليفيا [3]، وقد اكتشف عدد كبير منها في الولايات الغربية ( الغال روما )[4].

---

(1)Heichelheim , p190-191.

(2) شيفمان ، ص 82-83.

(3)Heichelheim , p190.

(4) شيفمان ، ص83.

كما كان لهولاء الصناع فروع في أماكن متعددة من أجزاء الإمبراطورية ، فمثلاً كان لاينون ورشات فرعية بالقرب من روما ، وفي سنواته الأخيرة نقل أعماله كلها إلى عاصمة الإمبراطورية [1].

## ب- صناعة المرايا

عرفت سورية صناعة المرايا في تاريخها القديم ، ويدل على ذلك المشهد المنقوش على نصب أرامي مكتشف في مرعش ، يمثل المشهد فتاة صغيرة واقفة قرب أبويها وبينهما مرآة .

وانتشر استخدام المرايا عند الرومان ، نتيجة الثراء الاقتصادي والرغبة في الظهور بالمظهر الأنيق ، الذي يعبر عن الثروة والرخاء الاجتماعي ، وتعتبر صناعة المرايا من الصناعات الفنية ، حيث أخذ صناعها يتفننون في إبراز هذه الصناعة ، ومنها المرايا المستديرة ذات المقبض المزين بزخارف نباتية أو إنسانية ، إضافة إلى المرايا المحفوظة في متحف حلب ، والمرايا ذات القاعدة النادرة الشكل ، كما أبدع الصناع في صناعة المرايا المعدنية ( الذهبية والفضية والبرونزية ) بأنواعها، ومنها المرايا اليدوية ، التي كانت تعتبر بمثابة حلي جميلة ، يزين سطحها الخارجي ومقبضها بزخارف فنية متنوعة، وهناك المرايا الجدارية، وتنقسم إلى نوعين حسب مادة الصنع[2].

## 1- المرايا المعدنية

ومنها المرايا البرونزية النحاسية ، التي تتميز بقرص نحاسي مصقول ومسطح قليلاً في قسمه العلوي ، وهي متعددة الأشكال ، ومنها مرايا لها مقبض من مادة البرونز أو العاج أو الخشب أو العظم .

---

(1) تشارلزورث ، ص 150.

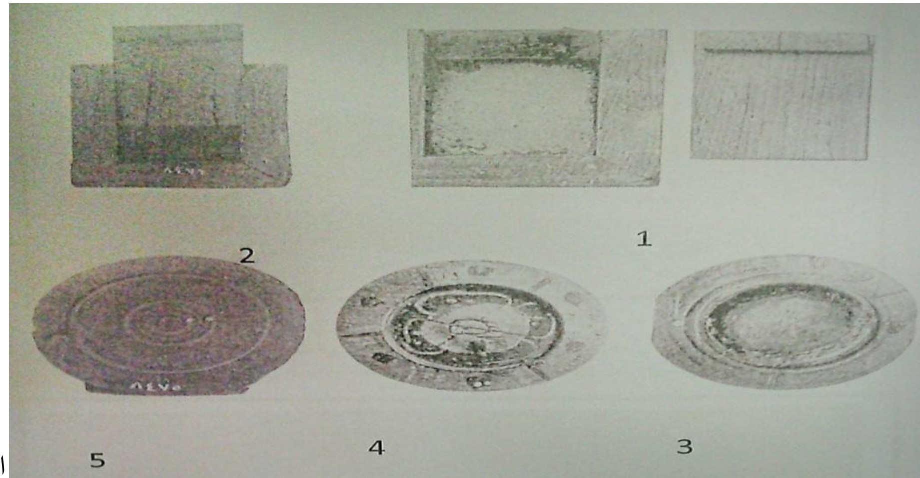
(1)N.P,.Toll , the Excavations at Dura-Europos,Prelmenary. Report of the Ninth, Season of Work 1935-1936, part 11. The N ecropolis, London Oxford 1946.p122-123.

وقد اكتشفت في مدافن دوراأوروبوس مرايا برونزية ، وعليها تأثيرات عوامل الطبيعة ، وكان التأثير شديداً على طلاء الفضة ، وهناك شكلان من المرايا ، الأول مستطيل والثاني مستدير ، تظهر المرايا مرتبة على شكل صفائح برونزية مطلية بالفضة ، ولا تزال محافظة على جودتها السابقة مع وجود طبقة عازلة لحماية السطح المطلي ، أما المرايا المستديرة فهي أكثر انتشاراً ، وقد وجد في دورا خمس عشرة كسرة محفوظة ولا تزال ضمن إطارها الخشبي . كما عثر على مرآتين كبيرتين في المدفن 47- والمدفن 54. من النماذج الموجودة البرونزية في المتحف الوطني في قاعة ( دوراأوروبوس) المرآة ذات الرقم (3727) ، وهي مرآة برونزية مفضضة ، محفوظة في علبة خشبية ، لها سحاب ، طولها 9,5سم ، وعرضها 8,2سم، وتظهر هذه المرآة بصورتين في الصورة رقم (17) وتحتوي على :

أ - المرآة ذات الرقم (1) من اليمين ، تظهرالمرآة بدون غطائها الخشبي ، الذي يبدو منفصل عن المرآة .

ب -المرآة ذات الرقم (2)، تظهر المرآة مع غطائها.

ت كما نشاهد في المرآتين ذوات الرقم ( 3-4-5) أطر دائرية مزخرفة لمرايا زجاجية لم يبقَ منها إلا إطارها الخارجي [1].



الصورة رقم (17)

(1) بشير زهدي 1970 ، ص11،12، 19.

## 2- المرايا الزجاجية

كثر استعمال المرايا الزجاجية منذ القرن الثالث الميلادي ، يذكر (زهدي) أن المرايا مؤلفة من طبقة زجاجية مغطاة بطبقة من الرصاص المذاب ، وتعتبر المرايا من ابتكار صيدا حسب رأي بليني ، حيث ابتكر صانعوا الزجاج في صيدا صناعة المرايا الزجاجية ، وأخذوا يعتمدون على الأشكال التقليدية ، التي كانت سائدة في صناعة المرايا المعدنية ويقتبسون منها ، وينسخون عنها ، ويحرصون على التفنن في صناعتها وزخرفتها [1].

## ج- صناعة المنسوجات

نشطت هذه الصناعة في العصر الفارسي وتطورت في العصر الهلنيستي ، نتيجة استقرار أعداد كبيرة من المقدونيين والإغريق في سورية ، وكانوا يألفون استخدام الملابس الصوفية، ويذهب روستوفتزف [2] إلى أن صناعة المنسوجات الصوفية والكتانية في سورية وبابل لم تكن تقل عن نظيرتهما في مصر ، وأن صناعة الأقمشة كانت من أعظم التقاليد التي حرصت عليها فينيقية ، بالإضافة إلى شهرتها التقليدية في صناعة الحرير بأنواعها .

وقد امتازت صناعة المنسوجات عن غيرها من الصناعات بعدم تأثرها المباشر بالاضطرابات التي كانت تحدث، وهذا يظهر جلياً من خلال إتقان محترفي هذه الصنعة للقطع النسيجية التي تشير إليها المكتشفات الأثرية ،أن النساجين وجدوا في سورية ، وكان هناك مصانع للنسيج السوري اكتشف بقاياها في دورا وتدمر [3]،

(1) بشير زهدي ، 1970 ، ص11-12.

(2)Rostovtzeff , S.E.H. p.540.

(3)Bowersock, p.68.

وأيضاً في اللاذقية وصوروبعلبك وبيروت [1]، وتُعتبر سورية المنافس الأول والوحيد في هذا المضمار ومعظم المراكز المذكورة كانت أيضاً مراكز لإنتاج خيوط النسيج[2].

كما أثر الرخاء الروماني على تطور هذه الصناعة في ولاية سورية ، التي اعتبرت من أولى الصناعات في هذه الولاية. ولما كانت الملابس إحدى متطلبات الحياة الرئيسية سواء كانت من النوع الفاخر أم البسيط، فقد لاقت هذه الصناعة أهمية كبيرة. وقد نسجت الملابس في المدن السورية من ثلاث مواد أولية هي الصوف والكتان والحرير ، وكذلك القطن، وإن كان قليل الاستخدام إذا ما قورن بالكتان والحرير[3].

ومن المعروف أن المدن الفينيقية كانت لها تقاليد عريقة في عالم الصناعات النسيجية، تعود جذورها إلى ما قبل العصر الهلنيستي ، وقد حافظت هذه المدن على هذا التقليد، واستمرت كمراكز كبيرة لهذه الصناعات التي لاقت ازدهاراً كبيراً في العصر الروماني؛ من حيث ازدياد إتقانها وتنوعها . وقد ذكر استرابون[4] أن أهل صيدا استفادوا من تجربة أسلافهم وزادوا عليها دقة وإصلاحاً، ولا سيما فيما يخص أصبغة المنسوجات التي تخص حاجات الجيش الأساسية ، وكانت معظم اليد العاملة في هذه الحرفة من النساء اللواتي يعملن لسد احتياجات القوة العسكرية[5].

---

(1) روستوفتزف ، ص 119.

(2)Butcher, p.211.

(3) آن ماري شتوفر ، ص 309.

(4)Strabo Gecg, XVI, C758, p249.

(5) تشارلزورث ،ص 85.

## 1ً- صناعة الكتان

أخذت الصناعات الكتانية حيزاً هاماً من الصناعات النسيجية السورية وساعدها على ذلك نمو الكتان في هذه المنطقة ، وبشكل خاص في صور وجبيل [1]. وتصنف مدينة اللاذقية كمركز هام لإنتاج الكتان [2] ، وتعتبر كل من مصر وسورية من المصادر الرئيسية للسلع الكتانية للإمبراطورية . وقد تميز الكتان الجيد منه بنعومة ملمسه[3]، فهو نسيج يصعب تشربه للسوائل، ويبقى محافظاً على لونه، فيصنع بألوانه الطبيعية [4]. ومن أهم المصنوعات الكتانية كانت العباءة [5] والأردية ، وكانت التنورة تصنع قطعة واحدة سواء القصيرة منها أم الطويلة ، والبارز منها التنورة المطبقة أو المزركشة ، ونجد ذلك في كل من اللاذقية وبيبلوس وبيروت وصور [6].ومن خلال دراسة الأزياء الظاهرة على المنحوتات التدمرية نجد أن معظمها صنع من الكتان.

أما عن طراز النقوش التي تزين بها الأقمشة الكتانية وكذلك الصوفية فكانت تضم عناصر نباتية سورية المنشأ على عكس الأقمشة الحريرية ذات العناصر الهندسية والحيوانات الخيالية [7] .

كما صنعت دوراأوروبوس المنسوجات الصوفية ، وهذا نموذج من مكتشفات المنسوجات الصوفية في الصورة رقم (18).

---

(1) أحمد اسماعيل ، ص 445.

(2) شيفمان ، ص 84.

(3) يعرف جودة الكتان عن طريق جودة الوزن ومن المشاهدة واللمس فكلما كان ألين وأرطب فهو أفضل وعيوبه التي يعرف بها الرديء منه ولا سيما الخشونة .

(4) آن ماري شتوفر ، ص 309-310.

(5) العباءة شال ذي سدوة من الكتان وأحياناً يدمج معها الصوف وتصنع أشكال السدوة وفقاً للطراز المنقوش ومعظمها كان ينقش بعناصر زخرفية نباتية سورية المنشأ.

(6) تشارلزورث ، ص 5149.

(7)أحمد الطه، أزياء الرجال في تدمر، الحوليات الأثرية السورية ،مج 32، دمشق 1982 ،ص166-167.

## 2ً- صناعة الأصواف

تداخلت المنسوجات الصوفية في تركيبها مع المنسوجات الأخرى وخاصة الكتانية،إذ إن جميع النماذج الصوفية المتعددة الألوان تمت حي اكتها بواسطة تقنية النسيج المزدان بالرسوم والصور ، وبالرغم من بساطتها فإن النسيج التدمري يظهر مدى مهارة النساجين في إبداعاتهم بتقنيات الحياكة [1].

وهناك المنسوجات الصوفية ذات الغرزات الكثيفة والتزيين المسرف بالأنسجة العائدة إلى متطلبات الذوق السوري آنذاك ، ولا نذكر تقليد التدمريين لحياكة الصوف على الطراز الصيني ومن الأمثلة عليه النسيج باللون النيلي الذي يشبه النسيج الصيني الشفاف، ولم تعد التزينات تضاف بطريقة السجاد ، وإنما يتم نسجها بإضافة خيط إضافي لها .

وتمكن الحائكون التدمريون من إنتاج النسيج الذي يحوي على أجزاء غير محاكة مثل تلك الموجودة على النسيج الصوفي الأرجواني الذي عثر عليه في المدافن التدمرية. كما استخدم الصوف ذو اللون الأرجواني في التقليمات غير المزينة والمساحات اللونية الواسعة أو كخلفية لزخرفة جميلة [2].

## 3ً- صناعة الحرير

يعتبر الحريرمن أفضل المواد من أجل غزل ونسج الملابس الرفيعة، إضافة إلى خصائصه المتميزة كاللون والنعومة والمتانة ، مما جعله مادة جميلة حرص الملوك القدماء وكبار الأغنياء من رجال ونساء على شرائها والظهور بمظهر الغنى والترف والجمال ، إذ كان الثوب يصنع من الحرير تارة وتارة ينسج الحرير مع القطن أو الصوف ، وتزايدت أهمية الحرير اقتصادياً فغدا موضع التبادل التجاري ،

---

(1) بشير زهدي ، طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل التجارية ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد 39-40، ط1، دمشق 1991، ص119.
(2) آن ماري شتوفر ، ص 311.

وأصبح له سوق خاصة به ، ومع تزايد أهميته جعل طريق القوافل التجاري الذي تنقله من الصين إلى روما يعرف باسم طريق الحرير [1]، وقد ساعد على ذلك سهولة نقله لخفة وزنه.

وكان الحرير الصيني يصل إلى المدن السورية بشكل خيوط أو نسائج وتتم حياكته على مراحل عدة:

1- حياكة خيوط الأقمشة الحريرية.

2- صبغ الخيوط الحريرية بالألوان وخاصة الأرجواني.

3- حياكته بالمطرزات المختلفة مما كان يضاعف ثمنه [2] .

وقد نسج الحائكون الأقمشة الحريرية إما بخيوط كتانية أو بخيوط قطنية وصوفية ، وذلك بنسب مختلفة ، وكثيرا ما كانوا يضطرون لإعادة استخدام خيوط الأقمشة الحريرية الصافية المستوردة [3] .

ومنذ القرن الثالث الميلادي بدأ التميز الدقيق بين نوعين من الملابس الحريرية:

1- ملابس قماشها من الحرير الصافي Vetementum .

لم تكن عامة الانتشار بل خاصة بالأباطرة وكبار الأثرياء .

2- ملابس قماشها من خيوط كتانية وقطنية مع خيوط حريرية ( Vestes Subsericae) [4].

ويذكر بأن الإمبراطور ايلاجبالوس هو أول من ابتدع عادة تدثر الأباطرة بالملابس الحريرية الجميلة الصافية ، في وقت كان فيه يندر الحرير لارتفاع ثمنه الباهظ مما

---

(1) بشير زهدي ، 1991 ،ص 119.

(2) بشير زهدي ، طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل التجارية ، الحوليات الأثرية السورية ،دمشق 1996، ص135.

(3) موريس شهاب ، دور لبنان في تاريخ الحرير ، بيروت 1968 ، ص19.

(4) بشير زهدي ، 1991 ، ص121.

يحول دون حياكة الأقمشة من خيوط حريرية صافية فقط ، وقد اعتبر هذا التصرف وتدثر الرجال بالملابس الحريرية الصافية تصرفاً لا يليق بالأباطرة آنذاك .

ولم يقتصر التدثر على أباطرة روما الرجال فقط، فمع انتشار التميز بالذوق والجمال غدا يستخدم من قبل السيدات الإمبراطوريات والراغبات بالظهور بمظهر الجلال والوقار [1].

ومع بداية عهد الإمبراطور أو رليان ( 270-275م) أصبح الحرير المصنوع باللون الأرجواني زيّ الإمبراطور وحاشي ة بلاطه ، وغدت من أهم الهدايا التي يقدمها الإمبراطور لموظفيه ذوي المراتب العالية أثناء الاحتفالات ، سواء أكان حريراً خالصاً أم منسوجاً ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل غدا الأداة الدبلوماسية في علاقات الإمبراطور التي يقيمها مع الملوك البرابرة كهدايا لهم ، وغدا الحرير يساوي به وزن الذهب رغم الانحدار الذي وصلت إليها العملة الذهبية في هذه الفترة [2].

إن اكتشاف العديد من القبور التدمرية التي تحوي على المنسوجات التدمرية تعد من أبرز الدلائل التي تظهر لنا استخدام التقنية السورية في حياكة المنسوجات خلال هذ ه الفترة، والتي تبرز لنا أيضاً مدى التطور الذي طرأ على المنسوجات بعد أن كان الاعتماد على المنسوجات المستوردة من أسرة هان الصينية منذ القرن الأول ق م ، والتي تمتاز بحسن الصنعة في اختيار الزخارف المرسومة والمتشابكة وفي اختيار الموضوعات المرسومة المتعددة إلى جانب جودتها [3].

وعلى ذلك تقسم المنسوجات التي تم اكتشافها في تدمر إلى قسمين :

الأول : منسوجات تدمرية محلية استخدم فيه ا تقنية النسيج الصوفي لحياكة الحرير ، ومن الممكن إضافة الكتان بالصوف في صناعته .

---

(1) بشير زهدي ،1991، ص121.

(2) جورج تات ، طريق الحرير في سورية في القرن السادس الميلادي ، ترجمة غادة الحسين ، الحوليات الأثرية السورية ، مج43،دمشق 1999، ص327-331.

(3) محمد وحيد خياطة ، علاقات تدمر الخارجية تجارياً ودينياً ، الحوليات الأثرية السورية ،مج 42، دمشق 1996، ص165.

الثاني : منسوجات مستوردة من الصين ذ ات نوعية ممتازة وبراقة من الخيوط غير المنسوجة، ونتيجة لمتطلبات الذوق التدمري فقد تم استيراد كميات وفيرة منه بألوان متعددة[1] وعثر على مثال لهذا النسيج في مدفن إيلابل[2].



صورة رقم (19)

نسيج من صوف أرجواني مُحاك مع خيوط حريرية ذونوعية جيدة وذو لمعة مثل الحرير

أما عن الأشكال الزخارف التي ميزت هذا العصر فقد كثرت الزخارف التدمرية التي تظهر رسوماً للزهور والورود بقياسات مختلفة [3]بالإضافة إلى الرسوم والصور المفززة بالخلفيةالغامقة للأرجوان ، التي تندمج تدريجياً في أرضية مظلمة وفاتحة عن طريق تداخل الصوف لمختلف درجات اللون ، وهذه التقنية الصعبة والتي تستغرق وقتاً طويلاً لم تكن تستخدم للصوف الأرجواني فحسب ، بل للألوان المتدرجة المحلية ، وهذا ما أكدته القطع النسيجية المكتشفة في تدمر التي تعود للقرن الثالث الميلادي ، كما حيكت المنسوجات الحريرية بأسلوب التويل الدمشقي[4]، حيث تم العثور على منسوجات بكميات كبيرة منسوجة بهذه الطريقة في تدمر وبلاد مابين النهرين [5].

أهم مصانع الحرير فقد وجدت في صور وبيروت وأنطاكية التي تنتهي إليها طريق القوافل القادمة من الشرق ، فقد ذكرت كتب الجغرافية أواخر القرن الثالث الميلادي و أوائل الرابع بأن مدن سورية كانت ترسل أنسجتها إلى أرجاء الإمبراطورية[6] .

---

(1) آن ماري شتوفر ، ص 309.
(2) لويس بيير غاتيه ، تدمر حمص أو حمص دون تدمر ، ترجمة عدنان البني ، الحوليات الأثرية السورية ، مج42، دمشق 1996، ص314-316.
(3) محمد حرب فرزات ، حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصين والشام ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد 39-40 ، دمشق 1991، ص98.
(4) التويل : عبارة عن نسيج متين مضلع .
(5) محمد وحيد خياطة، ص 165.
(6) يوسف الدبس ،ج3، ص 573

وقد أسفرت التنقيبات الأثرية في حماة عن لوحة من الفسيفساء (الصورة رقم 20)، وما تضمنته الفصول الأربعة ونباتاتها وأزهارها وورودها وسنابل القمح وآلة الحصاد ، وقد حفظت هذه اللوحة في متحف حماه ، وتعتبر هذه اللوحة من أنجح ما تركته الآثار الرومانية لبقايا الملابس المكتشفة في تدمر وتظهر وجود حرير من الصين والهند ،وإذا جاز لنا استخدام عبارة الحضارة السورية الرومانية فإن هذه اللوحة بما اشتملت عليه من صور تبرز بعض مظاهر الحضارة السورية الرومانية ، وقيام سورية بدور الوسيط في عملية التبادل بين روما والشرق القديم [1]. ويتألف الحرير المكتشف في تدمر من خيوط السداة واللحمة بشكل مختلط ومستمر ، وإن الزخارف الموجودة على النسيج الحريري الأحادي اللون تتألف من السداة الطويلة والمنظمة بشكل يطفو على سطح القماش [2].

إن أكثر الزخارف التي اكتشفت في تدمر والتي كانت تُنقش على المنسوجات الحريرية تظهر رسوماً للزهور والورود بقياسات مختلفة ،وللتميز بين أنواع المنسوجات فإن المنسوجات غالية الثمن التي كانت تأتي دائماً من تدمر على عكس المنسوجات التي تصنع في دوراأوروبوس فإن تكلفتها تكون أقل [3]. وهذه واحدة من مكتشفات دورا الحريرية، في الصورة رقم (21) .

## 4ً- صناعة البسط والسجاد

وهي من الصناعات النسيجية التي اشتهرت بها مدينة دمشق ويدعى بالسجاد الدمشقي، إذ اعتبرت دمشق مركزاً حرفياً هاماً لهذه الحرفة التي كانت لها شهرتها في كل منطقة حوض المتوسط ، ولم يكن سعره ثابتاً بل كان يحدد على أساس وزن الصوف المستخدم في صناعته، وكذلك حجم العمل وفقاً للوقت الذي يستغرق لإنجازه[4].

---

(1) مارسيل دوشيسن، لوحة فسيفساء من مريمين في متحف حماة ، ترجمة بشير زهدي ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 20، دمشق 1970، ص144-151.

(2) آن ماري شتوفر ، 309.

(3) محمد حرب فرزات ، ص 98.

(4) شيفمان ، ص 83.

وتأتي في المرتبة الثانية من حيث الشهرة مدينة السويداء ، فقد استخدمت لذلك الأنوال الخشبية، وكان تداولها بين العامة إما بالاستئجار أو الاستدانة وتفوق هذه الحرفة في هذه المنطقة يعود إلى توفر مادتها الأولية من أصواف الأغنام ، وبعد تولي النساء تنظيف الصوف وغزله يدوياً على المغزل، كما فرضت الحاجة إلى نسج البسط من شعر الماعز الجبلي، وصناعة اللباد من روث الجمال [1].

وقد ا اشتهرت المدن الفينيقية في صناعة الدمقس [2] وصباغة الصوف ، حيث الأقمشة الصوفية المزينة ثم صباغتها بألوان متعددة ، وقد اعتبر دمقس صور من أجودها وأغلاها[3] وكذلك الدمقس الدمشقي .

وقد أقيم في صور العديد من مصانع الأصبغة إلى الحد الذي أصبح السكن غير مرغوب فيها[4]، وكذلك انتشرت مصانع الأصبغة في دوراأوروبوس ، إلا أنها لايمكن أن تضاهي في عددها تلك الموجودة في صور [5].

## د- صناعة الرق والبردي

لم تكن مدن ولاية سورية تستطيع الإيفاء بحاجة السوق المحلية بإنتاج الرق والبردي ، كذلك لايمكن مقارنتها مع ولاية مصر من حيث استخراج البردي ، ويعود ذلك لقلة ورداءة نوعه مقارنة مع غيره .

أياً كان الأمر فالرق كان يستخدم بشكل واسع في دورا أوربوس أثناء الفترة الفارسية ، وربما تغدو الوحيدة من المدن السورية المنتجة لهذا الصنف حيث يستخدم كأداة للكتابة ، وهذا ما تشير إليه الوثائق المكتشفة التي استخدمت البردي كوسيلة للكتابة.

---

(1) ماجد علاء الدين ،ص 31.

(2) نسيج ثقيل حريري أوكتاني ويدعى باللاتينية (Damascus) وكانت دمشق مصدراً لهذا الدرب من النسيج

(3) شيفمان ، ص 83.

(4) فيليب حتي ، ص326

(5) Bouchier, p.153.

وكنتيجة للإقبال المتزايد على شراء الورق المصري الممتاز وارتفاع ثمنه، فقد اضطر فيما بعد إلى تشجيع صناعة الرق (Parchement) لا سيما الرقوق الجلدية منها ، التي كانت أقل تكلفة لاستخدامها كأداة للكتابة مع نظيراتها الأخرى مثل : الكتان واللحاء وأوراق الزيتون واستخدام أعواد القصب كمادة للكتابة [1].

### هـ- صناعة الفخار

تعتبر الصناعات الفخارية السورية من الحرف المحلية الشعبية ، لذلك انتشرت مصانع الفخار في معظم مدن ولاية سورية ، إلا أن الإنتاج الأكثر شهرة كان في كل من دورا وتدمر وأنطاكية [2].

وكان إنتاج الفخار يخدم دائماً غرضين في وقت واحد ، الأول هو الوفاء بحاجة السوق المحلية ليقللوا من كمية الاستيراد من دول أخرى ، التي كانوا يفضلون أن يستوردوا منها المواد الغذائية ، أما الغرض الثاني فهو خدمة تجارة التصدير التي احتاجت إلى الكثير من الأوعية، وكانت الأواني الفخارية خير أوعية لنقل الزيوت والخمور ودعيت بـ(الأمفورا Amphora)[3].

وكان من الطبيعي أن يفضي ازدهار صناعتي النبيذ والزيت إلى ازدهار صناعة الأواني الفخارية لتعبئتها بهدف الحفاظ على استمرارها ، وكذلك في حفظ المياه ؛ لأن الأواني الفخارية تحافظ على الماء بارداً ، وفي كثير من الأحيان كان يتم طلاء الأواني الفخارية، حيث تشير التنقيبات في دورا على وجود مجموعات كبيرة من ورش الحرفيين الذين مارسوا حرفة دهان المصنوعات الفخارية ولا سيما الأسود[4] .

لذلك فإنه إلى جانب مراكز هذه الصناعة القديمة التي لم تكتف بإنتاج ما ألفته من القدم من أنواع الآنية المختلفة ، بل قلدت أيضاً أشكال الآنية الهلنيستية، ونشأت كذلك مراكز

---

(1) Heichelheim , p189.
(2) Strabo Gecg, XV, C759, p275.
(3) محمد أبو المحاسن عصفور ، المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية ، بيروت 1981، ص116.
(4) مفيد العابد ،ص 268.

جديدة لصناعة الفخار في سورية ، التي ظهرت فيها غزارة الخزف الأسود المستورد بشكل مبكرمن أثينا ورودوس وجنوبي إيطالية، ووجدت نماذج لهذه البضائع في آثار مدن سورية وفلسطين وبلاد ما بين النهرين ، لكن الوضع لم يدم طويلاً ، فالفخار المستورد سرعان ما استبدل بالفخار المحلي بمختلف النموذجات أو بنفسها ، إذ ألحق الخزف الأسود اللامع بلوائح فخارية منقوشة عرفت أوائلها بالسلطانيات المغارية ( Megarian )[1]. ومن أهم النماذج للصناعة الفخارية .

- نجد في الصورة ( 22) مزهرية إجاصية الشكل لها عروتان وكعب دائري ، لها فوهة غليظة ، ذات سطح خشن ، مصنوعة بدولاب الفخار ، وعلى سطحها زخرفة خشنة غير واضحة الموضوع ، تعود صناعتها للقرن الثاني الميلادي،قياسها 15سم[2].
- في الصورة رقم ( 23) مجموعة رسوم لجرار فخارية ، بعضها كامل ، و وبعضها مكسور ، وهي مزينة بخطوط وزخارف بسيطة ،ومعقدة على أجسام الجرار المختلفة الأشكال ، والفوهات والأعناق والآذان وهي مصنوعة باستخدام الدولاب بإتقان عالٍ ومن تربة جيدة ونقية [3].
- في الصورة (24) أواني فخارية ،ملونة بالأخضر،مختلفة الأشكال والألوان ، والأحجام والاستخدامات،نرى الفوهات المتنوعة،والقواعد والعروات مختلفة الأشكال والأحجام ، مصنوعة بالقالب،رسم عليها زخارف بسيطة،وبعضها كان بجانب العنق،ونرى بعض الفورمات من الكعاب المستديرة والمختلفة الأشكال[4].

وقد سمحت لنا اللقى الفخارية الكثيرة في دورا وخاصة نماذج القرن الثالث الميلادي إبراز العلاقات التجارية مع المدن الرومانية المحلية والخارجية [5].

---

(1)Rostovtzeff.S.E.H. p.538.

(2) المديرية العامة للآثار والمتاحف ، معرض المكتشفات الأثرية الحديثة في مهرجان المحبة الثامن 1996، دمشق 1996 ، ص113.

(3)F. Cumont, Fouilles de Doura-Europos,ATLAS, 1922-1923, paris 1926, p.120.

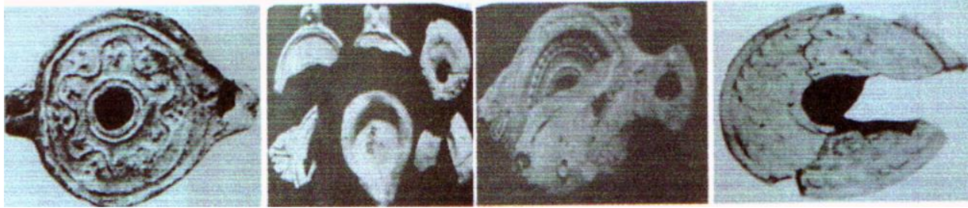
(4)Ibid, p.129.

(5) أليس نقاش ، التأثيرات الشرقية على الزخرفة المعمارية في شمال سورية ، ترجمة غادة الحسن ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 43، دمشق 1999، ص 93.

ويشير الباحثون إلى قرابة الصناعة الفخارية التدمرية مع مثيلاتها في دورا ، بحيث لا نستطيع تميز طابع كل منهما نظراً لتماثل النموذجيين على طراز هليني متطور [1].

وقد كان الخزف من المصنوعات الهامة التي يتم إنتاجها، وقد عثر على فرن لصنع الخزف في منطقة قريبة من البتراء ، وما يتميز من رقة أوانيه المتعددة الجميلة ، وعلى الأخص اللون الأحمر ، بالإضافة إلى التفنن بأشكال الزخارف وأحجامها ، وليس لدينا معلومات فيما إذا كانت تدخل ضمن نطاق التصدير أو يقتصر على الاستهلاك المحلي[2].

وقد اكتشف عند البوابة الكبرى لمدينة تدمر ثلاثة أفران فخارية تحوي 49 مصباحاً سليماً وشبه سليم ، 4 مصابيح منها يعود تاريخها إلى سنة 273م ، و45 الباقية تعود إلى قبل هذه الفترة[3]، ومن خلالها تم تحديد تاريخ نشاط معمل الفخار في المنطقة الغربية من تدمر في الفترة بين نهاية القرن الأول الميلادي وحوالي 300م ، وربما يدلل على العناية التي حظيت بها تدمر من خلال حكم أذينة وزوجته زنوبيا من بعده.



صورة رقم (25)
بعض المصابيح المكتشفة في تدمر

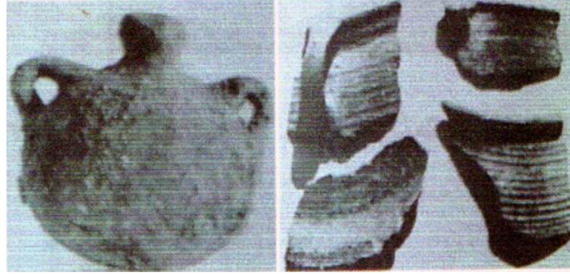
---

(1) شيفمان ، ص 84.

(2) إحسان عباس ، تاريخ دولة الأنباط ، ط1 ، عمان 1987 ، ص 112.

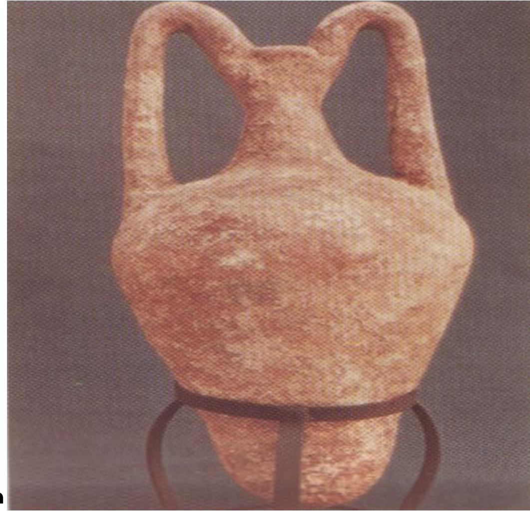
(3) مارياكروغولسكا ، الفخار التدمري في القرن الثاني الميلادي ، ترجمة قرقماز ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 42، دمشق 1996 ، ص269.

كما تم العثور على أدوات متنوعة للمطبخ: كطاسات بحجوم وأعماق مختلفة ،وقدور طبخ: قدران بمسكتين ومقالي...، مصنوعة من الطين التدمري نفسه ، وهو يتميز بالخشونة بوجودالمسامات والجمع بين الكلس والرمل[1] ، كما في الصورة .


صورة رقم (26)

مجموعة من قدورالطبخ والأواني الأخرى

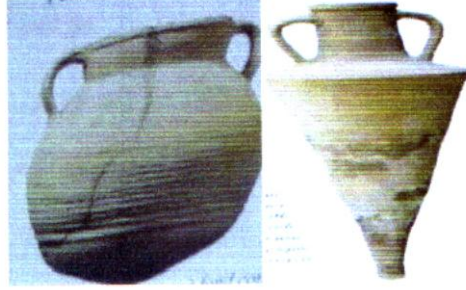
كما تم العثور في اللاذقية ورأس البسيط على أمفورات فخارية كروية الشكل، واستخدمت هذه الأمفورات الفخارية الكبيرة لحفظ المياه العذبة على السفن ، ويشير ذلك ما يمكن مشاهدته من أمفورات عملاقة غارقة في رأس البسيط ، وكذلك عثر على أنواع مختلفة من الأمفورات، والتي تعود للفترة الرومانية في كل من طرطوس وصيدا وصور[2]، كما في الصورة( 27-28).


صورة رقم (27)

---

(1) المرجع المتقدم ،ص272 .
(2)حسين حجازي ، الآثار البحرية ، دار المجد ، دمشق 2005، ص237.

و أنتجت المنطقة الجنوبية العديد من الأمفورات والأواني الفخارية كبصرى التي كانت مركزاً من مراكز إنتاج الفخار في سورية في الفترة الرومانية[1]، كما في الصورة



صورة رقم (29)

أمفورات مكتشفة في المنطقة الجنوبية

يمكن الاستنتاج أن الأمفورات صنعت بشكل كبير ، وانتشرت بشكل واسع في سورية خلال الفترة الرومانية وكان لها أكبر الأثر والدور الأكبر في عملية التبادل التجاري والخارجي .

## و- صناعة قطع الحجارة

كان لوفر المواد الأولية لهذه الصناعة كالحجارة والرمال والجبس وغيرها أن هيأت الظروف المناسبة للاهتمام بهذه المصنوعات ، ونستدل من النقوش المؤرخة إلى القرنين الثاني والثالث الميلادي على انتشار الواسع الذي كانت تحظى به حرفة تقطيع الحجارة في تدمر و دوراأوروبوس ، وإلى الكفاءات العالية التي تحتاجها هذه الحرفة لتحقيق الهدف المطلوب، فقد نقش على أحد النصب في تدمر تعود إلى سنة 113م لحرفيّ قرر أن يخلد اسمه بأحرف [ فليتذكروا ياراي قاطع الحجر ] [2].

---

(1)J.Dentzer , Bosra Aurs Portes De LArabie , Damas2007,p.53.

(2) شيفمان ، ص 84. رقم النقش CIS.2. 3974.

وفي أحد النقوش التي وصلتنا من مدينة حمص تؤرخ سنة196م تشير إلى ستة أشخاص أقاموا معبداً ، ويرأسهم شخص هو المفوض من قبل السلطة للإشراف على عملية البناء [1] ، ونص آخر يعود إلى أواخر القرن الثاني الميلادي يتحدث عن انتونين المعلم في تقطيع حجارة المرمر ، نستدل من هذا النص على التميز بين فئتين من الحرفيين الأول يشرف عليهم رب العمل ، ويمكن إسناده إلى أعماله الحرفية الخاصة ، وآخر يعود بالمنفعة على الإدارة الرومانية التي أرسلت مندوباً خاصاً بها للإشراف على إنجاز العمل[2].

وقد وجدت مقالع الأحجار قرب أنطاكية وأفامية ، كما كانت هناك مقالع لحفر المرمر قرب دمشق، وفي مناطق أخرى من سورية [3]. إلا أن المرمر الجيد النوع قد تم استيراده من اليونان ، أما الرخام الأبيض فقط جلب من صيدا وصور [4]،و الذي يتميز بجوته ولمعانه، وقد صدر إلى خارج حدود الشرق الروماني ، واستخدم البازلت وحجر الكلس في البناء ،وكان لزاماً أن يستورد بعض المواد من الخارج مثل حجر الصوان المصري [5].

---

(1) المرجع المتقدم ، ص198. رقم النقش CIS.2. 3974.

(2) المرجع نفسه ، ص198-199.

(3)Heichelheim , p157.

(4) فيليب حتي ، ص327.

(5)Heichelheim , p157-162.

## ز- الصناعات المعدنية

### 1ً- الصناعات الحديدية والبرونزية

نظراً لقلة الثروة المعدنية في الأراضي السورية ، فإن هذه الصناعة لم تلق الشهرة من حيث الإنتاج إذا ما قورنت بغيرها من الولايات (1)، واقتصرت هذه الصناعة على بعض الصناعات الخفيفة المتعلقة بأمور الزراعة والأغراض الحربية للضرورات العسكرية التي تقتضيها الحروب الداخلية والخارجية (2).

واعتمدت الصناعة المعدنية بالدرجة الأولى على الحديد ،فمنه كانت تصنع أدوات العمل الزراعي ، والأعمال الأخرى ، والكثير من الأدوات المنزلية، ولوازم السفن وتجهيزاتها، والأسلحة . كما كان الحديد المعدن الأكثر أهمية من وجهة النظر الاقتصادية، وكان آخر ما استخدم في العالم القديم وأكثر صعوبة في العمل ، رغم أن الأسلحة الحديدية والأدوات حلت بسرعة محل الأسلحة والأدوات النحاسية والبرونزية. وقد بقيت طرق معالجة هذا المعدن بدائية نوعاً ما، وكان الحديد المطروق معروفاً وشائع الاستخدام . ومن المعروف أن الحديد المستخلص من الخامات بالطرق المستخدمة للمعادن الأخرى يحتوي على كربون أكثر قليلاً ؛ لهذا يصبح أقسى بقليل من النحاس والبرونز، وقد أظهرت تلك الكربنة تحليلاً لأدوات حديدية مصرية ، إضافة إلى المعالجة الحرارية المعروفة في مصر ، وما عرف في مصر أصبح معروفاً بالتأكيد لسائر العالم القديم، وبهذه الطريقة اعتمد ذاك الحديد المكربن أو الفولاذ ،وكان ينتج على نطاق الإمبراطورية الرومانية ، وقد تم تصنيع الحديد من قبل حدادي دمشق المشهورين ، ومع ذلك كان يتم استيراده من الهند ، كما كانت مشكلة الفولاذ حادة في الإمبراطورية الرومانية، وأفضل فولاذ استخدم في الإمبراطورية الرومانية كان من إنتاج الشرق ، ومنه صنعت السيوف الدمشقية الشهيرة، وقد وجد في بيروت وقرب الخليل (3).

---

(1)Pliny , XXVI.12.p.327.
(2)Sartre , l991.p.30.
(3)Rostovtzeff, S.E.H. p.1217-1219.

ورغم قلة النحاس المستخرج من الأراضي السورية الجنوبية (من جبل لبنان وجنوبي فلسطين في أريحا وقرب منابع نهر الأردن) ، فقد دخل في صناعة الأدوات المنزلية المتعددة ودخل في تركيب المواد الخام التي تمزج بصناعة العملة ، وقد كان معظم العاملين في المصانع من العبيد [1].

وهناك ثروات أخرى تم استخراجها، مثل كبريتات الزئبق والزرنيخ المستخدم في الدهان، وكذا استخرج الألباستر من دمشق ، وكان أكثر بياضاً عن سائر الأنواع المستخرجة [2].

ووجد الإسفلت بكميات كبيرة في منطقة البحر الميت الذي يعتبر مادة هامة بالنسبة للموارد المعدنية [3].

والعالم الروماني لم يحصل على أفضل الإنتاج من المناجم ، ولم تكن الإمدادات كافية ، وكما كانت طريق تسوية إنتاج المعادن الخام غريبة ، ولا يوجد جهد لتحسين شروط العمل في المناجم لجعلها أكثر أمناً وصحة للعمال ، كما كان تطور الوسائل التقنية بطيئاً ، والطريقة الوحيدة لزيادة الإنتاج هو استخدام أعداد هائلة من العمال الأرخص ، فالعامل الحر قد يستخدم بصعوبة في المناجم القديمة؛لأنه لا يوجد رجل حر قد ينتحر ببطء في هذه المناجم ، فنجد العبيد والمجرمين أو أحياناً عاملاً مجبراً ، هكذا كانت الحال في أغلب المناجم الرومانية،وربما كان الناس يرفضون العمل في المناجم لما ينطوي عليه من خطورة على حياتهم .

وكانت المناجم ملكاً للدولة،ولم يكن إنتاج المعادن منظماً ، فتجميع الخامات وصهرها كان يتم بطريقة بدائية ، حيث يقوم العمال باستخلاص المعادن من الشوائب ، وتقدمها مادة خالصة للحرف [4].

---

(1)Strabo , XVI , c763.p.293.
(2)Heichelheim , p156.
(3) فيليب حتي ، ص327.
(4)Rostovtzeff, S.E.H. p 1219-1220.

لكن يمكن القول بوجود إنتاج جماعي في الممتلكات الرومانية بالنسبة لمواد معينة، وبالدرجة الأولى الأسلحة الدفاعية والهجومية ، فالاحتمال الأكبر أن مصانع الأسلحة لمختلف الأدوات التي استخدمها الجنود ، كالأدوات العسكرية ومعداتها للفرق والخيول قد وجدت في الإمبراطورية الرومانية ، وتوزعت في مختلف أنحائها.

## 2ً- صناعة الحلي من الذهب والفضة

تعتبر هذه الصناعة ذات أهمية كبيرة كونها تتعلق بتطور الحياة الاقتصادية ،وكانت عادة التجمل بالذهب والفضة منتشرة في المجتمعات القديمة ، وصناعة الحلي تتطلب ذوقاً فنياً ومهارة صناعية وخبرة واسعة ودقة بالتنفيذ .

إن نتائج الحفر والتنقيب في سورية برهنت على مدى ازدهار فن الصياغة ، وقد تفنن الصانع السوري القديم في إبداع نماذج جديدة وعديدة من الحلي الذهبية [1] . و اشتهر سكان الساحل السوري بصياغة الذهب والفضة ، حيث اكتشف في عمريت وطرطوس قطع كثيرة من الحلي مرصعة بالجواهر، حيث شهدت بمهارة الصاغة الفينيقيين في صنع الحلي[2]، كما عثر في أوغاريت على ميزان صائغ مع مجموعة كاملة من الأوزان وقطع ذهبية وفضية لها شكل حلقات مختلفة.

استمر تقليد فن الصياغة في سورية حتى الفترة الهلنيستية والرومانية ، وإن العمال السوريين اشتهروا بالجد والمهارة بالصناعات اليدوية إلى درجة أنه لم يكن في الإمبراطورية الرومانية ولاية تفوق سورية في صناعتها، ففي فترة حكم كل من كراكلا وفيليب العربي ظهر نفوذ وجمال السيدات السوريات كجوليا دومنا مماجعل السوريات مثال الأناقة في ذلك العصر الذي تطلب فيه الترف الاجتماعي والازدهار الاقتصادي وهذا أدى إلى التفنن والإبداع في صياغة الحلي [3].

---

(1) بشير زهدي ، لمحة عن الحلي الذهبية القيمة وروائعها ، الحوليات السورية الأثرية ، مج 13، دمشق 1963 ، ص74-77.
(2) يوسف الدبس، ج3،ص318.
(3) بشير زهدي ، 1963، ص77-78.

وقد وجدت أنماط مختلفة لهذه الصناعة ، منها ماهو موجود في تدمر ؛ حيث وجدت نقابة للصائغين من الذهب والفضة تعود إلى أسرة سبتميوس أذينة ، عندما قامت بإهداء تمثال يمجد عائلتها كتب عليه مهدي من قبل نقابة حرفي الذهب والفضة ، مما يدل على كثرة الممتهنين لهذه الحرفة ورغبتهم في حماية مصالحهم وتنظيم أعمالهم ضمن نقاباتهم [1] . وتؤكد الدراسات على وجود طائفة من صانعي المجوهرات في مدينة بصرى خلال هذه الفترة [2]. وهناك نقش [3] من تدمر مؤرخ ل سنة 175م يشيرإلى ان يررخبول بن عوجة وعبيده بن حدودان يارخبول بن حدودان قد أقاما على نفقتهما الخاصة بوابة من الذهب والنحاس في معبد بعل.

وقد بلغ عدد قطع الحل ي الذهبية المحفوظة في متحف دمشق حوالي 2468 قطعة ذهبية من مناطق عدة من سورية . ذلك أن عادة التجمل بالحلي كانت منتشرة بكثرة في هذه الفترة، ولم يقتصر على السيدات الإمبراطوريات فحسب ، إنما تزين أباطرة روما السوريون بهذه المجوهرات، لأنهم يبالغون في التفاخر بمظاهر الترف والبذخ ، ولا سيما الإمبراطور ايلاجبالوس الذي رغب في التظاهر والتفاخر على الدوام . وكانوا يفرضون أذواقهم على الصائغين لتلقى مصنوعاتهم الذهبية رضى الأباطرة وكبار الأثرياء ؛ لأنهم يعتبرونها عنصر تفاخر وثروة ثابتة لها قيمتها المادية مما يدعوهم للحرص عليها ، وهذا ما يدلنا على سبب بطء تطور أشكالها وقلة تبدل أنواعها.

و يكفي أن نلقي نظرةً على بعض التماثيل التدمرية لندرك مدى رغبة المرأة السورية في إبراز مفاتن التجمل بالحلي ، في عصر احتلت فيه السيدات السوريات العرش ، وأبرزت أناقتها وتزينها التي تظهر فيه الترف الاجتماعي والتفنن والإبداع في استخدام الحلي الذهبية،كالأساور المضفورة والأطواق والمشابك الكبيرة ،( الصورة رقم 30) حتى غدت تعتبر مظهراً من مظاهر العصر [4] .

---

(1) شيفمان ، ص 84.

(2) توماس بوزو ، طرق المواصلات في حوران في العهد الروماني ، سورية الجنوبية (حوران) ، ترجمة أحمد عبد الكريم وميشل عيسى وسالم العيسى، الجزء االأول، الطبعة الأولى ، دار الأهالي ، دمشق 1988 ، ص234.

(3) شيفمان ، ص 84. رقم النقش (CIS 3914)

(4) بشير زهدي،1963، ص77-79.

إن كثرة الأقراط الذهبية المكتشفة في سورية تؤكد قول المؤرخين أنه في الشرق ظهرت للمرة الأولى عادة ثقب شحمتي الأذن وتزينها بحلقة معدنية ، ففي الفترة الرومانية وخلال القرنين الأول والثاني الميلاديين أخذ الصائغ يبدع أقراضاً أحد طرفيها دقيق ويزين الطرف الآخر رأس سيدة جميلة الملامح ، وبدأ الصائغ بالتفنن بشكل الأقراط في القرن الثاني الميلادي حتى توصل إلى إبداع الأقراط بحجر كريم ، وفي القرن الثاني والثالث الميلاديين صنعت الأقراض الكبيرة وجعل في أسفلها كرات صغيرة لها شكل عنقود العنب (صورة رقم 31) ، كما أخذ الصائغ يبدع الأقراط الجميلة ذات السلاسل مما كان يضفي على الحسناء صفة الأناقة، ويعطي لحركاتها الرشاقة ، كالقرط المؤلف من حلقة يتقدمها قرط ذهبي مخرم بشكل وردة ويتدلى من الحلقة ثلاث ذؤابات لطيفة تزينها أحجار كريمة (صورة رقم 32) وقرط مؤلف من حلقة يتقدمها قرص ذهبي مخرم له شكل وردة يستند على عارضة مخرمة لطرفيها شكل راس حصان يتدلى منها ثلاث ذؤابات يضم كل منها لؤلؤة صغيرة[1] (صورة رقم 33).


صورةرقم(31)


صورةرقم (32)


صورةرقم (33)

كما صيغت الأساور في الفترة الروماتية على شكل الأفاعي ، حيث تبنى الصائغ شكل الأفعى وجعل طرفي السوار ينتهيان برأس أفعى ، وفي بعض الأحيان رغب في جعل طرفي السوار ينتهي برأس أفعى ، ويقابله في الطرف الآخر شكل ذيل الأفعى .

---

(1) بشير زهدي،1963، ص79.

كما تعتبر الخواتم الكبيرة الحجم من إبداعات القرن الثالث الميلادي ،ولم يكن التزين بالخواتم لأسباب جمالية فقط ، بل هو امتياز خاص للملك وفئة معينة من المواطنين وذلك لعراقة نسبهم ، وقد اشتهرت نساء تدمر بتزيين انامل‍هن بخواتم عديدة مختلفة الأشكال جميلة المنظر تنم عن ذوق رفيع وترف وغنى[1].

وفي القرن الرابع ظل الصائغ السوري يتقن حرفة الإبداع والتفنن في صياغة الحلي الذهبية وغير الذهبية ، وأخذ يتفنن في إبداع أقراط ذات عناصر مقتبسة من عالم الأشكال الهندسية كالهرم والأسطوانة.

### ح- صناعة الجلود ودبغها

نظراً لأهمية الصناعة الجلدية و توافرها من الثروة الحيوانية ، فقد استخدمت في العديد من المصنوعات [2]، وخاصة التي تدخل في صناعة الأسلحة التي تم العثور عليها في دوراأوروبوس، وقد عثر المنقبون في دورا على العديد من التروس الجلدية ، وبقايا الأحذية وغيرها من المصنوعات الأخرى ، وكذلك في مدينة تدمر التي كانت معقلاً للجيوش العسكرية، فقد عثر على بقايا أحذية وأسلحة كان يستخدمها الجنود في حروبهم مع الفرس الساسانيين [3].

وتعتبر سورية من الولايات المصدرة إلى روما بشكل خاص الجلود المدبوغة بأوراق السماق[4]. لا يوجد شروح أو إيضاحات عن كيفية تصنيع هذه الجلود ، وخاصة الأحذية، وكل ما يتعلق بحرفة دباغة الجلود سوى بعض التفسيرات [5]عن لائحة الأسعار بحيث تحدد ثمن زوج الأحذية الخفيفة الصنع بـ 60ديناراً ووصل في فترة الاضطراب إلى مئة دينار[6] .

---

(1) بشير زهدي،1963، ص84- 91.
(2) أ.هـ. م.جونز ، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية ، ترجمة إحسان عباس ، عمان 1986.ص112.
(3) Heichelheim , p169.
(4)Pliny , XIII.55.p131.
(5) Heichelheim , p169.
(6) شيفمان ، ص 82.

ومن المعتقد أن دباغة الجلود في المدن الفينيقية كانت تتم بطريقة خاصة تكسبها اتقاناً ومتانة، وتسمح لنا التعرفة الجمركية بالإشارة ولو بيسر إلى الحرفيين والإنتاج الحرفي والأحذية، حيث ذكر في الجدول الثالث من النص اليوناني أنه يوجد محلات لبيع الأحذية يدفع أصحابها ضريبة شهرية قدرها ديناراً واحداً ، وتظهر لنا هذه الحرفة أيضاً مدى العلاقة بين أمير تدمر أذينة و أسرته وبين صناع الحرف، ففي وثيقة تعود إلى سنة 258م تشير إلى إقامة تمثال لأذينة من قبل جماعة من العاملين بالجلود ، وقد أطلقوا على أنفسهم جمعية الوليمة جمعت أعضاؤها من الدباغين والحرفيين[1].

## ط- صناعة المنحوتات والتماثيل

تميز العصر الروماني عن غيره بازدياد في أعداد النصب والتماثيل المنحوتة التي كانت تقام بأمر الإمبراطور، والغالب مقدمة من العامة تكريماً لإحدى الشخصيات أو القادة، أو حتى لشخص الإمبراطور نفسه؛ لما قاموا به من انتصارات أو تحديثات سياسية أو اقتصادية تعود بالخير عليها سياسياً ؛كمنحها للألقاب ، ورفع مستوى نشاطاتها الاقتصادية بإعفائها من الضرائب، أو تخفيف الأعباء عن الأهالي التي ترهق كاهلهم .

إن المتفحص للتماثيل التدمرية يلاحظ مدى دقة فن النحت الذي وصل إليه، سواء من حيث البذخ والترف الواضحين على المنحوتات، مثل الحلي المستمدة من الألوان والأحجار ، أو من حيث الملابس المطرزة والمزركشة التي تعبر عن الذوق الرفيع من جهة ، وعن الرفاهية والثراء التي كان التدمريون يتمتعون بها من جهة أخرى ، وهذا له المدلول الأكبر على بروز الفن التدمري وتميزه عن الفن النحتي المتزامن معه في ذلك العصر [2].

وتظهر لنا بعض الألواح الطينية المكتشفة في دورا بشكل واضح ، والتي معظمها يعبر عن مدلولات دينية على مدى انتشار الفن التدمري فيها ، ومدى الترابط الاجتماعي والديني بين دورا وتدمر[3].

(1) المرجع المتقدم ، ص 82-83.

(2)Strabo , XVI .

(3) سوزان داوني ، رقائق الطين دلالة على الاتصال بين تدمر و دوراأوروبوس، ترجمة ديما خليل ، مج 42، دمشق 1996، ص 211-214.

تشير المكتشفات الأثرية التي عثر عليها في تدمر إلى وجود كمية أثرية تمثل عدداً كبيراً من التماثيل والألواح الجنائزية بحالة جيدة ، ومنها مشوه ويزيد عددها على الأربعين ، وتعتبر من أجمل التماثيل التدمرية التي أنتجها النحاتون التدمريون خلال القرنين الثاني والثالث الميلادي، وتمثلت على صور لرجال ونساء فقراء منهم ،وأغنياء وكهنة، ومنهم راكبو الجمال، والنساء المزينات بالحلي، ومنها تمثال لسيدة تدمرية إلى جانبها أخ وها يستند على وسادة لها صندوق يعود إلى أوائل القرن الثالث الميلادي، والتي تم الكشف عنها خلال أعمال التنقيب الأثري خلال سنوات 1953-1954[1].

تذكر لوحة التعرفة الجمركية التدمرية إلى قيمة الأسعار التي تفرض على بيع أو تصدير التماثيل وخاصة البرونزية ، ويمكن الإشارة إلى العديد من التماثيل ، فقد عثر على تمثال برونزي صغير لحمار وخرجه، وهو يمثل الوسيلة المعتادة التي يستخدمها التجار في التجوال ببضائعهم داخل الأسواق [2].وهناك نقش يعود إلى سنة 258م يشير إلى إقامة نصب لسبتيميوس سيفيروس من قبل مجموعة من الحرفيين [3].

وتشكل اللوحتان الجنائزيتان متعدّدتا الألوان - والتي نجهل مصدرهما - الأرضيةَ المرصوفة لبناء جنائزي ينتمي للنمط المعروف في أدسي ويشكل عنصراً زخرفياً هاماً ، ويتألف من هيكل لوحة لتمثال نصفي لشخصية إنسانية تحمل كتابة أرامية مؤرخة للقرن الثالث الميلادي[4]. وخلال السنوات ( 250-272م) عندما استغل القائد أذينة الضعف الروماني ، وجعل نفسه الحاكم الأوحد على الطراز الروماني،انتشر النحت الفخري هنا وهناك حول قوس النصر، وقد استبدلت الأميال الحجرية إلى الحادي عشرة والسادس والثلاثين من بصرى وفلادلفيا بالتماثيل التي تمثل الإمبراطورة زنوبيا وابنها بالنصوص الفخرية اللاتينية [5].

---

(1) سليم عادل عبد الحق ، اكتشافات حديثة في المناطق الأثرية اليونانية- الرومانية في سورية ، الحوليات الأثرية السورية ، مج9 ، دمشق 1959.ص21

(2) فيليب حتي ، ص328.

(3) شيفمان ، ص 250 . رقم النقش CIS , 2. 3945

(4) A.Desreumax , une paire de portraits sur Mosaique Avec Leurs Inscriptions E'dessenien, Syria 2000, 77, p211.

(5) مالكوم جولج ، التأثير الروماني في فن تدمر ، ترجمة محمد قدور ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 42، دمشق 1996 ، ص282-283.

كما انتشرت التماثيل التي تعبر عن المعتقدات الدينية التي تتناثر في مناطق متفرقة في سورية ، وخاصة المسلات ؛ مثل المسلة التي تصور الإله بعل [1] في وضعيته البارزة، وهو يقف على رأس جبل قرب ساحل البحر ، وبحسب التقليد الأسطوري أنه خاض معركة ناجحة ضد إله البحر جعله إلهاً بارزاً منتصراً لكل أولئك الذين يغامرون بالتجارة عبر البحر . وهناك تمثال آخر يمثل صراع الإله بعل مع سلطان البحر ، وهذا تقليد هام لكل تجار البحر ،وتظهر لنا المنحوتات التي نقشت على شكل سراديب مدى تعظيم الكهنة وبخاصة أسرة سمبسيغرام الكهنوتية التي انحدرت منها أسرة الإمبراطوريات السوريات، وهذا ما ساعد على علو شأنها ومكانتها [2].

وهناك الكثير من اللوحات الفسيفسائية في تدمر وحمص وبصرى والرستن ، والتي تميزت باكتشاف توابيتها الضخمة الحجم ، والتي نقش عليها رسوم نافرة تعود للقرن الثاني الميلادي.

كما تشير لوحة فسيفساء تعود للقرن الثالث الميلادي ، وعلى الخصوص في مدينة أنطاكية ارتباطَ ديونيسيوس مع هراكليز في الأسطورة القديمة ، وكانت تتناول مسابقة الخمر لأبيها [3].

---

(1) H.Seyrig, Palmyra the East ,Society for the Promtion of Roman Studies , oxford 1951, p1-7.

(2)A.Bonni , les catacombs Emese en Syrie , AAS , 37, 1970,p.41-42.

(3)M.Henriete Le triptoleme de Maisaque D'Aion et l' Affirmation Identitaire Hellene Ashahba – philippoplis , Syria , 77, p.181-185.

وهناك لوحة صغيرة ومطعمة تشكل تنوعاً متسلسلاً من الفسيفساء فوق خلفية هندسية محايدة، تمثل لوحة مصورة معالجة بخداع بصري ذات موضوع أسطوري أو ملحمي، وهذا الاحتيا ل الجمالي لاستخدام حجار ة من الفسيفساء استطاع البقاء حتى أواخر القرن الرابع الميلادي [1] .

## ي – صناعة العقاقير والعطور:

كان البلسم الذي يستخرج من أشجار البلسم يستخدم في صناعة المراهم وعقاقير أخرى كانت عوناً للأطباء ، حيث إن الزيت المستخرج منه يفيد في علاج لدغة الثعابين، كما له فائدة في تقوية الرؤية والتهابات الأذن والصداع [2]، كما استخدم زيت الزيتون لعلاج الأسنان وكمادة مسكنة ، بالإضافة لزيت الآس الذي يستخدم في معالجة اللثة والأسنان، وزيت الزئبق السوري المفيد للكليتين ، وزيت الغار لمعالجة الصداع ، وزيت الجوز الذي يطرد السموم من المعدة ، وزيت اللوز المفيد في معالجة آلام العينين ، وكذلك نبات المِر الذي يدخل في تركيب العقاقير ، وفي مواد التجميل وفي شؤون الدفن[3] .

كما استخدم العنبر المحلي أو الذي كان يستورد من الخارج في معالجة أمراض الحنجرة، واستخدم عصير الشعير في معالجة أمراض الكلى ، وبعض الفاكهة كالتفاح والرمان والكمثرى كأدوية للمعدة ، وكان لبذرة البطيخ فائدة طبية في معالجة القرحة [4].

---

(1) مارسل دوشيسن ، ص144-150.

(2)Pliny , N.H. XXXVII,p. 11.

(3) إحسان عباس ،ص 112.

(4)Pliny , N.H. XX,29,p. 19.

أما العطور فقد انتشرت بشكل واسع وخاصة في المعابد ، وكان هناك نوعان من العطور: العطور العادية التي كانت تصنع من تركيبة ( الورود ، العنبر ، زهرة ، العسل ، الشنجار ، القصب [1]وغيرها من الأنواع ).

وكان أفضل هذه الأنواع من العطور العادية تلك التي يدخل في تركيبها من زيت السم اق المخلوط بالقصب [2].

أما النوع الثاني العطور الملكية التي كانت تصنع من زيت الكرمة البرية والقرفة والقصب [3].

## ك- صناعة الأخشاب

اشتهرت مدن الساحل السوري بهذه الصناعة لبناء سفن الأسطول الروماني ومستلزمات السكن ، وبناء السفن على الساحل السوري، وقد تمتعت هذه الصناعة بتقاليد راسخة وعريقة منذ الفترة الفينيقية ، وأحد أسباب هذه الصناعة التجارة البحرية [4]، واستمر هذا التفوق في صناعة السفن طوال الفترة الرومانية في معظم مدن الساحل الفينيقي ، وأيضاً في حوض سلوقية بيريه كان يتم ايضاً بناء سفن الأسطول الروماني ، كمافعل سبتيموس سيفيروس وزنوبيا وأورليان ببناء السفن للأسطول والقوارب الصغيرة الأخرى ، وقد كانت الأشجار تقطع بشكل منتظم لحمايتها من الإندثار لا سيما أشجار الرز الممتاز بصلابته عن باقي أنواع الأخشاب[5].

---

(1) Pliny , N.H. XIIp.,405,105..

(2) نبات عطري ذو ملمس ناعم ، ورائحته فواحة.

(3)Pliny , N.H. XIII,18 , 19,p. 109.

(4) شيفمان ،ص 82.

(5) محمد السيد غلاب، الساحل الفينيقي ونظيره في التاريخ والجغرافيا ، دار العلم للملايين ، ط1 ، بيروت1969،ص426.

## التجارة

**- تمهيد :**

كانت مهمة الإمبراطورية الرومانية في التاريخ أن تهب الشرق الأدنى الاستقرار الاقتصادي والنظام السياسي، اللذين وهبتهما إياه فارس والإمبراطورية السلوقية، وقد أدت في واقع الأمر هذه المهمة رغم ما ينتاب أحوال البشر من حروب وثورات وفساد، ذلك أن الفتوح الرومانية قد حطمت ما قامته الحكومات واللغات من حواجز بين الأمم، ودعت الشرق والغرب إلى تبادل المصالح التجارية أهم مما كان من قبل، وكانت نتيجة هذا أن بعثت الحياة في بلاد آسية الرومانية بعثاً باهراً جديداً .

وشكلت التجارة حياة الاقتصاد الروماني فهي أوجدت الثروات الكبرى، واستمرت في نهج السلوقيون في بناء المدن الجديدة، والتي استقطبت أعداداً متزايدة من السكان، وحل التعامل بالنقد في ذلك الوقت محل المقايضة، وأصدرت النقود من الحكومات التي بلغت من الاستقرار حداً يكفي لتيسير التجارة الدولية .

وقد استفاد ت سورية بموقعها الاستراتيجي من كونها تقع في ملتقى أهم الطرق التجارية والعسكرية في منطقة الشرق الأوسط، فهي تتمتع بأهمية اقتصادية وعسكرية كبيرة، والسيطرة عليها يعني السيطرة على منطقة غرب آسيا، والساحل السوري على البحر المتوسط، ولا سيما أن التجار السوريين لعبوا دوراً هاماً في تكوين الوحدة الاقتصادية والثقافية للإمبراطورية، إلى الحد الذي كان ممكناً آنذاك وخاصة من خلال حركة تجارة الترانتزيت، التي هيأت الفرصة لبروز طبقة من التجار الأثرياء بلغ فيهم الثراء شأواً بعيداً، فما برحوا منكبين عليها خلال القرون الثلاثة الميلادية الأولى، ينقلون التجارة في سائر أنحاء الشرق والغرب فملكوا محطات تجارية في كل ميناء .

كما أن الطبيعة الجغرافية لسورية من جهة، ومرور الطرق التجارية التي تتخللها من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب من جهة أخرى، وتحاشي هذه الطرق النطاق الجبلي الوعر بإتباع السهل الساحلي في مسلك بري أو سفينة أو اتباع حافة الصحراء من خلال القافلة،وعلى اعتبار أن التجارة تشجع حياة المدن فقد استتبع ذلك كله نشوء صفين اثنين من المدن : صف من المدن الساحلية على شاطئ البحر الشرقي، وصف يمكن تسميته بالموانئ الصحراوية على طول الحد الصحراوي، وكان لا بد أن يربط بين هذين الصفين محطات تجارية تسهل حركة التجارة بين الداخل والساحل، فنشأ بذلك ضمن الممرات الجبلية محطات تجارية تحولت فيما بعد إلى مدن تجارية هامة، وبذلك قامت المدن الساحلية بتطوير تجارتها غرباً، كما قامت المدن على حدود الصحراء بتطوير تجارة القوافل عبر صحراء بابل، أما عن الممرات الجبلية فقامت بدور الوسيط بين الساحل والداخل [1]،وهذا ما يؤكده روستوفتزف إلى الوساطة التجارية وتجارة القوافل، والتي حددت الحياة الاقتصادية للعديد من المدن كالبتراء وتدمر ودوراأوروبوس، حيث أنه من خلال الوثائق والمواقع الأثرية يمكن أن يرسم من جديد طابع ما يسمى بمدن القوافل التي تدين بمنشئها إلى تطور التجارة [2] .

**أولاً- الأهمية التجارية لسورية بالعصر الروماني :**

نظراً للموقع الذي كانت تحتله سورية في قلب الإمبراطورية الرومانية والعالم القديم، فقد أخذت التجارة دوراً مهماً في اقتصاد هذه الدول [3]، ونظراً لحاجة كل مراكز العالم المتحضر في حوض البحر المتوسط إلى منتجات الشرق الأقصى بصفة عامة والهند بصفة خاصة ، لذلك اكتسبت التجارة الشرقية منذ أمد بعيد أهمية كبيرة، وإزاء ازدياد الثروة لدى دول البحر المتوسط وما رافق ذلك من ازدياد الإقبال على سلع الترف

---

(1) جونز ، ص 9-10.

(2) M.Restotovtzeff , Carvan cities , oxford 1932 .p30-33.

(3)M . Grant , from Alexander to Cleopatra m The Hellentic world (London 1982) .p.56.

خلال العصر الهلنيستي واستمراره في هذا العصر، فقد ازدادت أهمية سورية التجارية الشرقية ازدياداً كبيراً في تلك الفترة، وأسهمت فيها عدة عوامل، فقد أدت فتوحات الاسكندر ومن بعدهم السلوقيين إلى حدوث طفرة في معرفة العالم بمنتجات الشرق وإقبالهم عليها، وأصبحت سورية في الفترة الرومانية مؤهلة أكثر بعد انفتاحها بشكل أوسع على العالم بحكم موقعها لتأخذ دور الوسيط .

وقد حرص الأباطرة الرومان على تنشيط هذا الدور كما فعل السلوقيون، ووضعوا نصب أعينهم هدفين رئيسيين: أولهما هو استمرار اجتذاب التجارة الوافدة من الهند ووسط أسيا وبلاد العرب لكي تمر بالمناطق الخاضعة لهم، والهدف الثاني السعي لإيجاد أسواق في الغرب والشمال تكون قادرة على استيعاب البضائع الوافدة على الشرق بالإضافة إلى منتجات سورية [1] .

ومن العوامل التي ساعدت على هذا الازدهار التجاري لسورية هي وفرة الإنتاجين الزراعي والصناعي، وبالتالي الطريق للسلع التي تباع بالأسواق، وخاصة إذا وضع في الاعتبار أن هذا الإنتاج لم يكن موجهاً إلى تلبية الحاجات الضرورية للاستهلاك فحسب، بل كان يهدف إلى توفير فائض إنتاجي يودي إلى نوع من التبادل التجاري، كما أن الاستقرار السياسي الذي شهدته المنطقة في ظل الإمبراطورية كان له الأثر الأكبر في تأمين حركة الاتصال التجاري بينها وبين غيرها من الولايات.

---

(1) Rostovtzeff , S E. H. p455.

## ثانياً - الأسواق و التجارة الداخلية :

ازدهرت الأسواق التجارية في سورية خلال العصر الروماني نتيجة لوفرة الإنتاج الزراعي والصناعي، وقد تميزت مدن عديدة في سورية لكونها مراكز تجارية منها: دورا وتدمر وأنطاكية وأفامية وصور وصيدا وقد عجت هذه المدن بالأسواق و الخانات التي أمّها العديد من التجار والصناع للمتاجرة ببضائعهم[1].

جاءت الأسواق على شكل أروقة ومحلات معظمها مبنية من الحجارة، ومؤلفة من طابقين أو ثلاث، كما توجد أروقة متعامدة تستخدم لتحجب أشعة الشمس المحرقة، بإضافة إلى وجود أبنية إضافية من أجل تخزين السلع، ومثل هذه الأبنية لا تستخدم فقط للتخزين،ولكن أيضاً يمكن أن يستخدم كمكان لإقامة مواطني المناطق المجاورة[2].

وقد كان لكل سوق رئيس يسمى ريس السوق ويلقب ( Agoranomus)، ويعد الأغورانوس المسؤول عن السوق، ومن مهامه مراقبة المدن بالإضافة لتموينها، وصيانة مباني السوق والمحافظة على أسعار المواد [3]، وتعتبر واجباته فردية فكان من واجباته أن يضع القوانين أمام عامة الناس وخاصة التجار، وبخبرته يتمكن من معرفة السلع المغشوشة من قبل التجار المحتالين،وعندئذ يعاقب طبقاً للقانون، ويساعده في ذلك (Astynomos) وهو المشرف و المسؤول عن الشوارع والمباني العامة داخل السوق، وكانت هذه الوظيفة في الفترة الهلنيستية شرفية، ثم تحولت في الفترة الرومانية إلى وظيفة إلزامية، وعليه أن يوفر البضائع للسوق ويسد العجز من جيبه الخاص، وإصلاح المعابد والحمامات العامة على نفقته الخاصة،وبيع المواد الغذائية بسعر بخيس، وكل هذا يهدف لتخفيض أسعار السلع في السوق لكي يحدث نوع من التوازن[4] .

---

(1)S.E.G. VII. 826-809.
(2).Bouchier , p158.

(3) موريس سارتر، 1996 ، ص298.

(4) فاروق القاضي ، تاريخ مصر في عصر الرومان من أوغسطس إلى دقلديانوس ، القاهرة د ت ، ص184.

ويدل وجود السوق التجارية والدكاكين المجاورة لها في دوراأوروبوس على أن هذه المدينة كانت مركزاً تجارياً محلياً وتدمرياً هاماً، ومما لاشك فيه أن تنظيم هذه السوق التجارية قد تعرض لتغيرات هامة خاصة في العصر الفرثي –الساساني، فقد تقلصت مساحتها بشكل ملحوظ نتيجة لبناء المزيد من المحلات التجارية فيها، وبالتالي فقد تبدل تنظيمها بشكل واضح، و تعزو أهمية ذلك بالنمو المطرد للمؤسسات التجارية الكبيرة التي سحقت المؤسسات الصغيرة ووضعت في قبضتها كل عمليات التجارية الهامة، وإن مجموعة النقوش (S.E.G) تحدد معطيات هامة عن نشاط مثل هذه المؤسسات[1] .

ونظراً للأهمية التي تتمتع بها السوق نعرض بعض ما تم من بيع من سلع :

- أخذت من بيلاني (؟) إلى بيبوخيل 150 ديناراً ... وأخذت لبحير 24 ديناراً لشراء اللحم 19 ديناراً وحبوب 29 ديناراً ، وشعيراً 152 ديناراً ولحمة 3دنانير.
- لشراء البخور 50 ديناراً .
- لي عند تجار الخبز 24 ديناراً .
- لي عند غرانيت ثمن صوف غنم 14 ديناراً .
- عندنا صوف مصنع 98 دينار وصوف مباع 73.
- لقد باع ماريبال صوفاً 58 ، وصوفاً آخر 14.
- نبيذ أربعة دنانير[2].

أما أسواق تدمر فكانت السلع تصلها وتفرض عليها الضرائب، ومن ثم تصل إلى المستودعات، ومن هناك توزع البضائع على الحوانيت المنتشرة داخل الأغورا وفي كل مكان، خاصة شارع المسرح والساحة حول المسرح والشارع الرئيسي الطويل على كل امتداد، وهنا نجد الدكاكين منظمة وواجهاتها لطيفة ولها مقاييس متقاربة[3].

(1) شيفمان ، ص108.
(2) المرجع نفسه ، ص 108-109 .
(3) نسيب صليبي ، التنقيب في ستة مواقع جديدة في تدمر ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 15 ، دمشق 1965 ، ص39.

وفيها أحياناً تمديدات مياه وترى أمام بعضها، ومن هذه المحلات ما هو مرتبط ببيوت خلفه، وبعضها نجد فوق ساكفة قد نقش على الحجر بخط كبير اسم صاحب الدكان.
وكان أصحاب هذه الدكاكين يملكها كبار التجار والتجار المتوسطين، وليست الدكاكين وقفاً على تجارة الجملة والمفرق، بل هناك حرف معدة لتلبية الحاجات اليومية، إضافة إلى كثير من الباعة والخماريين وبائعي الأغذية والأواني الفخارية والزجاجية، ومن خلال النصوص نتعرف على أصحاب الحرف من: العطارين والنحاسين والحدادين وصانعي الجلود وصانعي الذهب والفضة، كما تشير النصوص أن هذه الحرفة كان لكل منها نقابات خاصة بها تعمل تحت حماية سيدها [1].

ليس لدينا وثائق كافية عن حياة الحرف، لكن كل ما يمكن تصوره أنها لم تخرج عن القواعد العامة المتبعة قديماً ،فالابن غالباً يتعلم صنعة أبيه، والمعلم يتدرج من أجير إلى صانع محترف، ولا بد من ذكر أن جانباً كبيراً من الأعمال الحرفية كان يقع على كاهل العبيد [2] .

كما شكلت المعابد إلى جانب المدن مراكز تجارية هامة في سورية، لكن قلة الوثائق تمنعنا من إعطاء صورة عامة وتقريبية عن تجارة المعابد في سورية وتنظيمها[3]. غير أن بعض الوثائق تشير إلى تنظيم معارض تجارية دورية في أراضي المعابد كان يشارك فيها سكان المقاطعات المجاورة وحتى البعيدة منها، وكانت تتخلل هذه المعابد طقوس وشعائر دينية [4].

---

(1)H.Seyrig, lesfils du Roi Odainat , Cantineau , Inventaire VIII. P161.

(2) عدنان البني ، ص119.

(3) شيفمان ، ص113.

(4) I.G.R.R. III , 1020.

## ثالثاً - السلع والتبادل التجاري:

شهدت تجارة سورية في العصر الروماني تنوعاً كبيراً في السلع التجارية وأرباحاً ضخمة بالنسبة للمواد الغذائية، سواء كانت تلك السلع محلية أم سلع الولايات الأخرى، وقد أكسبها موقعها التجاري من أن تكون محطة ترانزيت للسلع القادمة من الشرق إلى مدن حوض البحر المتوسط وبالعكس [1]، وخاصة تجارة الحرير الصيني وعطور الجنوب العربي، وهذا ما جعل مدن سورية تتحول إلى أكبر مخزن للبضائع على ساحل المتوسط، وقد بلغت حجم المبادلات التجارية ذروتها خلال القرن الثاني الميلادي وبداية القرن الثالث الميلادي، وذلك بعد إصدار الإمبراطور كاراكلا قرار بإعفاء تدمر من دفع الضريبة [2]، إلا أن حجم هذا التبادل تضاءل تدريجياً بدءاً من منتصفالقرن الثالث من سورية شرقاً نحو بلاد الفرس؛ ذلك نتيجة الاختلال في التوازن الأمني والسياسي الذي تعرضت له الأراضي السورية، ولا سيما مراكز التبادل التجاري في دوراأوروبوس وميسان وحوران وتدمر، ولم تعد الاحتياجات الاستهلاكية التي تتطلب الرفاهية مرغوبة لدى كبار أثرياء روما كما عهدناها من ذي قبل، ربما هذا يعود إلى التضخم المالي العام الذي عم أرجاء الإمبراطورية آنذاك .

ويعود انتشار المبادلات التجارية إلى عاملين هامين هما: وفرة الإنتاجين الزراعي والصناعي، ووفرة اليد العاملة، وخاصة أن الإنتاج لم يكن موجهاً إلى تلبية الاحتياجات الضرورية للاستهلاك المحلي فحسب ، بل إلى توفير فائض من الإنتاج لخلق نوع من التبادل التجاري مع الولايات الأخرى .

وتعتبر وثيقة لائحة التعرفة الجمركية التدمرية أهم مصدر يذكر فيه أنواع عديدة من السلع التي يتم تصديرها أو تلك التي تستورده ا .

---

**(1) شيفمان ، ص 90.**
**(2) عدنان البني – خالد أسعد ، تدمر أثرياً – تارخياً – سياحياً ، دمشق 1999، ص 23-24.**

نستنتج أن السلع التي كان يتم إنتاجها وتصديرها أو تلك التي يتم استيراده ا
رغم أن هذه التعرفة تصب الاهتمام على السلع المتعلقة بالاقتصاد المحلي، إلا أنها تطلعنا على ما يتم استيراده من سلع غير متوفرة .

- تذكر اللائحةُ السلعَ التي كانت تستورد من الجزيرة العربية مثل: اللآلئ والبخور[1]التي تعتبر سلعاً هامة في الطقوس الدينية، والأحجار الكريمة التي تزين شرائط الملابس وخاصة الألبسة المترفة المطرزة التي تستورد من بابل [2]. يذكر عندما يتم جمع البخور ينقل على ظهور الجمال ثم يسلم للكهنة، ولا يمكن التصرف بالبخور إلا بعد تسليم الضريبة المفروضة عليه، ويمكن تقديم هدايا من البخور للكهنة والولاة وكبار الأثرياء.
- ومن حوض السند كان يستورد التركواز واللازورد[3] إضافة إلى الحرير والفراء والجلود والرقيق.
- ومن الصين كانت تستورد الأقمشة الحريرية والتي تتميز بزخارفها الهندسية والحيوانية التي يدل على أصلها الصيني، وكانت تتم عملية تصدير الحرير بشكل خاص: إما حرير خام أو خيوط حريرية صينية، بالإضافة إلى الأقمشة الحريرية المزخرفة [4].
- ومن اليونان استوردت سورية الخزف والمرمر والسمك بنوعيه الطازج و المجفف، والسمك وورق البردي من مصر وإسبانيا والذي استخدم في صناعة السفن وكمادة هامة للكتابة [5].

---

(1) سليم عادل عبد الحق ، روما والشرق الروماني ، دمشق 1959 ، ص 26.

(2) Bouchier, p.154.

(3) اللاذورد : نوع من أنواع الحلي صنعت تلبية لرغبات الأثرياء: انظر : علي أبو عساف ، المرجع المتقدم ص76.

(4) بشير زهدي ، 1988 ، ص 135.

(5) فيليب حتي ، ص330.

- وقد استورد من الهند العديد من السلع كالتوابل والعطور والأحجار الكريمة وخشب الصندل والأبنوس [1] وخشب الصاج .
- ونادراً ما تستورد سورية الخضراوات إذ كانت تعتمد على ما تنتجه الأرض، وإن اقتضى الأمر سعى الفلاحون جهداً في إدخال الأنواع الجديدة من المحاصيل إلى المزروعات السورية[2] .

كما شملت التعرفةُ الجمركية السلع الأساسية التي تصدرها ولاية سورية للخارج مثل العبيد والزيتون بأنواعه، واحتل زيت الزيتون النصيب الأكبر من التصدير نظراً لجودته ولذة طعمه، كما كانت المنسوجات والأواني الزجاجية الملونة الثمينة تتصدر قائمة السلع المصدرة .

كما صدرت سورية الحبوب إلى كافة أرجاء الإمبراطورية خاصة روما، إذ كانت الإدارة الرومانية تعتبر ولاية سورية صومعة القمح بالنسبة للإمبراطورية، ويخص بذلك مصر؛ حيث كان يصدر القمح في وقت الجفاف لسد الحاجات المحلية [3]. ولا يمكن الاستغناء عن النبيذ السوري الأنطاكي وخاصة من قبل الجنود والأثرياء الرومان، إذ كان يصدر بكميات إلى روما وإفريقية ومصر والهند وأماكن متفرقة من الإمبراطورية[4]. كما كان يتم تصدير الحرير السوري الذي يتم تصنيعه إلى أماكن عديده من ولايات روما وخاصة الغربية منها، فقد عثر على كثير من النماذج النسيجية التدمرية المتميزة بالزخارف ذات الطابع السوري و في أماكن متفرقة، وهذا يعود إلى ما تتمتع به هذه المنسوجات من مواصفات غاية في الدقة والإتقان [5].

---

(1) الأبنوس :نوع من الخشب لونه أسود ، وهو الخشب الصميمي لعدد من الأشجار الأشجار الاستوائية التي تنتسب غالباً إلى جنس ديو سبيروس وهوخشب صلب ، يستعمل في المصنوعات الخشبية ( الصناديق ، التماثيل،والأثاث المنزلي . انظر: محمد شفيق غربال ،الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان ،بيروت 1987، ج1، ص318.
(2) محمد حرب فرزات ، المرجع المتقدم ، ص103.

(3) Heichelhiem , p204.
(4)Pliny , N.H.XIII,5.

(5) محمد وحيد خياطة ، ص 165.

وتتميز الفواكه السورية بشهرته ا وخصوصاً المشمش الدمشقي المشهور بنوعيه الطازج والمجفف [1] والذي كان معروفاً في إيطالية، إضافة إلى التين والنبيذ الذي لا يمكن الاستغناء عنه .

أما العبيد فقد استمرت سورية كما كانت في العصر الهلنيستي تصدر العبيد وبالمقابـل استيرادها من الخارج [2]، ويذكر العبيد في لائحة التعرفة الجمركية في كلا القانونين القديم والجديد، اللذين ذكرا أن العبيد كان يتم جلبهم إلى داخل أسواق تدمر وبيعهم، وبالمقابل تصدير العبيد إلى خارج حدود الولاية،وهذا يعني أن العبد يعامل كسلعة قابلة للبيع والشراء ، وإن كانت هناك حالات يتم فيها عتق العبيد لكنها قليلة، فمثلاً يذكر أن أحد السادة حرر عبدته ليتزوجها، ومعظم النقوش لا تشير إلى أسباب العتق إلا أنه يفهم منها بقاء واستمرار العلاقة بين السيد ومعتوقه [3].

وتذكر وثائق دوراأوروبوس نوعين من العبودية [4]، الأولى مؤقتة ومرتبطة بسداد دين معين مع فوائده، والأخرى دائمة تظهر من خلال حق ملكية العبيد وإمكانية البيع والشراء من السيد المالك، فإذا ما ذكر طلب بروز أية مطالبة بحق الملكية كان العبد جزءاً من هذه الملكية [5].

وكانت تدمر تجلب الصباغ الأرجواني من مدينة صور [6] المشهورة بإنتاج الصباغ الأرجواني المستخرج من إفرازات المريق [7] لتقوم على صباغة المنسوجات الصوفية والحريرية محلياً ، ومن ثم تصديرها إلى الخارج لتأخذ الطابع السوري في زخرفته .

---

(1)Pliny , N.H.XIII,5.

(2) فيليب حتي ، ص329.

(3) شيفمان ، ص116-117.

(4).M.Rosovtzeff, Aparchment Contract of loan from Dura Europus on the Euphrates Y.C.S. vol .2. 1931, p.78.

(5) شيفمان ، ص118-119.

(6) محمد وحيد خياطة ، ص 165.

(7) نوع من أنواع الرخويات البحرية يفرز صباغاً .

وقد صدر السجاد الدمشقي الذي يتميز بدقه صناعته وحسن منظره إلى الخارج بأسعار مرتفعة نظراً لحياكته اليدوية الدقيقة (1).

وهناك إشارات إلى تصدير الثمار و خاصة المجفف منها، مثل الخوخ التي تشتهر به دمشق، والتين الذي لاقى شهرة واسعة في روما (2).

ومن السلع الهامة التي لاقت رواجاً كبيراً في أرجاء الإمبراطورية الزيوت، وبشكل خاص زيت الزيتون والمصنع في مناطق الساحل السوري كاللاذقية وأنطاكية (3).

أما السلع المتعلقة بالمواشي والدواب فقد كانت تصدر الخيول والأغنام وفقاً للتعرفة التي تحددها التعرفة الجمركية التدمرية (4).

أما عن عملية نقل هذه السلع فقد تم الإشارة إلى نقلها بواسطة الإبل والحمير والعربات والسفن البحرية أو القوارب النهرية،وأن النقل بواسطة الجمال،مناسب للمناطق الصحراوية وبالنسبة للمسافة التي تقطعها قافلة الجمال فإنه تتوقف على عدة عوامل أهمها : طبيعة الأرض ( سواء كانت رملية أو صخرية أو سهلية أوجبلية ....) ، أوقات السفر ( من حيث الفصول ، حجم القافلة ، نوع الحمولة ....)، الظروف الأمنية ( الحروب واللصوص .....)، ومهارة قائد القافلة(5).



**صورة رقم (34) منحوته لجمل محمل بالبضائع من تدمر**

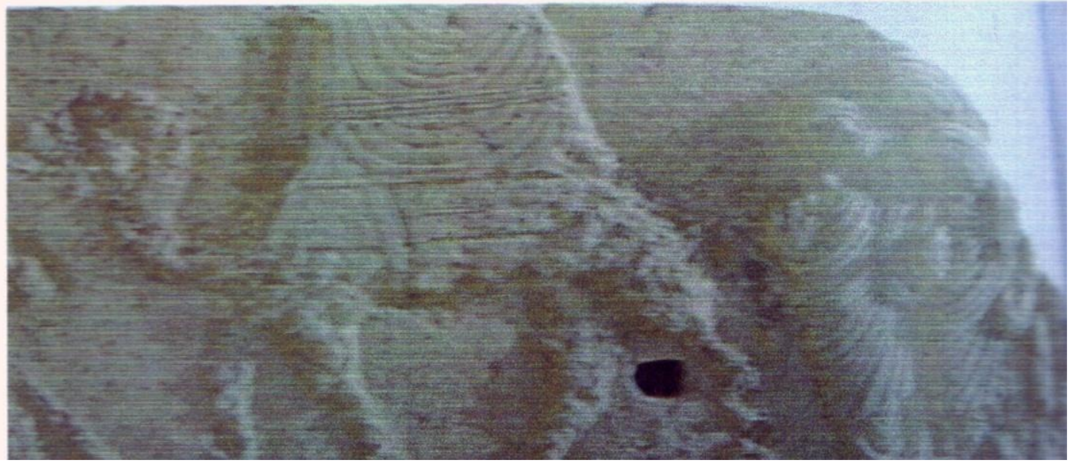
---

**(1)**Pliny , **N.H.X . 28.**
(2)Pliny , N.H.XIII,5.

(3) فيليب حتي ،ص329.
(4) محمد وحيد خياطة ، ص 165.
(5) محمد مادون ، ص 130.

وللجمال الدور المهم والأساسي في تجارة القوافل ، فقد كانت تدمرأثناء فترة استخدام الجمل منطقة عبور للقوافل التجارية، حيث كانت واحتها تمثل مرابط لجمال القوافل التجارية القادمة من أقصى الأمكنة ، وهذه القوافل كانت أساس ازدهار تجارة تدمر وغيرها من مدن القوافل الأخرى كدوراأوروبوس والرصافة التابعتين تجارياً لتدمر وحمص ودمشق وبصرى[1].

وهناك الكثير من النقوش المكتشف في سورية والتي تدل على مدى أهمية الجمال في النقل التجاري ، كهذه المنحوته المكتشفة في تدمر .



صورة رقم(35)

وقد صورت الجمال مع الألهة نفسها آرصو وعزيز وهم يركبون الجمال[2] ، انظر الصورة رقم (36).

وهناك نقشان من الموزايك في دير العدس ببصرى ، يمثلان قافلة صغيرة من الجمال المحملة ، يقودها رجل مع قليل من الأحمال[3]، انظر الصورة رقم (37) .

(1) ميترال فرانسوا ، تجارة تدمر ، وسيلة بين البدو والحضر ، ترجمة هيثم حسن ، الحوليات الأثرية السورية ،مج42 ، دمشق 1996، ص191.

(2)R.Stoneman, Palmyra and its Empire, USA1995, p.48.

(3) M.Sarter, La Syrie antique, Paris2008,p.77.

ومن الأدلة أيضاً على نقل البضائع بواسطة الحيوانات : نقش موجود في متحف السويداء يمثل حماراً قليل الأحمال يقوده صاحبه[1] ،كما في الصورة.



صورة رقم 38

وبقيت السفن البحرية تلعب دوراً أساسياً في التجارة منذ زمن الفينيقيين الذين برعوا في صناعة السفن ، وهذا الأمر استمر في الفترة السلوقية ، حيث احتفظ سلوقس الأول باسطول من السفن في الخليج العربي ، كان قد جهزها في أحواض فينيقية ، ثم استمرت صناعة السفن في الفترة الرومانية [2].

وينسب إلى فسبسيان إنشاء أسطول سورية ( Classis Syria) فقد عثر على مدفن أحد البحارة في مدينة سلوقية بيريه [3] ، كما اكتشفت رسوماً وأثار لسفن في دوراأوروبوس ميناء روما على الفرات [4] ، وبرع التدمريون في النقل المائي (البحري والنهري) ، حيث كانت لهم سفنهم الخاصة في مجاري دجلة والفرات ، وكانوا يفرغون الحمولات فيها لنقلها عبر الخليج العربي ثم المحيط الهندي وصولاً إلى الهند ،وبالعكس كانت تجلب منتجات الهند على هذه السفن ، حيث تفرغ على شواطئ الخليج العربي ، ويقوم الحمالون بتحميلها على ظهور الجمال والحمير إلى تدمر ومدن القوافل الأخرى كدورا وأنطاكية واللاذقية ودمشق وبصرى وغيرها ، ومن ثم إلى مدن الساحل الفينيقي كصيدا وصور ..وغيرها .

---

(1)دانتز، 1987، ص 243.

(2) محمد السيد غلاب ، المرجع المتقدم ، ص 427-428.

(3)Rey Coquais,1978 p.70.

(4)Rostovtzeff, 1932, pp.6-7.

وهناك نقوش لعدد من الرجال التدمريين ، مالكي السفن ، نذكر منهم : نقش لماركوس أولبيوس يرحاي ( Marcus Ulpius Yarhai)الذي ذهب برحلة تجارية على متن قارب حنينو بن حدوان إلى الهند ، حيث خلد اسمه على جدران معابد تدمر [1] ، انظر صورة رقم (39).

أماعن المسافة التي تقطعها قوافل الإبل حوالي 24,7 ميلاً أي حوالي 37كم، وهناك معطيات بأرقام تتعلق بسير الحيوان، فكانت الجمال تحمل من 200 إلى 300كغ من البضائع، والبغال 80كغ، والحمير 50كغ .

تشير الوثيقة [2]المؤرخة سنة 192م إلى رحلة قافلة كاملة من ميناء ميسان على الخليج العربي إلى تدمر يكلف أكثر من ثلاثمئة دينار .

وهناك وثيقة[3] أخرى تشير إلى أن الذي يقود الحمار من خلال اتفاقية التبادل إذا فقد حماره فعلى الطرف الأخر تزويده بواحد بدلاً من المفقود، وكذلك الحال بالنسبة للسفن بالاتفاق إذا فقد أحدٌ سفينته فسوف يقوم الطرف الآخر بتعويضه بدلاً من المفقود .

تشير المصادر إلى الزمن التي تطلبه الرحلة من مدينة إلى أخرى، أو من ميناء إلى مدينة، فمثلاً من جرش إلى البتراء تحتاج إلى مابين ثلاثة إلى أربعة أيام [4] ومن القدس حتى الرها حوالي خمسة وعشرون يوماً،ومن أنطاكية حتى سلوقية بيريه يومان فقط [5].

أما عن أسعار السلع فبالرغم من قلتها إلا أنه يمكننا التنويه إلى أن أسعار السلع كانت مطابقة لأسعار السلع خلال القرن الثاني الميلادي فيما عدا السنوات الأخيرة للربع

---

(1)Bowersock, p.73.

(2)C.I.S. II,3.I, nr.3948.

(3)I.G.R.R., III, 1050.

(4)Heichelhiem , p210.

(5)Strabo , XVI. C751.7.

الأخير من القرن الثالث الميلادي، فقد شهدت الأسعار ارتفاعاً ملحوظاً وخاصة في تدمر وغيرها من المدن، ويعود ذلك للحصار العسكري الخارجي والحصار الاقتصادي الداخلي الناجم عن انتشار الأوبئة وقلة المؤن التي تتطلب سد حاجات السكان والجيش المحاصر معاً بعد قطع الطريق الإمدادات الخارجية عن هذه المدينة ولفترة ليست بالقصيرة، وقد استصدر دقلديانوس مرسوماً حول الأسعار سنة 301م حدد فيه تعريفة النقل المتنوعة حسب الوسيلة المتبعة [1].

ومن خلال سلسلة النقوش ( S.E.G) التي تعود إلى مدينة دوراأوربوس والتي توضح لنا تفاوت الأسعار في الأسوق التجارية في هذه المدينة التجارية الهامة والتي تعود لسنوات (235-240م) .

- شراء اللحمة 19 ديناراً، والشعير 52ديناراً واللحم بثلاثة دنانير [2]، وهنا يمكن القول هل هذا التفاوت في أسعار اللحم يعود إلى ارتفاع قيمة السلع الاستهلاكية ، أو أنه عائد إلى نوع اللحم المباع؟ حيث لم يتم الإشارة إلى نوع اللحم المباع بتسعة عشر ديناراً عن ذلك المباع بثلاثة دنانير فقط.

- لدي رهن : خاتم بقيمة 8 دنانير.

- لي عند غرانيت ثمن صوف غنم بأربعة عشر ديناراً وأربعة دنانير حمير .

- صبغة أرجوانية اثنا عشر ديناراً [3] .

ومن خلال هذه العمليات التجارية نستشف بأن المدفوعات إما أن تكون نقدية أو غالباً ما تكون مشاركة في عمل ما ، بالإضافة إلى تقديم قروض مقابل رهن معين، ولا يقتصر هذا النشاط على دورا وحدها فحسب، بل يمتد إلى مدن تجارية عديدة[4].

---

(1) توماس بوزو ، ص232.

(2) هذا يشير إلى تفاوت إما في أسعار اللحم أو في أنواع اللحوم ، حيث لم يذكر نوع اللحوم الذي يباع 19 دينار عن تلك التي تباع 3 دينار.

(3) شيفمان ، ص108--111.

(4) المرجع نفسه ، ص 111-112.

## رابعاً ـ أهم المدن التجارية :

منذ وصول روما إلى المشرق العربي في القرن الأول ق.م أرادت أن ترث النشاط التجاري لدول هذه المنطقة (الدويلات الهلنيستية )؛ بأن تضع يدها على التجارة البحرية بين البحر المتوسط والمحيط الهندي لتأمين وصول التوابل والعطور و الأقمشة النفيسة المستوردة من بلاد الشرق بأقل تكلفة، حيث كانت هذه التجارة وقفاً على التجار العرب والتجار الصينيين، فبذلت مساعيها للاستحواذ على هذه المحطات والطرق بهدف احتكارها وتحصيل الرسوم والمكوس من القوافل العابرة لصالح خزينة الإمبراطورية[1].

### 1- تدمر: Palmyra

شكلت أحد أهم القوافل في الصحراء السورية التي وصلت أوج نموها الاقتصادي إثر سقوط مدينة البتراء منافسِته ا التجارية الهامة ووقوعها تحت النفوذ الروماني سنة 106م،وكانت تدمر من جملة المدن الني كانت العوامل السياسية والتجاريةِ هي الأساس في بروزها وتطورها السريع وشهرتها؛ لذلك فإن التاريخ المعروف والواضح لتدمر قصير بالنسبة لوجودها وقياساً لبقية المراكز الحضارية في هذه المنطقة، فهي كمنطقة مأهولة تعود إلى أزمنة قديمة جداً . ومما لاشك فيه أن التجار الذين اجتازوا البادية بقوافلهم منذ تلك الأزمنة اتخذوا من تلك الينابي ع في واحة تدمر مكاناً للاستراحة،فنشأ بمرور الزمن قرية صغيرة ومعبد، لذلك فإن تدمر تدين بوجودها إلى آبار ومياه نبعها المسمى نبع افقا ، وإلى سعة واحتها الخضراء والتي تزهو بأشجار النخيل والزيتون، مما جعل واحتها كالزمردة الخضراء في وسط بادية الشام ورمال الصحراء، كما تدين تدمر بازدهارها الاقتصادي إلى موقعها الاستراتيجي على طريق القوافل التجارية [2].

---

(1) علي أبو عساف ، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، دراسات تاريخية، العددان 39-40، دمشق 1991 ص80.

(2) بشير زهدي ، 1991 ،ص119-131.

إذ تعتبر عقدة للطرق التي تلتقي فيها شرايين التجارة بين آسيا وحوض المتوسط وبلدان العالم القديم،مما جعلها مركز جذب تجاري في قلب البادية السورية، وبرزت كمحطة من أهم المحطات والواحات على طريق القوافل التي تعبر الصحراء،والذي دعي فيما بعد بطريق الحرير البري [1]الممتد من الصين حتى روما عبر أقطار المشرق القديم، وقد وصفها بليني بقوله ( تدمر تمتاز بموقعها وخصوبة تربتها وطيب مائها، وفيها بساتين تحدق بها الرمال من كل جانب، وكأن الطبيعة عزلتها عن العالم وقد جعلها قدَرُها قائمة بين إمبراطوريتين الرومانية والفرثية وكل منهما يفكر بها[2].

ونستنتج من قول بليني أن تدمر في النصف الأول من القرن الأول الميلادي لم تكن تابعة للرومان على الرغم من السيطرة الرومانية على سورية عام 64ق.م.

ويرى سيريغ أن تدمر في تلك الفترة تدفع جزية؛ أي أنها مدينة محرومة من الاستقلال تتحكم بها مشيئة الوالي، ومؤسساتها الديمقراطية ليس لها من السلطة إلا ظلها، ومهما كان أمر وصاية روما على تدمر فإن تلك الوصاية لم تتم بقوة الفتح بقدر ما كانت نتيجة طبيعية لمصالح تدمر الاقتصادية واشتباك تلك المصالح مع مصالح الذين أصبحوا يسيطرون على الطرق والمرافئ في سورية ومصر والأناضول[3].

تشير الوثائق على أن تدمر كانت على جانب كبير من الأهمية نظراً لموقعها، حيث تشكل إمارة مستقلة وطدت مركزها خلال الفوضى التي أعقبت انهيار الإمبراطوريتين السلوقية في سورية والحروب المدنية في روما [4]، وكانت تتمتع بنظام يقوم على وجود مجلس للشيوخ شأنها شأن المدن الإغريقية، لكن دور العشيرة كان مهماً للغاية ولم يتغير هذا النظام كثيراً عندما ألحقت تدمر بروما فيما بعد .

---

(1) عادل عبد السلام ، ص37.

(2)Pliny , V, 25, 688.

(3) عدنان البني- خالد أسعد ، ص 67.

**(4)**H.Seyrig , Le Statut de Palmyre, Syria , XXII, 1941, p31.

وكان دور التدمريين في حسن تنظيم رحلات هذه القوافل التجارية ورعايتها وحمايتها وتسهيل مهماتها وتقديم الخدمات المختلفة إليها، والإسهام في فعاليات الاقتصاد والتجارة الخارجية الدولية، كل ذلك قد أسهم في ازدهار تدمر بسرعة وجعل التدمريين من كبار التجار الأثرياء ، وغدت مدينتهم تدمر بمثابة أكبر مركز تجاري متميز ، ومحطة هامة للقوافل التجارية في طريق الحرير البري الدولي . و كان تعاونهم فيما بينهم وفق تقاليدهم المحلية المتعارفة ومساواتهم وتعلقهم بمبادئه م، كل ذلك جعل تدمر تبدو بمثابة عاصمة جمهورية أغنياء التجار وأمراء القوافل التجاريةِ ، تعتمد على موارد التجارة والرسوم من القوافل التجارية.

وكانت مكانة تدمر التجارية والإدارية و السياسية ، وفعاليات التدمريين الاقتصادية والتجارية، و سياستهم الدولية القائمة على التوازن الدقيق بين الإمبراطوريتين الكبيرتين الفرثية والرومانية، قد حققت لتدمر مكاسب عديدة منها: حسن إدارتها وتنظيمها لحركة القوافل التجارية في طريق الحرير البري الدولي عبر تدمر، إضافة لتوسع فعاليات التدمريين التجارية في الخليج ووصولها حتى الصين، وتمتعهم بنفوذ كبير في مناطق بعيدة عنها كانت تسيطر عليها الإمبراطورية الفرثية [1].

وقد شهدت تدمر في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي وجود حاكم روماني فيها يحمل لقب (Legatus) يتخذ القرارات الهامة ومجلس الشيوخ (Schatus).ولم يعد مجلس الشعب التدمري من قبله إلا بمثابة مجلس بلدي ليس له من السلطة إلا ظلها[2] .

كما شكلت تدمر كياناً خاصاً فيها من حيث الإدارة والحكم لمجتمع نصفه حضري ونصفه الآخر قبلي، وككل مدينة يونانية انقسم الشعب ( الديموس –Demos) إلى عشائر لعبت دوراً هاماً وتشعبت بدورها إلى أفخاد، واستناداً إلى كتابات القرن الثاني

(1) بشير زهدي ، 1991 ،ص 132.

(2) عدنان البني ، ص72.

الميلادي كان يوجد أربع عشائر تضم جميع سكان المدينة ( بوليس- Polis) للدلالة على الجماعة المدنية في تدمر، وهذا التعبير على الرغم من قلة استعماله قياساً مع تعابير أخرى فإنه ورد في نصوص عديدة عن الندرة النسبية لاستخدام تعبير بوليس بتعبير آخر هو بوليتس ( Politis) إلى مواطن (مدني)، وورد في الكثير من النصوص التكريمة، وبما أنه أصبح لتدمر بنية مدينة يونانية في القرن الثاني الميلادي فإن جهازها الإداري يشبه جهاز المدن اليونانية، مع حفاظها على خصوصيتها، وبرزت أدوات الحكم من خلال هذا الجهاز بوضوح في قانون التعرفة الجمركية التدمرية الذي حدد الرسوم الجمركية داخل مدينة تدمر أو في أقاليمها لصالح الصندوق البلدي[1].
وقد ضمت معظم الوظائف الإدارية الشبيهة بالوظائف الموجودة في مدنها كالمجلس والاجتماع الشعبي والأرخونت والغرامانوس وغيرها.

ويتضح من ذلك أن تدمر كانت تملك أنظمة إدارية واسعة ومتكاملة تدل على بناء اقتصادي متطور ومتكامل؛ لأنها جمعت بين النظاميين المدني والقبلي، حيث اقتبست الكثير من المدن الإغريقية بما فيها من مؤسسات ووظائف مدنية وعسكرية مع تسميتها، لكنها في نفس الوقت حافظت على خصوصيته ا من خلال نظامها القبلي الذي اتضح فيه انضواء سكانها ضمن قبائل، كما تميزت تدمر دون غيرها بظهور وظائف إدارية جديدة فرضها الواقع السياسي والوضع القانوني، وبفضل هذه الأنظمة استطاع ت تدمر إقامة إمارة قوية في عهد أذينة وزوجته زنوبيا .

(1)Millar , p256-257.

وقد برز دور التجار التدمريون الذين عملوا على رعاية وحماية القوافل التجارية المارة بتدمر عن طريق جماعات تقوم بدور الوسيط في نقل السلع عبر الشرق، وتجبى الضريبة اللازمة على السلعة والنقل والتي يعود خيرها على تدمر بأكملها وفق القانون الذي تم الاعتماد عليه [1]، و لم تكن تدمر مجرد محطة لتستريح فيها القوافل بل مارس التدمريون بأنفسهم التجارة؛ يعقدون الصفقات مع أقاصي البلدان، ويمخرون عباب البحار ليحملوا معهم منتجات الشرق الأقصى، وكان لهم موظفون تابعون لهم ليقوموا بعقد الصفقات مع تجار الخليج الفارسي [2].

ويعتقد أن تراجان أول من أسس حرفة نظامية تدمرية مساعدة في الجيش الروماني، وأول من أقام حامية رومانية في تدمر، وذلك عندما بدأ بمشروعه الذي أراد به الوصول إلى حدود الإمبراطورية الرومانية حتى دجلة والخليج العربي.

وفي عهد الإمبراطور هادريان ( 117- 138 ق.م ) دخلت تدمر مرحلة جديدة من تاريخها السياسي، حيث غدت إحدى مستعمرات الإمبراطورية ولا سيما بعد زيارة الإمبراطور لها سنة 129م، واستقبل فيها استقبالاً حافلاً ومنحها لقب Liberat Civitas [3] التي تخولها سنّ ضرائبها وجبايتها بنفسها، وأصبحت تدمر باسم (Boule) تقرر وتحكم وتستقل في القضايا البلدية، ويمثل الإمبراطور فيها مندوب إمبراطوري يدعى (Curator) يراقب سير الخزانة كما في جميع المدن الحرة .

واعترافاً منها بأن هادريان أمن لها ما تحتاجه عسكرياً وإدارياً لتوطيد استقلالها وخاصة أنها اعتبرت خط الدفاع بالنسبة للفرات؛ لذا أطلقت تدمر على نفسها لقب تدمر الهادريانية (Hadriana Palmyra)، الذي أعطاها وضعاً متميزاً عن باقي المدن

---

(1)J.F.Matthews. The Tax Law of Palmyra, J.R.S.Vol LXXIV. 1984.p.175..

(2)B. Lifshitz.Etudes sur I histore du La province Romaine de Syrie ,ANRW, II, 1977,p. 23.

(3) عدنان البني ، ص73.

السورية مع العلم أن موقعها الجغرافي هو الذي حدد مصيرها السياسي وكانت البتراء قد توقف نشاطها نهائياً سنة 106م إثر زوال نفوذها السياسي واستقلالها، فأصبح لتدمر عملياً كل الطرق التجارية في الشرق بين مصر وجزيرة العرب وأوربا من جهة، وفارس والهند والصين من جهة ثانية، وأصبحت حلقة أساسية في طريق الحرير الهامة بين الصين والعالم الروماني التي كانت من مسالك التفاعل الحضاري في العالم القديم [1].

وهكذا عرفت أكبر قدر من الازدهار الاقتصادي وكان ذلك ببناء معابدها الجديدة، وجددت بناء بيوتها القديمة ووسعّتها وحسنتها ، ووفرت بناء السوق العامة وبدأت بإنشاء الشارع الرئيسي .

وبعد مرور عدة سنوات من حكم هادريان وخلال زيارته الثانية للشرق يمكن أن نلمس طابع التغيرات على وضع تدمر الاقتصادي، عندما غدا تحديد حجم الضرائب وتوقيع الاتفاقات كلها من اختصاص سلطات المدينة نفسها .

ومن المعروف أن أهم الامتيازات التي تتمتع بها المدن الحليفة لروما هي حق فرض الرسوم على السلع الداخلية والخارجية منها، ومع هذه السياسة الضريبية الجديدة يمكن إجمال سياسة روما حيال تدمر والسعي لتوطيد العلاقة بين تدمر والإمبراطورية عكس ما كانت عليه خلال القرن الأول عندما دعت إلى الحد من سيادتها [2] .

تذكر النقوش التي أشار إليها Mattews إلى المكانة المرموقة التي احتلها التجار التدمريون، والتي توضح مدى أهمية نشاط هذه الفئة في المجتمع من خلال نقش عثر عليه في صحراء تدمر؛ يذكر ( قرار مجلس المدينة بتكريم سواد بن يوليدع بن سواد من قبل الإمبراطور هادريان لتفانيه في خدماته وخدمة قوافلها، ولثبات جدارته في المناصب التي أوكلت إليه كوفئ بعدد من شهادات التكريم من قبل الإمبراطور هادريان) [3].

---

(1) عدنان البني ، ص73.

(2) جونز، ص 9-10.

(3)Mathews, p.174-175.

أما المرحلة التالية من تاريخ العلاقات بين تدمر وروما فبدت واضحة خلال النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، والتي ارتبطت بحصول تدمر على الحقوق التي تمتعت بها المستعمرات الإيطالية، وذلك خلال حكم الأسرة السيفيرية (183-235م) عندما حظيت برتبة (Colonia Romana)[1]، وليست لدينا معطيات مباشرة عن التاريخ الذي يعود إليه حصول تدمر على هذه الحقوق [2].

وانطلاقاً من حصول تدمر على هذه الحقوق طرأ تغير اقتصادي هام على تدمر، والتي يعفيها تماماً من دفع الضرائب للخزانة الرومانية، وفي هذا دفع للاقتصاد التدمري؛ مما جعلها تزدحم بالبضائع والتجار هذا من جهة، ومن جهة أخرى برز لنا التغير السياسي الذي اتخذته روما كمحاولة منها لمحاباة روما في اتخاذها القوة المدافعة عن مواقع روما عند الحدود الرومانية البارثية [3]، ويؤكد روستوفتزف على أن هذه المحاباة بدأت منذ عهد سبتيميوس الذي وثق علاقته بأبناء تدمر، ومنحهم مراتب عالية تصل إلى مراتب الطبقات الأرستقراطية الرومانية وكذلك دخولهم في الجيش، مما دفعهم إلى إضافة لقب سبتيميوس على أسمائهم التدمرية، وبصرف النظر عن الألقاب التي حملها أبناء تدمر ومحاولات روما المتكررة التدخل في شؤونها [4]، فقد ظلوا ودونما تغير يحتفظون بقدر كبير من حريتهم واستقلالهم [5]، وصك عملتها الخاصة بها من معدن البرونز كتب عليها Palmyra[6] .

(1)عماد الدين الموصلي ، ص124.

(2)يعتبر بعض المؤرخون بأن هذا الحدث وقع في عهد كاراكلا عندما أصدر مرسومه الدستوري عام 212م ومنهم شلومبرجة يشير بهذا الخصوص أنه بعد عام 212م تسجل النقوش التدمرية ما يفيد بأن التدمريين حصلوا على حق المواطنة الرومانية وهم يدينون بهذا إلى المرسوم الإمبراطور كاراكلا، وبعضهم الآخر يرجح إمكانية حصول تدمر على الحقوق قبل جلوس كاراكلا على العرش الإمبراطوري وهذا ما تفيد به الوقائع، فأبيان على غير عادته لا يشير إلى الإمبراطور الذي أعطى هذه الحقوق لتدمر ولا سيما بأن كاراكلا قد شارك والده في الحكم خلال (193-211م) وعليه يصبح من الصعب تماماً شرح مثل هذا الصمت فيما لو كان أي من سيفريوس أو كاراكلا قد منح هذه الحقوق المدنية . انظر : شيفمان ، ص208- 209..

(3) المرجع نفسه، ،ص 209.

(4) S.E.G.II. 138.

(5)H. Seyrig , 1941.p154-160.

(6) Rostovtzeff , 1932. p112,

وخلال حكم ألسكندر سيفيروس ( 222-235م) سطع نجم تدمر التي وطدت مركزها كإمارة مستقلة لها نظام خاص يقوم على مجلس الشيوخ، وغدا أذينة الأول عضواً في السيناتور ، كما تم توسيع Agora والشارع الرئيسي نحو المعبد، وجعلت له بوابة دعيت "قوس النصر"[1].

إلا أنه في أواخر الحكم السيفيري وبالتحديد خلال سنة 228م تعرضت الأراضي السورية على الحدود الشرقية إلى هجمات متكررة، نتج عنها احتلال سابور الفارسي مصبات دجلة وميسان ، وبالتالي أغلقت أهم الممرات التجارية للقوافل التدمرية ، مما أدى إلى خنق تجارتها وتكدس بضائعها [2]، والبحث عن اتجاه آخر لعبور تجارتها متخذة الطريق نحو الجزيرة، ثم تراجعت لتتخذ طريق أنطاكية ونصيبين شمالاً لعبور قوافلها [3]. وفي منتصف القرن الثالث الميلادي ، تبلورت شخصية تدمر عندما بدأت تلعب دوراً متنامياً في الحياة السياسية السورية ، إلا أن أسباب هذا الصعود ظل غامضاً، ولاشك أن غناها وعلاقاتها التجارية الواسعة لعبا دوراً هاماً في تقدمها، وجاءت الظروف السياسية المحيطة بالإمبراطورية الرومانية عامة وسورية خاصة ملائمة لخروج تدمر إلى دائرة النشاط السياسي ، زاد على ذلك الاجتياح الفارسي وهزيمة السلاح الروماني ، لتغدو فيها تدمر مدينة مستقلة ، وظهرت لأول مرة وبشكل مستقل على المسرح السياسي – الحربي ضد سابور الأول بزعامة أحد أبرز أمرائها وهو أذينة الثاني [4]، الذي استطاع بحنكته السياسية أن يحقق انتصاراً عسكرياً على جيوش الساسانيين، ولذلك جعله الإمبراطور الروماني حاكماً على سورية الفينيقية وذلك سنة 258م ، ومع هذه الإضرابات العسكرية

(1) عدنان البني –خالد أسعد ،ص 24.
(2) عماد الدين الموصلي ، ص124.
(3) H. Seyrig , 1941, p154-160.
(4) إن أقدم وأهم نقش يشير إلى أذينة الثاني يعود إلى 225م وجد على قبر شيده سبتميوس أذنية باللغتين التدمرية واليونانية ، يظهر فيه بان أسرة أذنية التي حصلت على المواطنة الرومانية في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث CIS.II. 4202، وآخر يعود إلى عام 251م قدمه أحد جنوده في إحدى الوحدات العسكرية في بصرى ويدعى افريلي فيلبن بن ماري بن راعيا أقامه على شرف القائد سبتيميوس حيران بن أذنية السيناتوررئيس تدمر.CIS.II.3944.

تعرضت التجارة التدمرية خلال هذه الفترة إلى حالة عدم الاستقرار؛ نظراً لاضطراب الظروف الأمنية السائدة على طريق التجارة المؤدية نحو الشرق الأقصى، إلى أن تمكن أذينة من استعادة مفاتيح درب الحرير ( 262-268)[1]، وامتدت سلطته حتى البحر الأحمر، وتتالت على أثرها الألقاب الشرفية تقديراً لخدماته، وكان أعظمها لقب ملك الملوك ، إذ أن هذا اللقب وطيد الاستخدام في بلاد الشرق [2]، وربما هدف من وراء ذلك تأكيد حرصه الشديد على الاستقلال والاعتزاز بالذات.

لدى استلام زنوبيا زمام الأمور في تدمر عمدت على استغلال الفوضى الضاربة في أرجاء الإمبراطورية، وقررت بمساعدة الفيلسوف لونجين إحياء مجد الإمبراطوري ة السلوقية ، فوجهت جيوشها نحو آسيا الصغرى وانتصرت على القوات الرومانية سنة 268م، ومن ثم استولت على مصر واتخذت لنفسها لقب أوغسطة ، وتعتبر النقود التي صدرت في هذه الفترة من أكثر المصادر ثقة ليقيم نظام الحكم في تدمر ، وما إن حلت سنة 270م حتى غدت الملكة زنوبيا تبسط نفوذها على معظم أجزاء القسم الشرقي للإمبراطورية الرومانية، وجعلت من تدمر مقرها بلداً يليق بهندسته وعمرانه طموحات هذه الإمبراطورة [3]. والجانب الأهم وهو الاقتصادي- التجاري هو قدرة زنوبيا على احتكار منافذ التجارة الشرقية من كافة منافذها التجارية بين مصر وجزيرة العرب من جهة، وبين فارس والهند والصين من جهة أخرى [4].

ونأتي لسنوات تدمر الأخيرة عندما تمكن الإمبراطور أورليان بعد معارك عدة وحصاره لحصن تدمر العظيم أن يأسر ملكتها زنوبيا أثناء محاولتها الفرار نحو بلاد الفرس لالتماس المساعدة[5]، وبالتالي أدى خراب تدمر على يد جيوش أورليان إلى تحول طرق التجارة

---

(1) علي مادون ، ص142.
(2) عدنان البني ، ص73- 76.
(3) قبل مقتل زوجها أذينة لم يكن دور زنوبيا معرفاً وواضحاً لكن الأحداث كشفت أنها كانت راجحة العقل وتعي جيداً الوضع السياسي في المنطقة وفي روما نفسها ، مثقفة استطاعت أن تستقطب الفلاسفة والمفكرين أمثال الفيلسوف (لونجين) وتعنته استاذاً لها في اللغة اليونانية وآدابها ومستشارها الخاص.
(3) عماد الدين الموصلي ، ص127.
(4) علي مادون ، ص139.
(5) Millar. p 324-325.

عن هذه المدينة لتتخذ منحاها شمالاً، إلا أن معظم التجار التدمريين وتجار مدن أخرى الذين استقروا في ميسان استمروا بتداول هذه المهنة ، يمولون البواخر الذاهبة نحو الهند والصين . ومع بداية القرن الرابع الميلادي احتل الفرس الساسانيون هذه المكانة التجارية، وزال الدور الذي كان يلعبه التجار التدمريون ولم يعد لديهم القدرة على المجازفة بأموالهم وأنفسهم بهدف متابعة نشاطاتهم ، وخاصة خارج حدود الإمبراطورية الضعيفة ، ولم يعد بمقدورهم التنقل والمتاجرة إلا بالاتفاق مع الفرس الذين حددوا أماكن تواجدهم داخل الأراضي الخاضعة لسلطتها [1].

## 2- أنطاكية: Antiocheia:

أهم المدن السلوقية مدينة أنطاكية ،درة الشرق الجميلة ، كما أطلق عليها المؤرخ أميانوس ماركيلينيوس Ammianus Marcellinus[2] ، كما دفع الإعجاب بالمدينة مؤرخاً آخر إلى المبالغة بالقول ، بأن أنطاكية بلغت من الجمال حداً جعل الآلهة نفسها تتلهف على الإقامة فيها[3]، وهذا ما أكده رستوفتزف بقوله : إن أنطاكية حاضرة ولاية سورية الرومانية ومن أكبر مدن الإمبراطورية وأروعها جمالاً [4]. ويذكر استرابون أنه يوجد أربع مدن بارزة شكلت سورية السلوقية كانت أنطاكية واحدة منها ، لذا دعيت تترابوليس ، وكانت بمثابة استراحة ملكية [5] كانت عاصمة الدولة السلوقية ، ومركز الحكم فيها ، وتقع أنطاكية في الشمال الغربي من سورية ، يحدها من الشرق جبل (Silpios) ومن الغرب نهر العاصي . أقام سلوقس الأول المدينة في العام الثاني عشر من حكمه ، أي في سنة 300 ق.م ، وأطلق عليها اسم والده(أنطيوخس) تخليداً لذكراه [6] وهي واحدة من ست عشرة مدينة

---

(1) جورج تات ، ص331.

(2)Ammianus Marcellinus. XXII, 9 , 14 .

(3) جلافيل داوني ، ص71.

(4) رستوفتزف ،ج1 ، ص 347.

(5) Strabo , Geo , XVI, C750, 5, p. 243.

(6) J.D.Grainger The Cities of Seleucid Syria (Oxford- 1990). p.49 .

حملت ذات الاسم ، إلا أنها كانت أشهر تلك المدن ، وقد أطلق عليها العديد من الألقاب مثل:أنطاكية على العاصي، وأنطاكية قرب دفنه [1]،ولعل هذا اللقب الأخير التصق بها أكثرمن غيره ، وتردد الكثير من الروايات حول نشأة أنطاكية ، و يذهب بعضها إلى القول بأن الإسكندر الأكبر هو الذي اختار موقع المدينة بنفسه ، فقد ذكر ليبانيوس أن الإسكندر بعد أن هزم دارا في موقعة أسوس سنة 333ق.م تقدم نحو فينيقيا ، ولم يلبث أن توقف في الطريق عند مكان إلى الشرق من الموقع الذي أقيمت عليه أنطاكية فيما بعد ، إذ كان يوجد نبع ماء بالغ العذوبة، حتى إن الإسكندر عندما شرب منه صاح إنه يضارع لبن أمه ، وأطلق على النبع اسم أوليمبياس( Olympias)(والدة الاسكندر )، وأنه عندما رأى جمال الموقع فكر في بناء مدينة فيه ، ولكن لم يكن بوسعه تعطيل سير الحملة ، فاتخذ الخطوة الأولى نحو إنشاء المدينة ، عندما أمر بإنشاء مذبح للإله زيوس في هذا المكان[2].

وعلى أية حال فإن رواية ليبانيوس لا تستند إلى أساس تاريخي ، ولم يرد ذكرها إلا عند هذا المؤرخ، ويمكن عدها نوعاً من المبالغة في الإشادة بمدينة أنطاكية ، مسقط رأس ليبانيوس[3].

وتذكر المصادر أن سلوقس بعد أن فرغ من شعائر إقامة مدينة سلوقية بيريه ، ذهب إلى معبد الإله زيوس في مدينة أنتيجونية وقدم القرابين إلى الإله، وسأله: هل يستقر في مدينة أنتيجونية ويغير اسمها أو يبني مدينة جديدة ؟ وعندئذ تكررت قصة النسر الذي هبط من السماءوخطف قطعة اللحم وطاربها إلى السماء،وركب الأمير أنطيوخس حصانه وتتبع النسر، وكانت المنطقة التي هبط فيها النسر هي التي وقع عليها الاختيار لكي تقام

---

(1) دفنه ضاحية أنطاكية تبعد عنها إلى الجنوب الغربي خمسة أميال وكانت ذات شهرة كبيرة لدرجة أن أنطاكية نسبت إليها وتسردإحدى الأساطير مطاردة أبولو لفتاة حيث تحولت في نفس الموقع إلى شجرة غار فأطلق على الموقع اسم الشجرة وقد امتازت دفنه منذ القدم بحدائقها ومناخها وأشجارها .

(2)Libanius, Antiochikos. Selected work. Tr. A.F. Norman .L.C.L. 1969. 72-77,87.

(3) مفيد العابد ، ص325.

فيها المدينة الجديدة [1]، و تم تقسيم أنطاكية إلى حيين رئيسيين، خصص أحدهما للإغريق، وأما الأخر وهو الأصغر فقد خصص للوطنيين [2]،وكان لكل حي سوره الخاص .

وقد اتبع في تقسيم المدينة ما كان معمولاً به في تقسيم مدن العصر الهلنيستي، فقد اتبع المهندس زيناريوس الذي وضع تخطيط أنطاكية طريقة التخطيط الشبكي الذي ينسب إلى هيبوداموس مهندس المدن الشهير، والذي يقوم على تقسيم شوارع المدينة إذ تتعامد الشوارع على بعضها بعضاً. وليست هناك معلومات كافية عن مباني المدينة ، فيما عدا ما ذكره أحد المؤرخين عن معبد الإله زيوس الذي أقامه سلوقس.
كما ليس هناك أدلة على وجود المؤسسات العامة الأخرى التي تميز المدينة الإغريقية ، مثل المسرح ، وإن كان من غير المعقول ألا يكون للمدينة مسرح عند إنشائها ، كما أننا لا نعرف على وجه التحديد التاريخ التي شيدت فيه القناطر التي كانت تحمل قناة لجلب المياه من ضاحية دفنه، ومن المعروف أنه كان في هذه الناحية مضمار للألعاب (Stadium ) في سنة 195ق.م .

وفيما يتعلق بالوضع الدستوري لأنطاكية ، فإن المصادر لا تسعفنا عند الحديث عنه، ولكن بعض الباحثين يرون أن المدينة ربما تمتعت بما كانت تتمتع به المدينة الإغريقية عند إنشائها ، وأنه كان بها مجلس الشورى ( βουλή ) ، إلى جانب بعض المظاهر الأخرى[3].

وعندما دخل القائد بومبي أنطاكية سنة 64ق.م استقبل بحفاوة وتكريم، وعكف على تنظيم الولاية الجديدة وعاصمتها أنطاكية، وقد رفعت سورية إلى مرتبة ولاية قنصلية، وعين فيها موظفاً رومانياً يقيم في العاصمة أنطاكية برتبة قنصل سابق .

---

(1)Grainger, p. 49 .

(2) جلافيل داوني ، ص34.

(3)A . H . M .Jones , The Greek City from Alexander to Justinian (Oxsford 1940) p.521.

ونظراً لهذا الموقع فقد أفادت المصالح التجارية للرومانيين ، ذلك أن التجار الرومان بادروا إلى توطيد أقدامهم في أنطاكية، فامتلأت بالجالية الرومانية المستغلة من التجار وذوي النفوذ الفعالة [1]، وفي عهد الإمبراطور تراجان جعلت أنطاكية قاعدة عسكرية تنطلق منها الجيوش في حملاتها ضد البارثيين، وقد أمر الإمبراطور تراجان بإنشاء قنوات لجلب المياه إلى أنطاكية من ضاحيته ا دفنه ، كما أمر بإنشاء حمام يستمد مياهه من هذه القناطر وأطلق عليه اسمه [2] . وقد تعرضت أنطاكية خلال حكمه إلى زلزال شديد سنة 115م واستمر أياماً؛ مما ألحق أضراراً بالغة ، وتمكن الإمبراطور الذي كان في أنطاكية آنذاك من النجاة من الكارثة بأمان والعودة إلى روما بأمان [3] .

وعندما تولى العرش الإمبراطور هادريان أوقف النشاطات العسكرية، وانصرف للإشراف على شؤون الحكم والنهوض بمدن الإمبراطورية، فكان لمدينة أنطاكية نصيب من الاهتمام؛ حيث أنشأ العديد من القناطر ، وسمى أحدها باسمه ، وأنشأ في دفنه أهم القرى التابعة لأنطاكية خزاناً محكم الصنع لحفظ مياه الأمطار، وقد تحول إلى هذا الخزان فيما بعد مياه ينبوع اسمه سارامنا [4]، وبنيت في عهده المسارح التي لا تزال آثارها باقية حتى الآن.

وقد تمتعت أنطاكية بجزء من الاستقلال في إدارة شؤونها الداخلية، وكانت تضرب النقود لتغطية احتياجاتها، وكانت العملة تحمل رأس فرس محاطة بأكاليل الغار [5].وبذات الوقت فرض على سكان العاصمة تأدية الجزي ة وعُشرغلاتهم، وضريبة الرأس ومكوساً على الصادر والوارد، إلا أن هذه الضرائب مع ثقلها كانت أخف على عاتق السوريين من المكوس التي كان يحّملهم إياها السلوقيين والتي يتقاضونها دون نظام معلوم وفي أي وقت أرادوا [6].

---

(1) جلافيل داوني ، ص101.
(2) المرجع نفسه ، ص 130.
(3) متري هاجي اثناسيوس ، ص 302-306.
(4) جلافيل داوني ، ص130.
(5) المرجع نفسه، ص212.
(6) نخلة ورد ، حضارة أنطاكية عبر العصور ، دمشق، 1965.ص 111.

أما أهم المحاصيل الزراعية فقد كان يزرع فيها الحبوب بشكل يسد حاجاتها المحلية، كما تنتج كميات وفيرة من الزيتون والنبيذ، وجادت أرضها بالخضراوات مثل القرع والفاصولياء والبازلاء، واستخدمت أخشاب أشجارها في صناعة السفن وكوقو د للمنازل والحمامات والمخازن، وكانت من أفضلها أشجار السرو والغار [1]. ونظراً لمهارة عمال الفضة والذهب والبرونز فقد كانوا يرسلون إلى صيدا؛ حيث نجد تأثير الفن الأنطاكي بارزاً على القطع المعدنية النفيسة [2]. وقد تميزت أنطاكية عن غيرها من المدن السورية أنها تضم مسارح ، حمامات ، حلبات المصارعة ووسائل التسلية المتعددة[3].

تتمتع أنطاكية بموقع استراتيجي هام، فقد كانت منذ عهد بعيد ممراً للتجارة ومقراً للجيوش بين الشمال والجنوب والشرق والغرب [4]، كما شكلت أنطاكية في العصر الروماني معبراً ومركز تقاطع طرق القوافل الذاهبة من الشرق والغرب [5].

وقد هيأت طبيعة التكوين الجغرافي لسهل العمق أن يكون أحد العوامل السياسي ة في الطرق التجارية في الجز ء الشمالي الغربي من المدينة، إذ تمر من هذا الساحل معظم حركة القوافل بين الجز ء الجنوبي من الأناضول والجزء الساحلي من سورية، وكذلك الجزء الشمالي لبلاد ما بين النهرين ، لذلك فإن سرعة هذا التنقل منح أنطاكي ة رخاءً اقتصادياً [6]. وكذلك ملتقى القوافل التجارية البرية بين مصر وبلاد ما بين النهرين وبين اليونان وبلاد العرب . ولم يكن نهر العاصي كما اليوم فقد كانت ضفتاه عبارة عن مستودعات تزخر بالسلع من حاصلات بلاد الهند والصين، تنقلها ظهور العبيد إلى المراكب الشراعية التي تصل إلىمركز سلوقية وتبحر منها إلى بلاد الغرب [7].

---

(1)أحمد علي اسماعيل ، ص473.

(2) Heichelhiem , p195 .

(3)Mathews, p.177.

(4) جلافيل داوني ، ص15.

(5) فيليب حتي ،ص 55.

(6) جلافيل داوني ، ص67.

(7) نخلة ورد ،ص 47.

وكذلك فإن أهم طرق التجارة في العالم القديم في الشرق الروماني كانت تمر من أنطاكية على العاصي، وميناءه ا سلوقية بيريه الذي يصل سورية مع باقي الموانئ التجارية الأخرى على ساحل المتوسط ( آسيا الصغرى مصر ، إسبانيا ، حتى المغرب )[1] .

ومن أبرز معالم مدينة أنطاكية ضاحية دفنه الجميلة ، التي تعد من أروع الأماكن في العالم القديم، لذا فقد نسجت من حولها الأساطير ، وكان بها معبد للإله أبولون ، وكان تمثال هذا الإله الموجود بالمعبد من أشهر تماثيل العالم القديم[2].

ونظراً لما كانت تتمتع به ضاحية دفنه من جمال ، فإنها كانت منتجعاً للموسرين من سكان أنطاكية الذين حرصوا على إقامة دور خاصة لهم فيها . وكانت دفنه عامرة بأماكن اللهو والتسلية ، وكانت مقصداً لطلاب المتعة ، وعادة ما كان الملوك يحرصون على قضاء فصل الربيع فيها . وعندما شيد مضمار الألعاب ، أصبحت دفنه مركزاً للألعاب الرياضية ، وكانت تنافس مراكز الألعاب الأولومبية في بلاد الإغريق[3] .

في النصف الثاني من القرن الثاني لم تكن أنطاكية ضمن أسماء المدن التي حصلت على حقوق المواطنة من قبل الإمبراطور سبتيموس الذي حرمها من شخصيتها كبوليس Polis ؛ لمساندتها لقائد الفرق العسكرية آنذاك نيجر (Nejer)،ومحبتهم وتأييدهم له أثناء صراعه مع سبتيموس من أجل العرش ، وخفض منزلتها، وأعطى لمنافستها مدينة اللاذقية لقب(Metropoli)،ولكنها ما لبثت أن استعادت تلك المكانة في عهد الإمبراطور كاراكلا الذي منحها رتبة شرفية (Colonia Romana). ولكن دون أن يخفف عنها ماتدفعه من ضرائب . وأعيدت لها الألعاب الأولمبية من جديد، وغدت في العهد

(1)Heichelhiem , p198 .

(2) تم التعرف على هذا التمثال من خلال صورة له على بعض قطع العملة التي عثر عليها في مدينة أنطاكية ، ويقال أنه يضارع تمثال زيوس الشهير الذي أقامه المثال فيدياس في أوليمبيا، في بلاد اليونان.

(3) جلافيل داوني ، ص59.

السيفيري ليس عاصمة الولاية السورية، فحسب بل عاصمة الشرق ومقراً للأباطرة السوريين الدائم، وأخذت أهميتها تزداد أكثر كونها ملتقى قوافل التجارة الذاهبة شمالاً أو باتجاه موانئ المتوسط ، وشيدت فيها الأبنية والقصور والملاعب والحمامات، ومنها الحمامان الشهيران اللذان أقامهما سبتيموس سيفيروس بعد أن عفى عنها بجهود ابنه كاراكلا، وهذا يعني أنها تحولت إلى ميتروكولونيا (Mttrocolonia) وهي مرحلة جديدة في صعودها [1].

لكن ما لبثت أنطاكية تنتعش حتى تعرضت إلى حالة من الفوضى والهيجان كباقي المدن السورية التي تعرضت للغزو الفارسي على يد الملك سابور الأول، وحل بها الكثير من الخراب ، وخسرت الكثير من مواطنيها ذوي العلم والمهارة الذين سيقوا كأسرى إلى بلاد فارس ، وأصبحت مركزاً للقيادة العسكرية خلال حروب الرومان مع الساسانيين، وقام الإمبراطور فاليرايان بإنشاء معسكر حصين على الجزيرة ، الذي استخدمه الإمبراطور دقلديانوس فيما بعد كأساس لبناءه قصراً هناك دعي باسمه .

جاءت الضربة القاضية لهذه المدينة عندما وقعت مع باقي سورية تحت سيطرة التدمريين ، خسرت خلالها مكانتها الشرقية ، وهذا ما جعل الكثير من الأنطاكيين يضمرون الحقد والكراهية للتدمريين ، لكنها استعادت أهميتها السابقة، وتلقت معونة خاصة من قبل الإمبراطور أورليان تتضمن توزيع القمح بلا مقابل على حساب الإمبراطورية، ووضع برنامج خاص لها للقيام بأعمال الترميم والإصلاح، وأعظم ما تلقته في هذه الفترة هو بروز مكانتها التجارية بعد أن غدا الطريق التجاري المستخدم يمر فيها كمحطة أساسية بعد زوال الطريق الجنوبي المار من مدينة تدمر المدمرة [2].

---

(1) شيفمان ، ص 210.

(2) نخلة ورد ، ص 150.

### 3- أبامية ( أفامية) :Apamea

تقع أبامية (أوأفامية لدى أغلب الجغرافيين العرب وفامية عند البعض الآخر ) على بعد واحد وخمسين كيلو متر اً إلى الشمال الغربي من مدينة حماه (ابيفانيا) ، ويمر بالقرب وإلى الغرب منها نهر العاصي على بعد حوالي ثلاثة كيلو مترات. وتعرف خرائبها التي دمرت بفعل الزلازل والغزوات الفارسية بين ( 541-579 ق.م) [1]باسم قلعة المضيق . وتذكر بعض المصادر أن موقع المدينة كانت تشغله مدينه محلية تسمى فارناك (Varnak)[2]، وقد أقام الاسكندر في موقع هذه المدينة مدينة جديدة دعاها بللا (Pella) على اسم عاصمة مقدونيۃ.

وقد أعاد سلوقس بناء مدينة الإسكندر (بللا) ودعاها (أبامية) تخليدا لزوجته أباما ( Apama)[3]. وهي واحدة من ثلاث مدن سميت بهذا الاسم.( واحد ةعلى الضفة الشرقية لنهر الفرات عند أحد نقاط العبور السهلة ، وتقع مقابلها على الضفة الغربية مدينة زيوجما (Zeugma)،والثانية في بارثيا إلى الجنوب مباشرة من بحر قزوين).

وعرفت هذه المدينة في الفترة الهلنيستيۃ بأنها كانت حصناً منيعاً وترسانة للجيش السلوقي ، وقد ذكر سترابون[4]أنه كان لسلوقس فيها 300 جواد كريم وثلاثون ألف فرس وخمسمئة فيل هندي ، ويبدو أن السبب الرئيسي لجعل هذه المدينة مركزاً لإقامة إسطبلات هذه الحيوانات ، وجود كثير من السهول والمراعي ،بالقرب من المدينة التي سهلت إطعام ذلك الحشد من الحيوانات ، كما أقيمت في هذه المدينة مخازن الأسلحة وساحات التدريب العسكري و عدّت في الفترة السلوقية المدينة الثانية بعد العاصمة أنطاكية، وبقيت كذلك في الفترة الرومانية[5].

---

(1) احمد وصفي زكريا، - مدينة أفاميۃ الأثرية ، الحوليات الأثرية السورية ، مج7،دمشق 1957، ص110.
(2) المرجع نفسه ، ص103.

(3) Jones , 1971, p.244.
(4)Strabo,VII.750.

(1) أحمد زكريا ، ص105-106.

وكان يتبع أبامية في الفترة السلوقية عدد من المستقرات والمدن الصغيرة، وقد ذكر منها سترابون ( لاريسا- أبولونيا – ميغارا- وكيسانا ) وتذكر الوثائق أن ( تريفون) مغتصب العرش بين (145-144 ق.م ) قد ولد في كيسانا (1)،ويبدو أن بقية هذه المستقرات لم تكن إلا قرى صغيرة لا يزال بعضها قائماً حتى الآن، فـ ميغار (Megara) واحدة من القرى العديدة الصغيرة المجاورة لأبامية، وتدعى اليوم (معره- Maara)، وقلعة شيزر الحالية كانت تدعى في ذلك الوقت ( Zinzar) . وقدقامت بعثتان بلجيكيتان بالتنقيب في موقع أبامية، وانحصرت أغلب مكتشفات البعثة الأولى(2) في الفترة الرومانية، وأهمها المسرح الروماني الحجري الذي يعتقد أنه قد بني على مسرح إغريقي أصغر منه .

وأهم ما يميز اللوحات الفسيفسائية الموجودة على أرضيات بعض منازل المدينة التي تعود أيضاً للفترة الرومانية ،هو تصوير المظاهر الطبيعية وعلى عكس فسيفساء أنطاكية وحوران الرومانيتين واللتين صورتا بكثرة الميثولوجيا الإغريقية، تنهض دليلاً على استمرار الحضارة الإغريقية وعمقها في المنطقة حتى في العهد الروماني . ومن المؤكد أن الساحات العامة ذات الأروقة المكتشفة في المدينة التي يصعب إجراء تعديل جذري في أشكالها في الفترة الرومانية تعود للعصر الهلنيستي، وتتميز بأروقتها التي تحملها أعمدة مزخرفة أو حلزونية ، كما وجدت مبان لم تعرف الغاية من بنائها ، منها بناء دائري الشكل يغلب الظن أنه كان يستعمل فندقاً . و أكثر المكتشفات أهمية كانت تلك الدقة المتناهية في توزيع شبكة المياه للمدينة.وقد وجدت هذه القناة سالمة وموزعة في أنفاق،داخلها أ سطوانات حجرية ضخمة تبلغ سماكتها حوالي 45 سم، وتشبه كثيراً التمديدات الصحية الحديثة بحلاقيم، وأقنية من بلدة (Salanias) أوالسلمية الشهيرة بينابيعها الكثيرة والتي تبعد سبعين كيلو متراً إلى الشرق من أفامية(3).

---

(1)Jones,1971. P.244.

(2) كانت البعثة الأولى برئاسة مايانس من جامعة لوفان وجرت حفرياتها ما بين (1930-1935م)

(3) كمال شحاده ، قناة سلمية،مجلة الحوليات الأثرية السورية –ج7،دمشق 1957، ص103.
في إشارة من مقال الأستاذ زكريا.

ولم تكن اكتشافات البعثة البلجيكية الثانية[1] بأفضل من الأولى، والتي أسهمت بإبراز معالم الطريق الإمبراطوري الرئيسي إلى أنطاكية وخالكيس والمرصوف جيداً بالحجارة السوداء . كما اتضحت أجزاء أكبر من المسرح الروماني وملحقاته واكتشاف معبد للإله زيوس بلوس (Zeus Bêlos)،كما اكتشفت البعثة بعض النقود التي تعود للفترات العربية والبيزنطية والهللينيغ في المدينة[2]. ولا تزال التنقيبات الأثرية تجري في كل سنة وتكشف عن معالم المدينة.

عندما دخل بومبي سورية احتل مدينة أفامية بعد أن هدم قلعتها التي كانت مكان قلعة المضيق الحالية [3]، وامتدت حدودها في العصر الروماني حتى حمص، ورابط فيها فيلق روماني ضخم مهمته صد أي اعتداءات من قبل الفرثيين ، فغدت أفامية معبراً تجارياً للقوافل التي تعبر من سواحل المتوسط إلى موانئ الفرات، وهناك طريق هام يمر من أنطاكية إلى حلب – أفاميا – حماه ثم سلوقية دجلة على الفرات [4]. كما أنها تمتلك مساحات واسعة من الأراضي الزراعية ومالها من أهمية خاصة في رواية سترابون أنها كانت محاطة بعدد كثير من القرى المحصنة؛ حيث تمر حدودها بمحاذاة نهر مارس الذي يفصل أراض عن محمية الناذريين ،وقد بنيت فيها الحمامات والقنوات، وغدت مسرحاً للألعاب الأولمبية وسباق المركبات وصراع الوحوش .

كما تعرضت المدينة كباقي المدن للغزو الساساني بقيادة سابور، وأدى إلى تدمير الكثير من معابدها [5].

---

(2) كانت البعثة الثانيةبرئاسة جانين بالتي من المتحف الخمسيني في بروكسل واستمرت حفرياتها ثلاث سنوات( 1930-1933 ).

(2)J. Balty, Apameé de Syrie Conter Belgae de 243echerché Archéologiques .( Bruxelles-1969) p. 51 ff

(3) هورست كلينكل ، آثار سورية القديمة ، ترجمة قاسم طوير ، دمشق 1985 ،ص69.

(4)Bouchier , p161.

(5)Balty, p130-131.

## 4 – دوراأوروبوس DuraEuropos:

تقع دوراأوروبو س شمال شرق بادية الشام، على الضفة اليمنى لنهر الفرات(Euphratou)، وقد أقيمت على موقع قرية قديمة تسمى دورا Dura[1] . ومن المعتقد أن بداية إنشاء المستعمرة يرجع إلى عام 300ق.م إذ شرع به نيكاتوا حاكم منطقة شرق سورية بتكليف من سلوقس الأول، وأطلق عليها اسم أوربوس ( Europos) تخليداً لمسقط رأس سلوقس في مقدونية، وأضيف اسمها القديم دورا. ومما هو جدير بالذكر أن أوربوس الأصلية في مقدونية كانت مدينة حدودية أخذت دوراً حيوياً في صد الغارات التي يمكن أن تهدد مقدونية، وهو دور يشبه إلى حد كبير الدور الذي كان على هذه المستعمرة أن تؤديه بالنسبة للدولة السلوقية[2] .

ومن المحتمل أن المستوطنين الأوائل في هذه المستعمرة كانوا من المقدونيين، ومن مدينة أوروبوس على وجه التحديد ،إذ يلاحظ أن أفراد الطبقة العليا من سكان دوراأوروبوس في العصور الهلنستية والفرثية والرومانية كانوا يحملون أسماء مقدونية وإغريقية .

ولا تتوافر معلومات كثيرة عن المستعمرة في سنواتها الأولى ، ولكن هنالك بعض الدلائل التي تشير إلى أنها من عصر السلوقيين الأوائل،ولم تكن مجرد ثكنات عسكرية، بل كانت مؤلفة من حصن قوي ومدينة ذات تخطيط جيد[3] .

واحتلت دوراأوروبوس موقعاً عسكرياً وتجارياً متميزاً على نهر الفرات ، وكانت تتحكم في الطرق التي تربط شمال بلاد الرافدين مع جنوبه، وتم تحصين المستعمرة من جوانبها كافة،وأقيمت قلعة حصينة داخلها قصر الحاكم الذي حمل لقب استراتيجوس (Strategos ) ، وكذلك أقيمت مساكن لإيواء الجنود .

---

(4) ومعناها بالآرامية الجدار أو الديار . انظر : سيد الناصري ، ص294.

(2)Grainger, pp. 65-66 .

(5) أورد روستوفتزف رسماً تخطيطياً لهذه المستعمرة، تم إعداده على الأدلة الأثرية، انظر:
Rostovtzeff,S.E.H.p483.

ومن الناحية الدستورية فمن المعروف أن دورا أنشئت كمستوطن ة عسكرية في الفترة الأولى لتؤمن بعض الخدمات العسكرية للدولة السلوقية، وتطورت فيما بعد لتؤدي دوراً تجارياً بارزاً، ثم رفعت إلى مرتبة مدينة ( πόλις) في عهد أحد الملوك السلوقيين[1].

ويعتقد روستوفتزف ونتيجة دراسته دستور المدينة بأنه على الرغم من أن جميع الإشارات التي وصلتنا عن هذا الدستور تعود للفترة البارثية ، إلا أنه من المؤكد أنه لم يكن إلا استمراراً لدستور المدينة في الفترة الهلنيستية ، إذ إن معظم شواهد هذا الدستور ترتكز ارتكازاً واضحاً على قواعد قانونية إغريقية بحتة مع بعض التعديلات الطفيفة [2]، ومن غير المعقول أن يقر البارثيون دستوراً إغريقياً لمدينة تحت حكمهم لو كانوا هم أنفسهم موجدي هذا الدستور،ولا حتى أن يقوم الرومان بإجراء تعديلات أساسية على هذا الدستور .

وعلى الرغم من أنه لم ترد أي إشارات عن مجلس المدينة ( Βουλή) في الفترات الهلنيستية والبارثية والرومانية ،إلا أن روستوفتزف يفترض أن تكون منظمات المدينة مثلها مثل سلوقية بيريه ،لها موظفوها المنتخبون مع قائد (Strategos ) أو آرخون(Archon) على رأسهم،إلى جانب حاكم ملكي، ولها محكمة ملكية بقضاتها على النمط الإغريقي، وأن دستورها يشابه الدساتير الممنوحة لكل من سلوقية بيريه و سلوقية دجلة [3] ، ويبدو من خلال مقارنة روستوفتزف السابقة أن السلوقيين قد دأبوا على منح مدن إمبراطوريتهم دساتير متشابهة إن لم تكن متطابقة؛ رغبة منهم في تسهيل مهمتهم ومهمة حكامهم وقوادهم في تصريف أمور الدولة .

ولا شك أن سيطرة الإدارة المركزية على المستعمرات كانت أقوى من سيطرتها

---

(1)W.W.Tarn,The GreeKs in Bactria and. India ( Cambridge 1966) P.11.
لا يذكر تارن اسماً لهذا الملك و لا السنة التي حصلت فيها المدينة على هذه التسمية.

Rostovtzeff ,S.E.Hp485. (6)

(3) Ibid. pp.487-8.

على المدن ، وذلك بحكم طبيعة تكوين هذه المستعمرات من رجال عسكريين كان من اليسير أن يفلت زمامهم إذا لم تحكم الرقابة عليهم .ولما كان الملوك هم أصحاب الفضل في إقامة هذه المستعمرات ، وتوفير أسباب الحياة الرغيدة الكريمة لسكانها ، فإن ذلك كله أعطاهم الحق في أن يضعوا لهذه المستعمرات ما يشاؤون من نظم، ويمكن القول بوجه عام: إن المستوطنة كانت صورة مصغرة للمدينة الإغريقية من حيث إنه كان لكل منها مركز ديني ومجلس وعدد من الحكام.

وقد أجريت في دورا تنقيبات مدة اثني عشر عاماً ( 1928- 1937 م) قامت بها بعثة جامعة ييل (Yale) والأكاديمية الفرنسية للنقوش والآداب.

(The French Academy of inscriptions and letters)

وقد حضر روستوفتزف جانباً من هذه الحفريات التي كشفت على أن المدينة تأسست حسب المخطط الهبودامي[1]المعروف في تخطيط المدن في العصر الهلنيستي[2]، وتألفت من شارعين رئيسيين يخترقان المدينة من الشمال إلى الجنوب ويتقاطعان عمودياً مع شارعين رئيسيين آخرين، وتقطع هذه الشوارع الأربعة شوارع جانبية ضيقة محدثة جزيرات المساكن والمعابد والحمامات وتنفرج في منتصف المدينة محدثة الاغورا[3].

واكتشفت كثيراً من المعابـد الوثنية[4] التي تدل نقوشها وموجوداتها على استمرار عبادة الملوك السلوقيين حتى أزمنة متأخرة؛ تمثلت في عبادة الآلهة المقدسة لدى الأسرة السلوقية، وأهمها زيوس وأبولون وأرتميس والعديد من المعابد، إذ بلغ تعداده أحد عشر معبداً ومزارَين صغيرين، وكنيسة مسيحية مؤسسة سنة 232م، و كنيساً يهودياً، وإذا دققنا في أسماء المعابد السابقة نجدها تقسم إلى ثلاثة أقسام :

(1)هيبوداموس(Hippodamos) :أول مهندس إغريقي من ميليتوس في القرن الخامس قبل الميلاد وهو أول من قام بتأسيس المدن حسب التخطيط الشبكي المدني ، ومازال هذا التخطيط قائماً حتى اليوم.

(1) تبين من الحفريات أن المدينة قد أعيد إنشاؤها زمن الباريثيين إلا أن شكلها العام لم يتغير .
انظر: Rostovtzeff,S.E.H. p.483.

(7) الاغورا ( الساحة العامة ) وهي إحدى العناصر الرئيسية في المدينة الإغريقية القديمة ، وقلما خلت منها مدينة إغريقية فقد كانتالاغورا مركز مختلف وجوه نشاط الإغريق الاقتصادية الاجتماعية....... .

(3)Rostovtzeff,S.E.H. p.485 .

(8) معابد شرقية لآلهة محلية بحته، مثل معبد أدونيس[1]، وهي قليلة تدل على قلة عدد السكان الشرقيين في المدينة .

(9) معابد إغريقية لألهه إغريقية، مثل معابد زيوس وأبولو وارتميس وغيرها، وهي الأكثر عدداً بالطبع .

(10) معابد مختلطةلآلهة شرقية وإغريقية متداخلة،مثل معبد ارتميس نانايا [2]،وتشير إلى التفاعل الذي حصل بين الحضارتين على أدق المستويات وأكثرها .

ولعل أهم المعالم الباقية بشكل جيد من آثار تلك المدينة ومعابدها، هو الكنيس اليهودي الذي جاء في نقش آرامي وجد على أحد جدرانه أنه قد بني في عهد الإمبراطور فيليب سنة خمسمئة وخمسين في سلوقية [3] ، وقد تبين من حفريات هذا الكنيس أنه قد بني على كنيس أصغر منه قليلاً يعتقد أنه بني حوالي سنة 160م، ويشك فيما إذا كان هذا قد بني على كنيس أقدم منه عهداً ويعود للفترة السلوقية ، وهذا غير مستغرب إذا ما علمنا أن اليهود قد وجدوا سابقاً في أنطاكية ، وأن من المحتمل أن يغري نشاط دورا التجاري جماعة من اليهود بالإقامة فيها وتشييد كنيس لهم في الفترة السلوقية، ومما يلفت النظر في بناء هذا الكنيس تلك التزيينات التي زينت بها خاصة في صور الأشخاص، وهذه ظاهرة هامة وجديدة في بناء كنُس اليهودية ، ولعلها تعكس لنا صورة التأثير الهلليني حتى على الديانة اليهودية المحافظة.

أما عن سكان المستعمرة فإنه يأتي على رأسهم جنود الحامية الذين يشكلون وحدة من الجيش النظام ي للدولة، وكانوا ينحدرون من المقدونيين الذين استوطنوا المستعمرة في البداية ومعهم عائلاتهم، ولم يلبث أن انضم إليهم أعداد متزايدة من الإغريق ومن السكان الوطنيين و العبيد[4] ، وقد منح سكان دوراأوروبوس مساحات من الأرض في

---

(1) (Adonis) لقب سامي بمعنى سيد، وقد عُبد أدونيس في سورية وفينيقية .

(2)( Nanaia ) آلهة شرقية قديمة ، يعتقد أن أصلها سومري عُبدت في سورية وشرق الفرات كآلهة للأرض والقمر.

(3) أي عام 244م مما يدل على أن الإمبراطور هو فيليب العربي حكم روما بين 244-249 م.

(4) Rostovtzeff,S.E.H..p.486

الإقليم الذي خصص للمستعمرة منذ إنشائها، وهو الإقليم الذي تم استقطاعه من القرى المحيطة بعد مصادرة أراضي السكان الأصليين.

كما جرى استصلاح مساحات كبيرة من الأرض البور ،وكانت تلك الأراضي تعدّ ملكية خاصة لحائزيها، فكان من حقهم أن يتصرفوا فيها كيفما يشاؤون، كما كان من حق النساء تملك هذه الأراضي ،مثلهم في ذلك مثل الرجال.

وهنا يجب الإشارة إلى أن بعض الرقوق المكتشفة تؤكد وجود تقسيمات للأراضي المحيطة بدورا إلى إقطاعات عسكرية منحت للمستوطنين من الضباط والجنود ، إلا أن ما يلفت النظر في هذه التقسيمات تقسيم جديد للأرض لم نجد لها استعمالاً في بقية المستوطنات العسكرية، وهو الهيكاس Hecas وجمعها (Hecades)[1]،ولا يعرف بالضبط معناها ولا أي سبب لاستعماله، ويغلب على الظن أن كل Hecades كان مجموعة إقطاعات عسكرية لجنود وضباط تحت إشراف ضابط كبير يكون مسؤولاً عنهم أمام حاكم المنطقة، وزيادة في تسهيل مهمته الإدارية[2].

وخلال التنقيبات التي جرت عامي 1994- 1995م تركز نشاط البعثة على التنقيب في تحصينات المدينة وقصر قائد الجيش، وكذلك هندسة المساك ن، وفتحت ورشة جديدة في الطريق الرئيسي، وأخرى في الزاوية الجنوبية من المدينة والسور الغربي عند باب تدمر، وسمح التنقيب شبه الكامل للمنحدر من الشمال بمشاهدته للمرة الأولى على ارتفاعه الكامل، فكان لهذه المنشأة ذات الأحجار المصفوفة بعناية والشكل المنظم والمظهر العام الممشوق أثر عظيم ضد المهاجمين ، كما كشف توسع حفريات باب تدمر عن بقايا الجدار الغربي للفناء الأمامي، وبناء من أحجار مماثلة لحجارة المنحدر نفسها،وجرت دراسات حول الأبنية التي تم التنقيب عنها من قبل، وهي السور الغربي مع بواباته وأبراجه والسور الشمالي وقصر قائد الجيش ، و الشارع الرئيس الذي يضم

(1) Rostovtzeff,S.E.H . ..p.488.

(2)G.T.Griffith,The Mercenaries of the Hellenistic World Cambridge 1935. Pp.156-158 .

قاعة الأعمدة والبيت الجنوبي ، وكان الهدف إنشاء المخطط وتحديد وضعية البناءين اللذين ظهرا في جنوبي الشارع، وقد بدت قاعدة الأعمدة في حالتها الأخيرة كفسحة أبعادها 11م من الشرق إلى الغرب، و 8,5 م من الشمال إلى الجنوب،ويشير وجود الأعمدة المحورية إلى أن هذه الفسحة كانت في آخر مراحلها مغطاة ، مما جعلها إحدى أوسع قاعات دوراأوروبوس . وقامت بعثة التنقيب سنة 1998 برئاسة Pierr (Lérche) بأعمال التنقيب في معبد ارتميس لترميم الموقع و دراسته وإجراء التنظيفات اللازمة .

وبالعودة لمقارنة المستوطنة العسكرية التي تطورت إلى مدينة كاملة مع بقية مدن الإمبراطورية، نجد أن دورا أخذت دوراً هاماً في حياة سورية الشمالية الشرقية وبلاد ما بين النهرين، وكانت حصناً عسكرياً ومركزاً تنظيمياً [(1)]، وكانت في الوقت نفسه مدينة مزدهرة كمركز للزراعة والبستنة وزراعة الكرمة وتربية المواشي ، بالإضافة إلى دورها التجاري إذ كانت مركزاً لراحة القوافل الغادية والقادمة شرقاً وغرباً ، ولم تقل في بعض النواحي الاقتصادية عن المدن الكبر ى، فقد قامت مثلاً بسك نقود برونزية من العملة الصغيرة تعود لزمن أنطيوخس الأول.

وهكذا غدت دورا في العصر الروماني أكبر المحطات التجارية المسيطرة على طرق التجارة، فهي لم تكن محطة عبور فحسب، بل استفاد سكانها من مرور القوافل لتغدو سوقاً بين منتجات القبائل الرحل المحيطين بها وبين منتجاتها الخاصة، و هذا دليل على نمو ثروتها، وبالتالي توسع العمليات التجاري ة فيها . ويدل وجود السوق والدكاكين المجاورة لها على أن هذه المدينة كانت مركزاً تجارياً محلياً وتدمرياً هاماً ، وقد تعرضت هذه السوق إلى الكثير من التغيرات خلال العصر الروماني[(2)] ، فتقلصت

---

(1) معرض مكتشفات الحملة الدولية لإنقاذ آثار الفرات ، التقديرات الأولية التي أجرتها بعثة التنقيب في وادي الفرات للمديرية العامة للآثار والمتاحف في صيف 1971 في منطقة تل العبد ، تقارير السوية الخامسة غير منشورة.

(2) شيفمان ، ص 108.

مساحة السوق التجارية نظراً لبناء المزيد من المحلات التجارية، وبالتالي تبدل تنظيمها بشكل واضح.استغلت تدمر استقلال دورا الذاتي ضمن الحدود الفارسية ، ورغم امتداد نشاط روما السياسي نحو الفرات ، فارتبطت بها تجارياً وسياسياً، ووجدت فيها ضالتها المنشودة للسيطرة على طرق التجارة الدولية، بعد أن مارست سياسة الحياد والذكاء بين الإمبراطوريتين المتصارعتين، وغدت الأبنية والمعابد المكتشفة في دورا تنبأ بمدى أهميةالتدمريين في المدينة(1)، ولا سيما معبد آلهة تدمر المليء بالتماثيل المذهبة والمحلاة بالأحجار الكريمة والثمينة، ابتداءً من القرن الأول الميلادي (2)، حتى غدا أكبر ارستقراطيي تجار تدمر يقطنون في دورا، وغدا التأثير الفني والديني يبدو جلياً على العادات والتقاليد في دورا، واقترن ازدهار تدمر وازدياد ثرائها بازدهار دورا وتعاظم ثروتها، ودعيت بمرفأ تدمر على الفرات أو بوابة تدمر (3).

استمر هذا الوضع حتى سنة 116م، حيث بدأ الرومان منذ نهاية القرن الأول يتطلعون بعين الاهتمام إلى الفرات، حتى تمكن جيش تراجان من ضم دورا إليها، وأدرك أن الرماة التدمريين وحدهم القادرون على أن يمارسوا دور السلطة في منطقة البوادي، فتركوا لهم مهمة حراسة البادية وتوطيد الأمن على ضفاف الفرات، وانضم للجيش الروماني فرق الرماة التدمريين، و جنى التدمريون من هذه المساعدة العسكرية والمدنية منافع اقتصادية ثمينة **(4)** .

---

(1) بيير لوريش ، باب دورا في تدمر ، ت. عدنان البني ، الحوليات الآثرية السورية، مج42، دمشق 1996، ص119.

(2) سوزان داوني ، ص 211-212.

(3) إن لفظ باب تدمر في دوراأوروبوس التي أطلقها رستوفتزف لاقت صدى كثيراً من كتاب الشرق الهيليني مثل دانييل شلومبرجة ، واتضح من خلال الدراسات أن هذا البناء بني على عدة أوضاع انتهت في منتصف القرن الثاني الميلادي ، وكان هذا الباب شأنه شأن السور الغربي محمياً بجدار مائل قوي من اللبن استعداداً لأي هجوم. انظر : بيير لوريش ، ص 207-208.

(4) إبراهيم الصالح ، صفحات مطولة من تاريخدوراأوروبوس ، الحوليات الآثرية السورية ، مج 34، دمشق1990 ، ص 216-218.

وبقيت هذه السياسة من قبل الإمبراطور هادريان قائمة مادام الفرثيين لم يبدو من قوة قادرة على احتلال الفرات ، إلى أن تربعت الأسرة السيفيرية العرش الإمبراطوري، التي تنكرت لسياسة الاعتراف باستقلال المدن الهلينية الذاتي، فأحكمت سيطرتها على دورا، وجعلت منها قاعدة عسكرية بالدرجة الأولى، واستقر فيها جيش روماني، فأصبحت رسمياً مستعمرة رومانية سنة 211م، وأمر كاراكلا بترميم قلعتها وتحصينها ، وقد تمكنت الحامية الرومانية من الدفاع عنها بعد أن دعمت أسوارها من جميع الجهات بالآجر المشوي ، وغدا لها سوران تحسباً لأي هجوم من قبل الساسانيين الذين وصلوا إلى سدة الحكم خلفاً للبارثيين[1]، وكان باب تدمر شأن السور محمياً بجدار مائل قوي من اللبن استعداداً لأي هجوم ساساني، وأضيفت إليه قناة مياه تمتد من الحمامات القائمة على طول الشارع قرب السور ، إلا أنها تعرضت للكثير من الهجمات التي شنتها الحاميات الرومانية على القوة التدمرية المتناثرة .

ورغم امتداد النفوذ الروماني إلا أن أقدامه لم تكن ثابتة فيها؛ بسبب استمرار هجمات الفرس الساسانيين عليها التي تمكنت أكثر من مرة إلى إخضاعها، وتراجعت أمام القوة التدمرية المدافعة عنها، وغدت تفقد مكانتها التجارية لفقدان أمنها العسكري، كونها النقطة الأولى لالتقاء الجيش الروماني والساساني ، فجعلت المدينة في حالة دفاع ، وبني الجدار الضخم المائل من الردم المكسو باللبن بهدف حماية سورها الغربي ، ولم ينجُ باب تدمر من عملية البناء الدفاعي بهدف تامين سهولة الدخول والخروج إليها[2].

وعندما أقيم الحصار عليها أغلق الممر بين جزئي الجدار المائل أمام الباب، وتعرض للكثير من الهجمات الساسانية – الرومانية، أدت في نهاية المطاف إلى احتلالها وهدم معظم مبانيها، و إجلاء سكانها من قبل الفرس الساسانيين سنة 256م، و بهذا كانت نهاية المرفأ التجاري الأمني الهام ، إن هذا الموقع الذي كان السبب في نهوضها و ازدهارها

---

(1) فاطمة جود الله ، سورية نبع الحضارات ، ط1 ، دمشق 1999 ، ص495.

(2) بيير لوريش ، ص209.

كان في الوقت نفسه سبباً بعيداً في اندثارها، كما كان حال تدمر ،فسقوط دورا لا يعزى فقط إلى الانحدار العسكري فحسب، إنما سبق هذا الانحدار تدهور اقتصادي نتج عن اضطراب أحوال الطريق التجاري البري الذي يصل موانئ المتوسط بأقاصي الشرق عن طريق الخليج العربي نتيجة الاحتدام العسكري بين الإمبراطوريتين الفارسية و الرومانية [1].

## 5- بصرى:Bostra

وتعني الحصن أو القلعة، تقع على أطراف اللجا قرب وادي الزيدي ،إلى الجنوب الشرقي من دمشق،ترتفع مدينة بصرى عن وسط البحر حوالي 850 متراُ، فهي تطل من الشمال و الشمال الغربي على سهل النقرة، و إلى الغرب منها مدينة أذرعات ، يفصلها عن السهوب السورية الشرقية جبل حوران ، و هذا ما جعل تضاريس الموقع و مناخه يرتكز على الزراعة و الرعي والتجارة[2].

اكتسبت بصرى أهمية تجارية رئيسية في منطقة حوران ، ولا سيما أنها مدينة محصنة صعبة المنال، فموقعها الاستراتيجي الهام يتصف بالغنى والثراء بفضل السهل الخصيب الذي يطوقها من كل جانب [3]، وكانت البضائع التي تأتي من الخليج العربي وجنوب الجزيرة تتجمع في الجوف، ثم تتجه إلى الشمال عبر وادي سرحان، ولما كانت بصرى تقع بين واحة دمشق وواحة الأ زرق حيث مصادر المياه، فقد غدت نقطة مرور طبيعية على محور جوف دمشق[4].

---

(1) فاطمة جود الله ، ص495.

(2) هورست كلينكل ، ص79.

(3) المرجع نفسه، ص78.

(4) دروس ميلر ، ص 134.

بعد أن قام الإمبراطور تراجان بضم مملكة الأنباط ، كان من أبرز اهتماماته أن يهيئ عاصمة جديدة للولاية العربية التي أحدثها، و ذلك أن البتراء كانت نائية منعزلة، فلا تصح أن تكون مركزاً للإدارة الرومانية، لذا اختار مدينة على الحد الشمالي،هي بصرى لتكون قاعدة الحكم و الحامية العسكرية ،وحتى حينئذٍ كانت بصرى موقعاً غير ذي أهمية فمن أجل ذلك أعاد تراجان تأسيس المدينة سنة 106م من جديد، ويظهر هذا واضحاً ،من خلال عملة بصرى التي كتب عليها ( Bostra Nova Trajana) بصرى الجديدة التراجانية [1].

وقد ضمت إليها سهل النقرة الخصيب إلى الشمال، والتلال السطحية من جبل حوران إلى المشرق ، وهذا ما بينته الاكتشافات التي تعود إلى القرن الثاني الميلادي والتي عثر عليها في سهل النقرة ، ونتيجة للعناية التي تلقتها من الأباطرة اتصفت بالتمدن وتطورت الطرق التجارية فيها، وخاصة الطريق الممتد من بصرى إلى عمان حتى الخليج العربي، ومن بصرى إلى حيفا على المتوسط ، ومن بصرى إلى دمشق [2] . وتم شق الطرق التجارية التي فرشت بالحصى الرملي والكلس ،ورصفت فوقها الأحجار المربعة المستوية ، وقد أشير إلى المسافات بأحجار الأبعاد ،أما الطرقات فقد جعل فيها محطات للحراسة ، ومرابط لخيولهم ، وشواهد مسافات واحدة كل مئه خطوة، ومراكز لتموين القوافل [3]، وانتهى العمل من هذه الطرق في عهد الإمبراطور هادريان عام 129م. وعلى طول هذه الطرق نظمت الحاميات العسكرية،أو ما يدعى نظام المعسكرات المحصنة[4] التي ابتدئ ببنائها في عهد الإمبراطور تراجان ، ومنها المعسكر الذي يقع شمال المدينة وبلغ عدد المعسكرات في هذه المنطقة حوالي ثلاثين معسكراً [5]، كما كشفت أعمال التنقيبات عن أسوار تختبئ بين كروم العنب الواقعة شمال

---

(1) إحسان عباس ، ص119-120.
(2) هورست كلينكل ، ص79.
(3) سليم عادل عبد الحق ، مسرح بصرى وقلعتها ، الحوليات الآثرية السورية ، مج14، دمشق 1964 ، ص16-17.
(4) سليمان المقداد ،بصرى ، ط1 دمشق 1986 ص 9-10.
(5) أحمد علي ، 531.

المدينة، ولم تكن هذه الأسوار معروفة من قبل.

أما عن أهم الأعمال الزراعية ، فقد أقيم فيها نظام القنوات لري الأراضي الزراعية ولا سيما أشجار الكروم والقمح الذي يتطلب زراعته الكثير من المياه؛ حيث غدت هذه المنطقة صومعة القمح للإمبراطورية الرومانية [(1)]، وقد ضمت بصرى ثلاث حمامات كبيرة ، وحمامات خاصة في بيوت الطبقات الثرية ، وخاصة أنها تحوي أكثر من نبع تتفجر منه المياه بفضل ثلوج جبل العرب ، فضلاً عن أمطار الشتاء التي تتجمع في البرك الكبيرة، والجسور التي شيدت في العصر الروماني [(2)]. وغدت مخزناً لغلال الإمبراطورية لوفرة سهول حوران بالحبوب .

كما اشتهرت بصناعتها ، كصناعة الأسلحة والمنسوجات المتنوعة ، وغدت بصرى تسك العملة الخاصة بها ، وهذا ما زاد من شأنها ، كما اعتمدت تقويماً مستقلاً عن التقويم السلوقي المعتاد ، والذي يبدأ منذ سنة 106م وهي السنة التي ولدت فيها الولاية العربية . وهكذا غدت بصرى بعد أفول نجم البتراء محطة تجارية هامة اكتسبته من خلال موقعها الاستراتيجي على مفترق الطرق بين الجنوب والشمال " دمشق والبحر الأحمر، " وبين الشرق والغرب " الخليج العربي والسواحل السورية "، فغدت عصب الطرق التجارية القديمة التي بناها الرومان [(1)].

وفي أواخر القرن الثاني في عهد الإمبراطو ر سبتيموس سيفيروس ( 193-212م ) عدلت حدود الولاية العربية سنة 195م لتضاف إلها منطقة حوران ، ورفعت إلى درجة مستعمرة Colonia Bostra في عهد الإمبراطور ألسكندر سيفروس 222- 235م وبرزت بشكل أكبر من حيث التطور الزراعي والازدهار التجار ي فشق أهم طريق تجاري يصل :

---

(1) ج.م. دانتز ، تنقيبات في سيع ، ترجمة بشير زهدي ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 36-367، دمشق 1986-1987 ص125 .
(2) هورست كلينكل ، ص 203، سليمان المقداد ، ص 9-10.
(3) دانتز ،1987، ص127 .

بصرى ---------- عمان حتى الخليج العربي
بصرى ---------- حيفا ------ فالمتوسط
بصرى --------- دمشق -------- تدمر

وصلت إلى ذروتها في عهد الإمبراطور فيليب العربي 244-249م، الذي منحها لقب (Metropolis) وغدت تسك نقوداً خاصة بها [1].

وغدت في القرن الثالث في ذروة نشاطها على كافة الأصعدة وخاصة التجارية منها؛ نظراً لما حققه الرومان من إنجازات عظيمة في المنطقة من توفير الأمن وبناء الطرق وتوفير المياه [2]،فانتشرت خزانات المياه والآبار بكثرة ، تخللها مشاريع الإنشاءات العمرانية، مما حقق تطوراً سريعاً للولاية العربية وعاصمتها بصرى، وانتشرت المراكز العسكرية في سائر الولاية، فكان أهم مهامها حفظ الأمن وحماية الطرق التجارية[3]. ولتجمع الطرق الرومانية من كل الدروب لتمر فيها ، جعلها سوقاً هاماً لتبادل السلع المحلية والدولية ونقطة عبور تجارية هامة، ساعدها على ذلك الطريق الذي شقه الرومان عبر المنطقة البركانية باللجاة على ربط المدينة بشبكة الطرق الساحلية والداخلية، وبالتالي ربطها بمصادر البضائع وأسواقها التي تباع فيها[4] .

وتشير التنقيبات على أن أهم و أبرز النشاطات التي شهدتها بصرى في هذا القرن هي كثرة التحصينات الدفاعية كقلعة دير الكهف على المنحدرات الجنوبية لجبل حوران، وأحيطت المدينة بالأسوار المحصنة بالأبراج الدفاعية من فوق الأسوار عند البوابة الغربية والشمالية وكذلك الجنوبية، ولا يزال الجسر الروماني قرب البوابة الشمالية فوق وادي الزيدي حتى الآن[5]، وقد استخدمت الأسوار الرومانية لإعادة استعمال حارتها في بناء القلعة الأيوبية فيما بعد .

---

(1)J.M.Dentzes, D. .F.Graf. The Syrian Hauran Roman and the Arabia Frontier frotheNabataeansto the Saracens , Britain m1997, p4-16.

(2) هورست كلينكل ، ص79.

(3)Peters, p.315-326 .

(4) دروس ميلر ، ص140-143 .

(5) المرجع نفسه ، ص139 .

إن انتقال مدينة بصرى من مستوطنة تجارية محضة إلى مدينة بالغة في الأهمية نتيجة الاهتمام الإداري والنشاط التجاري جاء قوة دفعها إلى النمو الاقتصادي المتولد عن الإنتاج الزراعي ، بالتالي يمكن القول : إن بصرى تحولت من حالة البداوة إلى الاستقرار، من القبلية إلى العمران، وقد حافظت على أهميتها كمحطة على طريق القوافل حتى بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية .

**6- حمص :**Emesa

تقع حمص في سهل واسع وخصب على نهر العاصي؛ الذي يزود المدينة بمياه الشرب ويسقي حقولها وبساتينها، وهي كلمة آرامية المنشأ وتعني الأرض اللينة، وقد دعاها الرومان باسم (Emesa)،وبفضل موقعها المركزي المتوسط بين تدمر ونهر الفرات- الحد الشرقي للإمبراطورية الرومانية شرقاً، والساحل السوري غرباً، وبين أفاميا وحماة شمالاً، ودمشق جنوباً.

وتعتبر مدينة حمص المدينة السورية التي لا تحمل اسماً يونانياً ، لذا اهتم المؤرخون بهذه المدينة خلال الفترة الهلنستية والرومانية ، استطاعت حمص في عهد الإمبراطورية الرومانية أن تتطور بسرعة وتزدهر، وقد كتب المؤرخ السوري ليبانيوس [1] في إحدى رسائله وصفاً رائعاً للمدينة وللمكانة العلمية والدينية التي وصلت إليها في هذه الفترة ، يقول ليباينوس :( إنها عين فينيقيا ومقر الآلهة ومهد العلوم والدراسات ، وهي منبع الفضائل والمسرات ، وإن المرء ليعز عن تعداد هذه الفضائل.....)[2].

وأظهرت الدراسات بأن مدينة حمص في فترات ما قبل الرومان كانت منطوية النطاق، ويمكن إعاد ةالسبب لكثرةالمستنقعات على أرضها مماحال دون تطورها، ومع بناء السد عند قطينة خلال العصر الروماني توفرت لهذه المدينة الظروف الملائمة للتحكم بمياه

(1) مؤرخ سوري ، ولد في مدينة أنطاكية 314-393م ، وتعتبر خطبه ورسائله مصدراً رئيسياً للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أنطاكية والجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع الميلادي .

(2) عبد الحميد عز الدين ، ص87.

العاصي، والعمل على تخفيف المستنقعات على أراضيها [1] .

والمدينة لم تفقد طابعها العربي أثناء حكم السلوقيين ، وقد بدأ دورها من معبد الشمس، حيث كان لكهنته أهمية فكرية وسياسية على المنطقة كلها، واستطاعت سلالة منهم سميت بأسرة الشمس (أسرة الكاهن باسيانونس) أن تستقل بحكم المدينة عن سلطة السلوقيين لمدة أكثر من نصف قرن قبل استيلاء روما على سورية، وكانت هذه الأسرة عربية الأصل اتخذ بعض رؤسائها لقب الملك العظيم " rex magnus ". وقد أقر بومبي رئيس هذه الأسرة سمبسيعزام (Sampsigeramus) في حكمه، وعقد صداقة معه[2]، ويشير سترابون إلى سمبسيغرام عند كلامه على حصار أفامية[3].

ومن خلال معبد الشمس استطاعت حمص أن تتربع على عرش روما لمدة خمسين عاماً تقريباً ، كما استطاعت أن تفرض لفترة قصيرة قيادة إله الشمس الحمصي " إيلا جبالوس " الذي لا يقهر، كأعلى وأعظم آلهة في مدينة روما ( dues invictus Sol Elagabalus)[4].وبالرغم من زوال النفوذ السياسي للأمراء في حمص بعد أن تولى الرومان شؤونها سنة 79م ، إلا أنها حافظت على ملوكها الكهنة المحليين تحت الهيمنة الرومانية، وتلقت عناية واهتماماً من قبل الأباطرة السوريين لم تشهدهما من قبل[5]،وغدت عاصمة سورية الفينيقية التي منحها إياها الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس، وبلغت ذروة مجدها نظراً للتطور العمراني والاقتصادي التي شهدته في هذه الفترة، وازدادت ثباتاً عندما منحها الإمبراطور كاراكلا الحقوق الإيطالية كباقي المدن السورية، وخولها التمتع بما فيها من امتيازات [6].

(1) مأمون عبد الكريم ، إشكالية إعادة تأسيس مدينة حمص خلال العصرين الهلينستي والروماني ، الحوليات الأثرية السورية مج 45-46، دمشق 2001 م ، ص45.
(2) كان الحكم في حمص بزعامة أسرة أسرة ملكية تدعى سمبسيغرام (Sampsigeramus ) وهي أسرة عربية الأصل ، وقد انتقل منصب الكاهن من جيل إلى جيل بالوراثة كما جرت العادة عند القبائل البدوية .انظر :عبد الحميد عز الدين ، ص 88.
(3)Strabo, Geography , XVI, 2,10.
(4) عبد الحميد عز الدين ، ص 86.
(5) جونز ، ص 79.
(6) شيفمان ، ص 211-212.

وعندما آل العرش الإمبراطوري إلى (Elagabulus) كاهن معبد الشمس في حمص وحفيد جوليا دومنا، قام بأعظم إنجاز تأثيراً على مدينة حمص، وهو نقل الحجر الأسود من معبد الشمس في حمص إلى عاصمة الإمبراطورية روما، ليعبد هناك إلى جانب آلهة روما ومنحها لقب (Metropolis)[1]، وفي ذلك نقول : إن تطورها لم يقتصر عليها فحسب ، بل شمل تأثيرها الثقافي والديني البلاط الروماني المرتبط بعبادة إله الشمس، والذي يرمز إليه بحجر أسود مخروطي الشكل [2]. أما تأثيرها الثقافي فظهر جلياً في عهد الإمبراطور إسكندر سيفروس، الذي استدعى ابن وطنه الحمصي الفقيه أولبيان ليكون سنداً ومرشداً له في حل المشكلات التي تتعرض لها الإمبراطورية، وقد حبا حمص جانباً كبيراً من اهتمامه وعطفه حتى آخر سني حكمه 235م[3].

ومن أهم الإنجازا ت التي اكتسبتها مدينة حمص هو شق الطرقات ، وعلى الرغم من أن سورية كانت آخر مقاطعة بالنسبة للإمبراطورية الرومانية من جهة الشرق، فلا بد أن يفترض وجود شبكة جيدة من الطرق مدها الرومان لتسهيل تحركات جنودهم ، وبشكل خاص على الحدود الشرقية للإمبراطورية حيث تقوم الإمبراطورية الفرثية المعادية على الضفة الشرقية لنهر الفرات ، ولكن من الغريب عدم وجود أي طريق يصل بين حمص وتدمر، ويمكن تفسير ذلك بالطبيعة الصحراوية للمنطقة بين هاتين المدينتين السوريتين التي لم تسمح بمد الطرق عبرها ، إلا أن وجود بعض العلامات الحجرية التي تستخد م في قياس الطرق والتي تعود إلى ذلك العهد، تشير إلى امتداد طريق بين حمص وتدمر ، ويعتقد بأنها مدت أثناء فترة حكم سبتيموس سفيروس، ويبلغ طول الطريق ثمانين ميلاً رومانياً ، ويدل على امتداد هذه الطريق أيضاً فيما بعد وجود بعض الأعمدة المهدومة وأحجار المسافات ، وبقايا بعض نقاط الحراسة وأبـراج المراقبة التي كانت تـرابـط فـيها

(1) عيسى اليازجي ، مآثر سورية في العصر الروماني ، دمشق د. ت.ص 45.
(2) أنور حاتم ، ص 166.
(3) عماد الدين الموصلي ، ص 124 .

الخيالة التي تقع على مسافة قريبة قبل تدمر .كما تدل معاصر الزيت التي وجدت شرقي حمص بأن الصحراء في ذلك الوقت لم تكن تمتد قريباً جداً من حمص كما هو الحال اليوم.وبشكل عام استفاد ت حمص من هذا الخط التجاري الذي كان يأتي بالبضائع عبر نهر الفرات عن طريق تدمر إلى البحر المتوسط . لقد اضطر بعد المسافة بين المدينتين، بالإضافة إلى المد الصحراوي الواسع ، القوافلَ التجارية إلى جعل حمص محطة للاستراحة لوقت غير قصير .وليس هناك من المصادر الأدبية والنقوش الحجرية ما يشير إلى أن حمص كانت تفرض على هذه القوافل التعرفة الجمركية[1].

ومن أهم الإنجازات التي اكتسبتها مدينة حمص هو شق الطرقات، حيث أكد الأثريون على معالم الطرق الرومانية ممتدة من ميماس حمص إلى مصياف، وقد برزت بصور واحدة في نقاط الطريق نظير خربة الجاموس ، خربة السوداء ، أم مخاية ، شرقي تليل ، غربي كفر لاها ، تل الذهب ...، وتضيع النقاط لتعود من جديد في البياضة والسويداء ومصياف ، وإن اهتمام الرومان بإيصال الطريق إلى هذه المدينة أكبر دليل على اهتمامهم بأمرها ، وقد حظيت هذه الطرقات عند كل خمسة أميال بمحطة للبريد فيها[2].

كما ازدهرت الزراعة وتنوعت الحاصلات ، واقتضى الأمر بإيجاد أسواق لها خارج حدودها لوفرة الإنتاج، فاتخذ تجارها أسواقاً لمنتجاتهم، وأقاموا محلات تجارية لهم في الولايات الغربية، وانتشرت تجارتها ذهاباً وإياباً بين الخليج الفارسي والمتوسط مع القوافل التدمرية، وكانت تمر منها حاصلات وبضائع المرافئ الفينيقية وخاصة الأقمشة المصبوغة بالأرجوان والزيوت المعطرة والأواني الزجاجية وغيرها ، وفي نفس الوقت تستقبل القوافل القادمة من مرافئ الخليج الفارسي [3].

(1) عبد الحميد عز الدين ، ص 88-89.
(2) عيسى أسعد ،تاريخ حمص ، دمشق 1940 ، ص 330.
(3)H. Seyig, Antiquites Syriennes ' Caracteres de I histoire d Emese" Syria, vol 56, Paris, 1959. p58-192.

بالإضافة إلى مركزها التجاري فقد كانت حمص إحدى المدن السورية الصناعية الشهيرة في ذلك العهد، والتي كانت السبب في جعل سورية بلداً صناعياً مصدراً ، فالتجار السوريين والمصانع السورية كانت تنتشر في كل مكان من الإمبراطورية الرومانية، وهذا الشاعر الروماني جوفينال (Juvenal) يتذمر في هجائيته المسماة "بابل" بأن نهر العاصي السوري أصبح يصب منذ زمن بعيد في التيبر ، والحياة أصبحت في روما لا تطاق من كثرة هؤلاء الأغراب الذين توافدوا على العاصمة واستقروا فيها :

(( أي نوع من الناس أصبح الآن بشكل خاص محبباً إلى أغنيائنا ، هذا النوع الذي احتقره أنا فعلاً أكثر من كل شيء أريد أن أسميه لكم حالاً، وسوف لن يمنعني عن ذل أي نوع من الخوف ، إنني لا أستطيع أن احتمل ، أيها المواطنو ن الرومان ، أن تصبح روما الآن مدينة يونانية ، حتى ولو كانت ثمالة اليونانيين قليلة ،

- نهر العاصي ، أصبح يصب منذ زمن طويل في نهر التيبر
- لقد جلب معه العادات التقاليد ، اللغة وآلات الطرب الوترية السورية
- كما جلب معه الموسيقيين والطبول ، بالإضافة إلى ذلك فقد أتى
- بالبنات اللواتي يبعن أنفسهن بصورة حرة في السيرك ،

أسرعوا إلى هناك الآن بلا تباطؤ، إذا كانت لديكم الشهوة الجامحة نحو زانية غربية ذات غطاء الرأس الملون المبرقع))[1].

واشتهرت حمص كما اشتهرت تدمر بجنودها المتفوقين في فرق الجيش الروماني ، وقد لمع دورهم في تنصيب الإمبراطور إيلاجابالوس إمبراطوراًعلى العرش الإمبراطوري[2]، وكذلك في حروب التدمريين ضد الإمبراطور الروماني أورليان التي آلت فيما بعد إلى مسالمة الحمصيين للهيمنة الرومانية المتمثلة بالإمبراطور أورليان273 م[3].

(1) عبد الحميد عز الدين ، ص 89-90.
Highet , Juvinal , the satirist (Oxford 1955) 62-71.
(2) فاطمة جود الله ، ص403.
(3) عيسى أسعد ، ص 315- ، 358-367.

## 7- دمشق : Damascus

تعتبر دمشق من أقدم المدن القائمة ، ولعبت دوراً كبيراً في تاريخ الشرق القديم ، فموقعها المهم بالقرب من جبل قاسيون حيث تلتقي الطرق التجارية المؤدية إلى بلاد الرافدين ومصر والجزيرة العربية ، وبالطرق الموصلة إلى المنطقة الساحلية ، ساعدها على أن تصبح مدينة تجارية هامة جداً ،ولقد استولى على دمشق الأشوريون والبابليون ثم فتحها الإسكندر المقدوني عبر قائده بارمنيون ( Parmenion) سنة 333ق.م[1]. ، وتعد من أولى المدن التي فتحها دون قتال يذكر، وذلك بسبب عدم مقاومة سكانها الذين كانوا يرغبون في التخلص من التبعية الفارسية التي أنهكها الفساد الإداري والاقتصادي [2]،ثم بعد ذلك استولى عليها الملك الأرمني تيجران الثاني ( 70-69ق.م ) إلا أنه أجبر على التخلي عن المدينة إلى الأنباط حيث سكت النقود النبطية فيها ،إضافة إلى نقود كانت تسك باسم أهل دمشق ، وهذا يعني أن المدينة حصلت على استقلال ذاتي في إطار الدولة النبطية ،يحكمها المجلس البلدي [3] ثم فتحها بومبيوس سنة 63 ق.م، حيث دخلت دمشق في منظومة المدن العشر وقد تبوأت دمشق مركزالصدارة فيها [4] ، وتاريخ دمشق في الفترة الرومانية تميز بالازدهار الاقتصادي خاصة في مجال التجارة ، فمعظم طرق التجارة الرئيسية تمر فيها ، كطريق تجارة الجنوب الذي وصل إليها ، بالإضافة إلى بضائع تدمر الواردة إليها [5] .

---

(1) سليم عادل عبد الحق ، خالد معاذ ، مشاهد دمشق الأثرية ، مطبعة الترقي ، دمشق1950، ص3.

(2) خالد كيوان ، النقود الدمشقية من الأسكندر إلى الاحتلال الروماني ، مجلة مهد الحضارة ، دمشق 2008، ص 59.

(3) خليل مقداد ، بصرى عاصمة الأنباط ، دار عكرمة، دمشق 2004، ط1، ص68.

(4) متري هاجي أثناسيو ، ص 18.

(5)Millar , p.310.

إضافة إلى ازدهار دمشق التجاري فقد ازدهرت زراعتها وصناعتها ، وبلغت أرفع درجات ازدهارها في القرن الثاني الميلادي ، حين رفعها هادريان إلى رتبة ميتروبوليس، كما منحها ألسكندر سفيروس حقوق المستعمرة [1].

في القرن الثاني الميلادي قام الرومان بتشييد أسوارمدينة دمشق وأبوابها وشوارعها، وأقيم الهيكل الكبيرللإله جوبيتير الدمشقي في موقع الإله حدد الأرامي ، وكانت الألعاب الأولمبية الشهيرة تُقام في دمشق وذلك في عهد الإمبراطور كراكلا [2]، وقد أنشأ فيها الإمبراطور ديوكليتيان مصنعاً للأسلحة [3]، وبهذا تحولت دمشق إلى مركز هام لجيوش الإمبراطورية الرومانية في حربها مع الفرس ، وازدهرت تجارياً واقتصادياً خاصة بعد سقوط تدمر سنة 273م على يد أورليان [4] ، وقد حمل أبناؤها التجار إلههم السامي حدد تحت اسم جوبيتير الدمشقي إلى الغرب حتى إيطاليا ، وأصبح أحد كهنة الإله جوبيتير أوبتيموس مكسيموس دامسكينوس( Jupiter Optimus Maximus Damascenus) عضواً في المجلس المحلي في ميناء بتيولي(Puteoli) جنوب إيطاليا[5].

## خامساً- طرق التجارة الداخلية

### 1– إنشاء مدن ومستعمرات وطرق جديدة

كان أبرز ما تميزت به الفترة السلوقية هو العناية بالطرق التجارية التي تشقها قوافل التجارة وإصلاحها وتأمين استخدامها، وإنشاء المدن والمحطات التجارية؛ لكي يتمكنوا

---

(1) فيليب حتي ، ص 341.

(2) متري هاجي أثناسيو ، ص 18.

(3) فيليب حتي ، ص 341.

(4) متري هاجي أثناسيو ، ص 18.

(5) فيليب حتي ، ص341-342.

من بسط سيطرتهم على هذه الطرق ، وهذا ما نتج عنه إنشاء العديد من المدن والمراكز العسكرية لنشر الأمن وحماية القوافل التجارية، وكان أبرز عمل قام به سلوقس في مجال التجارة قبل أ ن يخوض معركة أبسوس ،هو إنشاء مدينة سلوقية دجلة؛ ليجني أكبر قدر ممكن من ثمار تجارة طريق الوسط بفروعه الثلاثة. وقد ازدهرت سريعاً هذه المدينة الجديدة و استقطبت تجارة طريق الوسط وتجارة أرمينية، وقد ازدهرت مكانة بابل التجارية، وغدت مركزاً دينياً وعلمياً بعد اتساع الإمبراطورية السلوقية غرباً، وبعد ذلك أدرك سلوقس بسيطرته على جوف سورية وأغلب شواط ئ فينيقية بأنه يستطيع أن يتحكم بأهم مناف ذ طريقي الجنوب والوسط [1]. وبالتالي كان السلوقيون محرومين من المشاركة من جني ثمار مرور التجارة الشرقية إلى عالم بحر إيجة، بل أيضاً من أبسط السبل لتصدير منتجات إمبراطوريتهم إلى ذلك العالم؛ لذلك اتخذ سلوقس عدة خطوات ، وكانت إحدى هذه الخطوات هي العناية بإصلاح الطرق التي تسلكها قوافل التجارة وتيسير استخدامها ،وذلك بإنشاء عدد من المدن والمراكز العسكرية على امتدادها؛ لنشر الأمن وحماية القوافل التجارية لاجتذاب جانب من التجارة التي كانت تتجه غرباً إلى الطريق الذي ينتهي عند صور [2]، وأنشأ سلوقس طريقين جديدين يخرجان من مدينتين على الفرات (زيوجما - دوراأوروبوس )، ويتجهان إلى أنطاكية وسلوقية بيريه. وقد نجح سلوقس باجتذاب جانب كبير من تجارة الطريق التقليدي المألوف*[3].

وبعد استيلاء السلوقيين على معظم آسية الصغرى ، عملوا على تنشيط الطريق الرئيسي للتجارة والمواصلات، الذي كان منذ القديم يشق من شمال سورية ويسير إلى مدينة

---

(1) إبراهيم نصحي، ، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج3 ، القاهرة 1976م،ص 50-51.

(2)Rostovtzeff, S.E.H.p. 459 ; 476-7.

*انظر: خارطة رقم (6)

(3) Tarn, 1966, p. 243

ساردیس وعدد من مدن الساحل الأيوني، مثل افسوس وملطية، لهذا فقد أخذ يتدفق عليها باطراد ما كان يصل إلى أنطاكية من التجارة الشرقية، وكذلك بعض منتجات الإمبراطورية الفائض عن الحاجة، مما حدا ببطلموس الثاني إلى الانقضاض على افسوس وملطية[1]، لتسيطر دولة البطالمة على هذين المنفذين الجديدين مثلما كانت تسيطر على أهم المنافذ التقليدية للتجارة الشرقية، ولما كان طبيعياً ألا يسلم السلوقيون بأن تضيع أهم منافذ التجارة الشرقية، فإنهم عملوا جاهدين على طرد البطالمة من أيونية وجوف سورية ، ولكن لم يكن مقدوراً لهم أن يحققوا ذلك قبل بطليموس الثالث.

ولا تتحدث المصادر عن أهمية الطرق البحرية المتممة للطرق البرية التي تحدثت عنها آنفاً، والتي أسهمت في نقل البضائع الهندية إلى مستودعاتها في منطقة بابل. وكان أهمها الطريق البحري الذي لازم شواطئ الخليج العربي وكان مهماً على الأقل في الفترة السلوقية المتأخرة وتدل على هذه الأهمية كثرة الموانئ التي أقامها السلوقيون على شواطئ هذا الخليج وهما أنطاكية برستس أو بوشهر ( Bushir) وسلوقية على أروثرايناساي (Erythraenasae) وأنطاكية خاراكس[2].

ومن هنا يمكن القول إلى أن طريق الرافدين قبل قدوم الرومان كان يذهب عبر الرافدين شمالاً أو عبر البحر الأحمر جنوباً ، إلا أنه فيما بعد وكما سنرى في العصر الروماني أصبحت طرق البادية مألوفة أكثر ، فمن حمص أو دمشق أو بصرى ( بعد أن زالت الأهمية التجارية للبتراء وجعل بصرى العاصمة السياسية والتجارية للولاية المحدثة ) تتفرع إلى بلاد الرافدين وفارس[3].

وبمعنى آخر كان هناك طريقان تسير عبرها القافلة التجارية ، الأول شمالي يبدأ من أنطاكية- وميناؤها سلوقية -إلى حلب فمنعطف الفرات ، وقد هُجر َهذا الطريق عندما

---

(1) إبراهيم نصحي ، ج1 ،ص 105-120 ، ج3، ص51 .

(2)Rosovtzeff, S.E.H.op cit p. 456-7.

(3) عدنان البني ، ص 70-71.

قام الفرثيون باحتلال الرافدين ،أما الثاني فالطريق الجنوبي الذي يأتي من البحر الأحمر إلى الخليج العربي، والذي سبب في ازدهار الإسكندرية والبتراء [1]،و ضاع امتيازه مع احتلال الرومان لسورية ، وكان من مصلحة كلا الفريقين المشتركة رغم خصومتهم إعادة النشاط لطريق الصحراء المختصر عبر تدمر، فهو الطريق الأكثر أمناً و الأكثر سهولة [2].

ونظرا للمكانة الإستراتيجية التي تتمتع بها سورية ، فقد أولى الرومان لهذه الولاية أهمية خاصة،والتي أخذت شأنها الاستراتيجي بحكم موقعها الفريد، فهي ملتقى القارات الثلاث وهمزة الوصل بين عالم البحر المتوسط والمحيط الهندي ، وبين بحر قزوين والبحر الأسود وبين النيل ، وعبر أراضيها كان يمر طريق الحرير القادم من أقاصي الصين ، إذ كانت محطته السورية الأولى دوراأوروبوس ، تدمر ، حمص ، موانئ البحر المتوسط ،ومن أجل دراسة شبكة الطرق التجارية البرية التي تصل إلى ولاية سورية - على اعتبار أن التجارة البرية أكثر أهمية من البحرية بالنسبة لسورية- لا بد من التركيز على سيرالقوافل . ويشير رستوفتزف إلى أن الوساطة التجارية وحسب رأيه هي التي حددت الحياة الاقتصادية لكل من البتراء – تدمر ودوراأوروبوس، وقد حاول من خلال أبحاثه أن يرسم طابع ما يسمى بمدينة القوافل التي تدين بمنشئها إلى تطور التجارة [3] .

و إن أول من أفرد بحثاً خاصاً للتنظيم التجاري عبر القافلة داخل ولاية سورية هو الباحث الألماني أ. هيرن ، حيث استخدم في عرضه أربعة نقوش قوافل واتخذها أساساً لرسم طريق وأساليب تجارة القوافل [4].

(1) أمر الإمبراطور تراجان بحفر قناة وصلت البحر المتوسط بالبحر الأحمر فغدت السفن تسلك طريق النيل حتى جنوب القاهرة ، ومن هنا تدخل في قناة تقودها إلى البحر الأحمر :انظر لبيب الستار ، الحضارات ، بيروت 1986 ، ص211.

(2) Rosovtzeff ,1932, p.25-27.

(3) Ibid. p.7.

(4) شيفمان ، ص94.

ويذكر رستوفتزف بقوله : إذا كانت في الشرق مدائن قوافل عديدة فإن تدمر هي مدينة قوافل بالكامل، فهي المصدر الأول لتولي المهمات العظمى التي تحتاجها القافلة[1].

ويؤكد أوليغ قول القائلين باتجاهات ثلاثة أساسية لطريق الحرير ، ( شمالي ، وسط ، وجنوبي)، وأهمها والذي يخصنا هو الطريق الجنوبي لعبور القوافل بين الصين وغرب آسيا والذي يدعى طريق الحرير ، وهذه الاتجاهات الثلاث تتفرع عنها عدد من الطرق الفرعية، أهمها تلك التي تتجه نحو الجنوب الغربي قادمةً من بلاد ما وراء النهر وجنوبي بحر الخزر إلى بلاد فارس والرافدين وبلاد الشام [2].

**2- محاور الطرق التجارة الداخلية**

كانت طرق الشرق البرية أكثر أهمية من الطرق المائية بالنسبة لعمليات نقل البضائع في سوريةِ ، وقد أوضحت الدراسات مدى التحسينات التي أدخلتها الإدارة الرومانية على الطرق التجارية في الأراضي السورية، سواء من حيث بناء الحصون حيث تشهد هذه الفترة كثرة إقامة الحصون والأسوار لخدمة الأغراض التجارية والعسكرية وخاصة عند الحدود ، أم من حيث تنظيم تحركات القبائل البدوية المرابطة في الصحراء السورية ، بالإضافة إلى تأمين متطلبات القوافل من التزود بالمؤن والماء لهم ولإبلهم عن طريق الاستراحات عبر المسافات [3]. وكانت تمر عبر مجموعة من الطرق وتتوقف عند العديد من المحطات التجارية ، ويعد طريق الحرير البري من أهم الطرق القديمة والذي استمر نشاطه حتى القرن الرابع عشر الميلادي[4]، أما عن محاور الطرق في البادية السورية فما أن تجتاز القوافل التجارية نهر الفرات حتى تجد نفسها أمام أصقاع شبه صحراوية ذات تضاريس جبلية وعرة .

---

(1) Rosovtzeff, 1932 . p.26.

(2) ساطع محلي ، طريق الحرير " الطريق وسيلة حضارية بين الشعوب " دراسات تاريخية ،العدادن 39-40، ط1، دمشق 1991 ، ص51.

(3)M. Charlesworth, Trade Routes and commerce of the Roman Empire , Cambridge ,1924, p268-270.

(4) عادل عبد السلام ، ص30 .

ففي شمال سورية تنهض سلاسل جبال على سهول الجزيرة وهضبة حلب، وفي الغرب ترتفع سلاسل جبلية تساير البحر المتوسط بكامله،وتستمر جنوب خليج العقبة والبحر الأحمر فتقف حاجزاً بين الداخل السوري وموانئ البحر المتوسط .أما جنوبي البادية السورية حيث تنعدم السلاسل الجبلية لكن تظهر الممرات الوعرة التي تدفع بالقوافل التجارية للسير على طريق تتحاشاها ، وتكتمل صورة العلاقة بين محاور الطرق بواسطة العارض الجبلي الذي يتوسط البلاد المتمثل بالجبال التدمرية والذي يتصل في الغرب مع جبال لبنان وتنتهي عند جبل البشري .

هذه التضاريس فرضت محورين أساسيين للسير :

محور الفرات ← البادية السورية ← تدمر والذي يتجه جنوب العارض الجبلي على حوض تدمر ومنه إلى ←دمشق

↙ حمص

ولكي يتجه هذا المحور نحو تدمر أومنها يسلك عدة طرق تبدأ من مواقع مختلفة على الفرات؛ إلا أنها تجتمع عند مدينة تدمر ملتقى طرق القوافل البرية ومسالكها، وكان بقاء ازدهار تدمر عاملاً مهماً في استمرار طريق الحرير، وخاصة بعد أن سيطرت زنوبيا على مصر ووضعت يدها على منافذ طرق المواصلات البرية والبحرية [1]، ومن المؤكد أن طرق التجارة قد تأرجحت في علاقاتها تبعاً للظروف السياسية والأمنية التي شهدت تغيراً ملحوظاً بعد سنة 273م، حيث تحول الطريق التجاري شمالاً، واحتلت كل من أنطاكية وسلوقية وحلب المركز التجاري الأهم لتشكل نهاية الطريق القادم من الشرق الأقصى[2]، وجنوباً الطريق التجاري الجنوبي نحو البحر الأحمر وفيما يلي الطرق العابرة للبادية بين الفرات وتدمر .

---

(1) اليس نقاش ، ص 326.

(2) A. Musil , Palmyrena, New York, 1958, p237-238.

## أ ـ طرق منطقة تدمر

**ـ الطرق العابرة بين تدمرو الفرات**

1 -طريق هيت ← تدمر : تبدأ من هيت على الفرات تتجه شرقاً ← طريق كبيسه ←قصر عامج ←القعرة ← قصر الحلقوم ←قصر الصواري . حيث تكثر الأبراج والثغور والمعسكرات الرومانية ←أم الصلابيح ← تسير الطرق بمحاذاة الجرف الصخري ← أم العمد ←تدمر وطولها حوالي 460كم.

وهذا الاتجاه غالباً ما يتجه نحو الخليج العربي ← الهند، أو ربما يتجه إلى الشاطئ الشرقي للجزيرة العربية [1].

2 -طريق الصالحية (دورا) تنطلق من دورا على الفرات مسايرة المجرى الأدنى لوادي الصواب ← حميجة على وادي المياه، ثم تتجه غرباً مروراً بـ حسيان والمنبطح ←تدمر وطوله أكثر من 250كم.

3 -الرحبة ← تدمر : تتجه غرباً مع المجرى الأدنى لوادي الخور مخترقة الفيضات ← السخنة← تدمر ، وطولها 220كم[2] .

4 -قرقسياء ← Circesum تدمر : وتساير طريق الرحبة – تدمر من جهة الشمال، ثم تتجه إلى الجنوب الغربي باتجاه بئر دخول ← متعاقب الطيبة ←السخنة ← تدمر ، وطولها 200كم.

5 -القريا (بيرتا) ← تدمر : تبدأ من موقع القريا على الفرات، وتتجه إلى الجنوب الغربي عند بئر القصيبية← جبل البشري ← قرقسياء ← تدمر ، وطولها حوالي 200كم أيضاً .

6 -زلبية – حلبية ←قصيبية ←السخنة ← تدمر ، ويعتبر هذا الطريق أقرب الطرق من الفرات إلى دمشق[3] .

---

(1) محمد علي مادون ، ص 60.

(2) كان الطريق العام الواصل بين دورا وتدمر يخترق سور دورا الطويل والمعزز بالأبراج وهو السور الغربي الذي يصد المهاجمين القادمين من الصحراء وبمنتصف هذا السور باب ضخم وهو المدخل الوحيد إلى تدمر من هذا الجانب ولما كان هذا الباب قبالة تدمر لذا فقد أطلق عليه بوابة تدمر. انظر: هورست كلينغل ، ص62. وأيضاً انظر: بيير لوريس ، ص 207-208.

(3) علي مادون ، ص65.

7 -الرقة Sura عن طريق " الرصافة " ⬅الكويم ⬅الطيبة⬅السخنة ⬅تدمر، وكامل هذا الطريق هو جزء من الطريق الذي شقه دقلديانوس فيما بعد.

و يعتبر الطريق الثاني والرابع والخامس أكثر الطرق استعمالاً من قبل القوافل التجارية؛ لقصرها وسهولة الحركة عليها؛علماً بأن القوافل قد تختار هذا الطريق أو ذاك تبعاً للظروف؛ لأنها جميعها تنطلق من الفرات لتنتهي في آخر المطاف عند مدينة تدمر[1].

أما عن الطرق من تدمر إلى المعمور السوري فقد بلغت أوجها خلال القرون الثلاثة الميلادية بفضل التنظيم البارع لشبكة الطرق الممتدة من تدمر إلى كافة الاتجاهات والمجهزة تجهيزاً يدل على السيطرة الكاملة بحصونها وطرقها الممهدة وأبارها وحامياتها، وتعتبر هذه الشبكة خير شاهدٍ على العلاقات التجارية بين تدمر والمدن الأخرى ويمكن تحديدها ضمن الاتجاهات التالية:

**- الطرق بين تدمر والمدن الأخرى**

- الطريق من تدمر ⬅ دمشق: وعددها ثلاثة طرق، ويعتبر هذا المحور ذو خط موجه ومفروض رسمته محاور السلاسل الجبلية التدمرية، إذ تسير في أغلب أجزائها في أودية جبلية محصورة بين الجبال الأم وسلسلتها الهامشية، وتتحاشى السير على طريق أقدام الجبال مع أطراف البادية، وتتبع هذه الطرق عدد من الآبار والحاميات العسكرية لدرء أي خطر عنها قادم من البادية [2].
- طريق تدمر ⬅موقع البيضا ⬅ قصر الحير الغربي Helia Ramia⬅نزالا (القريتين) Nazala⬅ جيرودا Geroda⬅القطيفة Adrin⬅ دمشق .
- ومن دمشق تتجه نحو بيروت Byretus⬅صور ⬅ عكا على المتوسط أومن طبريا ⬅ بيسان ⬅ قيسارية ⬅ سواحل المتوسط [3].

---

(1)J. Iassus, Ia ville d Antioche a l rpoque Romaine dapres L Archeologie, ANRW, Berlin 1977 , p85.

(2) عادل عبد السلام ، ص 30-35.

(3) علي مادون ، ص66.

- وهناك طريق يحاذي الفرات يربط بين سميساط Samasata ← سورا الرصافة ← تدمر ← القريتين ← نزالا ← دمشق .

وقد استخدم الإمبراطور دقلديانوس هذا الطريق ليجعل منه فرعاً يصل بين دمشق وحوران، وغدا يعرف باسم طريق دقلديانوس [4].

ويعتبر الطريق من Khiakata من أبدع النماذج الدالة على ماكانت عليه هندسة وعمارة هذه الفترة، فقد كان يمر من فوق نهر الخابور (Chabinas) قرب سميساط حوالي 200م . وأقيم لهذا الطريق (الجسر) سردان ممتد، وتمت تسوية الطريق عند كل نهاية عن طريق السدود، ووضعت مقاييس مصنوعة من الحجر الجيري الأزرق الغامق على كل جانب، وأقيمت الأعمدة عند الزوايا مهداة من رؤساء المدن الرئيسية لـ كوماجين (Commagen) إلى الإمبراطور سبتميوس سيفريوس وزوجته وولديه، وكانت لهذه الأعمدة تيجان من ورق النبات، وسبق أن اقيمت عليها تماثيل وتجاورها مذابح صغيرة تستخدم لعبادة الآلهة الرومانية [1] وطبقاً لما ورد في لوحة بوتنجر [2].
فإن هذا الاتجاه لا يمكن أن يتبع طريقاً آخر بعد أن يعبر نزالا ← مهين Danaba، ثم يلتقي بطريق حمص Emesa دمشق ماراً بـالنبك وقارة Cehere (Casama) ← القسطل (Aamana) ← القطيفة ← القصير Admedera فدمشق[3].
وهناك معبراً آخر كثرت فيه الخانات التي كانت سمة هذا القرن (الثالث ) والحصون الصغيرة المدعمة والمجهزة بالآبار والوسائل الزراعية التي تكفي لسد حاجات القافلة وإبلها، وتبدأ من خان الأبيض غربي تدمر ← خان الحلابات (Beriarca) عرف

---

(4) هورست كلينغل ، ص65.

(1) Bouchier, p95.

(2) Alis Musil, p.237.

(3) هورست كلينكل ، ،ص66.

اسمها من خلال كتابة محفورة على ميل حجري على الطريق الديوقليسيانية، ولا يزال الميل في موقعه حتى الآن(1) ، كتب على الميل { ستراتا ديوقليسيانا اكرنيلا – بريا ركا } خان القطار (Acrnela)🡸خان الحلابات🡸 خان البصرى " أوراكا" (Auraca) وهو حصن في ممر إجباري تقيم فيه حامية تدمرية تتحكم في سير الطريق 🡸 قصر الحير 🡸 خان المنقورة (Valle Alba) خان التراب( Valle (Tiona)🡸 Diocle خان أبو الشامات 🡸 الضمير (Thelsea) دمشق وطريق دقلديانوس ينحرف قبل ضمير بقليل ليتفرع نحو الجنوب ماراً بدير الشمالي 🡸 تل أصفر 🡸 دير الكهف 🡸 القصر الأزرق(2) .

وبعد سقوط تدمر بيد أورليان باشر بتحصين مدن الولاية ليأتي من بعده دقلديانوس ليكمل ما بدأه أورليان، فيجدد بعض الحصون على الطريق الذي غدا اسمه ( ستراتا ديوقلسيانا ) المعتمدة على محور تدمر (3).

ويشير بوادبار على درب تلتف إلى الشرق حول ديره التلال والصفا، وتمتد إلى الجوف حيث الجزيرة العربية، وآخر يقع إلى الشرق يمتد من البصيري 🡸 موقع سبع بيار 🡸تل شيع الكوم 🡸 جبل سيس الزلف 🡸النازلة 🡸بصرى أوسيس 🡸تل حلة 🡸 دومة الجندل، ومنها موانئ البحر الأحمر والخليج العربي .

---

(1) الميل عبارة عن عضادة مسطيلة من الحجر المنحوت ينقش على وجهه علامات تدل على أماكن تواجده أوذكرى رحلات القوافل .

(2)R. Pierre , Les Inscripions Du Temple De Dmeir . Syria , vol XXIII,1942-1943 , p174-180.

(3)D.F.Graf, the Saracens and the Defense of the Arabia Frontier,Britain 1997. p1-16.

**- طريق تدمر ← حمص :**

لعل من المبادئ التي ميزت العمل الإصلاحي للإمبراطور سبتيميوس سيفروس هو ما قام به من توفير الأمن والاستقرار لمعابر الطرق، فقد كشفت الآثار مدى قدرة الرومان في دقة تخطيط الطرقات وإتقان رصفها بالحجارة في منطقة حمص التي أولاها سيفريوس العناية الكبرى، وخاصة اثنان وعشرون حصناً تتوزع في أراضي حمص وما حولها بدءاً من مياس ← حمص ← مصياف، والتي تبدأ من :
خربة الجاموس ← خربة السوداء ← أم محنايه ← شرقي تليل ← غربي كفرلاها ← تل الذهب ← البياضة ← السويدا ← مصياف [1].

ويتجه الطريق بعد مصياف إلى الشرق ماراً بـ كنفو العامرية ← تل سلحق مجتازة جسر العشارنة ← قلعة المضيق فسهل الغاب، وإن إيصال هذا الطريق بمدينة حمص أكبر دليل على الاهتمام بأمرها [2].

أما عن الطريق من تدمر إلى حمص فهو يتجه غرباً، فيجتاز ممر ثنية الملح التي يدل اسمها على إسهام التدمريين بتزويد القوافل بها بسلعة تجارية هامة، هي ملح سبخة الموج ومنها إلى مغارة الدو الواسعة من الجبال الوسطى في الشمال والسلسلة التدمرية في الجنوب،وتمر الطريق على البيضا والمياس، ثم الفرقلس ماراً بوادي المقابر، ومنها إلى حمص، ويتفرع عنها طريق تتجه نحو الجنوب الغربي من موقع البيضا إلى القريتين وعبر جبال القلمون إلى دمشق [3] .

---

(1) عماد الدين موصلي ،ص121.

(2) سليم عادل عبد الحق ، 1960 ، ص15-16.

(3) عادل عبد السلام ، ص35.

وكانت هذه الطرق تبنى وترصف بالحجارة الضخمة المنحوتة ، أما تخطيطها فكانوا يقومون بغرز أوتاد للدلالة عليها بحيث يكون عرضها من 5-8 أقدام ، وعندما ينتهي هذا التخطيط الذي يكون في الغالب مستقيماً، ينزعون التراب من المخطط حتى يبلغ الطفال، فيصلبون المدقات، ثم يبسطون طبقة من الحجارة الصغيرة ترص بالمطارق، ويضعون فوق هذه الطبقة طبقة من الحصى والرمل والطين، وثالثة من الحصى والرمل والجير، ورابعة من الحجارة المكسرة والطين، وفوق ذلك طبقة غليظة من الحجارة الصوانية الكبيرة، ويلصقون جانب إحداها بالأخرى، ثم يحفرون على جانبي الطريق خندقاً تجري فيه مياه الأمطار كي لا تجرف الطريق إبان سيرها القوي،وبني عند كل خمسة أميال محطة للبريد،فيها أربعون فارساً لتوصله ليلاً ونهاراً [1].

وهناك طريق تدمر ← البيضا ← فرقلس← حمص ←رفينة ←طرطوس أو من حمص ← القدس ← طرابلس ← جبيل ← بيروت ←سواحل المتوسط ← طرطوس ←أرواد.

**الطريق من تدمر ← أفاميا ← حلب :**

حيث يتجه عبر السلسة التدمرية الشمالية نحو حلب (Beroae)[2] فمنطقة الدروب عبر آسيا الصغرى من أنطاكية على مجرى العاصي ← باتجاه حلب ← على الفرات عند هرابولس ← أراضي ما بين النهرين ←بحر قزوين ← شرق آسيا حيث يلتقون بالتجار المنتشرين بالصين لتبادل السلع [3].

---

(1) Iassus , p85.

(2) كانت حلب منطلقاً لتجارة عبور بين المشرق والمغرب في منتصف الطريق بين نهر الفرات والمتوسط من الألف الثاني قبل الميلاد وعادت لتأخذ مكانها التجاري المتميز بعد القضاء على الطريق الجنوبي المار بتدمر وغدت نقطة التقاء طريقين بين آسيا الصغرى ووادي دجلة والفرات . انظر : جان شال بالتي ، حلب والطرق التجارية الشرقية في العهود الهلينية والرومانية ، ترجمة غادة الحسين ، الحوليات الآثرية السورية ، مج 43 ، دمشق1999 ، ص 317- 319.

(3) Alis Musil, p243-244.

وقسم آخر يتجه نحو أنطاكية ← الموانئ الشمالية للساحل الشرقي للمتوسط أو نحو حماة و أفاميا ← ثم تعبر جبال البهراء Bahragos لتصل إلى موانئ الساحل أو عبر منطقة الدو إلى الفرقلس ← حمص ثم يتابع باتجاه رفنيه ← بحيرة قدس ←عكار ← أرواد ←طرابلس ← بيروت ← صيدا ← صور.

وقد سعى الأباطرة جاهدين لحماية الطرق والإكثار من الحصون على امتداد الطرق التجارية،و خاصة بعد أن كثر قطاع الطرق واللصوص، وبعد أن تمكن الساسانيون لأكثر من مرة من التوغل داخل الأراضي السورية، مما أدى إلى تأرجح العلاقة التجارية مع الصين، وغدا عبور القوافل التجارية من مدينة تدمر غير آمن، وخاصة في عهد الإمبراطور أورليان الذي وضع حداً فيه للنفوذ التدمري في البادية وطرقها التجارية، و تحولت هذه الطرق إلى الشمال بإتباع طريق الفرات حول الصحراء [1]. مما أدى إلى ازدهار كلاً من أنطاكية← سلوقية بيريه ← حلب – خالكيس – نصيبين – الرها [2]؛لأنها غدت تشكل نهاية الطرق القادمة من الجزء الشرقي للإمبراطورية، وقد أدى احتلال الأسرة الساسانية مصبات دجلة والفرات [3]إلى اختناق التجار التدمريين، لأنها سدت عليهم طريق الخليج العربي والبحر الأحمر [4]. الذي ازدهر في القرن الثاني، وخاصة بعد أن شق الإمبراطور تراجان القناة المائية ليصل البحر الأحمر بالخليج العربي [5]، مما أدى إلى عبور طريق الشمال لتجنب عبور أراضي الساسانيين [6]، وبهذه الفترة تشح الكتابات المتعلقة بالقوفل التدمرية، وذلك دليل على الثمرات التي أخذت تشح في جنة القوافل تدمر.

---

(1) محمد على مادون ، ص 28-29.

(2) Iassus , p85-86.

(3) أليس نقاش ، ص 326.

(4) I.A. Richmund, Palmyre ander the Aegis of Roman ,JRS, vol, LIII, London1963 .p50-51.

(5)D.F Graf , The Via Nova Traiana in Arabia Petraea, Rome and the Arabia ,frontier from the Nabataeans to the Saracens, Britain 1997, p.137

(6) بشير زهدي ،1988، ص 136.

وقد وجد طريقان تجاريان يستغنى فيهما المرور بمدينة تدمر:

الأول :يتجه من مجرى الفرات إلى بارباليسون Barbalissos عند مسكنة حلب، ومنها إلى الساحل السوري عند بيروت 🡺 صيدا 🡺 صور .

الثاني: يسلك وديان جبل البشري قرب تدمر ويجتاز البوادي متجهاً نحو الفرات Topsacus (منطقة دبسي الفرج حالياً ) قرب الرقة [1].

وبالعكس من أنطاكية على مجرى العاصي 🡺 حلب 🡺 يجتاز الفرات عند هيرابوليس (جرابلس )🡺 أراضي الجزيرة 🡺 هيكاتومبيلوس على ساحات قزوين بلخ [2].

وكانت هذه الطرق تسلكها الجيوش الرومانية المعسكرة لمراقبة البرثيين، وقد قام الإمبراطور سبتيميوس سنة 179م بالعناية بهذه الطرق، وزودها بأميال المسافات، وغدت في عهد جورديان الطرق المعتادة [3].

أما أديسا فقد خسرت الكثير من نفوذها الاقتصادي لتعرضها للغزوات، وكذلك زيوغما التي كانت تشكل مع حلب ونصيبين ثالوثاً هاماً لطريق التجارة الشمالي، فقد فصلت مساحتها في منتصف القرن الثالث وزوال نفوذها العسكري كنقطة عبور بينما حافظت حلب رغم الحملات الساسانية المتكررة على قوتها الاقتصادية حتى القرن السادس الميلادي [4].

---

(1) محمد على مادون ، ص 8- 9 .

(2) محمد حرب فرزات ، ص 102-130 .

(3) رولان تفنان ، الذهب والملح ، مذكرة عن البيئة الطبيعية في منطقة سورية القديمة، الحوليات الآثرية السورية ، مج27 ،دمشق 1978، ص357-361.

(4) جان شارك بالتي ، ص317-319.

- الطريق من تدمر ← الفرات :

طبقاً للائحة بوتنجر فإن هذا الطريق الممتد نحو الشمال إلى سورا Sura قد لاقى تبدلات عدة، على اعتبار أن هذه المنطقة كثرت فيها الحروب، فقد اتخذت عدة محاور فرعية وأساسية طبقاً للحالة الأمنية وتوفر المياه والمرعى :

1- المحور الأول الشمالي :

من تدمر ←أراك (Araca) ←أوزيرا Oruza ←( الطيبة) ← الشولة (موقع الكوم ) ←الرصافة ←سورا حوالي 21 ميلاً طبقاً لبوتنجر[1]، وقد أشار ديسو إلى أهمية طريق من الحجر قرب المنصف الذي يحدد الطريق بين تدمر ← آراك، واستمر استخدامه حتى القرن الرابع الميلادي،ويدلل على ذلك استخدامه لأغراض عسكرية وتجارية وأمنية بعد سقوط تدمر عام 273م.

2- المحور الثاني الشرقي :

يبدأ من تدمر ←آراك← المحطة الثالثة←البئر الجديد← دوراأوروبوس

وهذا الطريق كان يتابع مسيرته حتى ضفة الفرات اليمنى ومنها إلى ميسان والخليج، إلا أنه قليل الاستخدام نظراً للاضطراب الأمني الذي كانت تعاني منه دورا خلال القرن الثالث الميلادي في تأرجح بين القوة الساسانية – الرومانية[2].

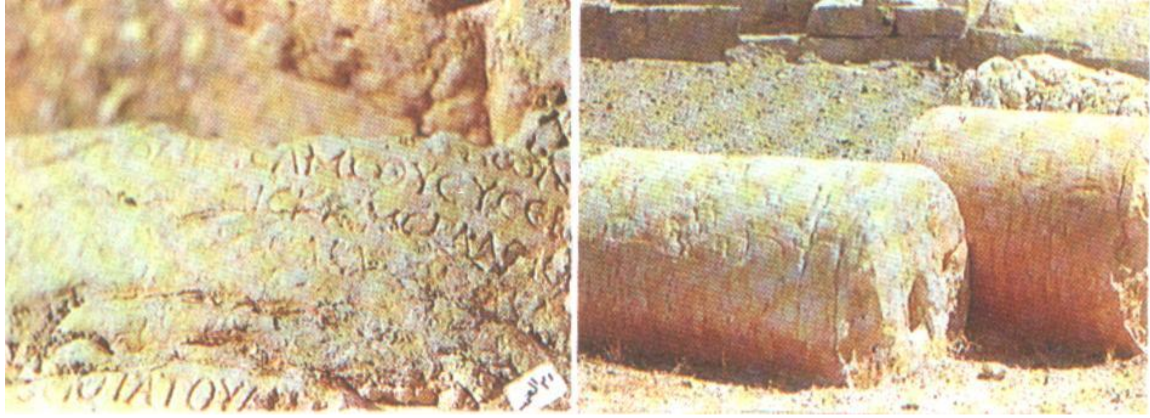
3- المحور الثالث :

تدمر ← البازورية ← أم العمد، حيث أقام التدمريون عموداً تذكاراً لتكريم سوادة بن مالك عام 198 م أبرز رجال القوافل الذي حمى القوافل التجارية من قطاع الطرق، وآخر في المغاجة المقدسة ومن أم العمد ←موقع ملكية، ثم إلى أم الصلايخ في وادي المياه وفيه بقايا حصى وآبار قصر صوار ← كفرة ← هيت، ومن ثم ينقل إلى الضفة الأخرى عند خراكس، ومنها إما إلى ميناء بارباريكوس، أو إلى بلاد الفرس شرقاً.

---

(1)Alis Musil,.p245.

(1) عدنان البني ، ص 70.



صورة رقم (40) أعمدة منقوشة من (أم العمد)

وهناك طريق هام لا يمكن إغفاله عند الحديث عن طريق الحرير لصلة الوصل بين طريق وادي حلب الشمالي وطريق وادي الفرات وتدمر الجنوبي ، وهي الطريق التي تبدأ من الرقة على الفرات وتتجه جنوباً إلى الرصافة والكوم ← الطيبة ← السخنة ←حليحلة ←آراك ← تدمر، ومنها ينطبق مع طريق تدمر دمشق .

وتعرف هذه الطريق المارة من جبل البشري وجبل أبي رجمين بالطريق الديوقلسيانية الرومانية [1].

وقد ذكر هايشليهام في كتابه عن المسح الجغرافي لمناطق عبور التجارة في سورية محدداً المدة الزمنية التي تقضيها الرحلة :

من بيروت ← إيطاليا ذهاباً وإياباً حوالي 200يوم.

القدس ← الرها تستغرق 25يوم .

أنطاكية ← حلب يومان .

أنطاكية ← سلوقية أقل من يوم [2] .

---

(1) خالد الأسعد ، طريق القوافل التدمرية ، الحوليات الآثرية السورية ، مج 42، دمشق 1996، ص 88.

(2) سعى دقلديانوس خلال برنامجه الاصلاحي في القرن الثالث ببناء طريق من دمشق مروراً بتدمر حتى يصل إلى سورا على الفرات ، بهدف حماية الحدود . انظر: عادل عبد السلام ، ص 35-36.

## ب ـ طرق منطقة حوران:

يعتقد علماء الآثار أن أهمية الطرق الرومانية في منطقة حوران لم تظهر جلياً إلا بعد أن قام الرومان بتأسيس الولاية العربية سنة 106م ، وجعلوا من منطقة حوران درعاً تقي حدودهم الجنوبية والجنوبية الشرقية من غزوات عرب الجزيرة والفرس، وتحولت بصرى إلى عاصمة وقاعدة لقواتهم السريعة المكونة للفيلق الثالث [1].

وقد عدلت هذه الحدود في عهد الإمبراطور سبتيموس الذي ضم منطقة حوران إلى الولاية العربية سنة 195 ومنح عاصمتها بصرى ألقاباً شرفية ، ورفعت درجتها إلى مستعمرة في عهد الإمبراطور ألسكندر سيفروس ( 222- 235م) ودرجة (Metropolis) في عهد الإمبراطور فيليب العربي [2].

أما عن شبكة الطرق الرومانية التي شقت في منطقة حوران، فكانت تبدو وكأنها تنظيم ذو طابع عسكري بصورة عامة ، إلا أن مهمة هذه الطرق عامة في خدمة التحركات العسكرية والتبادلات التجارية والتنقلات مابين القرى والمدن [3].

هذه الشبكة التي رصفت طرقها منذ العهد الإنطونيني :

1 -جدد الطريق الأولي حول مدينة بصرى وهو الطريق الذاهب من بصرى إلى عمان الذي أنشئ سنة 114م.

2- أما طريق اللجا الذي بدا واضحاً أنه من صنع الرومان بعد شقه ورصفه من جديد فقد أعيد إنشاؤه إلى الحقبة الواقعة بين ضم الولاية وبين حكم الإمبراطور ماركوس أوريليوس .وتميزت هذه الطريق التي رصفت بالحجارة من أعظم هذه الطرق والتي يبلغ عرضها 5,6 م وهي مؤلفة من شريطين يميلان نحوالطريقين[4].

---

(1) Heichelhiem , op.cit. p. 209-210.

(2) دورس ميلر ، ص137.

(3) توماس بورز ، ص209.

(4) جان ماري دانتز ، 1997 ، ص200.

3- الطريق الذي يصل بصرى ← درعا، الذي تم إصلاحه في عهد الإمبراطور كومودوس.

4 -أما الطريق الرابع والذي يربط بصرى ← بدمشق ماراً بالقسم الشرقي من اللجا، فيعود إنشاؤه إلى القرن الثالث الميلادي خلال حكم الأسرة السيفيرية ، وعندما تولى الإمبراطور فيليب العربي العرش الإمبراطوري زاد من تنمية الطرق، وبمدينة شهبا بشكل خاص ، التي رفعها إلى مستوى المستوطنة، وزودها بأهم المظاهر العمرانية وأحاطها بالأسوار، ولقبها بـ فيليوبولس نسبة له، وقد تم تطويرها و توسعيتها وترميم الكثير من أبنيتها من قبل الإمبراطور دقلديانوس فيما بعد ، أما سير هذا الطريق فقد جعله ينحرف نحو شهبا، فربط بذلك شهبا بالطرق الراقية الرومانية بالمنطقة، وأصبح الطريق يمر من دمشق ← أم الزيتون، ومنها انحرف إلى شهبا كونها المدينة الأهم في القرن الثالث الميلادي، ومن ثم ينضم إلى الطريق الروماني الذاهب إلى السويداء جنوباً [1]؛ لذلك يمكن أن نستنتج أن القرن الثالث هو التاريخ الواضح لإنشاء الطرق التي تنطلق من شهبا، والتي تربط الأزرق ← صلخد ← بصرى، فقد عثر في الأزرق على عدة ترقيمات ألفية من 209\210 وهذا ما أشار إليه Kennedy[2].

ومازالت شوارع شهبا التي تجتازها من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب تحتفظ ببلاطها الروماني القديم الذي يعود إلى زمن الإمبراطور فيليب، وقد تم اكتشافه من قبل جامعة برينستون أثناء رحلتهم الأثرية ( 901-1909 م) عن 23 كتابة لاتينية أكثرها تدشينات وشواهد قبور ، وأشهر هذه الكتابات وجدت على

---

(1) توماس بورز، ص 224-226.

(2) المرجع نفسه، ص230.

صخرة في تل النمارة مركز حراسة الرومان نقشها جنود اللواء الثالث الروماني الذي كان مركز قيادته في مدينة بصرى [1].

اعتباراً من أوائل القرن الرابع الميلادي كشف عن تطور معظم الطرق الرومانية من الغرب إلى الشرق بالاعتماد على المسالك والطرق الرئيسية ذات اتجاه شمال جنوب[2]،وسنحدد هذه الطرق حسب الإحصاءات التي قام بها العالم الفرنسي توماس بوزو وحدد اتجاهاتها كما يلي : ( دمشق – السويداء )- ( السويداء – بصرى )- منطقة اللجا ( منطقة وادي اللوا ) ( دمشق – شقا )- ( متان باتجاه الجنوب بصرى باتجاه الشرق )

ويمكن أن نجمل شبكة الطرق الرومانية والتي تميزت بأنها مرصوفة بالحجارة بما يلي :

دمشق ← نوى ← درعا .

↖طريق اللجا

دمشق ← بصرى ← السويداء ← طريق وادي اللوا

↙ سيع

بصرى ← عمان سيع ← خليج العقبة

بصرى ← حيفا ← شواطئ المتوسط

بصرى ← دمشق← تدمر[3]

بصرى ← السويداء ← شهبا

صلخد ← أمتان [4]

(1) غالب عامر ، داود نمر ، ص 95-96.

(2) توماس بورز ، ص226.

(3) دورس ميلر ، ص137

(4) توماس بورز ، ص215.

بصرى ← صلخد ← أمتان ← قلعة الأزرق ، حيث أقيم آخر حصن عند مدخل الصحراء ، وإن طرق الصفا وطرق أمتان تعتبر مركزاً للتفتيش، فالبادية مأهولة بالبدو الرحل، والتغلغل الوحيد للرومان كان يتمثل بوجود القلاع التي كشف عنها بوادبار وهدفها مراقبة منابع المياه ، ومن وراء ذلك مراقبة وضع الرحل الذي يرتادونها، وقد تحولت هذه القلاع إلى أديرة في العصر البيزنطي .

وكذلك الحال مع خربة الأمباشي، حيث ينطلق منها ثلاث طرق رومانية

دير كسب← نمارة مع طول طريق وادي الشام← الجبل ←الرشيدة [1].

إلى جانب هذه الطرق التي ترتبط فيما بينها كان هناك في حوران مجموعة أخرى من الطرق التي تخترق جبل العرب، والأدلة الأثرية تجمع على أن بعضها كان بادئ المعالم قبل العصر الروماني،إلا أنه اكتسب الفعالية الكبرى حتى زمن متأخرمن العصرالروماني[2] وفي أطراف حوران إلى الشرق عن سفح جبل فولكاني أقيم معسكر روماني، عرض أسواره متران، وعليه أبراج، و أمامه حفرة لإظهار أن هناك حامية رومانية لتصد عرب البرية عن التعدي، وهذا ما أشار إليه دي فوجيه عندما ذكر" الرومان تولوا هذه المنطقة فأمنوا البلاد وأقاموا فيها بيوتاً وخربة حمامات و أقنية لجر المياه من الجبال"

أما عبور أقنية المياه ومجاريها فيتم فوق جسور من الحجارة المنصوبة عرف منها جمرين- الطيبية، وكلاهما على وادي الزيدي، وهناك جسرثالث بين بصرى وخربة،ولا يعرف تاريخ إشادته بشكل مؤكد[3].

---

(1) توماس بورز، ص228- 229.

(2) المرجع نفسه ، ص 229-230.

(3) المرجع نفسه ، ص221.

وهناك ثلاثة طرق مستقيمة تتجه نحو سيع، والطريق الذي يربط سيع بالسويداء، والذي يجتاز ريفاً يكاد يكون مهجوراً هذه الأيام، وآخر يربط سيع المنف عن طريق وادي الصايع، وأخيراً يتجاوز الطريق الذي ينطلق من سيع قنوات على مسافة 20كم [1]؛ لذلك شهدت هذه المنطقة ازدهاراً عظيماً استمر حتى العصر الإسلامي .

أما عن سلسلة المراكز الرومانية المحصنة والمتركزة بصورة منفصلة على برك المياه التي توزعت لتوفر سبل الشرب للحيوانات ولتزويد القافلة بأكملها بما تحتاجه من مياه،وعلى هذا كانت البضائع تنقل مع قوافل متعددة بالتناوب، فتسير كالقافلة لتقطع شوطاً معلوماً، ويتم تسلم البضائع لقافلة أخرى، وقلما ما تقطع القافلة المسافة كلها [2]، وبذلك تأكد مرور مراكز القوافل عبر الصحراء بين تدمر – بلاد الرافدين – الخليج العربي ، انطلاقاً من بصرى عن طريق دير الكهف ⬅ الأزرق ⬅ وادي سرحان، والذي كان الشغل الشاغل للقبائل البدوية، وقد تعززت مراقبة البادية ونقطة نهاية طرق القوافل المارة بوادي سرحان بإنشاء القلاع في الأزرق ودير كهف، وقد عثر قرب هذه الطريق كتابة لاتينية تدل على اهتمام دقلديانوس بها [3].

## سادساً- التجارة الخارجية

## 1- القبائل البدوية ودورها في حماية القوافل التجارة

من أجل وصول هذه القوافل إلى المحطات والموانئ التجارية بأمن وسلام ، كان لا بد من حمايتها من الأخطار المحدقة بها، ولعل أشدها، البدو إن حياة البدو تقوم على التنقل سعياً للمرعى ، وقد لا تكفي لسد حاجاتهم المعيشية ، و لأجل ذلك كان من الطبيعي

---

(1) بيير جنكيل ، ص 75.
(2) محمد على مادون ، ص 16-17 .
(3) توماس بورز ، ص229.

أن يسدوا عوزهم بالإغارة على الجماعات المستقرة " الحضر "، وعلى قوافل التجارة العابرة للصحراء [1] ، ثم إنهم يعيشون في مناطق شديدة الحرارة لا يمكن الاستمرار؛ فيها لذلك يتزودون بمياه الخزانات التي تتجمع فيها المياه المتساقطة من السفوح الجبلية[2]، وبما أن البدو بمنأى عن أي قوانين تنظم حياتهم لذا لا يعرفون أن لهم حدوداً يعيشون في نطاقها [3]. لذلك كانت تحركات المجموعات البدوية وتنقلاتها تتبع الظروف الطبيعية،ففي فصل الشتاء يتنقلون إلى مكان تواجد البرك والبحيرات الصغيرة المتجمعة من تساقط الأمطار ليتمكنوا من رعي قطعانهم ، أما في فصول الصيف فإنهم يسعون إلى أراضي التجمعات السكنية المستقرة ، وما يترتب على ذلك من استباحة للأراضي الزراعية[4]، وذلك في بداية القرن الأول والثاني .

كانت سورية عبر تاريخها الطويل مسرح نزاع طويل بين البدو الذين يتخللون لرعي قطعانهم، والحضر وهم من البدو الذين استقروا ضمن تجمعات زراعية [5]، وقد أشار سترابون [6] إلى أن منطقة حوران على سبيل المثال كانت مقسمة إلى أربع قبائل رئيسية متنافسة أطلق عليها الرومان أسماء منسوبة إلى المناطق القاطنين بها ( Gaulanitis - Batanea حوران، والسويداء – Trachonitis منطقة اللجا – Auranitis )[7].

---

(1) نقولا زيادة ، ص213.

(2) موريس سارتر ، 1997 ، ص 196.

(3)Peters , p315.

(4)Ibid , p.315-316.

(5) رينة ديسو ، ص6.

(6)Strabo , XVI, 2, 20.

(7) فرانسوا فيلنوف ، ص201.

تعتبر منطقة (Trachonitis) أكثرها خصوبة؛ لذا شهدت صراعاً مستمراً بين الحضر والبدو، ولا سيما حول الحرمون، حيث يتم الاستيلاء على التجارة من وإلى دمشق فتتعرض دمشق لهجماتهم،أما الجزء الأكبر من القسم الشمالي الجنوبي لسورية فقد كان مسرحاً لهجمات متتالية للبدو على الحضر ، وقد يتم بطريق التغلغل السلمي أو بقوة احتلال الأراضي الزراعية " الرعي الجائر"، وخاصة أن أهل البادية تمتعوا بقلة ممتلكاتهم وسرعة حركتهم وشدة تحّملهم،وترتبط فيما بينهم قبلية تتوطد بقوة سلطة زعيمها[1]

وبما أن اهتمام الرومان كان منصباً بشكل أساسي على تجنب التصادم بين التجارة الشرقية والغربية والهجرة الشمالية – الجنوبية للبدو؛ لذا فقد سعت إلى إحلال السلم في المناطق الحدودية الصحراوية لولاية سورية [2]، فانعكس هذا بشكل إيجابي على الحياة الحضرية، بحيث أمن العرب الحضريون على أنفسهم وأراضيهم من خطر الغارات البدوية، فتقهقروا إلى ما وراء حدود الصحراء منتفعين بكل الأراضي الصالحة للزراعة، يزرعون أشجار الزيتون والكروم والحبوب .

وقد شملت الإمبراطورية الرومانية جماعات متعددة الأجناس ، لذا فإن مقاطعاتها أي ولاياتها التابعة لها لا يمكن تحديدها على وجه الدقة نتيجة للصعوبة في تحديد خطوط المسح الجغرافي لهذه الولايات ومنها ولاية سورية، وخاصة الجزء الشرقي والجنوبي الشرقي حيث توطن البدو وخاصة أن اهتمام الرومان ينصب بشكل أساسي على تجنب التصادم بين التجارة الشرقية والغربية والهجرة الشمالية الجنوبية للبدو[3].

لذلك استغلت الإمبراطورية الرومانية تلك القبائل القابعة ضمن نطاق حكمها، وخاصة أن هذه القبائل ينظمها زعماؤها الذين كانوا على علاقة ظاهرة أو باطنة مع الإدارة

---

(1) أمين سليم ، ص231.

(2) يوسف الدبس ، ج2 ، مج3 ، ص267.

(3) Peters , p316.

الرومانية ، فسعت إلى الاستفادة منهم ومن خبراتهم في الصحراء ليكونوا القوة التي تقف في وجه أعداء الإمبراطورية المرابطة على الحدود الشرقية وهم الفرثيون، فاستفادت من حنكتهم الدبلوماسية الذكية وكذلك مهارتهم في الرماية والقتال مما جعلهم في طليعة الرجال المقاتلين الذين كانت باديتهم بمثابة ساحة واسعة يمارسون فيها فنون الرماية والصيد[1]، هذا بالإضافة إلى قدرتهم على تحمل المشاق والمتاعب[2].

لذلك أقامت الإدارة الرومانية اتفاقات (محالفات) بينها وبين البدو، بموجبها تتولى مجتمعات الصحراء حماية حدود الولاية والقوافل العابرة فيها [3]، وهنالك نوعان تقليديان للطواف أولها الجمالة : المقاتلين على ظهور الجمال الذين ارتحلوا قديماً من شمال الجزيرة العربية واستقروا في مناطق متفرقة من بادية الشام، كما في منطقة الشمبل الوقعة شمال غرب تدمر ، حيث يختارون بدقة ويدربون تدريباً قاسياً ليكونوا قادرين على حماية القوافل التجارية والطرق المارة منها [4]، وثانيها رعاة الغنم: وتنقلاتهم محدودة بما لا يتجاوز الأربعمائة كيلومترات [5].

وقد اعتبر الجمل بمثابة سفينة الصحراء [6]حيث يمكنه أن يحمل أثقالاً ولمسافات بعيدة وبظروف بيئية صعبة تهلك فيها الخيول والبغال جوعاً وعطشاً، في حين أن الجمل

---

(1) رستوفتزف ، ج1 ، ص 350.

(2) بشير زهدي ، 1956، ص 140.

(4) المرجع نفسه ،ص140.

(3) إن مواطني القبائل العربية ساعدوا على حماية الحدود ، وذلك نابع من السياسة الرومانية مع القبائل الذين يقطنون خارج حدود الإمبراطورية وذلك بنشر السلام مع الولايات الحدودية انظر :

D.F. Graf , The Saracens and the defense of the Arabain Frontier (O.A.S.O.R) Rome and the Arabian Frontier : from the Nabataeans to the Saracens , 1997 , p4.

(4) أحمد الطه ، ص 170-173.

(5) فرانسوا فيلنوف ، ص 191.

(6) توماس بوزو ، ص 232.

يعتمد غذاؤه على نباتات شوكية في الصحارى، وبواسطته انتعشت طرق كانت تتجنبها قوافل التجارة لأن منابع المياه في بعضها على بعد مسيرة أيام؛ لذلك كثرت في العصر الروماني إقامة البرك والأحواض لجمع مياه الأمطار التي تهطل في الشتاء[1].

وهذا ما نجده في تدمر التي شهدت في القرن الثاني عصر ازدهار تجاري يعود للتنظيم البارع في شبكة الطرق التي تقود إلى كافة الاتجاهات، والذي سهل للقوافل حركتها الدائمة ما ابتكره الرومان بتهيئة طرق بمراكز حراسة،ونصب علامات المسافات Mile stomes ، أما في قاذفي السهام التي أبدع باستخدامه ا التدمريون المنتشرون في البادية فقد كان لكل مجموعة قائد يقوم بالإشراف عليهم وإصدار الأوامر ، إذ كانوا يستقرون فوق الجبال لحماية القوافل التجارية من هجمات البدو.

وهناك نقش عثر عليه في دورا رسم لأحد آلهة تدمر، وهو الإله ياريخبول، وقد أعد هذا الرسم " بن ما يتي وقاذفو السهام"، ويعود تاريخه إلى عام 168م، ويقول نصها اليوناني " أبتاني – القائد"، أما النص التدمري لهذا النقش فهوا أكثرتفصيلاً ذكرى طيبة أعدها أبتاني – القائد بن زبيدعة الذي يقود قاذفي السهام الذين في دورا "[2].

وهناك نقش آخر باليونانية يذكر فيه اسم الإله ميترا، وقد أعده " زينوبا بن ياريخبول أحد قاذفي السهام، ويعود تاريخ هذا النقش إلى سنة 170-171م.

حماة القوافل والتي كانت معسكرة في دورا منذ سنة 208م وحتى 256م، وينشر رستوفتزف أنه تم إعداد قاذفي السهام هولاء لحماية القوافل التجارية [3]، ولا يمكن القول أن هذه الفرقة التي توجد في دورا أوروبوس كانت ضمن الكتائب العسكرية الرومانية المتواجدة هناك . ومنها الكتيبة العشرون التي تضم قاذفي السهام التدمريون .

وهكذا نجد أن الإدارة الرومانية تمكنت من تحقيق هدفين :

أولهما : الحد من تحركات البدو وتوغلهم نحو الساحل بتحويل عملية الرعي الجائر إلى

(1) توماس بوزو ، ص 234.
(2) شيفمان ،ص 107-108.
(3) L. Naphtali , Roman Civilization , Sourcebook 2 , New York ,p 510.

الرعي المنظم، أي تحويل الرعاة من الإغارة إلى الاستقرار المؤقت الذي يسمح لهم به خلال مواسم ما بعد الحصاد الزراعي، فبعد أن يقوم الفلاحون بجمع المحاصيل يسمح لهم الدخول بقطعانهم لترعى في هذه الأراضي ، وبالتالي تقوم بعملية تنظيف للتربة ليتم زراعتها من جديد [1].

ثانيها : استغلال هذه القوافل بقيادة زعمائها بتحويلها من قوة غير منظمة إلى قوة تكون بمثابة سياج تحمي المناطق الحدودية والقوافل التجارية المارة عبر صحراء الشام بعد أن تؤمن لهم الدولة احتياجاتهم المعيشية .

**2- تأمين القوافل بما تحتاجه أثناء تنقلاتها .**

بعد أن أمنت الإمبراطورية الرومانية القوافل التي تغدو وتروح حاملة السلع النفيسة من الهند والصين وعائدة بنفائس بلاد الشام وحوض البحر المتوسط من خطر القبائل البدوية، كان لا بد من رعايتها من اتجاهات أخرى ، ومن أبرزها شق الطرق لكي تعبرها هذه القوافل؛ حيث بذل الرومان جهداً في ترميم الطرق وتحسين ما كان موجوداً بالفترة الهلنستية وإنشاء العديد من الحصون على امتداد بادية الشام، فطبقوا أعلى مستويات الهندسة، فجاءت طرقهم مرصوفة بالحجارة المنتظمة ومزودة بأميال حجرية للمسافات [2].

ونشاهد هذا بشكل جلي في منطقة حوران ( التي تميزت بأن أراضيها وعرة صعبة المسالك )،والتي تبدو شبكة الطرق الرومانية فيها وكأنها تنظيم ذو طابع عسكري، وتشهد آثارها ببراعة المهندسين الذين شقوا هذه الطرق، وتمّ وصلها بالجزيرة العربية وشرقي الإردن وفلسطين ومصر والعراق وأنطاكية بطرق معبدة لا تزال باقية آثارها [1]

---

(1) رستوفتزف ، ج1، ص 353.

(2) المرجع نفسه ص 353.

(3) إن هذه الشبكة لم تكن مهيئة تماماً لتسهيل الدفاع عن المنطقة ضد الهجمات ، بمقدار ما يقصد منها تأمين تنقلات الجيش السريعة في منطقة وعرة تتميز بأرض وعرة عند التماس مع البدو الرحل الذين كن يصعب إخضاعهم كلياً ، مثل منطقة Trachontied التي كانت القبائل فيها تستطيع تهديد المبادلات التجارية بين دمشق وبصرى انظر : .توماس بوزو ، ص230.

ويدعوها الأهلون ( اسم الرصيف ) ، وقد عبدت بالحصى والرمل و الكلس الذي رصفت فوقه الأحجار المربعة المستوية، وعلى طول الطريق نصبت الأعمدة الدالة على عدد الأميال، حتى أصبح بإمكان المسافر أن يقطع مسافة مئة ميل في أربع وعشرين ساعة، وقد أشير إلى هذه المسافات بأحجار الأبعاد (الصورة رقم ( 41)) لكل ألف خطوة،وقد تم الإعداد لهذه الطرق في عهد الإمبراطو ر هادريان سنة 129م [(1)]، وقد اعتبر هذا الإنجاز من أشهر معالم الابتكار الروماني في سورية، والذي من خلاله اهتدت إليها القوافل التجارية، ومن خلالها تمكن الباحثون من وضع خريطة لشبكة القوافل المارة بهذه الولاية .

وقد زودت الطرق التجارية باستراحات ، وعادة ماتكون الاستراحة من غرفة واحدة تحتوي على أريكة على مدارها كلها ، وبالقرب منها ، جهزت بحظائر الخيل والجمال[(2)]؛ولكي يطمئن الرومان على سلامة سير القافلة ومراقبتها أوجدوا نظام المعسكرات المحصنة Castra، وزود الحصن بأبراج مستديرة، والجدارن مبنية بسماكة مترين تقريباً، ويحيط بالحصن خندق صغير [(3)]. ويذكر أن الإدارة الرومانية وبأمر من الإمبراطور هادريان أقامت على هذه الطرق المؤدية من دمشق إلى تدمر ومن تدمر إلى الفرات حصوناً ، فقد عثر على أطلال اثنين وأربعين حصناً يبعد كل منهم عن الآخر مسافة ثلاث ساعات. ولا شك أن هادريان عُني بالطرق التجارية المؤدية من دمشق إلى البتراء، ورصف جنوده الذين كانوا يحسنون مثل هذه الأعمال طرقات جندية في أماكن متفرقة منها[(4)] .

---

(1) J.M.Dentzes, D. .F.Graf. , p8-11.

(2) Bouchier, p.167.

(3) رينة ديسو، ص 29

(4) يوجد الكثير من الأدلة التي تتيح استشفاف دور الفيالق العسكرية في إنشاء الطرق الرومانية في حوران ، فهنالك مخطوطة لكرانيس Karanis محررة في البتراء عام 107م من قبل جندي يعود لأحد الفيالق تفيد بأنه كان يوكل إلى الجنود الرومان تنصيب الأحجار ، كما يشير Sartar في مؤلفه ( ثلاث دراسات حول الولاية العربية والرومانية والبيزنطية ،عام ،982ص80)، أن هناك دليلاً على أن الطريق الذي أنشأه الإمبراطور تراجان في حوران تم بواسطة الفيلق الثالث الذي كان سريع الحركة ليتاح له التدخل في أي موقع عبر هذه الشبكة ( شبكة الطرق في حوران ) توماس بوزو ، ص231.

وقد بني في جوف سورية ما بين 25-30 معسكراً، بعضها حصون تامة [1] كانت متناثرة ما بين القسطل في الشمال ومعان في الجنوب ، وقد عثر أثناءالتنقيب سنة 1944م على إحداها شمال مدينة بصرى، ولم تكن معروفة من قبل، ودلت أوائ ل التنقيبات التي قامت بها مصلحة الآثار على قيمة هذا الموقع الذي كان مجهولاً من قبل ، ومن هذه الحصون يمكن أن نذكر جبل سيس ، قصر الأبيض . وقد أنشئ في الرحيبة وسمي بذلك لأن جدرانه التي تميل إلى اللون الرمادي تقوم على أرض من الحجارة البركانية تحيط بالقصر ، ويشغل مساحة مربعة الشكل ، وبه زوايا وفي وسطه استحكامات، وجدار السور مكون من واجهتين مرصوصتين؛ قد ملئ بينهما بأحجار الملاط ،أما النمارة فتقوم على تل وسط وادي الشام، وفوق ساكفة باب الدخول نقرأ نص:αΕπί (ύτο)ΧΧ(φοςφάτο)Μ.φΑύ.νουνείΑντω

في زمن حكم ماركوس أوريليوس

وداخل الحصن أيضاً توجد نقوش إغريقية.

ويشبه دير الكهف جنوب شرقي جبل حوران في بنائه قصر الابيض، فهو عبارة عن ( مدخل واحد ، مبانٍ داخلية بامتداد جدران السور ، أبراج بارزة ذات زوايا في الوسط[2])، وهذه الحصون كانت تحمي أيضاً الحدود الحضرية .

وكذلك شرقي الولاية قرب وادي الفرات تحديداً، فقد يتميز بوجود معسكرات صغيرة مثل معسكر صغير يدعى حيرته [3]، وخاصة في هيت –عانة –دوراأوروبوس التي تعد ميناء تدمر على الفرات، وتلك المعسكرات مزودة بعدد من الآبار والخانات تحميها القلاع المزودة بمجموعات من النبالة، وبهذا تكون القافل ة التجارية قد وصلت مقصدها مؤمنة بسلعها وتجارها .

---

(1) لقد أصلح الرومان شبكة الطرق التي أنشأها الأنباط في سورية الجنوبية ووسعوها ، وأنشؤوا طرقاً استراتيجية أخرى ، أقاموا على جوانبها المراكز العسكرية الدائمة للأمن وسرعة الحركة والاتصال السريع.

(2) رينة ديسو ، ص 28-30.

(3) المرجع نفسه ، ص 32.

## 3- طرق التجارة الخارجية

### أ- الطرق التجارية في العصر الهلنيستي

لدارسة طرق التجارة الخارجية في العصر الروماني لا بد من ذكر الطرق التي كانت سائدة من قبل . يخيم بعض الغموض فيما يتعلق بتفاصيل أوضاع الطرق التي كانت التجارة الشرقية تسلكها إلى الغرب ، ومع ذلك فإن بعض مصادرنا على قلتها تساعدنا في إلقاء بعض الأضواء على هذه الطرق .

فمن المعروف أن الطرق الرئيسية للتجارة الشرقية في العصر الهلنيستي لها ثلاث محاور :

المحور الأول : الطريق الشمالي ( الذي اختصت به تجارة أواسط آسيا وحرير الصين فكان وعراً محفوفاً بالمخاطر )، وتقتصر معلوماتنا على أنه يمر بمدينتي كابول وباكتريا (بلخ) حتى مصب نهر جحون Oxos، ثم يعبر بحر قزوين محاذياً لنهري قورش وفاسيس Phasis إلى البحر الأسود ، ويبدو أن قلة معلومات مؤرخينا عن هذا الطريق ، حدا بعضهم للاعتقاد بأن هذا الطريق كان قليل الأهمية في العصر الهلنيستي [1].

أما المحور الثاني فهو طريق الوسط الذي يعد أهم هذه الطرق خلال القرن الثالث قبل الميلاد، والذي لم يكن طريقاً واحداً فقط بل عدة طرق ،كان إحداها بحرياً يسير من الهند إلى الخليج العربي ، ثم ينطلق نحو بابل، ثم ينطلق أعلى دجلة حتى سلوقية ، تسلكه تجارة القوافل البرية التي كانت تتجمع بسلوقية، وهناك طريق آخر بري لكنه أقل أهمية من سابقه يخرج من الهند ماراً بمدينتي برسبوليس وسوسا نحو بابل[2].

---

(1) رينة ديسو، ص 32.

(2) مفيد العابد ، ص 270-171.

وهناك طريق ثالث وهو الطريق الرئيسي الكبير، وتذكره الروايات الإغريقية والصينية بأنه ذو أهمية كبيرة وكان برياً، ويبدأ من باتا ليبوترا( Pataliputra) ويمر بطريق تاكسيلا، ثم إسكندرية بلاد القوقاز،وطريق باكترا ثم هيكاتومبيلوس( Hecatompylos) وطريق اكباتانا حتى سلوقية [1] وكان يتصل به طريق آخر يبدأ من إسكندرية بالقوقاز ويمر بكابول وغزنة و إسكندرية بروفثايا ( Prophthasia) (على بحيرة سيستان) فهيرات ثم هيكاتومبيلوس.

وكانت التجارة المجمعة في بابل تجتاز أراضي الجزيرة [2] متجهة شمالاً إلى نصيبين(Nisibis )، إذ ترفدها بضائع التجارة الأرمنية وتنتقل إلى الرها ( Edessa) التي يتفرع منها جزء من التجارة في الطريق التقليدي إلى دمشق وصور، بينما كان شطر أخر يذهب إلى أنطاكية عابراً نهر الفرات عند زوجما، ومن أنطاكية كان يخرج طريق عظيم هو الطريق الملكي الذي يمر بمدينتي طرسوس وأبامية في فريجيا، حتى يصل إلى البحر عند افسوس،وكان هذا الطريق سبباً في الصراع الذي قام بين السلوقيين والبطالمة( 280-198ق.م) ولا سيما أن هذا الطريق كان يجتاز الإمبراطورية وتقع عليه أهم منافذ الطريق الجنوبي في المنطقة التي عدّها السلوقيون حقاً لهم منذ موقعة ابسوس[3]. ولم يفقد طريق الوسط أهميته إلا عندما استولى البارثيون على بابل، فأخذت تزداد أهمية الطريق الجنوبي وفي القرن الأول ق.م استخدم الطريق الذي يمر بالرها - قيصرية (Mazaca) – أبامية تاركاً من ورائه أنطاكية، وفي عام 100ق.م أصبح الناس فيما يرجح يترددون على الطريق المختصرالممتد من إقليم بابل إلى دمشق عبر بادية تدمر (Palmyra).

---

(1) Tarn1966. p243. انظر خريطة رقم(6 )

( 2) الجزيرة هي المنطقة الشمالية الشرقية من سورية الحالية ولا زالت تحتفظ بالاسم نفسه الذي أطلقه عليها ، في حين أطلق عليها بوليبيوس اسم ليبا (Libba).

(3)Tarn,1966.p243.

أما المحور الثالث فهو الطريق الجنوبي وهو طريق بحري يسير من الهند بحراً إلى الموانئ القائمة على الساحل الجنوبي أو الجنوبي الشرقي لبلاد العرب، مثل أدنا (عدن) وجزيرة سقطرى، وكانت السفن الهندية تفرغ حمولتها لدى الأعراب الذين كانوا يحرصون أشد الحرص على هذه التجارة فتصبح جزءاً من تجارة بلاد العرب ، وكان الطريق في أيدي الهنود والعرب لا ينازعهم فيه منازع ، إذ إن وجوده في القرن الثالث لم يتم تحيقيقه تاريخياً، إلا أنه تصادف أن إراتوسثيز قد عقب بقوله: إن القرفة ( التي لم تكن تزرع إلا بالهند) كانت تجيء من بلاد العرب شرقي حضرموت ، وبلغ من شدة غيرة العرب على تجارتهم وحرصهم عليها أنهم كانوا لا يسمحون للسفن الهندية بدخول مضيق باب المندب ، و أن البطالمة الأوائل لم يكونوا يعلمون عن جنوب بلاد العرب إلا القليل فلم يكن إراتوسثيز [1] ليعلم عن أي شيء يقع إلى الشرق من حضرموت التي سمعت عنها من قبل البعثة التي أرسلها الإسكندر، و تاريخ بلاد العرب الجنوبية تاريخ كله حروب واتحادات بين شعوبها المختلفة بقصد التحكم بتجارة الهند .

وفي القرنين الثاني والثالث اجتمعت القوة في يد حلف يجمع بين حبشات من المهرة (Habashat of Mahra) وبين السبأيين، وكان المركز التجاري الرئيسي الهندي هو مدينة أدنا (عدن ) السبئية .

وكانت هذه السلع إضافة لسلع بلاد العرب تسلك إلى الشمال طريقين لم يكن أحدهما مستعملاً بكثرة قبل العصر الهلنيستي، وهو الطريق البحري الذي يجري في محاذاة الشاطئ الإفريقي أو شاطئ بلاد العرب حتى أقصى الشمال في البحر المتوسط .

أما الطريق الثاني الذي يعدّ أكثر أهمية من الأول فهو الطريق البري القديم [2]،والذي كان تحت السيطرة النبطية منذ عهد الفرس وهو الطريق المعروف باسم ( طريق البخور )

(1) إراتوسثنيز : جغرافي من القرن الثالث ق.م ويعدمن أعظم من أنتج ذلك القرن من الرجال وهو تلميذ لارستون الرواقي بأثينة وكان بالإسكندرية وقد أوشك أن ينافس أرسطو في عدة ميادين العلم التي بحث فيها فضلاً عن دراساته في النقد التاريخي وعلم تدوين التاريخ وأصدر مؤلفات بالرياضة والفلسفة.

(2)Tarn , 1966 .p243-4 .

الذي يمر بسبأ ومعين ويثرب وددان (العلا) أيلة ( العقبة ) والبتراء ودمشق وصور، وقد أخذ النبطيون منذ الفترة الفارسية بفضل مهاراتهم التجارية وموقع عاصمتهم البترا ء يتحكمون بتجارة هذا الطريق، فكان النبطيون يستطيعون توجيه التجارة الشرقية حيثما تُملي عليهم رغبتهم وأرباحهم؛ إما إلى مصر، و إمّا إلى أي مكان آخر بعيد عن قبضة البطالمة، إلا أنه في العادة كان جانب من التجارة الشرقية الآتية إلى البتراء يذهب إلى مصر، وجانب آخر إلى غزة، وجانب ثالث على الأغلب إلى سلوقية، على حين يحمل الباقي شمالاً .والعادة أن هذه البقية الأخيرة تنقل إلى أنطاكية عن طريق دمشق كما حدث بعد سنة 200ق.م .ويوم تتجلى أهمية استيلاء السلوقيين على سورية في موكب الذهب والعاج والأفاوية الهندية الذي أقامه أنطيوخس الرابع إبيفانيس في أثناء موكب النصر العظيم الذي أقامه بدفنه 167 ق.م .ولكن التجارة كانت إبان استيلاء البطالمة على جنوب سورية تتخ ذ كذلك طريقاً يمر بعمان وجرش ( Jerash) عبر وادي الجليل إلى بطلمية (Ptolemais عكا )، ومنها إلى بلاد الفينيقيين [1] .

## ب ـطريق التجارة البري ( طريق الحرير )

تمكن الباحثون من تحديد طريق القوافل التجارية القديمة المعروفة بطريق الحرير ، التي كانت تصل بين الصين في الشرق الأقصى ، وحوض البحر الأبيض المتوسط ، مروراً ببلاد فارس ، خلال قرون عديدة امتدت من القرن الثاني قبل الميلاد ، وحتى القرن الرابع عشر الميلادي [2] .

وكان المحور العالمي الأكثر أهمية للتجارة الدولية في العالم القديم يمتد من الشرق إلى الغرب ، ويليه في الأهمية محور آخر يسير بعكسه من الغرب إلى الشرق ، وقد نقلت التجارة المتداولة في طرق هذين المحورين على طرق برية وبحرية، أطلق عليها بعض

---

(1) Tarn,1966 p. 245.

(2) محمد حرب فرزات ، ص96.

الباحثين مسمى طريق الحرير نسبة إلى الحرير الصيني الذي كان يعد أنفس سلعة ينقلها التجار على هذه الطرق .

وكان لطريق الحرير المتجه من الصين شرقاً مساران رئيسيان : أحدهما شمالي، وهو طريق الحرير البري الذي يجتاز هضبة بامير وممراتها ويصل إلى سمرقند [1] ومنها إلى مرو فنسا القديمة مروراً بشاهرود [2] إلى الري ، وينطلق منها إلى همذان [3] فمدن الحدود الفرثية الرومانية ، حيث يتفرع إلى فرعين الأول : يتجه إلى تدمر في سورية ، حتى يصل إلى الرومان . وهذا هو طريق الفرات الذي كان يصل بين بلاد الرافدين ، وحوض البحر الأبيض المتوسط .وكان هذا الطريق يصل تدمر بالمراكز الكبرى في بلاد الرافدين ، وبابل القديمة ، والثاني يتجه جنوباً إلى سلوقية دجلة [4].

ويتفرع عنه عند مرو فرعان ،الأول يتجه إلى الجنوب حيث يمر بمدينة هراة [5]، ومنها إلى كرمان، ثم يصل إلى اصطخر ( برسبوليس ) ، فيعبرها ليحط الرحال في موقع أبلة [6]على الخليج العربي . في حين يتجه الطريق الآخر من مرو إلى اقباتان، ثم إلى دوراأوروبوس على الفرات ليكمل نحو تدمر وأنطاكية على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط حيث يواصل بحراً إلى أوربا . وتقع على هذه الطريق سلسلة كبيرة من المدن والعواصم العريقة التي استفادت من وجودها على مساره ،فكانت مراك ز تجارية ، وحضارية مهمة أسهمت في التواصل الاقتصادي والثقافي بين الشعوب على مر التاريخ[7] .

---

(1) سمرقند : تقع سمر قند في إقليم الصغد إلى الشرق من بخارى ، على مسافة قصيرة من ضفة نهر الصغد الجنوبية .

(1) شاهرود : تقع مدينة شاهرود في مقاطعة سمنان إلى الشمال من مقاطعة مازندران ، وتحدها من الغرب مدينة دامغان .

(3) همدان: أو همذان ، هي أكبتانا لدى اليونان ، مركز إقليم ماذي .

(4) ساطع محلي ،.ص 51.

(5) هراة : بلد في خراسان قرب بوسنج.

(6) أبلة : سميت قديماً أبولوجوس ، وهي موقع في جنوبي العراق ، قرب الخليج العربي .على نهر يحمل الاسم نفسه.

(7) فرانك إيرين ، براونستون ديفيد ، طريق الحرير ، المجلس الأعلى للثقافة، مطبعة الأهرام ، مصر 1986م

أما المسار الآخر فيعرف بالمسار الجنوبي ، وهو طريق التوابل الذي يبدأ من ميناء كانتون [1] بالصين ، ويعبر بحر الصين ، ثم يلتف حول سواحل شبه القارة الهندية ، ليدخل في البحار المحيطة بالجزيرة العربية ، حيث يتفرع إلى فرعين : أحدهما يتجه شمالاً في ميناء الخليج العربي ، ليصل إلى بلاد فارس ، وبلاد ما بين النهرين ، وفرع آخر يتجه غرباً إلى سواحل اليمن ، والحبشة ، ثم يسلك البحر الأحمر ليصل إلى سواحل الحجاز ، ودول حوض البحر البيض المتوسط ، ويتجه غرباً إلى أوربا ، وشمال أفريقيا ، وهذا هو الطريق الذي حاولت روما السيطرة عليه لتنافس عليه الفرثيين.

وتتفرع عن هذين المسارين الرئيسين طرق فرعية كثيرة تذهب في جميع الاتجاهات ، فتصل إلى الأمم الواقعة إلى الشرق من الصين ، وإلى أقصى شمال أوربا ، وأدغال أفريقيا . وعلى هذه الطرق كانت تنتقل إلى جانب البضائع الثقافات والأفكار والدعاة والرحالة والمكتشفون والمغامرون والباحثون عن الحقيقة ، ولذلك فإن طريق الحرير هي في حقيقتها طرق التجارة الدولية والحوار الحضاري بين الشعوب.وذلك لأن القوافل لم تنقل البضائع التجارية فقط ، بل نقلت أيضاً الثقافات والعادات والتقاليد ، وبذلك كانت طريق الحرير وطريق التوابل طرقاً تجارية وحضارية معاً.

**ج- طريق التجارة البحري (طريق التوابل) :**

لم تقتصر الطرق التجارية على الطرق البرية ، بل وجدت طرق بحرية ساهمت في نقل التجارة من الشرق إلى الغرب ، خاصة بعد أن عرف الرومان سر الرياح الموسمية في مطلع القرن الأول قبل الميلاد ، حيث اخترقت عباب البحار السفن التي زادت حمولتها على الـ 500طن ؛حيث تبحر عبر المحيط الهندي لتصل إلى الشواطئ الهندية [1].

فطريق التجارة البحري - وهو طريق التوابل – بعد عبوره بحر الصين ، والمحيط

(1) كانتون : مدينة في جنوبي الصين ، ومركز تجاري هام ، تقع على رأس دلتا نهر تشوجيانغ " نهر اللؤلؤ .
(2) محمد حرب فرزات ، ص 110.

الهندي يصل إلى الخليج العربي، حيث يتفرع إلى فرعين، الأول : عبر الخليج العربي ، والثاني: إلى خليج عدن ،حيث يقوم التجار الرومان بشراء البضائع الصينية والهندية ، ويعبرون بها البحر الأحمر إلى ميناء الإسكندرية ، في البحر الأبيض المتوسط [1].

وبعد استيلاء الرومان على مصر وسورية سيطروا على الطريق البحري للتوابل والحرير، فسيطروا على البحر الأحمر وبحر العرب ، وهكذا تمكنوا من الحصول على منتجات الشرق من الجنوب بدل الشمال ، وهنا في الجنوب كان التجار العرب يسيطرون على التجارة بين الخليج العربي وخليج عدن ، فبعد وصولها إلى الخليج العربي تحمل البضائع من موقع جرها [2] إلى تاج [3] ، ومنها إلى دومة الجندل فالبتراء ، وفي العصر اليوناني غدت أنطاكية نهاية طريق القوافل التجارية القادمة من الجنوب [4]. أو تصل إلى اليمن حيث ميناء عدن، ومنها تتفرع إلى فرعين: الأول بحري عبر البحر الأحمر حيث تصل إلى ميناء أيلة ، والثاني بري عبر تهامة إلى الشمال .

وتتمتع طريق التوابل البحرية بميزات فاقت في أهميتها الطريق البري ،فهو بدون شك أقصر وأقل تكاليف وضرائب ورسوماً [5]. وقد استغرق الطريق البحري إلى الهند قرابة أربعين يوماً.

ويبدو أن الرومان حاولوا الاستغناء عن طريق الحرير والاستعاضة عنه بطريق التوابل ، للتخلص من سيطرة الفرثيين على طريق الحرير ، ويبدو أنهم لم يتمكنوا من التخلص من سيطرتهم على طريق الجنوب أيضاً ؛ إذ تنعدم آثار وجود سفن رومانية تجاوزت الخليج العربي شرقاً.

وعمل الإمبراطور أوكتافيوس على الاستيلاء على شبه الجزيرة العربية وعلى البحار

---

(1) عبد العظيم رضائي ، كنجينه تاريخ إيران ، اشكانيان ، انتشارات أطلس ، طهران ، اب أول ، 1378، ص 605.
(2) جرها : هي موقع العقير الحالي على ساحل الإحساء .
(3) تاج : أوثاج ، تقع علىمسافة 90كم من ميناء الجبيل على ساحل الخليج العربي .
(4) محمد حرب فرزات ، ص 112.
(5) أرنست فيل ، تدمر وطريق الحرير ، ترجمة إيمان سنديان ، مجلة الحوليات الأثرية السورية ، العدد 42، دمشق 19996، ص94.

المحيطة بها، ولكنه فشل في تحقيق ذلك الحلم ، وشغل نفسه بالشائعات التي تتردد منذ القدم ، بأن العرب قوم واسعو الثراء ، وأنهم يستبدلون الفضة والذهب بعطرهم وحجارتهم الكريمة ، دون أن ينفقوا على الغرباء ما يحصلون عليه ، ولذلك جهز القيصر في سنة 24-20ق.م حملة بقيادة حاكمه على مصر ايلوس غالوس [1]، دخلت شبه الجزيرة العربية من شمالها الغربي ، وسارت براً حتى سواحل البحر الأحمر الجنوبية ، وكان نصيبها في نهاية المطاف الإخفاق، ولكن هذا الإخفاق دفع القيصر إلى تشجيع الملاحين الرومان على ارتياد البحار العربية ، والوصول إلى الهند مباشرة ، واستبعاد الوساطة العربية في تجارة الهند ، والصين ، فزاد عدد السفن التي تسافر سنوياً إلى الهند في عهده إلى مئة وعشرين سفينة . و يمكن الإشارة إلا أنه مهما تعددت أنواع الطرق (برية كانت أم بحرية ) ، فإنها تدور في فلك الاتجار من الهند والصين إلى الغرب باتجاه بلاد الرافدين وشبه الجزيرة العربية ومصر وبلاد الشام ، وباتجاه معاكس من مؤانئ البحر المتوسط باتجاه الشرق ( الهند والصين ).

لقد كانت السفن تجتاز الصين ومنها تدور حول شبه الجزيرة العربية فتلتقي مراسيها على مؤانئ شاطئ البحر الأحمر ، وقد كان الأنباط هم الذين يتولون نقل السلع من الجزيرة إلى البتراء إلى الشواطئ السورية ، حيث شكل الأنباط قوة سياسية أثرت في التجارة مع الشرق،وتتحكم بطرق التجارة من الخليج العربي إلى حدود مصر، ومن شمال الحجاز إلى جنوب سورية [2]،ويذكر بليني [3]أن التجار الأنباط سافروا بتجارتهم عبر الصحراء العربية باتجاه دومة الجندل إلى موانئ الفرات وخراكس على الخليج

(1)إيليوس غالوس : Aelieus Gallus هو القائد الروماني الذي كلفه الإمبراطور أوكتافيانوس بغزو شبه الجزيرة العربية للسيطرة على تجارتها ، في عام 24ق.م ، وذلك بمساعدة الأنبا ط وملكهم عبادة الثالث ، وكان قوام الحملة التي قادها عشرة آلاف جندي من الرومان والمصريين ، بينهم ألفان من الأنباط وخمسمئة من اليهود ، وقد أخفقت الحملة بسبب مقاومة العرب لها .

(2) ف. دافيد ، الشرق الروماني من وجهة نظر صينية ، ترجمة :هزار عمران ، الحوليلت الأثرية السورية ،مج42، دمشق 1996، ص180..

(3)Pliny , N.H.VI,p. 144-166.

العربي. وبقي الأمر كذلك حتى أواخر القرن الأول ، حيث تمكن الرومان م ن إخضاع البتراء عاصمة الأنباط والقضاء على هذه المملكة . كما سعوا للخلاص من السيطر ة الفرثية والاتصال مباشرة مع التجار الصينيين[1].

ويشير ميللر [2] إلى أن الرومان بعد أن ضموا مملكة الأنباط سعوا من أجل حصر الرسوم والضرائب (ولا سيما أن طبيعة هذه المنطقة وسكانها تتشكل في معظمها من البدو الرحل) إلى إجراء تعداد سكاني سنة 127م .

وقد اعتبر سابقاً بأن الطريق البحري كان أنسب الطرق والأكثر استعمالاً في التجارة حيث مزايا الموانئ الفينيقية ومؤانئ الخليج العربي [3]حيث كانت تنطلق المراكب والسفن من أنطاكية على العاصي وميناؤها سلوقية بيريه التي توصل سورية مع كل المحطات التجارية على طول ساحل البحر المتوسط من آسيا الصغرى ومصر ، وسلسلة الموانئ هذه هي غزة ، عسقلان ، يافا ، قيصرية حتى صور ، صيدا ، بيروت ، إلى اللاذقية [4]، هذا الطريق الذي يتجه من موانئ المتوسط إلى الخليج العربي؛ حيث ميناء خراكس المهم الذي يعتبر المنطقة الفاصلة بين تجارة الشرق مع الغرب ، وميسان عند رأس نهر دجلة spasinou charax خلال فترة principat المتأخر [5] وقد تمكنت هذه المملكة من السيطرة على الموانئ والجزر القريبة من الخليج واتسعت بذلك مناطق نفوذها في الفرات الواقعة على الجزء الأدنى من نهر دجلة ، قرب ملتقى نهري دجلة والفرات ، كما يمكن أن نضم لها تيريدون قرب الفرات [6]، وكل هذا بهدف السيطرة على التجارة

---

(1) محمد حرب فرزات ، ص102.

(2)Millar , p 97.

(3) أمين سليم ، ص229.

(4) Heichelhiem , p198.

(5) Pliny , N.H.XI,p. 139.

(6)Pliny , N.H.VI,p.136.

الآتية إلى بلاد الرافدين عبر البحر ، وكان هذا الميناء ملجأ لتجار الشرق من التدمريين والنبطيين واليهود ، ولا سيماالتدمريون ، وهذا يعزز لنا اعتماد تجارة تدمر الشرقية على البحر أكثر من البر ، حيث توغلوا إلى الفرات وميسان وعملوا بنفس الكفاءة ، على الشواطئ وفي الداخل [6] .

وقد أمر الإمبراطور تراجان بإرسال سفن ضخمة لتعبر هذا الميناء متجهة إلى الهند ، أملاً في التذكير بأمجاد الإسكندر ورغبته في تحقيق طموحاته ، حيث اعترف ملك ميسان بسلطة الإمبراطور تراجان سنة 116م وأصبحت تابعة له، ويشير إلى هذا الميناء المهم ليس فقط لدى المؤرخين القدماء إنما أيضاً في النقوش اليونانية والآرامية التي وجدت في تدمر ، ومن هذا الميناء تتجه السفن إلى نهر السند في شبه جزيرة الهند التي كانوا يطلقون عليها اسم السكيثيا Scythia، وأكثر الوقت كان يتم تسليم السلع من أقصى الشرق في خراكس، وقد زاد الاهتمام بالطريق البحري لعاملين ، الأول : أن الطريق البري كان محفوفاً بالمخاطر من قبل قبائل السكيثيا التي كانت تغير على القوافل؛ بالتالي تعرض القافلة للخطر وتعيقها عن الاستمرار في طريقها.

الثاني : أن الإمبراطور تراجان لم ينهج سياسة أوغسطس بطريقة الدفاع وعدم التوسع، بل اتخذ أسلوب الهجوم والتوسع والازدهار وخاصة بعد ضم مملكة الأنباط؛ ولكي يحقق ما سعى إليه الإسكندر في ربط الخليج العربي بالبحر الأحمر، بهدف تنشيط التجارة بهذه المنطقة أمر الإسكندر بإعادة شق طريق القناة التي تربط ما بين النيل في مصر والبحر الأحمر ، والتي عرفت باسم قناة تراجان ، كما أمر بشق طريق يمتد من حوران إلى أيلة (العقبة ) على رأس البحر الأحمر والذي عرف باسم طريق تراجان الجديد Via Nova Traja...[2]، وعسكر أسطول روماني جعل مركزه وبشكل دائم في البحر

---

(6) دافيد ، ص 173.

(1)Heichelhiem , p199-200.

الأحمر ويقال: إن تراجان قد شيد طريقاً من الإسكندرية إلى سورية كجزء من مشروعه لربط مصر مع البحر الأسود ، إلا أنه لم يذكركيف أنشا الطريق ، وما هو ؟ لذلك فأن عملية الربط هذه غير مؤكدة [(1)]. وقد أثمرت هذه الجهود التي قام بها تراجان في زيادة العلاقات التجارية مع الهند، ففي سنة 107م استقبل الإمبراطور تراجان بعثة هندية في روما [(2)].

وغدت القوافل التجارية تنقل السلع من هذا الميناء (خراكس ) إلى موانئ المتوسط وأرمينية وآسيا الصغرى [(3)]، وكان هناك طريق تجاري آخر يمر من موانئ المتوسط باتجاه قبرص، ومنها إلى شواطئ آسيا الصغرى ( البحر الأسود وقزوين )، ومنها إلى إيطاليا أيضاً ( يبدأ من Edessa الرها ، Samosata ساموساط ، Nessben نصيبين ، أرمينية ثم يتجه إلى البحرالأسود وقزوين ، وآخر إلى إيطاليا) [(4)]ومن هذا الميناء التجاري والمخزن الهام لتجارة الشرق تتجه القوافل إلى ثلاثة محاور :

خاراكس ---- دوراأوروبوس ------ بالميرا [(5)].

خاراكس ---- بيترا ----- دومة الجندل

خاراكس ---- سلوقية --- نصيبين ----- الرها --- أنطاكية ----- سلوقية بيريه

وقد أولى الأباطرة الرومان عناية كبيرة بمدينة تدمر وخاصة زمن تراجان ومن بعده هادريان الذي أولى أهمية لحماية الطرق البرية التي تصلها بنهر الفرات عصب التجارة

---

(1) Graf , p 1-3.

(2) لبيب عبد الستار ، ص 281.

(3) Browning ,.p12.

(4) محمد حرب فرزات ، ص210-212.

(5) كانت مصر منافسة تجارية للبتراء في تجارة البحر الأحمر وخصوصاً أن الطريق من البتراء غدا يفقد أهميته التجارية ، ولكن ما لبثت أن احتلت بالميرا مكانتها بعد 106م ونشطت بذلك الطرق التجارية المارة منها ذلك أن التجار التدمريين نجحوا في نقل متاجرهم مباشرة عن طريق نهر الفرات ( تدمر ------ دورا ---------خراكس ) وذلك بمساعدة الفرق الرومانية التي كانت تحمي التجارة التدمرية ، والواقع أن الإمبراطور تراجان كان يسعى إلى بسط الأمن والهدوء في هذا الجزء من العالم الروماني ،وتابع الإمبراطور هادريان من بعده هذه السياسة الأمنية والتجارية .

السورية القادمة من ميناء خراكس على الخليج العربي، والذي انتشرت على شاطئه موانئ عديدة أهمها دوراأوروبوس إذ اعتبرت المدخل والمرفأ الأول بعد وصول أو مغادرة القوافل البرية أو النهرية لتسلك طريقها على يمين أو يسار مجرى النهر ، أو لتأخذ مسارها عبر البادية السورية بعد أن تترك المدينة المحصنة عبر بوابتها الرئيسية المطلة على البادية والتي دعيت بوابة تدمر [1].

وقد تم تمرير قناة تصريف مياه تمتد من الحمامات القائمة على طول الشارع قرب سور البوابة، والتي لا تزال آثار مرور العربات موجودة على عتبة البوابة والقناة[2]. وسعى الإمبراطور هادريان لتحسين صلاته مع الفرثيين للمحافظة على أمن القوافل بطريقها إلى البادية وأوصل حامياته إلى شواطئ الفرات ، مثل الحاميات الموجودة في عانة وهيت، كما لعب التجار دوراً هاماً في تلك المنطقة مثل إقامتهم معبداً في فولوجسيا وهو من الموانئ الهامة على الفرات [3].

وقد استفاد الرومان من التجار التدمريون في حماية الطرق الرئيسية ، وساهموا في الدفاع عن دورا أوربوس وعن الاستراحات عبر الطريق المارة به القوافل التجارية المتجهة إلى تدمر [4] التي تعتبر مركزاً هاماً من مراكز تجارة الترانزيت الهامة الواصلة بين حوض الفرات شرقاً وموانئ الساحل السوري غرباً [5]، حيث غدا الطريق التجاري البري يتفوق أهمية على الطريق البحري الذي يمر عبر البحر الأحمر والذي يزدهر أو يهجر كلياً أو جزئياً طبقاً للظروف المختلفة ، مما جعل الموانئ على البحر الأحمر تتأثر

---

(1) أسعد المحمود ، العلاقات بين تدمر ودوراأوروبوس ، الحوليات الأثرية السورية ، مج42، دمشق 1996، ، ص199.
(2) بيير لوريش ، ص208.
(3) ميشيل غاوليكوفسكي ، تدمر وتجارتها التدمرية ،ترجمة عدنان البني ، الحوليات الأثرية السورية ، مج42، دمشق 1996، ، ص116.
(4) أسعد المحمود ، ص199.

(5)Bouchier , p166.

اقتصادياً إلى حد كبير . وبذلك أصبح هذا الطريق الأكثر أمناً وسلامة والأقصر مسافة للقوافل التجارية والتجار ، مماجعل الطريق البري الدولي المار عبر تدمر قادراً على المنافسة المضمونة والرابحة وأسهم في جعل تدمر تسود التجارة الدولية.

## د- الطرق النهرية

كما ازدادت الطرق النهرية في الفترة الرومانية ازدياداً ملحوظاً ، حيث كثرت أعداد ورش بناء السفن في معظم أحواض الموانئ السورية سواء على الأنهار كحوض سلوقية بيريه ، أم على ساحل المتوسط ، ومعظم هذه الموانئ لعبت دوراً كبيراً في الاستيراد والتصدير وعبور القوات العسكرية الرومانية .

كان نهر العاصي (Orontes) من اكثر الأنهار في سورية ملائمة للملاحة النهرية ، وقد وصف سترابون رحلته من سلوقية بيريه إلى أنطاكية عبر نهر العاصي ،( وبالتأكيد كانت هناك قوارب صغيرة محملة بالبضائع تعبر نهر العاصي خلف حماة، وربما تصل هذه القوارب حتى حمص وايضاً كانت السفن الصغيرة تُبحر في المجرى الأدنى للنهر الكبير الشمالي ) [1]،ومن أهم الطرق النهرية أيضاً كان طريق نهر الفرات الذي كان مرغوباً ومستخدماً بشكل كبير خاصة من قبل التدمريين ،مثل الطريق البري ، وذلك لمزاياه الكثيرة خصوصاً في المرحلة الأخيرة من السفر إلى خاراكس عاصمة مملكة ميسان الواقعة على الخليج العربي ، حيث تمر في مستنقعات جنوب الرافدين التي من غير الممكن اجتيازها بغير طريق النهر ، وكانت البضائع تُحمل على أطواف [2] وكذلك

---

(1)Bouchier , p133.

(2) وسيلة نقل مائية وهي عبارة عن مجموعة ألواح ملتصقة مع بعضها البعض.

المسافرين ، وهي مجهزة بجلود ماعزمنفوخة لتعويمها ، وكان صُناع القرب في تدمر هم الذين يتولون صنعتها [1]، وقد أنشأت تدمر أسطولاً صغيراً من السعف الخفيفة ،مهمتها الأساسية التواجد في المجرى الأدنى للفرات ومراقبة حركة الملاحة في الخليج العربي[2].

وهكذا كان لتنوع الطرق في سورية في الفترة الرومانية من برية وبحرية ونهرية ، ومدى أهميتها في المجالات الاقتصادية والعسكرية ، والسيطرة عليها تعني التحكم بأهم الطرق التجارية الدولية،ورأينا كيف أن الأباطرة الرومان فهموا هذا الأمر وهذا يفسر لنا اهتمامهم الكبير بموضوع إنشاء وصيانة الطرق والجسور والأقنية والحصون في سورية، وماتزال بعض آثار هذه الأعمال شاهدة على هذا الأمر حتى يومنا هذا.

## سابعاً ـ العلاقات التجارية الخارجية :

شهدت التجارة السورية رواجاً كبيراً مع أجزاء مختلفة من الإمبراطورية الرومانية حتى بلغت شهرتها حدود الشرق الأقصى ، لذلك اعتبرت ولاية سورية ذات مركز تجاري نشط وله شأن في دائرة التبادل التجاري بين بلاد الهند والصين وسواحل حوض المتوسط من جهة، وبين الخليج العربي وأسيا الصغرى من جهة أخرى .

(1) ميشيل غاوليكوفسكي، ص116.

(2)عبد الله الحلو ، تاريخ سورية القديمة ، مطبعة الف باء الأديب ، بيروت 1990م ، ص1039.

يذكر ج.دي في بحثه الخاص بتاريخ مدينة أثينا من القرن الأول حتى القرن الثالث أن شواهد القبور في هذه المدينة تحفظ لنا( 133) اسماً لأشخاص سوريين( 118) منهم من مدينة أنطاكية،و 6 من صيدا،و 4 من صور،و 9 من أرواد وعسقلان ودمشق ويافا والسامرية ....ولا شك أنه كان لهم محلاتهم التجارية الخاصة بهم في تلك البلاد (1).

وكانت روما مطمح التجار السوريين، ونرى ذلك من خلال كثرة النقوش المكتشفة في روما التي تشير على حيوية العلاقات التجارية بين سورية وإيطاليا وبشكل خاص روما، وهذه النقوش تعود لأشخاص من مختلف أنحاء الولاية وخاصة من

تدمر(2)،وصور(3)،ومن أفاميا (4)، وأينما كان يتواجد التاجر السوري كان يبني معابده ونصبه التذكارية ، فقد وُجد في بتيولي Puteoli جنوبي إيطاليا مذابح ونصب تذكارية من بينها نصب لأحد التدمريين المقيمين في روما وكانت مكتوبة بالآرامية وموجهة إلى آلهة تدمر(5).كما بنى التدمريون في روما معبداً في حي يُدعى حي الشرقيين ، وأقاموا مصانع ومشاغل فيها وقد عُثرعلى العديد من النقوش الكتابية لاشخاص من مختلف المدن السورية وخاصة تدمر (6) ، وقد أُشير إلى التدمريون على مذبحين تصويراً وكتابة ، ويوجد هذا المذبح حالياً في متحف الكابيتول في روما .

ومع أن هذه المصادر مبعثرة إلا أنها تؤكد على ترسيخ العلاقات بين سورية والولايات الغربية التي أنشئ فيها قواعد تجارية انتقل الكثير من السوريين إليها (7).

أما عن علاقة التجار التدمريين بمنطقة الفرات فهي علاقة قديمة فرضتها الظروف السياسية والطرق التجارية منذ القدم؛ لذلك أولى الرومان عنايتهم بالطرق البرية بين تدمر

(1) هذا ما أورده شيفمان دون ذكر النص صراحة ، ص 90.

(2)C.I.S,II3902.
(3)I.G.R.R, I, 132.
(4)I.G.R.R, I, 311,317.

(5) فيليب حتي ، ص383-385.
(6) بشار خليف ، دراسات في حضارات المشرق العربي القديم ،ط1 د.م 2003،ص 98.
(7) شيفمان ، ص93-94 .

والحاميات العسكرية على الفرات ( عانة – الحيرة – دورا – حلبية – زلبية ) التي تعتبر الشرايين الهامة على طرق التجارة ، وخاصة دورا المدخل والمرفأ الأول بعد وصول أو مغادرة القوافل البرية والنهرية لتسلك طريقها على يمين أو يسار مجرى النهر، أو لتأخذ مسارها عبر البادية بعد أن تترك المدينة المحصنة عبر بوابتها الرئيسية التي دعيت بـ بوابة تدمر[1] ، الصورة رقم (42) .

وتدل النقوش[2] على كثرة تواجد الآلهة التدمرية في دورا التي غدت مكاناً للعبادة،وبنفس الوقت مقراً لاجتما ع المقيمين في دورا ، أما رسوم الآلهة حامية دورا فقد كانت تعبيراً عن ولاء التدمريين لوطنهم وللمدينة التي يعيشون فيها .الصورة رقم (43).

وهناك وثيقة [3] تعود لسنة 115م تشير إلى إقامة معبد تدمري على أرض دورا ، تم العثور عليه قرب البرج الشمالي الغربي لسور المدينة ، وتؤكد ذلك اللوحة التذكارية حيث تقول اللوحة:إن(ليسوس بن كونون بن باتروكلا أقام على نفقته الخاصة هذا البيت والطابق العلوي بعد تطهرّه أمام الإله زيوس لتوفيقه وتوفيق حلفائه ) ، وأهم ما يلفت النظر في هذه الوثيقة هو أن أكثر العائلات نفوذاً في دورا كانت تقدم الهدايا للمعابد والأضاحي إلى آلهة تدمر ، وربما السبب في ذلك هو السعي لتمكين العلاقات مع تدمر[4].

تبرز أهمية العلاقات مع مدينة دورا،أيضاً من خلال اهتمام الملك التدمري أذينة بهذه المدينة عندما قام بالضغط على الفرس الذين استولوا على دورا وكان من نتيجة هذا الضغط تركهم دورا وعودة الحامية الرومانية إلى المدينة، فارتفع شأن أذينة، وأصبحت دورا مركزاً هاماً لنشاط الجالية التدمرية التي استقرت فيها [5].بالإضافة إلى تواجد الكتيبة العشرين لقاذفي السهام التدمريين حماة السواحل التي عسكرت في دورا منذ سنة

---

**(1)** أسعد محمود ، ص200.

(2) C.I.S,II.4402, 4403.

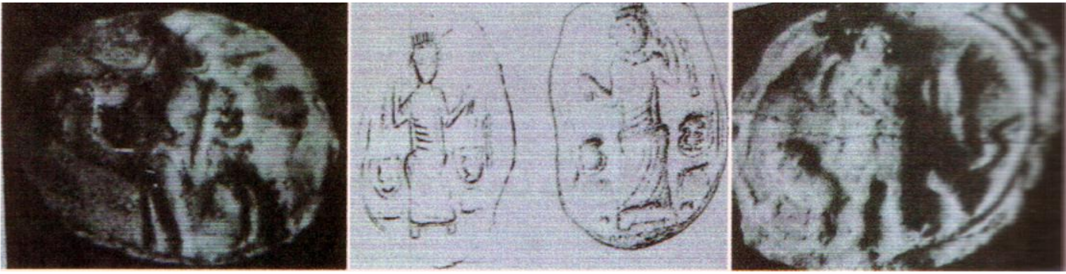
(3) S.E.G. VII. 754.

(4) هناك خلاف حول ما تعنيه كلمة (oikos) في النقش ،حيث يرجح .F. Cuomont ف.كومون أن oikos ليس المعبد وإنما بناء ما شيّد على أرض المعبد . انظر : شيفمان ،ص 106.

(5) أسعد محمود ،ص 200.

208حتى سنة 256 عند سقوط هذه المدينة بيد الفرس الساسانيين(1).

كما أن تشابه العديد من الألواح الطينية والميداليات الكبيرة المكتشفة في تدمر ودورا،والمصنوعة بقوالب واحدة يعززان العلاقة القوية التي كانت قائمة بين المدينتين، وقد ظهرت هذه العلاقة القوية عن طريق ندرة هذه الفئة من الصناعة التشكيلية في مدن أخرى من الشرق الأدنى وذلك في العهد اليوناني و الفارسي والروماني أيضاً ،حيث نجد ندرة الألواح الطينية في المناطق السورية (2) كما في الصورة التالية ألواح من الطين المشتركة بين تدمر ودورا.



صورة رقم (44)

الربة أرتميس الربة أتراكتيس راكب جمل

وهكذا نجد أن العلاقة بين تدمر ودورا ليست سياسية فحسب، بل تجارية وفنية ودينية، وذلك بسبب وقوعها على الطريق التجاري الجنوبي القديم وطريق الحرير فيما بعد.

أما علاقة التجار السوريين معمابين النهرين فتشير المصادر (3) لتجارة تدمر مع المدن التجارية الرافدية ، التي تتم عن طريق ملاحة نهرية بحرية ، وكانت تجارة تدمر النهرية والبحرية تبدأ من المركزين التجاريين التدمريين خاراكس عاصمة مملكة ميسان على أحد روافد دجلةوميناءهذه المدينة كان رأس خط الملاحة على الخليج العربي ، وقد حمل التجار التدمريون بضائعهم على قوارب عبر نهر الفرات وصولاً إليها(4)، وكان التجار

(1) شيفمان ، ص108 .

(2) سوزان داوني ، ص 214.

(3) Strabo,XVI.3.2.765.

(4) Butcher. K. Roman Syria and The Near East, The British Museum . Press,London 2003. p.134.

التدمريون يتوقفون ايضاً في فولوجازيا ( Vologazia) على الفرات وهي تابعة للفرس حيث تحولت هذه المدن إلى مستوطنات تدمرية رسخت نفوذها فيها ، لذا نلاحظ أن كثير من التدمريين أصبحوا ذوي شأن في مدن ما بين بلاد النهرين [(1)]،وقد استغلت روما هذا التغلغل التدمري في محاولة منها إنشاء المعابد الرومانية في هذه المنطقة بهدف تحقيق الولاء الإمبراطوري وبالتالي زرع روح العداء الساساني في آذهان سكان هذه المدن،واستمرت هذه العلاقات خلال حكم الملكة زنوبيا بإقامة معقل وحصن هام دعي باسمها والمعروف باسم حصن حلبية *[(2)].

وتشير الكتابات التدمرية إلى العلاقات التجارية بين حركة قوافل الواحة السورية ومدينة أولوشيا ( الفرات الأدنى جنوب بابل ) بين سنتين ( 140-147م)،وفي سنة 108م بنى أحد التدمريون معبداً للرب بعل في أولوشيا ، ثم قام سواد بن بوليدع التاجرالتدمري الشهير ببناء معبد للديانة الرومانية فيها سنة 146م ، ومما لا شك فيه أن الوضع السياسي في منطقة بلاد النهرين قد تغير بعد حملة تراجان البارثية سنة 111م، حيث استعادت بارثيا بعض خسارتها ، إلا أن المدن الأخرى بقيت تابعة لروما بعد أن ترك هادريان بعض المدن على طول دجلة مثل طيفسون المدائن ، سلوقية ، لكنه احتفظ ببعض المناطق المهمة على طول الفرات لأهداف سياسية وتجارية ، وما لبثت أن ألحقت كلاً من طيفسون وسلوقية في عهد ماركوس أوريليوس [(3)].

---

(1) شيفمان ، ص94.
* يقع حصن حلبية (زنوبيا ) في الجهة الجنوبية من الفرات في الجانب الشامي وتقابلها من الجهة الشمالية قلعة زليبة ، وجل الأبنية في قلعة حلبية مبينية من الاصخر الأسود وذلك لوقوع الحصن على سفح جبل الحمة قرب دير الزورحالياً.
(2) أسعد محمود ، ص 200.
(3) دافيد. ص 177.

أما بشأن العلاقات التجارية بين سورية ومصر فهناك نقش [1] يعود تاريخه التقريبي إلى نهاية القرن الثاني، حيث يذكر هذا النقش ( أن شخصاً يدعى يوليوس افيريكي الذي قاد قافلة إلى وادي النيل [2].

وهناك نقش آخر يعود لنفس الفترة [3] يذكر فيه تبادل العلاقات التجارية بين تجار تدمر والتجار المصريين ، ويعتبر M. Firmus أحد كبار التجار السوريين الذين استقروا في مصر وأقاموا علاقات تجارية قيمة مع السوريين ، وقد انتعشت هذه العلاقة خلال حكم زنوبيا، حيث غدت حركة القوافل أكثر مرونة ، لذلك لم يكن من قبيل الصدفة أن تغدو مصر جزءاً من هذا المجتمع التجاري التدمري ، إذ إنها ضمن إطار النفوذ التجاري التدمري لفترة لا يستهان بها [4] ، إلا أن فيرموس هذا قد تأثر لمساعدة الملكة زنوبيا، فغضب أورليان عليه مما هدد مستقبل تجارته [5].

كما تشهد التجارة السورية رواجاً مع الجنوب العربي حيث هناك نقوش تشير لعلاقات مباشرة مع الجنوب العربي، ولا شك أن هذه العلاقة كانت عبر الخليج العربي [6].
والدليل على أن ثمة علاقة كانت تربط تدمر بالهند هو ما تخبرنا به الكتابات الأثرية المكتشفة في الساحة العامة في تدمر،حيث تنبئ بعلاقة مباشرة بين تدمر وبلاد السثيكا Scythians، والمعروفة باسم ممالك الساكا في شمال غربي الهند التي كانت تصلها

---

(1) .IS,2, 3910.

(2) شيفمان ، ص94.

(3) CIS. 2912..D.Norman . A Syrian trading venture to Egypt, journal of Egyptian Archaeology , vol 33, London, 1947. p41-46.

(4)Rostovtzeff , 1932, op cit. p.117.

(5)Bouchier , p143.

(6)CIS,II 3932;.. CIS,II3934.

السفن التدمرية التجارية من موانئ الخليج العربي عن طريق مصب نهر السند وإحدى الكتابات تقول : ( إن هذا التمثال لماركوس أوليبوس يا رحاي ....قد قدمه التجار الذين سافروا من بلاد السكيثين في زورق ( حنينو بن حادودان) لأنه ساعدهم بكل الوسائل الممكنه - في شهر آذار 157م)[1] .

ولم تقتصر علاقات تدمر على الهند فقط،فقد عثر فيها على أقمشة ذات خيوط حريرية ممزوجة بالخيوط الصوفية ، و يعتقد أن الخيوط الحريرية في أنسجة الأقمشة كانت تستورد من الصين عبر ما يسمى بطريق الحرير وكانت تنسج محلياً ، ولم يقتصر الاكتشاف على الأقمشة الحريرية فقط بل امتد ليشمل أنسجة صوفية وقطنية ، وحسب رأي (pfister) فإن طراز النقوش على الأقمشة الكتابية والصوفية المتميزة بالزخارف النباتية يشير إلى أصلها السوري، وبالمقابل تشير الأقمشة الحريرية ذات الزخارف الهندسية والحيوانات الخرافية إلى أصلها الصيني [2].

---

(1) محمد وحيد خياطة ، ص164.

(2) المرجع نفسه ، ص164-165.

## النقود والنظم المالية

### أولاً :النقود: Coins

### 1- تمهيد:

يعتبر الكثير من باحثي علم الاقتصاد بأن النقد وتركيب معدنه وتطوره التاريخي هو شاهد على التطور الاقتصادي نفسه ، فإذا كان النقد المستخدم مثلاً من الذهب أو الفضة ، فهذا دليل على توافر هذين المعدنين لدى الدولة صاحبة النقد، ومن ثم شاهد على ثرائها ، في حين إذا كانت النقود من البرونز أو من معادن أخرى غير ثمينة ، فذلك يدل على ضعفها الاقتصادي،وعلى رغبة الإمبراطور في تنمية المنطقة كمنطقة السيروستيكا (منبج ، حلب ، كيرهوس ) ، كما أن استخدام نقد دولة ما في أنحاء مختلفة من العالم دليل على مدى النفوذ الاقتصادي والسياسي لهذه الدولة ،كنقود أنطاكية التي انتشرت بكثرة في كافة أنحاء سورية في الفترة الرومانية .

فالنقد يقدم معلومات عن المبادلات الاقتصادية في كل المراحل التاريخية ، وذلك عن طريق وزن المعادن المستخدمة فيه وتداول النقود ومدى انتشار هذا النوع منه أو من الآخر، بالإضافة إلى نسبة المعادن الثمينة الداخلة في تركيب النقد(1) .

وقد أسهمت النقود في انتعاش التجارة عن طريق التحّول الهام من الاقتصاد العيني إلى الاقتصاد النقدي، وقد عمل السلوقيون ومن بعدهم الرومان على تنشيط هذا التحّول ، وأخذتْ مدن غرب سورية وولاية بابل دوراً كبيراً في تطويره .

وقد ثبت في سورية تلك الولاية الفارسية الخامسة تداولها للنقود الفضية بعد اكتشاف الكنز المؤلف من 445 قطعة نقدية قرب بصرى جنوب سورية ، ومعه جواهر أخرى عائدة للعصر الفارسي (2)،كما ظهرت فئات من النقود الفضية الإغريقية بالكنز نفسه؛

---

**(1) ليلى الصباغ ، ص.170-171.**

**(2) كريستيان ،أوجيه ، العملات المكتشفة في سيع والتداول النقدي القديم في حوران ، سورية الجنوبية ، ج 1 ، مجموعة من الباحثين بإشراف جان ماري دنتز ، ترجمة أحمد عبد الكريم ، دمشق 1988م ، ص315-317.**

كالأوكتادراخما والتتراخما والستاتير انتشرت في أرجاء الإمبراطورية الفارسية الأخمينية و جاءت من مقدونية وأثينة ، وظهرت نماذجها على شاطئ سورية الشمالي في رأس ابن هانئ من خلال ماأسفرت عنه تنقيبات البعثة الفرنسية السورية بقيادة جاك لاغارس وعدنان البني[1]. وكانت التترادراخما ذات المعيار الأتيكي هي الأكثر شيوعاً والتي تزن (17 غ ) ، وانتشرت النقود الفضية الإغريقية في الساحل الفينيقي قبل قدوم الإسكندر بفترة طويلة، وظهرت مدن بإصداراتها النقدية كصيدا وصور وجبيل وأرواد في القرن الرابع ق.م [2] .

وقد غير الاحتلال المقدوني والروماني لسورية الحالة النقدية فيها بشكل جذري ، ويمكن القول: إنه مع دخول الإسكندر الأكبر إلى الشرق أصبح للعملة تاريخ طويل يمتد لعدة قرون، وبدأت تنتشر النقود الموحدة بأنواعها الذهبية والفضية والبرونزية المسكوكة وفق المعيار الأتيكي المكوّن من فئات عديدة ؛ كالتترادراخما و الأوبول والستاتير والأوكتادراخما. وعلى الرغم من انتشار النظام النقدي اليوناني الأتيكي خلال الفترة الهلنيستية في سورية إلا أنه ظهر نظام نقدي آخر هو النظام النقدي الفينيقي[3]الذي يقاس على أساس (الشيقل) . أما القرن الأول قبل الميلاد فقد طرأت عليه مجموعة من التغيرات على النقود حيث سقطت المملكة السلوقية سنة64 ق.م على يد الرومان ، وأخذ أمراء الممالك السورية الصغيرة يتقاسمونها ؛ كآل سمبسيغرام في حمص، وليسانياس في آسيا، وهيرا في فلسطين وسورية. واستقلت العديد من المدن الفينيقية، كمدينة صور التي نقشت على إصداراتها النقدية تاريخ استقلالها في سنة 126 ق.م، ومدينة تريبوليس (طرابلس) 111/112 ق.م، واللاذقية 82 /81 ق.م، وصيدا 111/110ق.م. كما أصدرت سلالة آبيلا التي يتزعمها بطلومي بن ميناوس نقوداً

---

(1) عدنان البني وجاك لاغارسي، التنفيبات في رأس ابن هانئ ، الحوليات الأثرية السورية ، مج، 27-28، دمشق 1977-1978، ص42-43

(2)M. Thompson, An Inventory of Greek Coin Hoards, (New York, 1973) pp.1481-1483.

**(3)**Ibid. pp.1481-1484.

لها منذ سنة 85ق.م، كما تمكن الملك النبطي الحارث الثالث في سنة84 ق.م من السيطرة على مدينة دمشق التي أصدر بدار ضربها نقوداً برونزية حملت نقش رأسه المزدان بحجاب، بينما حمل مركزالظهر نقش الربة تيكة الدمشقية مقلداً النموذج السلوقي [(1)]. غير أن تيجرانيس ملك أرمينيا استطاع في سنة 84 ق.م السيطرة على أنطاكية، ثم مدينة دمشق، وأخرج منها الملك النبطي الحارث الثالث،وأصدر بهذه المدن نقوداً فضية وبرونزية على غرار النموذج السلوقي الذي حمل صورة الربة تيكة[(2)].

يجب القول بأن الإمبراطورية الرومانية لم توفق في ميدان المالية كما وفقت في غيرها من الميادين الأخرى ، حيث إن الأباطرة لم يحاولوا التعرض لمشكلة الميزانية بالشكل الأمثل، ولم يكترثوا بحلول أوغسطس المتواضعة برفض التوسع في رقعة الإمبراطورية والتي بدورها ولدت في أواخر القرن الثاني الميلادي زيادة في عدد قوات الجيش إلى حدٍ كبير ، وبالتالي أدت إلى تضخم في نفقات الإمبراطورية ويظهر ذلك بشكل جلي في مرحلة الاضطرابات السياسية التي هيمنت على الإمبراطورية خلال القرن الثالث الميلادي والتي ولدت ما يسمى ( أزمة القرن الثالث)

انعكس التدهور السياسي الذي عم سائر الأراضي الرومانية خلال هذه الفترة على الأوضاع الداخلية ولاسيما المالية منها والتي نتج عنها :

1- انخفاض قيمة العملة لحد أصبحت معدومة .

2- إضراب عمال سك النقود في روما (270-271م) عن العمل في أنطاكية[(3)] .

3- بذلت الطبقات الثرية جهوداً يائسة للتملص من تكاليف الأعباء التي يتحملها أفرادها عند توليهم الوظائف العامة[(4)].

---

(1) زياد سلهب ، خالد كيوان ، المسكوكات القديمة ، جامعة دمشق ، 2010-2011م ، ص106.

(2) C. Augé, la Monnaie en Syrie a' l'époque hellénistique et Romaine, Archéologie et Histoire de la Syrie. édit par J.M.Dentzer. Saarbrücken. ,pp 170-175.

(3) Heichelheim , op.cit , p223.

(4) تشارلزورث ، ص 186.

وقد أثقل كاهل الإمبراطورية الرومانية وطأة غزوات البرابرة التي ألحقت الضرر بمساحات شاسعة من الأراضي الزراعية والمحاصيل والأيدي العاملة مما أدى إلى اختلال اقتصاديات مناطق برمتها وانخفاض القوة الشرائية ل لعملة حتى غدت رواتب الجند التي ارتفعت في عهد كاركلا إلى 500 دينار، والتي أدت إلى انخفاض في قيمة العملة ، ولكي تؤمن الإمبراطورية رواتب الجند عمدت إلى :

1- إعطاء الجند بعض رواتبهم عينية[1].

2- أخذ المواد الغذائية والحيوان قسراً وعنوة من الريفيين لتتمكن من تأمين الغذاء والكساء لعناصر الجيش ، ويبدو ذلك جلياً بتولي شكاوى سكان القرى والمناطق الريفية.

ولم يكن بمقدور الريفيين سوى استدرار عطف الموظفين الماليين التابعين للإمبراطور [2].

وما يثبت ذلك ما أقدم عليه سيفيروس بما يتمتع به من فهم لضرورات الحكم حيث ذكرت إحصائيات في عهده ثمة مئة وستين ألفاً من المعوذين وعشرين ألفاً من رجال الحامية يوزع على كل واحد منهم ستون صاعاً من الحنطة كل سنة على اعتبار أن قيمة النقد متردية وبالتالي فإن مواد القمح والزيت التي تأتي من إفريقيا ستسد الحاجة[3].

ولم يكن حال أهالي المدن بأحسن من سكان أهل الريف الذين أثقلتهم أعباء الوظائف العامة التي كانت تتطلب نفقات باهظة بلغت بهم حد الفقر فأصبحوا لا يقبلوا بهذه الوظائف التي كانت في وقت من الأوقات امتيازاً وشرفاً ، إلا أن رفضهم هذا تتطلب إرهابهم ودفعهم عنوة إلى أعمالهم .

---

(1) وقد لجأت الإدارة الرومانية لمواجهة الهبوط المتزايد في قيمة العملة إلى الأخذ بنظام المكوس العينية Annona Militarisوعلى أية حال تميزت المكوس العينية بأنها مطاطية غيرثابتة .انظر: تشارلزورث ، ص99.

(2) المرجع نفسه : ص95.

(3) جان بابليون ،إمبراطوريات سوريات، تاريخ فترة التأثير السوري بالإمبراطورية الرومانية. ترجمة يوسف شلب الشام. الطبعة الأولى. دمشق. 1987م. ص 93-94.

كذلك أجور الحرفيين التي وصلت من 1200 إلى 2400 درهم في القرن الثاني لتغدو 4800 درهم في القرن الثالث الميلادي [1].

وأشارت إحدى نقوش تدمر التي تعود إلى 225م إلى أن ثمن الهدية كان لا يقل عن 10000 دراخمة [2] . ونقش آخر 267م من مدينة بصرى يحددها بـ 150000 درهم منخفض القيمة [3] وتشير نقوش دورا إلى حدوث ثورة في الأسعار في القرن الثالث، سعر الخبز خلال القرن الثاني 1 5 آس في حين أن أرغفة قلائل تكلف 3 دراهم في دورا بين سنوات (235-340 ).

كذلك الأجر اليومي في القرن الأول والقرن الثاني درهماً واحداً ، بينما وصلت الأجور الشهرية في دورا أعوام 230- 240م إلى 301- 307 درهم ، أي أن الأجر الأسبوعي وصل ’لى حوالي 75 درهم [4].

نجد أيضاً أن الدراخمة السورية التي كانت تزن أقل من الدرهم خلال القرن الأول والثاني قد قلت قيمتها في القرن الثالث [5]. وهذا يبدو واضحاً من خلال لون الدراخمة السورية الذي أدخل فيه معدن النحاس ، وبلغت هذه الدراخمة ( 180-230م) ما يعادل 3درهم ، وبلغت في القرن الثالث ما بين 3-4 دراهم .وكذلك العملات النحاسية سكت طبقاً للمعيار الروماني،هذا بالإضافة إلى أن الإدارة في سورية كانت تسك Dupondium محلي وهو ما يعادل دينار واحد [6].

---

(1) Heichelheim , p222.

(2) Cagnat. 1047;CIS.2.31, nr3934.

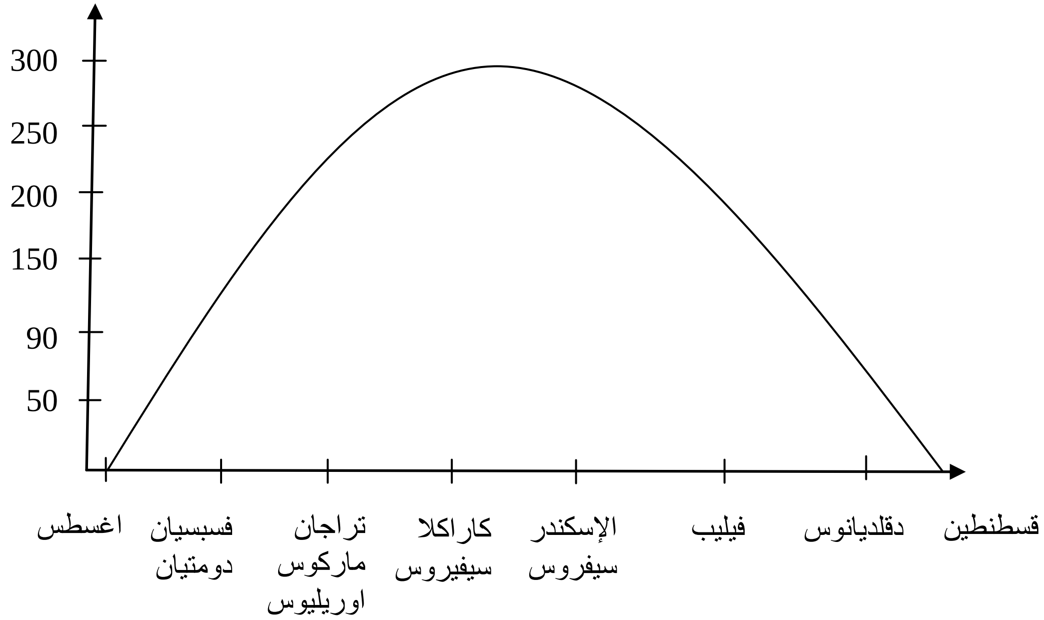
(3) Cagnat. 1317.

(4)S.E.G.VIII.411.

(5) Heichelheim , p211.

(6)Ibid.p222.

واجهت العملة في القرن الثالث الميلادي بعض التذبذبات التي أثرت بدورها على الأوروس وهذا ما يشير إليه نقش تدمر العائد إلى عهد سيفيروس 193م إلى حالة فقدان الثقة ليس فقط بالفضة الرومانية ، إنما أيضاً (Aurei) الصادرة حديثاً ، وكذلك قيمة (Aureus) تفاوتت على المستوى المحلي.




ونوضح هنا خطاً بيانياً يبرز فترة الاصدارات النقدية للأباطرة الرومان في سورية ، حيث بدأ نشاط إصدار العملة يتصاعد تدريجياً ليصل إلى ذروته مع تبوء الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس وأبنائه سدة الحكم نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث ، ليبدأ الانحدار التدريجي حتى عهد قسطنطين .

## 2- النظام الروماني النقدي ووحداته

هذا وتقسم النقود الرومانية إلى الفئات التالية :

1-النقود الذهبية والفضية : وهي النقود المضروبة وفق السكة النظامية الصادرة بامتياز عن الإمبراطور،ومن قبل أشخاص مكلفين من قبله ، وتحت إشرافه يخضعون مباشرةً لإمرته..

2- النقود البرونزية أو النحاسية : وهي الإصدارات التي تم منح حق إصدارها للمدن والأقاليم الخاضعة للسيطرة الرومانية ، دون التقيد بسكة نظامية ، وذلك بسبب تدني قيمتها الشرائية ومحدودية تداولها ، لكن كان الهدف منها تنمية الأرياف ودعم المبادلات الصغيرة[3].

عمد الرومان بعد سيطرتهم على بلاد غرب آسيا إلى الاستفادة من دور الضرب القديمة لإصدار نقدهم الفضي وفقاً للمعايير اليونانية ، وذلك قبل أن يتم التحول لاستخدام هذه الدور لإصدار النقود فقط.

كانت وسيلة التعامل الرومانية حوالي التاريخ التقليدي لتأسيس روما عام 753 ق.م عبارة عن قطع من معدن النحاس ، أو قطع مصنعة بواسطة السكب على شكل شرائح رقيقة تسمى (النحاس ذي العلامة) [1]، وفي حوالي سنة 300 ق.م قامت دار ضرب روما

---

(3) خالد كيوان ، إنتاج المسكوكات وتداولها في دمشق وريفها في الفترة الرومانية من القرن الأول إلى الثالث الميلادي ، وزارة الثقافة ، دمشق ،2010 م، ص55.

(1) نظراً لكبر حجمها وثقلها الذي وصل إلى ثلث كيلو غرام ، فقد قام الرومان بتقسيمها إلى اثني عشر قطعة أسموها أوقية وبالرومانية أونصة (UNCE) وفي سنة 268 ق.م بدؤوا يسكون العملة الفضية بدلاً من النحاس الثقيل ذي العلامة ، وانقصوا وزنه إلى السدس . انظر سليم عرفات المبيض ، النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية والأجنبية ، ط1 ، القاهرة 1989م ، ص19.

بإصدار قطع نقدية مستديرة مصنعة بطريقة السكب ، وعرفت باسم (النحاس الثقيل ذي العلامة ) ، وحمل مركز الوجه نقش رأس مزدوج للإله يانس حارس بوابات السماء ، وحمل على مركز الوجه الآخر نقش مقدمة سفينة أو ثور ، وكتب تحتها بالحرف اللاتيني اسم مدينة روما،وكان ينقش على مركز الظهر أحياناً صورة التوأمين ريموس ورومولوس مؤسّسَيْ روما اللَّذان استبدل بهما نقش عربة يقودها الإله جوبيتر [(2)].

ومن جانب آخر فقد شكل الدينار يوس الفضي الروماني المتأثر بالإصدارات الإغريقية الهلنستية ، العمود الفقري للنظام النقدي للعصر الجمهوري والإمبراطوري الروماني فيما بعد [(3)]؛حيث بلغ وزنه(3.5غ)،وتعادل قيمته الصرفية عشر قطع من الآس البرونزية (AS)أي بنسبة 10/1 ،الأمر الذي دعا القائمين على عملية الإصدار نقش القيمة الموازية على سطحه والتي تتمثل بالحرف اللاتيني (X) أي عشرة[(4)] .

كما أصدر الرومان وبإشراف مجلس الشيوخ بعض الإصدارات التي تشكل الأجزاء العشرية للديناريوس أي النقود البرونزية، في حين قام أغسطس بعد توليه الحكم بإصدار النقدين الذهبي والفضي،وقد تمَ من قبله وتحت إشرافه،نظراً لأهميتها الدعائية والسياسية ،

---

(2) نايف قسوس ،خلف الطراونة ، موسوعة مسكوكات العالمين القديم والإسلامي ،البنك العربي 1991، ص15.

(3) تقسم العملة الفضية المستعملة في سورية بالقرن الثاني والثالث الميلادي إلى ( التيتراخما ووزنها 14غ ، و ديدراخما ووزنها 6-7غ ، والدراخما ووزنها 3-4غ.

(4) خالد كيوان ، 2010 ، ص 55-65.

وجرّد مجلس الشيوخ من هذه السلطة ، وحدّد دوره فقط بالإشراف على إصدار النقود البرونزية التي حملت نقش الحرفين اللاتينيين (S.C) سيناتوس كونسولير




صورة رقم ( 45)

(Senatus Consultum) ، وتعني أنه تم الإصدار بعد موافقة مجلس الشيوخ ، ولم تخل النقود البرونزية من هذين الحرفين إلا في حالات نادرة .

احتل الأوروس الذهبي مكان الصدارة في الإصدارات النقدية الرومانية ، لا سيما في العهد الإمبراطوري ، حيث قدر بما يعادل 7.96 غ ذهباً ، أي بنسبة 80/1% من الذهب، وتعادل قيمته الصرفية 25 ديناراً فضياً و100 سيستار برونزي[1] .



صورة رقم (46) الأوريوس

أما الكينيريوس الذهبي Quinaire يساوي نصف وزن الأوريوس أي حوالي98. 3غ، وهو من القطع النادرة جداً.

---

(1) قسوس و الطراونة، ص 24-25.

وقطعة فضية متمثلة بالدينار Denarius مع جزيئاته ويساوي وزن الكينيريوس تقريباً ، بينما يساوي وزن الكينيريوس الفضي نصف وزن الديناروس الفضي ويبلغ 1.95غ ، كما في الصورة رقم (47)(1).



**صورة رقم (47) الدينار**

وأصدروا وحدات نقدية أخرى أقل قيمة صرفية ضربت من النحاس أو البرونز ؛ وهي السيستار (Sesteres )، والدوبونديوس (Dupondius)، والآس (AS)،وسومي آس (Semias)(2).

كما قام نيرون ( 54-68 م) بتخفيض وزن المسكوكات ونسبة الذهب أو الفضة فيها ، وذلك بسبب تضخم الإصدارات النقدية ، وتأثير الأحداث السياسية الداخلية ، واستمر هذا التخفيض في عهد من تولى بعده من الأباطرة حتى عهد الإمبراطور كركلا في سنة 213م ، الذي عمد إلى إجراء تخفيض آخر في القيمة الوزنية للديناريوس الفضي وأصدر قطعة (Antoninanus) الأنتونيناس وزنها حوالي (5 غ) ، ووضع عليها رمزاً يشير إلى اسم دار الضرب(3) ، بيد أن الأحوال السيئة المتفاقمة التي ظهرت في النصف الأخير من القرن الثالث بصورة انهيار عاجل للنظام النقدي أدت بعد أن حلت سنة 250م إلى هبوط قيمة انتوينينانوس هبوطاً مزرياً ، ولم تعد تتعدى العملة الفضية سوى قطعة نقدية نحاسية مغطاة بطبقة رقيقة من الفضة تقل قيمتها عن خمسة بالمائة من قيمتها الاسمية .

(1) خالد كيوان ،2010، ص 29.
(2) قسوس والطراونة ، ص27.
(3) خالد كيوان ، 2010 ، ص 55-65.

وفي الوقت ذاته أخذت قيمة الأوريوس في التدهور الحاد ، فراجت طرق التعامل غير المشروعة ، ورغم محاولة الحفاظ على الأسعار بشيء من الثبات ، إلا أن التضخم المالي المفرط أدى إلى ارتفاع في الأسعار وأغلقت المصارف أبوابها وما أن حل عهد غالينوس حتى انقطع بالفعل صدور العملات المحلية ، وغدت العملة الفضية في عهده ذات قيمة منخفضة إلى حد أنها تساوت بالقيمة مع العملة البرونزية. وأصبح من المحتم تحصيل الضرائب عيناً أو على شكل سبائك ذهبية أو فضية أو أية صورة أخرى غير العملة الرسمية [1].وهذا التغيير إنما يمكن إرجاءه لأسباب اقتصادية أكثر من كونها نواح سياسية .

وجرت أعمال صك النقود على تزييف العملة في عهد الإمبراطور أورليان خلال انشغاله بحروبه الخارجية ، إلا أنه أمر باسترداد هذه العملات وتوزيع عملات أصلية بدلاً من المزيفة والتي أمر الناس بأن يردوها إلى الخزانة [2].وفي عام 296م تزامناً مع تعديل نظام الضرائب قام دقلديانوس بسن قانون ينص على صك عملة جديدة لتحل محل العملة المتداولة المتضخمة ومنخفضة القيمة ومحاولة الحد من تعديلات في الأسعار والسعر للاستقرار الاقتصادي وخاصة تلبية احتياجات الجيش والدوائر الحكومية ، لذلك اتخذ خطوة صارمة لإصدار مرسوم يحدد قيمة الأسعار والأجور ونلحظ مع كل المحاولات لمنع الغش أن أحد موظفي الحكومة والمتعاون مع تجار الجملة عمد إلى تحويل كل النقد المتاح لديه إلى بضائع.

ومع تزايد عدم الثقة في العملة ونتيجة لمرور نصف قرن من الانخفاض المتكرر لقيمة العملة ومع ضخامة الإنفاق الإداري على الحرب والتزايد في أعداد الجيش الأمر الذي أدى إلى تكرار ظهور التضخم المالي [3].

---

(1) تشارلزورث ، ص157- 158.

(2) أدوارد جيبون ، ص198-199.

(3) Nophtali, p.462-463.

أما الوحدات النقدية البرونزية التي كانت متداولة في سورية فهي:

1- Sester سستار : حمل على مركز الظهر نقش الحرفين ( S.C) قطره 22ملم ، وحمل كتابة هي : Op . civis Servator ، وتساوي قيمته الصرفية 4 آسات .

والسستار شبيه بوحدة الأوريشالكوم البرونزية من حيث الوزن والنقوش [2].




**صورة رقم (48) السستار**

2- as آس : حمل على مركز الظهر نقش الحرفين (C.A)،وزنه 6.5غ،قطره 22 ملم.



صورة رقم (49) الآس

---

(1) قسوس والطراونة ، ص27-28.

(2)هناك اختلافات من حيث أوزان النقود البرونزية من وحدة السستار الصادرة عن دار الضرب في أنطاكية ، حيث بلغ وزن السستار البرونزي في عهد جورديان الثالث 10.65غ ، والنقود التي فاق وزنها 9غ شغلت نسبة 90% ، أما وزن نقود فيليب الابن من نفس الوحدة ، وذلك في سنة حكمه الثانية المترافقة مع السنة السادسة والسابعة لحكم الإمبراطور فيليب الأب ، فقد بلغ وزنها 9غ وشغلت نسبة 50% ، وبلغت أوزان نقود فيليب الأب خلال سنة حكمه الرابعة المؤشرة بالرقم IV حتى النقود البرونزية المؤشرة بالرقم IX حوالي 8.59غ ، ولم تتجاوز النقود البرونزية التي فاق وزنها على 9غ نسبة 33% ، كما حملت على الظهر حروف طرأ تغيرات عليها ، كاسم إله نهر العاصي (ANTHOS) وأصبح (ANTHIOS) ، واسم الإمبراطور فيليب الأب (FILIPPVS) بدلاً من (PHILIPPVS) انظر :

A.Krzyzanowska, monnaies colonials d'Antioche de pisidie , Edition de Pologne 1970, pp67-72.

3- Semi سومي: حمل على مركز الظهر نقش الحرفين ( C.A) ، وزنه 4.5 غ ، قطره 26ملم، والحرفان CA يعنيان ( Comun Asia).



**صورة رقم (50) السومي**

4- demi as نصف آس ، أوالدوبونديوس (Dupondius) : وزنه 12.5 غ ، وقطره 26ملم .



**صورة رقم (51)الدوبونديوس**

4 -الكدرانوس(Quadranus) : وزنه 3 غ ، وقطره15ملم .



**صورة رقم (52)الكدرانوس**

---

(1) خالد كيوان ، 2010 ، ص 30

أما التيترادرخما الفضية للإمبراطورية الرومانية ، فقد توافقت في ضربها مع التيترادراخما الفيليبية (اليونانية) من حيث العيار الأتيكي [1]، وقد ختمت النقود السورية بعبارات لاتينية رسمية مثل : ( fllaceus, silanus , saturnius , varus) ( نائب ، مستشار ، حاكم ...).

## 3ـأنواع النقود الرومانية المضروبة في سورية

أما من حيث قيم ومعادلات التصريف للنقود الرومانية بفئاتها الثلاثة ( الذهب والفضة والبرونز) فقد كان الرومان من أول الشعوب التي استطاعت أن تضبط قوانينها المالية، من خلال ضبط نظامها النقدي الذي قسّم النقود الرومانية المضروبة في سورية إلى نوعين رئيسيين هما:

أ ـ النقود الرومانية الإمبراطورية التي تحمل نقوشاً وكتابات منقوشة باللاتينية أو اليونانية، وقد كانت مطابقة في عملية ضربها للسكة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، ومصادقٌ عليها من قبل مجلس الشيوخ من حيث الوزن والعيار ونوع الوحدة النقدية.

ب ـ النقود الرومانية البرونزية الصادرة عن دور الضرب السورية، التي نالت موافقة السلطات الرومانية بالسماح لها أن تصدر النقود، وتعرف هذه الإصدارات باسم إصدارات المدن أو النقود البلدية المتداولة محلياً في الأرياف (**La monnaie Municipale**)، والتي استمدت نقوشها من واقع الأحداث التاريخية في سورية، أو من البيئة المحلية، أو عقائد وآلهة الشعوب في المنطقة[2].

---

(1) نسبة إلى فيليب والد الإسكندر الكبير ، وتدعى أحياناً بالإسكندرية نسبة للإسكندر .
(2)هذا التصنيف متبع من قبل كافة علماء النُميّات بالنسبة للنقود السورية التي عُرفت بنقود المدن، على خلاف النقود الرومانية التي عُرفت بالرسمية. انظر: كريستيان أوجيه ، ص 325 - 326.

ويبين هذا الجدول[1]النظام النقدي لدى الرومان ومعادلاته بحسب القيمة الصرفية.

| *الوحدة النقدية* | *أوروس* | *كينيريوسذ هبينصف أوروس* | *ديناريوسفضي* | *كينيريوس فضي نصف دينار* | *سستار برونزي* | *دوبونديوسبر ونزي* | *آس برونزي* | *سومي* | *كدران* |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| أوروس | **1** | **2** | **25** | 50 | **100** | **200** | **400** | **800** | **1600** |
| كينيريوس | | **1** | **12.5** | **25** | **50** | **100** | **200** | **400** | **800** |
| ديناريوس | | | **1** | **2** | **4** | **8** | **16** | **32** | **64** |
| كينيريوس | | | | **1** | **2** | **4** | **8** | **16** | **32** |
| سستار | | | | | **1** | **2** | **4** | **8** | **16** |
| دوبونديوس | | | | | | **1** | **2** | **4** | **8** |
| آس | | | | | | | **1** | **2** | **4** |
| سومي | | | | | | | | **1** | **2** |
| كدرانوس | | | | | | | | | **1** |

وقد أشارت دراسة الإصدارات النقدية الفضية الصادرة عن دار الضرب بأنطاكية، إلى حجم العلاقة التي كانت تجمع كليوباترة ومارك أنطونيوس، وذلك حين حملت على مركز الوجه رأساً جانبياً لماركوس أنطونيوس، بينما حمل مركز الظهر نقش رأس الملكة كليوباترة بشعرها المصفف للأعلى، ولذلك دلالة سياسية على التقاء الغرب بالشرق.

وأكدت الإصدارات النقدية البرونزية الصادرة عن دار الضرب بدمشق إلى تواجد كليوباترة بالمدينة، وتكريماً لها أصدرت دمشق مسكوكات برونزية على شرفها، تميزت بنقشها على مركز الوجه رأس الملكة، التي ظهرت بشعرها المصفف للأعلى. بينما حمل مركز الظهر نقش تيكة ـ دمشق، الربة الحامية للمدينة، جالسةً على كومة من الحجارة، وقد علا رأسها التاج الذي يأخذ شكل سور المدينة المزدان بالأبراج، وأمسكت بيدها اليسرى قرن الوفر والسعادة المغمور بالثمار، بينما نُقش تحت قدميها رجل يسبح في إشارة إلى نهر بردى رمز الخير والبركة[2]. **(النقد1)** انظر الملحق رقم (3).

___________

(1) خالد كيوان ، 2010 ، ص65.

(2) De Saulcy,. Numismatique de la terre – sainte,( Paris1874), pp34-35.

واحتفاءً بالنصر الكبير في معركة أكتيوم 31ق.م البحرية، كانت دمشق من أوائل دور الضرب السورية التي أصدرت عملات برونزية على شرف غايوس يوليوس أوكتافيانوس، تميزت بنقشها على مركز الوجه رأس اً جانبياً لأوكتافيانوس دون كتابة ، بينما حمل مركز الظهر نقشاً جانبياً يمينياً لرأس تيكة ـ دمشق، الربة الحامية للمدينة، المزدان بأبراج تأخذ شكل سور المدينة. وأُرختْ هذه المسكوكات إلى سنة 29 ق.م(1).

وتشير قوائم المؤرخ بليني إلى قيام أغسطس بمنح مجموعة من المدن السورية لقب المدينة الحرة، كمدينـة أنطاكيـة ( **أنتيوخيا ليبيرا Antiochia Libera**)، التي ترأست قائمة المدن السورية، وذلك بمحافظتها على لقب الميتروبوليس، على أنها عاصمة المقاطعة الرومانية، ومقر إقامة الحاكم (1) ، وعبّرت عن احتفائها بهذه المناسبة، حين أصدرت دار الضرب فيها مجموعة من المسكوكات البرونزية التي تؤرخ إلى العام 27 ق.م، والمتميزة بحملها على مركز الظهر نقش الحرفين ( **SC**) المرمزين الدالين على موافقة مجلس الشيوخ الروماني على هذا الإصدار. وذلك إلى جانب إصدارها مسكوكات فضية من وحدة التيترادراخما، التي تميزت بحملها على مركز الظهر نقش تيكة ـ أنطاكية، الربة الحامية للمدينة، وقد جُسدت جالسة على صخرة، وعلى رأسها تاج مزدان بأبراج تأخذ شكل سور المدينة، بينما أمسكت بيدها اليمنى باقة من سنابل القمح الدالة على صفة الخير والبركة، والتي تشير أيضاً إلى نوع المنتج الزراعي الذي اعتمد عليه سكان أنطاكية. وقد نُقش تحت قدميها رجل يسبح في إشارة إلى نهر العاصي (الأورونت**Oronte**)(2). **(النقد2)**

كما أعلن أمراء الممالك المحلية ولائهم للإمبراطور أغسطس، كأمراء مملكة آبيلا الذين عرفوا بالحكام الأربعة الإيتوريين،وهم : ميناوس (معن)، وليسانياس، وابنه بطلومي،

---

(1) بشير زهدي ، أقدم النقود الدمشقية ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 26، دمشق 1976م ، م ص 72-78 . انظر أيضاً : خالد كيوان ،2010 ، ص 98.

(2) R. Coquais, La Syrie de Pompée a' Dioclétien, Histoire Politique et administrative, Archéologie et Histoire de la Syrie. édit par J.M.Dentzer. Saarbrücken. pp155-165.

وزينودور، حيث سيطر هؤلاء على سوق وادي بردى في المنطقة الغربية من دمشق، وأصدروا مجموعةً من المسكوكات البرونزية على شرف أوكتافيانوس، والتي تميزت بنقشها على مركز الوجه رأساً جانبياً للإمبراطور أوكتافيانوس، بينما حمل مركز الظهر نقشاً جانبياً لرأس الملك ليسانياس، أو بطلومي وزينودور[(1)]. **(النقد3)**

ويُعدُّ عهد الإمبراطور أوكتافيانوس عهد انطلاق الإصدارات النقدية السورية، حيث أكدت دراستها ولادة عدد من دور إصدار العملات في عهده، كدار الضرب في جابالا (جبلة)، التي أصدرت مسكوكات برونزية على شرفه، والتي استمرت بإصدار المسكوكات حتى عهد الإمبراطور ماكرينوس الذي حكم في سنة 218م، وتميزت بحملها على مركز الظهر مشاهد للآلهة السورية، كنقش الربة أتارجاتيس أو أفروديت (عنّات)، واقفة بين تمثالين يأخذان شكل الأسد المجنح.

وتؤكد الدراسات التاريخية والأثرية على متابعة دور الضرب السورية عملية الإنتاج النقدي، كإصدار دار الضرب بأنطاكية مجموعةً من المسكوكات الفضية والبرونزية في عهد الإمبراطور تيبريوس، الذي حكم بين سنتي 14 - 37 ق.م. حيث تميزت قطعه النقدية المضروبة من معدن الفضة من وحدة التيترادراخما (الدراخما الرباعية) الصادرة في عهده، بنقشها على مركز الظهر الربة تيكة ـ أنطاكية، الحامية للمدينة.

**4ـ العملة السورية وتطورها في العصر الروماني**

أما عن العملات خلال القرن الأول الميلادي فتشير الدراسات إلى متابعة دار الضرب بدمشق وأرادوس (أرواد) إصدارها النقدي، فقد أصدرت مدينة دمشق مسكوكات برونزية على شرف تيبريوس، والتي حملت على مركز الظهر نقش الربة تيكة ـ دمشق، جالسة على كومة من

---

(1)Saeter , 2010.p.148.

الصخور، وقد علا رأسها تاج يأخذ شكل سور المدينة المزدان بأبراج، وأمسكت بيدها اليسرى قرن الوفر والخصب المغمور بالثمار، بينما نُقش تحت قدميها رجل يسبح في إشارة إلى نهر بردى، رمز الخير والبركة[1].

بينما تميزت إصدارات أرادوس (أرواد) النقدية الصادرة على شرف الإمبراطور تيبريوس، وحتى عهد الإمبراطور جورديان الثالث الذي حكم بين سنتي 238 - 244م. بحملها على مركز الظهر نقش رأس الربة أتارجاتيس، أو نقش الربة أتارجاتيس تقف بين أسدين مجنحين أو ثورين. وكذلك حملت نقش ثور محدب الظهر يجسد الإله بعل الأروادي، وقد انتصب فوق ظهره رمح.

أما في الجنوب السوري، فقد أصدرت دار الضرب في كاناتا (قنوات) مسكوكات برونزية على شرف الإمبراطور كاليغولا ( 37 - 41م) وكلاوديوس (41 - 54م)، واستمرت إصداراتها النقدية حتى عهد الإمبراطور كومودوس 180 - 192م. وتميزت بنقشها على مركز الظهر رأس أثينا، ربة الحرب والسلام، وقد اعتمرت على رأسها خوذة حربية، مزدانة بشمراخ زيتون، الذي يشير إلى السلام. كذلك حملت نقود قنوات نقش اً جانبياً لرأس ديونسيوس، إله الخمر، كما نقشت رأس الربة تيكة الحامية للمدينة، المزدان بأبراج دفاعية [2]. **(النقد 4)**

وبالرغم من تهديد بعض الممالك والإمارات المحلية السورية لمصالح الرومان في القرن الأول الميلادي، كالمملكة النبطية التي امتد نفوذها نحو دمشق والقلمون شمالاً، غير أن الإمبراطور نيرون تمكن من استعادة دمشق من يد الأنباط في سنة 63/62م. وقد أشارت الدراسات الأثرية إلى أن المدن السورية في حكم نيرون بين سنتي 54 - 68 م، قد شهدت تقدماً ملحوظـاً على صعـيد إنتاج كميات كبيرة من المسكوكات المضروبة من مـعدني الفضة

---

**(1) Augé, pp 155-168.**

**(2) زياد سلهب ، خالد كيوان ، ص 177.**

والبرونز. حيث جاءت إصدارات مدينة أنطاكية بالمكانة الأولى من بين إصدارات المدن السورية، وذلك على صعيد إنتاج العملات الفضية من فئة التيترادراخما (الدراخما الرباعية)،التي تميزت بنقشها على مركز الظهر نسر اً منتصباً، وقد جُسِّد بجناحين نصف مفتوحين. بينما تميزت المسكوكات البرونزية الصادرة عن أنطاكية بنقشها على مركز الظهر الحرفين (**SC**) المرمزين الدالين على أن النقد أُصدر بعد موافقة مجلس الشيوخ الروماني.

وقد أشارت دراسة المسكوكات الصادرة عن دار ضرب أنطاكية بأنها أصدرت نقوداً على شرف الإمبراطور جالبا 68م، ومن ثم الأسرة الفلافية نسبة إلى الإمبراطور فسباسيان وابنه تيتوس 68 ـ 79م، الذي أصدر كميات كبيرة من العملات الفضية والبرونزية لأجل تغطية نفقات الحرب ضد اليهود في فلسطين، والتي تميزت بنقشها على مركز الظهر نسر اً منتصباً، نصف مفتوح الجناحين[1].

غير أن الحروب العديدة التي خلفها القرن الأول الميلادي أسفر ت عن خلق حالة من الاقتصاد المتردي، مما دفع أباطرة القرن الثاني الميلادي إلى القيام بعدة أمور، تهدف إلى توطيد دعائم الأمن والاستقرار، كوضع حدٍّ للحروب، وإجراء بعض الإصلاحات الإدارية في سورية، مما كان له أثر على الصعيد المالي، وقد تجلى ذلك بافتتاح ورشات جديدة لإصدار المسكوكات في دور الضرب السورية.

---

(1)M..Amandry.La politique Monétaire des Flaviens en Syrie de 69 a' 73 " les monnayages Syriens" Actes de la table ronde de Damas, édit par Christian Augé, IFAPO Beyrouth, p 141-143.

انظر أيضاً : سلهب و كيوان ، ص122.

بينما أكدتْ الاكتشافات الأثرية على إصدار المدن السورية مع انطلاقة القرن الثالث الميلادي كميات كبيرة من النقود المحفوظة حالياً في المتاحف السورية، وقد بدأ هذا النشاط المالي في عهد الأسرة الأنطونينية، لا سيّما في عهد الإمبراطور ترايان وس (98 - 117م). الذي تمكن من توطيد الأمن والاستقرار إثر نجاحه في حروبه العسكرية، كحربه على الحدود الشرقية لولاية سورية ضد البارثيين، واهتمامه بالطرق التجارية لتنشيط الوضع الاقتصادي من خلال شقه للطريق التي تربط بين مدن الولاية السورية، كطريق " **فيا نوفا ترايانا الجديدة** "، وذلك بغية تسهيل حركة تنقل القوافل التجارية القادمة من فلسطين إلى بصرى، فدمشق، ثم تدمر، أو من دمشق، فحمص، ثم بيرو ه (حلب)، فأنطاكية. والعمل الأبرز الذي ميز عهد ترايانوس هو ضم المملكة النبطية وجعلها ولاية قائمة بذاتها وسماها بالولاية العربية [1]،وأصبحت عاصمتها بصرى، كما عيَّن عليها والياً ( **كورنيليوس بالما Cornelius Palma**) مشرفاً على إدارة شؤونها. ودشّن فيها داراً رسمية لإصدار المسكوكات الفضية والبرونزية، التي تميزت بحملها على مركز الظهر عبارة يونانية تذكر اسمها ( **نيا ترايانا بوستراNeaTraiana Bostra**)، تحيط بمشهد يمثل رأس الربة تيكة الحامية للمدينة، كما حملت إصداراتها النقدية مشاهد أخرى تمثل رأس الإله ذو الشرى النبطي، ورأس أثينا ربة الحرب والسلام، كذلك حملت مشهد واجهة معبد مشيد على قاعدة، يتم الصعود إليه بواسطة عدة درجات، وتصدر المعبد تمثال الإله المعبود، ونُقش حول المشهد المركزي عبارة "**بروفانسيا أرابياProvencia Arabia**" التي تعني الولاية العربية. كما حملت نقش جمل تجاري يشير إلى أن المدينة كانت تتمتع بأهمية اقتصادية [2]. وقد توقفت دار ضرب بصرى عن إنتاج النقود في عهد تريبينيوس غالوس (251 - 253م). **(النقد 5)**

---

(1)Sartre, 2010. p.523

(2)V, B ., Head, Historia Numorum,( Oxford 1911) p.788.

انظر أيضاً : سلهب ، وكيوان ، ص 71-73.

وقد اعتمدت مدينة بصرى في تأريخ نقودها على سنة106م، وه ي السنة التي أصبحت فيه عاصمةً للولاية العربية. وقد أقيمت الألعاب الرياضية للمرة الأولى في بصرى، وذلك على شرف الإله ذو الشرى النبطي، وعرفت باسمه (أكتيا ذو شاريا) تخليداً لاكتافيانوس أول إمبراطور روماني[1].

كما أصدرت دار الضرب بأنطاكية على شرف تراجان وس سلسلة من النقود الفضية التي تميزت بنقشها على مركز الظهر مشهد نسر منتصب، يشير إلى قوة الإمبراطورية الرومانية واتساعها، وقد جُسِّد النسر نصف مفتوح الجناحين، وأمسك في منقاره هالةً شعاعيةً، كما نُقش تحت مخالبه فخذ حيوان قرباني ارتبط بتأسيس مدينة أنطاكية، حيث دارت حوله الأسطورة التي تروي :

***"بأن طائر النسر، رسول الإله زيوس، قد حمل فخذ الحيوان القرباني، وحطَّ به فوق قمة جبل كاسيوس، وحينئذ أُتخذ هذا المكان لتأسيس مدينة أنطاكية من قبل الملك السلوقي سلوقوس نيكاتور".***

كما حملت النقود الفضية الصادرة عن أنطاكية بعهد تراجان وس نقش الربة تيكة ـ أنطاكية، جالسةً على صخرة، وقد علا رأسها تاجٌ يأخذ شكل سور المدينة، بينما أمسكت بيدها اليمنى باقة من سنابل القمح الدالة على صفة الخير والبركة، والتي تشير إلى نوع المنتج الزراعي الذي اعتمد عليه سكان أنطاكية. وقد نُقش تحت قدميها رجل يسبح في إشارة إلى نهر العاصي. بينما أكدت التنقيبات الأثرية في غالبية المواقع المنتشرة في سورية انتشار نقودالإمبراطور تراجان وس البرونزية الصادرة عن أنطاكية، وعلى مدىاتساع تداولها، والتي تميزت بنقشها على مركز الظهر حرفي ( **SC**) ضمن إكليل نباتي، اللذين يشيران إلى موافقة مجلس الشيوخ الروماني على هذا الإصدار.

---

(1) R. Dussaud.. Topographie historique de la Syrie antique et médiévale. Paris1927. pp 276-280

كما افتتح تراي ن وس دوراً رسمية جديدة لسك العملات الإمبراطورية في سيروس (تل النبي هوري) الذي يقع على بُعد 69 كم إلى الشمال من مدينة حلب. وبيرو يا (حلب)، وهيرابوليس (منبج)، وذلك لتنشيط الوضع الاقتصادي في المنطقة. حيث تميزت العملات البرونزية الصادرة عن سيروس بحملها على مركز الظهر واجهة معبد مقام على شرف الإله زيوس كاتايبوس، إله العواصف الذي رُمز له بالصاعقة. بينما حملت إصدارات بيروه (حلب) البرونزية على مركز الظهر نقش اسمها ضمن إكليل نباتي [1]. **(النقد 6)**.أما هيرابوليس (منبج)، فقد أصدرت عملات برونزية، تميزت بنقشها على مركز الظهر اسم دار الضرب ضمن إكليل نباتي، كما نقشت الربة أتارجاتيس (عشتار) ممتطية أسداً[2].

وقد أكدت الدراسات التاريخية، وكذلك دراسة المسكوكات السورية إلى إتباع الإمبراطور هادريانوس وأنطونينوس بيوس (التقي) السياسة النقدية التي أرسى دعائمها الإمبراطور تراجانوس، وأصدرا نقوداً برونزية مؤشرة بالحرفين (**SC**).

وتشير هذه الدراسات إلى قيام الإمبراطور هادريانوس، برحلات إلى الشرق بين سنتي 120/119م، وأيضاً بين سنتي 122 - 130م. حيث زار مدينة بالميرا (تدمر) ومنحها اسمه (بالميرا هادريانا)، كما منحها لقب المدينة الحرة، والمدينة العاصمة، كما أقرَّ نص التعرفة الجمركية في تدمر سنة 137م. ثم تابع سيره نحو دمشق التي أصدرت دار ضربها على شرفه مسكوكات برونزية، حملت على مركز الظهر نقش الربة تيكة دمشق، جالسة على كومة من الحجارة، وقد علا رأسها تاج يأخذ شكل سور المدينة المزدان بأبراج، وأمسكت بيدها اليسرى قرن الوفر والسعادة المغمور بالثمار، بينما نُقش تحت قدميها رجلٌ يسبح في إشارة إلى نهر الذهب بردى رمز الخير والبركة. كما زار بصرى، التي أصدرت مسكوكات فضية على شرفه[3].

---

(1) خالدكيوان ، مسكوكات السيروستيكا ، مجلة عاديات حلب ، الكتاب الرابع عشر ، حلب، 2010، قيد النشر
(2) Head,p788.

(3) Ibid. p.788.

وقد كانت ولادة دار الضرب بإيميسيا (حمص) في عهد الإمبراطور أنطونينوس بيوس ،حيث تميزت إصداراتها الأولى بأنها من معدن البرونز، كما تميزت بنقشها على مركز الظهر نسراً منتصباً، وقد أمسك بمخالبه الحجر النيزكي الأسود المرسل من عند الشمس، والذي يشير إلى عبادة الشمس في حمص، المتمثل ببناء معبد، ليكون مسكناً لهذا الحجر المقدس [1] ، كما أصدرت دار الضرب في لاوديكية (اللاذقية)، مسكوكات برونزية في عهد الإمبراطور أنطونينوس بيوس، حملت على مركز الظهر إكليلاً نباتياً، في وسطه كتابة يونانية تشير إلى اسمها (لاوديكيون) [2]. **(النقد 7)**

ومن الجدير ذكره أنّ الحفريات الأثرية في محافظة السويداء ساهمت بالكشف عن مجموعة نقود فضية من وحدة الدينار الصادرة عن دار الضرب في أنطاكية، والتي تشير إلى التداول النقدي في جنوبي سورية، وقد أمكن تأريخها إلى عهد الإمبراطور هادريان وس، وخليفته الإمبراطور أنطونينوس بيوس ، ومارك أوريليوس وزوجته فوستينا، وابنه كومودوس[3].**(النقد 8)**

ومن الأهمية الإشارة إلى قيام الإمبراطور مارك أوريليوس بافتتاح دار جديدة لإصدار العملات في مدينة درعا بين سنتي 161 - 180م، والتي تميزت مسكوكاتها الصادرة عن دار ضربها بعهد ابنه كومودوس، بحملها على مركز الظهر نقش محارب واقف، وقد أمسك بيده اليمنى رمحاً، بينما حمل بيده اليسرى رأس الإمبراطور، ونُقش حول المشهد المركزي كتابة يونانية تذكر اسم درعا. كما حملت مسكوكة أخرى على مركز الظهر مشهد الإمبراطور وزوجته في وضعية الاستراحة ممددين على الأرض، ونجد شبيهاً لهذا المشهد في المنحوتات التدمرية المجسدة بالأسرة الجنائزية التي تمثل رب العائلة وزوجته وأولاده.**(النقد 9)**

---

(1) Head,op.cit. p788.

(2)Ibid. 1911, 789.

(3) النقود محفوظة بمتحف السويداء وهي من وحدة الديناريوس الفضي والتيترادراخما الفضية.
وقد تم قراءتها من قبل الدكتور خالد كيوان مختص في العملات القديمة ، غير منشورة .

**في حين** شهدت سورية مرحلة ثانية من ازدهار عملية الإنتاج النقدي الذي كان في عهد الأسرة السيفيرية، لاسيّما في عهد القائد سبتيموس سيفيروس المولود في سنة146م بمدينة لبدة الليبية، والذي تزوج جوليا دومنا سورية الأصل، وابنة كاهن إله الشمس في حمص، وأنجب منها جيتا وكراكلا الذي سيخلف أباه في الحكم. وقد قدِم سبتيموس سيفيروس إلى سورية على رأس فرقة عسكرية **و**اتخذ من أنطاكية مقراً له[1].

أما إصدارات أنطاكية من النقود، فقد توقفت بسبب سحب الإمبراطور سبتيموس سيفيروس صلاحية إصدار المسكوكات منها، كما أنزل بها عقوبة، لموقفها أثناء حربه مع خصمه نيجر، ولم يكتف بذلك، بل عمل على منح مكانتها إلى مدينة اللاذقية، التي ستحظى بلقب ميتروبول أي العاصمة، ثم لقب " **كولونيا رومانوروم COLONIA ROMANOROM**" ، ثم لقب **جوس إيتاليكوم ( Jus Italicum)**، أي الحقوق ا لإيطالية المتمثلة بإعفائها من دفع الضرائب، وبهذه المناسبة أصدرت دار الضرب باللاذقية مسكوكات فضية على شرف الإمبراطور سبتيموس سيفيروس، تميزت بنقشها على مركز الظهر نسر اً منتصباً وقد أمسك بمنقاره هالة شعاعية، ونُقش بين مخالبه نجمة شعاعية تشير إلى منارة ميناء اللاذقية. كما أشار إلى أهمية مينائها ومنارتها أيضاً نقدٌ برونزيٌ محفوظ بالمكتبة الوطنية في فرنسا، حمل على مركز الوجه صورة رأسين متقابلين للإمبراطور سبتيموس سيفيروس وابنه كراكلا. بينما حمل مركز الظهر نقش سفينةٍ راسيةٍ أمام منارة اللاذقية. وقد ازدانت مقدمتها برأس إوزة تشير إلى السفن التجارية [2].

وتشير الإصدارات النقدية إلى اهتمام الأسرة السيفيرية بعمارة المعابد الدينية، ويؤكد على ذلك إصدار مدينة دمشق على شرف سبتيموس سيفيروس وزوجته جوليا دومنا، مسكوكات

---

[1] جان بابليون ،ص 80-60.

[2] D.Hollard,. Dominique, Hollard, Numismatique Grecque, Romaine, Dossiers Archéologie, 1999.pp 71-72.

برونزية حملت على مركز الظهر عدة مشاهد، كنقش واجهة معبد يتوسطه نقش جانبي لرأس الربة تيكة، وقد علاه التاج الذي يأخذ شكل سور المدينة. **(النقد 10)**

وقد شغلت الألعاب الرياضية دوراً في حياة السوريين، لا سيّما في عهد الأسرة السيفيرية، التي اهتمت بالألعاب الرياضية السنوية المقامة بدمشق، وقد تجلى هذا الاهتمام، حين أصدرت دمشق مسكوكات برونزية على شرف جوليا دومنا زوجة سبتيموس سيفيروس، حملت عبارة يونانية تشير إلى الألعاب الرياضية، وسط إكليل من أوراق الغار، الذي كان يقدم للفائزين بالألعاب. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الألعاب، كان قد اقترح إقامتها للمرة الأولى بدمشق الخطيب نيكولاس الدمشقي، مستشار الملك هيرود، وذلك على شرف الإمبراطور أغسطس[1].**(النقد 11)**

كما تابعت دار الضرب في بصرى إصدار المسكوكات من معدني البرونز والفضة، وقد تميزت إحدى القطع النقدية، بنقشها لرأس الإمبراطور سبتيموس سيفيروس إلى جانب نقش رأس زوجته جوليا دومنا، وقد ظهر سبتيموس سيفيروس برأسه الملتحي الذي اعتمر التاج الشعاعي، بينما حمل مركز الظهر نقش واجهة معبد أو محراب مرفوع على أربعة أعمدة، ونُقش في وسطه الربة الحامية للمدينة، واقفة، وقد علا رأسها تاجٌ مزدان بالأبراج، بينما حملت بيدها اليسرى قرن الوفر والسعادة، وأمسكت بيدها اليمنى رمحاً، وداست بقدمها اليسرى على شخص، ربما كان يحاول اختراق أسوار المدينة بالمعنى الرمزي.وأُحيط تمثالها بنقش عدة تماثيل نسائية تجسد وصيفاتها أو خادماتها[2].**(النقد 12)**

كما أصدرت مدينة حمص نقوداً برونزية على شرف سبتيموس سيفيروس وزوجته جوليا دومنا، تميزت بنقشها على مركز الظهر هيليوس الذي يعني إله الشمس[3].

---

(1)Head, p 787.

(2) سلهب وكيوان ، ص72..

(3) خالد كيوان ، هكذا كانت عبادة الحجر في حمص ، مجلة عاديات حلب ، الكتاب الثالث عشر ، حلب 2009، ص190-199.

وقد كانت ولادة دار الضرب في بالميرا (تدمر) بالعصر الإمبراطوري في عهد الأسرة السيفيرية، حيث أصدرت بالميرا عملات برونزية صغيرة، حملت رأس الإله ملكبل أو هيليوس (إله الشمس) تحيط به هالة شعاعية، كما حملت نقش يمثل الربة أتارجاتيس، وكذلك نقش أسد، وإله القمر عجليبول أوأثينا اللات[1].**(النقد 13)**

أما الإمبراطور كركلا فقد أجرى إصلاحاً نقدياً واسعاً سنة 215م، كما تميز عهده بإصدار كميات كبيرة من المسكوكات، التي تشير إلى التطور الكبير في المدن السورية على صعيد إصدار عملات فضية، وذلك بموجب سياسة الترقية والترفيع للمدن السورية التي اتبعها كركلا، حين منحها لقب كولونيا ( **Colonia**) ، كما أصدر مرسومه الشهير في سنة212م، والذي يقضي بموجبه منح حقوق المواطنة الإيطالية بين رعايا الإمبراطورية الرومانية.

وتشير دراسة المسكوكات السورية في عهد كركلا، إلى أن عدد دور الضرب المصدرة للنقود الفضية قد تجاوز 20 داراً[2]، واتفقت جميعها بحملها على مركز الظهر نقش النسر السوري، بينما اختلفت فيما بينها بالرمز الذي توضع بين مخالب النسر، والذي يشير إلى دار الضرب، كمدينة دمشق التي حظيت للمرة الأولى في العهد الإمبراطوري بإصدار عملات من وحدة التيترادراخما[3]، حيث وضعت بين مخالب النسر نقش رأس كبش، على أنه قربان منذور على شرف الإله جوبيتر، الذي ظهر بهيئة نسر باسط الجناح ين في إشارة إلى عظمة الإمبراطورية الرومانية واتساعها وهيمنتها.

---

(1)Head, p 787.

(2) K. Miclelamd. ATypecorpus of Thesyro- Phoenician Tetradrachmes, London p.144-146.

(3) عماركنادي ، تيترادراخما السورية من القرن الأول إلى الثالث الميلادي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، دمشق 2010، ص 50-60.

كما حملت نقود حمص نقشاً جانبياً لرأس الإمبراطور كركلا المكلل بتاج شعاعي، توضع بين مخالب النسر في إشارة إلى أن الإمبراطور يمثل الكاهن الأعلى لمعبد الشمس في حمص.بينما حملت مسكوكات اللاذقية الفضية نقش نجمة بين قدمي النسر، تشير إلى منارة ميناء اللاذقية[1]. **(النقد 14)**

أما فيما يخص مدينة أنطاكية، فقد عفا الإمبراطور سبتيموس سفيروس عنها بعد مضي عدة سنوات، وذلك أثناء زيارته للمدينة بين سنتي 202 و 204م، كما أعاد إليها لقب كولونيا.

كما منحها الحق بإصدار عملات فضية حملت على مركز الظهر نقش نسر منتصب، وقد أمسك بمخالبه فخذ حيوان قرباني. وتابعت بيرو يا (حلب) إصدار مسكوكات من الفضة في عهد كركلا، والتي تميزت بحملها بين مخالب النسر نقش طائر خرافي.

أما نقوش المسكوكات البرونزية الصادرة في عهد كر اكلا، فقد تميزت بحملها على مركز الظهر مواضيع متنوعة، كالمشاهد الدينية والعسكرية، والميثولوجية، كتقديم الربة تيكة ـ دمشق، جالسة على كومة من الحجارة. أو واجهة معبد دمشق، أو إكليل نباتي نُقش في وسطه عبارة تشير إلى الألعاب الرياضية بدمشق، أو نقش راية منتصبة فوق ذئبة تشير إلى الفرقة السادسة فيراتا المتمركزة بـالقرب من دمشق. وقد تابع خلفه ماكرينوس الذي حكم في العام 218م نفس السياسة المالية، وقد تمّ العثور على مسكوكة تنسب إلى عهده، صادرة عن دار الضرب بدمشق، وقد جسدت واجهة معبد مقام فوق نبع عين الفيجة، يخرج من تحت المعبد نهر بردى[2]. **(النقد 15)**

---

(1)A. Bellinger, The Syrian Tetradrachmes of Caracalla and Macrinus, Journal of the American Oriental Society..( New York 1940), P68.(JAOS)

(2)Ibid. p.69.

بينما اتسم عهد فاريوس آفيتوس باسيانوس الملقب باسم هليوجاباليوس الذي يعني إله الشمس والجبل، والذي حكم بين سنتي 218 - 222م[1]، بإصدار مسكوكات برونزية في ديون (تل الأشعري) الواقعة في محافظة درعا. حيث حملت نقوده الصادرة عن دار ضربه، نقش الإله حدد الآرامي، وقد وقف بين ثورين، ويشير هذا النقش إلى استمرار التقاليد الدينية الموروثة من الفترة الآرامية. كما حملت نقوده الصادرة في ديون نقش واجهة معبد على الطراز الكورنثي. بينما حملت النقود الصادرة عن دار الضرب في حمص بعهده نقش واجهة معبد يتوسطه الحجر النيزكي، الذي قال فيه المؤرخ هيروديان [2] في القرن الثالث الميلادي: " *إن الإمبراطور إيلاجبال قد بنى للحجر معبداً، وزينه بالأحجار الكريمة والذهب. وقد تمكن الإمبراطور إيلاجبال من نقل هذا الحجر إلى روما وسط حفل كبير، وأدخل عبادته إلى البانثيون أي مجمع الآلهة الروماني*".(**النقد 16**)

هذا وقد شهد عهد الإمبراطور ألكسندر سيفيروس الذي حكم بين سنتي 222 - 235م نوعاً من الاستقرار النقدي، ومن أعماله : قيامه بمنح بعض المدن السورية لقب كولونيا، هذا اللقب الذي يشير إلى المستعمرة الرومانية، والذي يعفيها من دفع الضرائب. وتكريماً له أصدرت مدينة بصرى التي منحها لقب مستعمرة ( **كولونيا بوسترا Colonia Bostra**) مسكوكات فضية على شرفه وشرف أمه جوليا ماميا، حيث حملت على مركز الظهر نقش اً جانبيٍاً لرأس الإله ذو الشرى النبطي. كما أصدرت دار الضرب في اللاذقية مسكوكات برونزية.

(1)ويل، ديورانت. *قصة الحضارة*، ترجمة محمد بدران، المجلد 10، جامعة الدول العربية.1955 ص 347.

(2) يشير هيرودان في كتابه تاريخ أباطرة الرومان إلى معبد الشمس بأنه شيد على شرف ايلاجبال المزين بالزخارف ، والمرصّع بالذهب والفضة والحجارة الكريمة ، وذلك لأهمية هذا المعبود الذي اكتسب احتراماً من قبل ملوك الفرس والبرابرة ، والسكان المحليين. أما تمثاله الشعائري لم يكن يشبه تماثيل الإغريق والرومان ، ولم يكن من صنع الإنسان ، ولم يكن يقصد به تمثيل الذات الإلهية . وهو عبارة عن قطعة كبيرة من الحجر ، مستديرة ومدببة من طرفها الأعلى على شكل مخروط ، لونها أسود ، ويتحدث سكان المدينة عنه كما لو أنه سقط من السماء . انظر:
M. Abdul Karim, recherché sur la cite' d' Emèse a l'epoque romaine, these de Doctorat de Versailles- saint- Quentin –en- Yvline, 1997.

ألكسندر سيفيروس وأمه جوليا ماميا، والتي حملت على مركز الظهر نقش اً جانبياً لرأس الربة تيكة، وقد علاه تاج يأخذ شكل سور المدينة، ونُقش أمام رأسها سنبلة قمح، وأُحيط المشهد المركزي بنقش كتابي يذكر اسم اللاذقية بينما شهد عصر الإمبراطور فيليب العربي وأسرته بين سنتي 244 ـ 249 ازدهاراً متقدماً على صعيد إصدار العملات الفضية والبرونزية في دار ضرب أنطاكية ودمشق، وكذلك على صعيد عمارة المدن، التي أكد عليها تأسيس مدينة شهبا، على اسمه فيليبوبوليس ، وجعل منها داراً لسك العملات الفضية والبرونزية. حيث تميزت نقود شهبا بحملها على مركز الوجه، نقشاً جانبياً لرأس مارينوس والد الإمبراطور فيليب العربي، وقد نُقش حوله عبارةٌ تذكر اسمه كإله، ويؤكد هذا النقش تقديس الإمبراطور فيليب العربي لوالده بعد موته، حين رفعه إلى مصاف الآلهة الرومانية. بينما حمل مركز الظهر نقش الربة روما، جالسة، وقد بسطت يدها اليمنى إلى الأمام ليقف فوقها نسرجاث ، وقد حمل على ظهره نقش تمثالين صغيرين يمثلا ن الإمبراطور فيليب الأب وابنه فيليب قيصر. **(النقد 17)**

لقد تميزت إصداراته النقدية بنقشها على مركز الظهر مشاهد متنوعة تشير إلى الترفيه عن الشعب بإقامة الألعاب الرياضية، كما في مدينة دمشق، والتي رُمز لها بنقش جرة، وقد خرج من فتحتها سعفة نخيل، تشير إلى الخلود والأبدية. كذلك حملت مسكوكات الإمبراطور فيليب العربي نقوشاً عسكرية تشهد على مدى اهتمامه بتنظيم الجيش، وذلك حين نُقشت راية الفرقة السادسة فيراتا على مسكوكة برونزية صادرة عن دار الضرب بدمشق[1].

كما تؤكد دراسة مسكوكات الإمبراطور فيليب العربي إلى اهتمامه ببناء المعابد، التي ارتفعت في كل مكان، وقد شهد على ذلك عدة أعمال عمرانية دينية كبنائه معبد دورا

---

(1) عبد المجيد حمدان، ص 78.

أوروبوس المؤرخ لسنة 246م، والذي أُعيد بناؤه في متحف دمشق الوطني. وكذلك بنائه معبد الضمير، ويؤرخ معبدها إلى سنة 245م. وقد ترجم اهتمامه بالمعابد بنقش واجهاتها على المسكوكات الصادرة عن دار الضرب بدمشق. كما جسدت النقود البرونزية الصادرة عن دار الضرب بدمشق على شرف زوجته مارثيا أوتاسيلا مشهد واجهة معبد مرفوع على أربعة أعمدة، وفي الأسفل نقش قوس يخرج منه نهر بردى.

وكذلك اهتم الإمبراطور فيليب العربي بالزراعة أيضاً، من خلال نقشه على المسكوكات رموزاً نباتية تشير إلى زراعة الكرمة والقمح، اللتين اشتهرت بزراعته ما مدينة دمشق، ويؤكد ذلك سترابون حين ذكر بأن خمر حلبون التابعة لدمشق كان يؤتى به إلى طاولة ملوك الفرس. أما هيرابوليس (منبج)، فقد أصدرت مسكوكات برونزية في عهد الإمبراطور فيليب العربي، حملت على مركز الظهر نقش الربة أتارجاتيس، ممتطية سبعاً متجهاً نحو اليمين. **(النقد 18)**

أما بالنسبة للمسكوكات الفضية الصادرة في عهد فيليب العربي، فقد حملت على مركز الظهر نقش نسراً منتصبلًه حمل تحت مخالبه اسم أنطاكية وحرفي ( **SC**). وتجدر الإشارة إلى اتباع الأباطرة تراجان دوقيوس وتريبينيوس غالوس وابنه فولسيان السياسة النقدية التي رسمها الإمبراطور فيليب، حيث تناغمت إصداراتهم مع النقود الفضية والبرونزية الصادرة بعهد الإمبراطور فيليب العربي.

وقد كان لعلم الطب مساحة على ظهر النقود الدمشقية الصادرة في عهد الإمبراطور فاليريان الذي حكم بين سنتي 253 - 258م. حين حملت نقوده الصادرة عن دار الضرب بدمشق، نقش عصا يلتف حولها ثعبان، ويشير هذا المشهد إلى إله الطب إسكولاب[1].

(1)De Saulcy,p.54.

كما يشير إلى افتتاح مشافٍ طبية في دمشق. وقد أصدر الإمبراطور غالي نوس وكلوديوس الثاني بين سنتي 258 - 268م مجموعة من النقود التي احتوت على نسبة قليلة من معدن الفضة لا تتجاوز الخمسة بالمائة، وقد عُرفت باسم دنانير التاج الشعاعي، وذلك نظراً لنقشها على مركز الوجه رأس الإمبراطور المكلل بتاج شعاعي، بينما حمل مركز الظهر مشهد إله الشمس الذي لا يُقهر، كما حملت نقش ربة النصر المجنحة فيكتوريا[2].

ومنذ سنة 260م بدأ نجم تدمر عروس البادية السورية، ومدينة القوافل التجارية، بالظهور والتحليق عالياً، وقد تأسس في المكان مملكة عظيمة عاصمتها تدمر، في عهد الملكة زنوبيا وابنها وهب اللات، وبدأت تصدر عملاتها في أنطاكية وحمص والإسكندرية المصرية. حيث حملت على وجه النقد نقشاً لرأس الإمبراطور الروماني أورليانوس المكلل بالتاج الشعاعي، بينما حمل الوجه المقابل نقشاً جانبياً لرأس الملك وهب اللاتوس، المكلل بإكليل من أوراق الغار. تحيط به عبارة تذكر ألقابه الملكية، كلقب دوق، وملك الملوك، وحاكم روماني. غير أن زنوبيا بعد سنة 270م منحت ابنها لقب أوغست، ومنحت لنفسها هذا اللقب أيضاً، متحديةً إمبراطور روما أورليان، ولم تكتف بذلك، بل خلعت عن وجه النقد نقش رأس الإمبراطور أورليانوس، وأعلنت استقلالها الذي دام عامين فقط، وعلى إثر ذلك الإعلان الصريح للاستقلال، قام الإمبراطور أورليانوس، بتقويض دعائم مملكة تدمر سنة 272م[1]. **(النقد 19)**

---

(1) خالد كيوان ، 2010 ، ص164-165.

**ثانياً- النظم المالية في سورية**

**1 -تمهيد**

عندما غدت سورية ولاية رومانية ، فرضت عليها الإدارة الرومانية أن تودي الضريبة المفروضة كأي ولاية من الولايات التابعة لها ، وقد هدفت الإدارة الرومانية من سياستها الضريبية هذه إلى زيادة مقدار الأموال في الخزينة العامة للإمبراطورية ، وإلى حد كبير كانت هذه الضرائب تفرض على ولايات في حين أنها تنفق على ولايات غير تلك التي كانت تجبى منها إلا أنه فيما بعد ارتأت الإدارة الرومانية أن تنفق جزء من هذه الضرائب لإنجاز المصالح الخاصة ضمن الولاية (القرية) التي تجبى .

كما سعت السلطة الرومانية بجهدها للقضاء على استقلالية المدن السورية والحد من سيادتها قدر الإمكان ، إلا أنها لم تستطع القضاء عليها تماماً ، وفي الوقت نفسه كان منح حقوق المواطنة الرومانية يعطي حق منح المستعمرة ، وبالتالي خطوة لاكتساب وضع الحليف دون أن يحدث هذا تغيرات جذرية في إدارة المدينة أو نظام Polis ، ولكن مما لا شك فيه أن الجماهير الأساسية في الولاية السورية كانت تؤدي أنواع الضرائب والأتاوات لصالح الخزانة الرومانية ، هذه الأتاوات التي انبثقت على الفرمان والتعويضات الحربية المتتالية ، أي من حيث ا لجوهر ليست سوى شكل من أشكال الاستغلال الذي يمارسه الرومان على الولايات التابعة لها .

## 2 ـ النظام المالي الروماني

كانت عملية إصدار النقود البرونزية في العصر الجمهوري تتم تحت إشراف مجلس الشيوخ المؤلف من ثلاثة أعضاء عرفوا بالرجال الثلاثة ، غير أن الإمبراطور أغسطس منذ توليه الحكم خصَ مجلس الشيوخ بالإشراف على سك النقود البرونزية ، وتولى هو الإشراف على إصدار النقود الذهبية والفضية ، وكانت الأموال تحفظ في خزينة الدولة في معبد ساتورنوس إله الزراعة [1]، وتأتي وارداتها من الضرائب المفروضة على الولايات الخاضعة للسناتوس الروماني ، وهناك خزينة أخرى تخضع لرقابة الإمبراطور وتعرف بالخزينة العسكرية ، والخزينة الثالثة هي خزينة الولايات الرومانية أو الإمبراطور ( Fiscun )[2].

هذا ويعدُ النظام المالي الروماني من أكثر النظم المالية القديمة نجاحاً وثباتاً في التاريخ ، بالرغم مما طرأ عليه من تغيرات ، وذلك لبقاء معيار واحد للنقد موثوق به طيلة قرنين من الزمن ، وبفضل هذا الثبات راجت التجارة واستثمار المال رواجاً لم يكن له نظير في أي عصر من العصور السابقة ، مما أسفر عنه انتشار الصيارفة في كل مكان يبدلون النقود ببعضها ، ويراجعون الحسابات المصرفية و الودائع ذات الفوائد ، ويصدرون التحاويل المالية للمسافرين ، وتوكل إليهم مهمة إدارة أملاك الأفراد وبيعها وشرائها ، واستثمار الأموال ، وأداء الديون ، وإقراض المالك للأفراد والشركات ، وكان مصدر هذا النظام المصرفي في بلاد اليونان وسورية ، وكان أكثره في أيدي التجار اليونانيين والسوريين حتى في روما نفسها وفي غربي أوربا ، وفي عصر الإمبراطور أغسطس انخفض سعر الفائدة إلى 4% وذلك نظراً لكثرة

---

(1) كانت الخزائن المالية ودور ضرب النقود في الفترة السلوقية تتواجد في المعابد .انظر : مفيد العابد ، دراسات في الآثار الكلاسيكية الجزء الأول ، ط1 ، دمشق 1970 م ، ص161.

(2) فيسكوس : هي السلة التي تحمل بها الأموال الأميرية من الولايات إلى روما .

انظر : محمد الزين ،1989، ص 44.

الغنائم التي جاء بها من مصر إثر انتصاره على كليوباترا ومارك أنطونينوس ، ولكنها عادت و ارتفعت إلى 6% بعد وفاته ، وبلغت أقصى ارتفاع لها 12% قبيل عهد قسطنطين . وفي سنة 33م ألّم ذعر مشهور بالمصارف ، لأن أغسطس أصدر عملات دون حساب ، وبسط كل البسط في الإنفاق ؛ على أساس أن كثرة تداول المال وانخفاض أسعار الفائدة وارتفاع الأثمان ستبعث النشاط في الأعمال المالية والتجارية ، وقد نجحت هذه السياسة في البداية ، غير أنها اصطدمت فيما بعد بانخفاض الأثمان ، وارتفاع الفائدة ، وعجز المدينون عن وفاء ديونهم ، فباعوا أملاكهم ، وحاول مجلس الشيوخ أن ينقذ الأمر بمنع تصدير رؤوس الأموال ، فطلب أن يستثمر قدر كبير من تركة كل عضو من أعضائه في الأراضي الرومانية ، ولم تحلّ هذه الأزمة ، واستمرت حتى عهد الإمبراطور تيبروس الذي أوقف قانون استثمار الأراضي في روما ، ووزع 100.000.000 سستار برونزي على المصارف التي أعلنت إفلاسها ، وذلك لأجل أن تقرضها بلا فوائد لمدة ثلاث سنوات ، بضمان الأملاك العقارية ، فاضطر المرابون أصحاب المال إلى إخراج أموالهم المخبأة ، وتخفيض سعر الفائدة ، مما أسفر عنه عودة الثقة إلى الأسواق المالية والتجارية[2] .

وأدى تخفيض نسبة الفضة في النقود إلى ارتفاع أثمان السلع ، وزيادة الدخل ، ولعل هذا التضخم غير الطليق الخاضع لإشراف الحكومة ، لم يكن إلا وسيلة سهلة لتخفيف العبء عن المدينيين والدائنين ، لأن هؤلاء لو تركوا وشأنهم وأتيحت لهم الفرص لاستطاعوا السيطرة على ثروات ومقدرات الدولة وتركيزها في أيدي قليلة إلى حدّ يقف معه دولاب الاقتصاد وينذر بالثورة السياسية.

---

(1) ويل ديورانت ، ص 235-238.

## 3- النظم المالية في سورية

على الرغم من اعتراف معظم المؤرخين المعاصرين بتعذر تبيان النظم المالية في ولاية سورية الرومانية ، وما قيل عن اتساع رقعة الإمبراطورية الرومانية ، وكثرة أوجه النشاط العسكري أدى إلى عدم توفر الظروف الملائمة لحكام الولاية في الحصول على فرص كافية للعناية بالنواحي التنظيمية ، والسعي لتطوير الأسس المالية القديمة ،وكانت الإدارة المالية في ولاية سورية الرومانية تختص بالإشراف على حسابات الداخل والخارج من أموال الولاية والتي يؤول معظمها إلى خزانة الإمبراطورية، ويذكر أن الخزانة المالية المحلية في سورية معظمها عبارة عن خزائن موجودة في القلاع الحصينة .

وكان مدير المالية يتربع على قمة الإدارة المالية وله نائب ينوب عنه في هذه الإدارة، وإلى جانب هذا النائب عملت مجموعة من المساعدين حملوا لقب (Pubelicanus) كملتزمين للضرائب ، وتشير الوثائق إلى موظف مالي يحمل لقب (Agoranomos)، وتعني المشرف على معاملات البيع والشراء في الأسواق ، وهو استمرار لما كان موجوداً في العصر السلوقي مع بعض التعديلات ، وهناك موظف أخر يدعى الهوبارخوس وهو المسؤول عن أصغر وحدة إدارية في ولايات الإمبراطورية مهمته تنحصر في تسليم الأراضي المباعة إلى الشاري الجديد وذلك بعد التأكد من ضمان سلامة بيعها وأنها غير مرهونة لشخص آخر.

وتنقسم الإدارة المالية في الإمبراطورية الرومانية مثلها في ذلك مثل أية إمبراطورية من إمبراطوريات العالم القديم إلى قسمين :

أولها: الموارد النظامية ثانيها: الموارد غير النظامية.

## 4- موارد الإدارة النظامية.

### أـ الموارد النظامية

### 1ً- ضريبة الرأس Tributum capitis

تأتي في مقدمة أهم الرسوم المالية التي تعتمد عليها ميزانية الإمبراطورية الرومانية إذ تعتبر المساهمة الأولى التي كان على السكان تقديمها إلى الإمبراطورية، ويعود فرض هذه الضريبة إلى الفترتين الفارسية والهلينستية ، واستمرت حتى الفترة الرومانية مع بعض التغيرات .

ومن أجل جباية هذه الضريبة بشكل منظم ودوري اتبعت السلطات الرومانية عملية الإحصاء السكاني والتي ربما اتبعتها في كافة الولايات التابعة لها ، ويجرى هذا الإحصاء كل أربع عشرة سنة، وكانت أولى خطواته هي تقديم الأفراد لإقرارات يقدمها المالك أو المستأجرين عن كل منزل ويرد في هذا الإقرار أسماء وأعمار من يقيمون معه في المنزل ودرجة القرابة أوصفة قرابتهم له، وعلى ضوء هذه الإقرارات المسجلة كانت تعد قوائم دافعي الضرائب على مستوى القرية أو المدينة،

وكانت هذه الإقرارات تراجع سنوياً على سجل قيد المواليد والوفيات فعندما قام الإمبراطور تراجان بضم مملكة الأنباط سنة 106م وتابع من بعده الإمبراطور هادريان بأن أمر الموظفين الماليين بإجراء تعداد سكاني على هذه المنطقة ولا سيما أن معظمهم من البدو الرحل وذلك سنة 127م، وفي عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس أنشأت مصلحة الأحوال الشخصية التي يذكر فيها التصريح والمواليد [1].

ويشير أولبيان[2] في كتابه إلى التعداد السكاني " الإحصاء السكاني " والتي تقوم على أساسه تحديد الضريبة المفروضة على الشخص طبقاً للسن.

---

(1) محمد السيد محمد عبد الغني ، تاريخ مصر تحت حكم الرومان ، الإسكندرية 2006م، ص227.

(2) أولبيان ، هو Domitius Alpianus شغل عدداً من الوظائف المهمة ونشرت أبحاث القانونية بين سنتي 211-217 وأبحاث أخرى مختلفة في القانون Leges وتتعلق بالمسائل القانونية واختصاصات الحاكم كنائب قنصل.

εκάτοση τοη τίμηάτος εκάστώ وتعني تقدير الضريبة على كل فرد

“Aetatem in Censedo Significare Necesse est, quia Quidusdam aetas tribuit ne tribute onerentur: veluti syriis a quattuordecim annis masculi, aduodecim femanae usque ad saxagensimum annum tribute capitis obligantur”[1]

وتعني كل من بلغ من الرجال سن الرابعة عشرة من عمره حتى سن الخامسة والستين[2] وكل من بلغ من النساء من سن اثنان وعشرون حتى سن الخامسة والستون التزمت بدفع ضريبة capitis .

أما عن الغرض أو الهدف من ضريبة الرأس فيرى كثير من العلماء أنها كانت تفرض على الشعوب المهزومة كرمز لخضوعها لغزاتها، وعلى ذلك فقد كان السوريون خاضعين لها في حين أُعفي منها الرومان .

ولكن كانت هناك آراء أخرى لا تعتبر ضريبة الرأس رمزاً للخضوع ، وإنما تنظر إليها باعتبارها (مبلغاً يدفع بدلاً من أداء الخدمة العسكرية)، أو أنها أحد الملامح الطبيعية للنظام المالي في سورية في العصر الروماني أخذه أغسطس عن السلوقيين[3].

2ً- ضريبة الأرض Tributum Soli

يعود فرض هذه الضريبة أيضاً إلى الفترة الهلنيستية، والتي كانت تفرض على أساس أن الجزية المفروضة على المدينة أو القبيلة كانت تتوزع على البلديات أو التقسيمات الرئيسية في تقسيمات الكتلة الكبرى بحسب الحصة المتفق عليها ، ولم يطرأ عليها تغير لمدة طويلة من السنين، سواء كانت الأرض رخية أم عجافاً إلا أن هذه القاعدة كانت

---

(1)Ulpian ,Degesta , 50,15.3 .G.M. Harper, Village Adminstration in the Roman Province of Syria , YCS, VOL I, 1928.P156.

(2) Heichelhehm.p.158.

(3) محمد السيد محمد عبد الغني ، ص231 .

مجحفة بحق كثير من المواطنين في بعض السنين ، لذلك دعت الرومان بعد ذلك بعشرات السنين إلى استبدال قيمة هذه الضريبة بضريبة العشر بالنسبة للأراضي الزراعية ولم تكن أي مدينة تعفى منها إلا بامتياز خاص كان يمنح من الإمبراطور[1]

وكانت هذه الضريبة تقدر حسب ما أشار أبيان بـ 1% من الممتلكات العامة ولكن ما لبثت أن أصبحت بحسب المحصول وبمقدار ربع الحصاد الذي تنتجه الأرض كل سنتين [2]، ويقدر بالمودوس [3] مع الأخذ بعين الاعتبار تحديد مساحة الأرض والدخل الذي تحصده ؛ فيذكر أولبيان [4]:( أنه يتوجب تحديد قطعة الأرض ، ومالكها ، واسم المدينة التي تقع ضمن حدودها ، وإلى أي عشيرة تعود ، كما يتوجب ذكر جارين من جيرانهابالإضافة إلى ذلك كان يجب تحديد مقاييسها وعائداتها ، ومساحة الأرض المحروثة ، كمية المحصول المتوقع جمعها خلال السنوات العشر القادمة ، وعدد دوالي العنب في الكرم، مساحة كرم الزيتون، وعدد شجيراته ).

وقد اعتبر رجال القانون الروماني تأدية الضرائب الص فةالمميزة للمواطن الذي يتمتع بكامل الحقوق المدنية ، لذلك عليه الخضوع لأعضاء مجلس المدينة التي يقيم فيها، وغدت شيئاً فشيئاً مسؤولية جباية الضرائب تقع على عاتق أبناء المنطقة الأثرياء الذين كانوا أعضاء في مجلس الشيوخ المحلي ، وعرفوا بـ (Decuriones)، وما لبثت أن غدت هذه الأعباء مصدر قلق وعبء عليهم[5].

---

(1) مفيد العابد، ص219-231.

(2)Appian, Syr , VII, 50.

نقلاً عن شيفمان، ص 213-214.

(3) هو مكيال لوزن الغلال يعادل نصف ليتر تقريباً.

(4) Ulpian ,Degesta , 50,15.4.214. نقلاً عن شيفمان ، ص .

Heichelheim,op . cit. p. 233.

Degesta هي موسوعة صدرت في سنة 533م وسميت كذلك لأنها تضم حوالي تسعة آلاف نصاً قانونياً وتحوي عرضاً لشروح الفقهاء، فهي موجز لكل الفقه الروماني .

(5) شيفمان ، ص 217.

وكانت الضرائب المفروضة على تلك الأراضي تدفع عيناً ،فيما عدا مزارع العنب وأراضي البساتين التي كانت تجبى نقداً [1]. ولكن مع تزايد حجم الضرائب ونقص الحجم النقدي .. أدى إلى انتشار الضرائب العينية، وبالتالي انهيار الضرائب النقدية في منتصف القرن الثالث الميلادي واستبداله بنظام الضرائب العينية الذي ارتبط بشكل كبير بالانكماش التجاري[2]الذي حدث في تلك الفترة وأبرز مثال على ذلك [3]الضرائب التي تحصل بشكل عيني على منتج القمح، وهذه الضرائب العينية لا تحفز على الربح ؛ لأنها تسير باتجاه واحد من دافع الضرائب إلى استهلاك هذه الضرائب[4].

وقد دفعت كثرة هذه الضرائب الفلاحين إلى الهروب والانخراط في صفوف الجيش لكي يضمنوا رواتبهم كجنود ، وبالتالي تمكنهم من الحصول على الاحتياجات اليومية من طعام وشراب وملبس حتى لو اضطروا لدفع النقود من أجل ذلك [5].

وإن الأسباب الكامنة وراء ذلك تعود إلى استغلال الوسطاء الأثرياء الذين تعتمد عليهم الحكومة في أي محاولة لزيادة الضرائب ، وهذا ما توضحه الفروق بين ما يدفعه الفلاحون من ضرائب وما يدفعه ملاك الأراضي، وفيما يحصله جباة الضرائب وما يتم نقله للخزانة العامة ، رغم سعي الإدارة الرومانية محاولة ضبط عملية تحصيل الضرائب .

---

(1) C.H.Howgego,The Supply and Use of Money in The Roman World, 200 B.C to 300A.D, J.R.S Vol LXXXII1992, p.23.

(2) كرزيزانوفسكا، نقود تدمر، دراسة تسلسلها الزمني ودورها في التداول النقدي، ط1، دمشق 1999.ص4.

(3) H. Keith. Tax and Trade in The Roman Empire , J.R.S. Vol LXX, 1980.p.120.

(4)Ibid. p.103.

(5)Heichelheim, p. 230-231..

وقد نجح أباطرة القرن الثاني في قمع بعض أساليب التعسف في الإدارة الإقليمية دون أن يتخلصوا منها تماماً ، ذلك أن السلطة السياسية كان مركزها في أيدي المستفيدين من سوء توزيع العبء الضريبي، وبهدف التقليل من حدة الأزمة المالية لجأ الأباطرة ، ولا سيما خلال فترة الأزمات والتعرض للهجمات الخارجية إلى إنفاق الاحتياطات المخزنة، ومصادرة ضيع الأثرياء، وزيادة حجم الضرائب ، وتخفيض قيمة العملة الفضية، والتي كانت تتم بشكل متكرر ، وخاصة ضرورة سد احتياجات الجيش ، وهذا ما تؤكده نسبة الانخفاض الحاد من 40% سنة 250 إلى 4% التي تم إحصاؤها في سنة 270م ، مما نتج عنه ازدياد كبير في حجم العملات، بالإضافة إلى انخفاض مرتبات الجنود، فاضطر مسؤولو الحكومة الجنود أن يحملوا على عاتقهم تأمين مواردهم بشكل عيني، وانعكس كل هذا على انهيار السيطرة المركزية على الضرائب.[1]

وهنالك إشارات عن الضرائب المفروضة على الأراضي ومزارع العنب التي تعود إلى النصف الأول من القرن الثاني الميلادي والتي بلغت مساحتها ( Shakels15) بمقدار 30ديناراً ويعتبر هذا مبلغاً كبيراً إذ أنه يضاف إليه النسبة المئوية من الحصاد الذي كان لزاماً أن يسُلم إلى مخازن قمح الإمبراطورية كل سنة .

وخلال القرن الثاني والثالث الميلاديين كان أعضاء مجلس الشيوخ ( πούλεϋται)،في القرية ( حيث كان لكل قرية رئيس يدعى Komarchos المسؤول عن الأمور المالية المتعلقة بهذه القرية) [2] أو المدينة يشرفون على στατήγίαι الذين يجبون الضرائب عن سنابل القمح بهدف سد الحاجيات المعيشية العسكرية .

---

(1)Hopkins, P.122-123.

(2)Heichelheim, p. 235.

لذلك أجبر المزارعون على بيع الإنتاج والبيع السريع لتسديد الضرائب المفروضة عليهم وهذا ما أدى إلى الاضطرابات إذ كان عليهم بيع الفائض، والذي في الغالب لا يبيعونه إنما يستخدمونه لاستهلاكهم الشخصي(1).

ويبقى المردود من هذا الإنتاج أقل ربحاً من أولئك الحرفيين الذين يصنعون من هذه المنتجات سلعاً ذات قيمة عالية، مثل: النسيج ، الجلود ... ويرسلونها إلى روما .

إن كثرة الحروب التي خاضتها الإمبراطورية الرومانية وخاصة في عهد الأسرة السيفيرية أدت إلى استنزاف خزانة الإمبراطورية ، هذا بالإضافة إلى الهبات التي كانت تمنح لعناصر الجيش وخاصة في عهد الإمبراطور كاراكلا (2) ، وعلى ذلك تكثر الإشارات حول مدى تدهور النقد الاقتصادي آنذاك حيث تضاءل وزن الآوروس والدانق الفضي بنسبة كبيرة عن السابق، وهذا ناتج عن تضخم ثروة كاراكلا ما يقارب 60 مليون دراخمة في العام(3)، مما ألزم كاراكلا إلى رفع نسبة الضرائب لتعويض خسائر الخزانة ، ولأن كاراكلا كان يسير على خط ا والده في حماية الطبقات الدنيا ، وكرهه للطبقات الأرستقراطية التي لم يمنحها أي امتيازات ، بل لم يرفع الضريبة المفروضة على الأرض أو ضريبة الرأس التي يجب أن تدفع من قبل الطبقات الدنيا ، إنما عمد إلى رفع ضريبة التاج التي يتحملها أغنى الطبقات ، ولربما أن هذه الروح المعادية للطبقات العليا هي التي أملت عليه دستوره الشهير الذي أصدره 212م .(4)

(1)Hopkins. P.101.

(2) وإذا كان دوميتان قد رفع رواتب الجند من 225 دينار في عهد أغسطس إلى 300 دينار فإن هذه الزيادة استمرت حتى أوصلها كاراكلا إلى 500 دينار .انظر:

تشارلزورث ، ص 94-95..

(3) المرجع نفسه ، ص 201-203.

(4)A. Birley. Septimius Severus the African Empeor , New Haven 1988. P. 273.

ويشير ديو كاسيوس [1] لهذا صراحة على أن كاراكلا في فرمانه (مرسومه) الذي أصدره القاضي بمنح المواطنة لكل رعايا الإمبراطورية ؛ بأن الدافع من وراء ذلك هو رغبة كاراكلا في زيادة الأرباح الواردة من فرض الضرائب التي تجبى من المواطنين الرومان فقط،ولذلك وقبل أن يصدر قراره هذا ضاعف هذه الضرائب ، ولذلك اندرج هذا الفرمان ضمن قائمة الأعمال المالية والتي أوردها ديو، وقد تضاربت الآراء حول هدف كاراكلا من إصدار هذا القرار [2]، ومدى الاستفادة العائد ة من وراءه مع عدم استطاعة البعض كسب هذه المواطنة، ولعل الأهداف التي كان يطمح لتحقيقها ليست ذات مغزى معروف،سوى أن الفرمان وعلى المدى الطويل كان ت له قيمة معنوية كبيرة للمواطنين في روما وخارجها، فهي حتى تلك اللحظة تمثل الوطن الأم [3] .

### ب - الموارد غير النظامية

#### 1ً- ضريبة انتقال الملكية

كانت هذه الضريبة عامة تجبى على كل معاملات البيع والشراء وشكلت هذه الضريبة جزءاً هاماً من الضرائب التي كانت تجبيها الإدارة الرومانية عند انتقال الملكية .

---

(1)DioCassius, 77.13.1-2.

(2) يقر كاسيوس أنه عملياً لم يصف كاراكلا بفرمانه هذا كثير التأثير اللهم إلا في جبايته الضرائب للاستفادة من أرباحها ، لأن هؤلاء الذين يملكون المال حتماً سيمنحون المواطنة ، ثم إن المزايا القانونية التي ينتفع بها المواطن الروماني في ذلك الوقت لم تكن تنفذ بشكل عملي فعال، ولا يستبعد فكرة إصداره المرسوم من أفكار المحامين النابغين في ذلك العصر . Dio Cassius,78.4.1

(3)Birley, p. 273.

ولكن من خلال الوثائق التي عثر عليها في بعض المدن يلاحظ رغم تأكيد نظم الإدارة المالية ضرورة قيام الأفراد بتسجيل المعاملات التجارية الشخصية ، إلا أن إحجام الأفراد عن تسجيل تلك البيوع للتخلص من الرسوم التي تفرض عند التسجيل؛ حيث كانوا يفضلون أن تقام هذه العقود سراً ، إذ إن الضرائب التي فرضت على معاملات التسجيل على قلتها شكلت مصدراً لا بأس به من الإيرادات العامة لخزينة الإمبراطورية .

وكان العبيد يعتبرون نوعاً من الممتلكات التي تجبى عليها الضرائب كما هو الحال في الضريبة الجمركية المفروضة على ملاك العبيد في أفامية [1] وسلوقية بيريه ودوراأوربوس وتدمر، وقد قطع الإمبراطور هادريان شوطاً هاماً في سن القوانين تقضي بتوقيع عقوبة الإعدام على أي سيد يقتل عبده لهواً ومجازاً [2].

ومن خلال نصوص التعرفة الجمركية التدمرية تم الإشارة في النص التدمري و إلى ان الجابي يأخذ عن العبيد الذي ن يتم استيرادهم إلى تدمر أو أقاليمها عن كل عبد 22 ديناراً [3]، وعن العبد (Veteran) القديم المباع بعشرة دنانير، وإذا صدّر المشتري العبد يدفع عن كل عبد اثن ي عشر ديناراً ، ويشير Mathews في ترجمته إلى أن العبد يباع داخل المدينة ولا يصدر للخارج باثنتي عشر ديناراً ، والنقش يذكر العبد بالتذكير ولكن يفهم منه بشكل عام كلا الجنسين دون تمييز [4].

(1)Heichelheim, p. 238.

(2) تشارلزوف ، ص88.

(3) وحدة العملة في العهد الروماني وهي تعادل 16 as

(4) عدنان البني ، 241-242.

2 ً- الضريبة العسكرية

وتدعى ( Annona militaris) وهي ضريبة عينية فرضها الرومان عندما لاحظوا الانخفاض المستمر في حصيلة الضريبة التي فرضوها لتوفير الغذاء والكساء للجنود في الجيش،وتمتاز بأنها مطاطة أي غير ثابتة وقد اعترف بها فيما بعد الإمبراطور دقلديانوس ، واتخذها كأساس لنظامه الضريبي الجديد وعرفت تحت اسم (Iogatio)، وكان لزاماً على الهيئات التلمودية أن تسلم هذه الضريبة (الخبز - ذرة - ماشية ) إلى الموظفين الرومان[1].

وكانت الإدارة الرومانية تتطلع إلى ضرورة إقامة المنشآت العامة : المباني ، الطرق، القنوات ، وكذلك الثكنات العسكرية ، والمنازل الخاصة بالمسرّحين شاملة لكل التحصينات الضرورية ،وعلى الرغم من المساعدات أو ما يعرف بالخدمات الإلزامية (Leitourgiai)، إلا أن هذه الأبنية قد كلفت الدولة نفقات كبيرة ، وخاصة في القرن الثاني الميلادي الذي ازداد فيه بناء المنشآت العسكرية والطرق والموانئ [2].

3 ً- الضرائب الجمركية

وجدت بشكل طبيعي جمارك على حدود الإمبراطورية ، وخضعت الصادرات والواردات عند الدخول والخروج أو ضمن مدن القوافل السورية ( دورا – تدمر – أفاميا أنطاكية ) للضريبة الجمركية [3]؛ حيث كان لدى متعهد كل نقطة جمركية لآئحة تحدد البضائع والرسوم الجمركية ، وأنه يتوجب على كل من يعبر الحدود أن يقدم استمارة خاصة بالمواد التي يحملها.

---

( 1)Heichelheim, p. 242.

(2) تشارلزوف ، ص90-91.

(3)Pliny, N.H, XII , 32,p.63-65.

وقد استمر رسم الفرات المعروف في العصر الهلنيستي يطبق في العصر الروماني على السفر والبضائع التي تنقل بواسطة نهر الفرات [1].

وبما أن هذه الرسوم غير مذكورة في لائحة التعرفة التدمرية، فيعتقد أنها لم تكن تجبى لصالح المدينة إنما لصالح خزينة الإمبراطورية، وعلى ما يبدو أن المصدر الوحيد لجباية الرسوم والضرائب لصالح خزينة المدينة هي التجارة الداخلية .

وكان متعهد جباية الرسوم يطلق عليه في تدمر وسلوقية بيريه اسم (Tetarones)،وتعني متعهد جباية الرسوم التي تشكل ربع قيمة البضاعة .

وتعطينا لائحة التعرفة الجمركية التدمرية تصوراً عن نظام فرض هذه الضرائب وطريقة جمعها، وقد كان الأرخونت Archonte) والديكابروتيين (Decaprotoia) في تدمر هم الذين حددوا حجم الضرائب بالتعاون مع السينديكوس (Syndikos) الذين عهد إليهم الإشراف على دقة جباية الضرائب . ولقد اتخذت هذه الإجراءات من قبل الموظفين المحليين تنفيذاً لقرار المجلس الذي لاحظ زيادة عدد الدعاوى القانونية بين دافعي الضرائب ومتعهديها؛ نتيجة لعدم تحديد حجم هذه الضرائب في الاتفاق الموقع بين الدولة والمتعهد ، لذلك أصبح الموظفون الحكوميون يوقعون اتفاقات مع المتعهدين تنظم وتضبط عملهم[2].

وكان يشار في هذه الاتفاقات إلى الحد الأقصى لحجم الضرائب الواجب جمعها ، وما يستحق الانتباه أن لائحة التعرفة الجمركية التي وضعت أصلاً على أساس هذه الاتفاقات سوف تصبح في المستقبل النموذج المرشد في هذا الشأن .وقد أخضعت اللائحة كل أنواع البضائع للضرائب – ابتداءً من أنواع العبيد وحتى الزيوت والصوف والعطور واستخراج الملح والحرف ، أي كل ما يحقق دخلاً ( باستثناء العمل الزراعي).

---

(1) مفيد العابد ، ص 228.
(2) شيفمان ، ص217-218 .

وحددت لائحة التعرفة التي صدرت حجم الضرائب المترتبة على الاستيراد و التصدير نقداً ، وتم الاعتمادعند تحديدها على وحدتين قياسيتين حمولة جمل واحد وحمولة حمار واحد . وفي حال نشوب خلاف بين المتعهد ودافع الضريبة يحال الأمر إلى المحكمة ، هذا وقد أعطي المتعهد حق أخذ رهن ممن لم يدفعوا المترتب عليهم من ضرائب ففي حال عدم قدرتهم على التسديد تباع الرهينة بعد ثلاث أيام ، وهذه الطريقة في جمع الضرائب ( البيع للمتعهدين ) كانت موجودة في تدمر منذ القرن الأول ، فقد عثر في تدمر على شاهدة قبر لأحد متعهدي الضرائب والذي يدعى سبيندي خريسانف وهي مؤرخة سنة 58م [1] .

وهناك نقش يعود لمنطقة السويداء جنوب سورية حيث حوى مقطعاً من هذه التعرفة الجمركية المحلية ( يأخذ المتعهد أوبولاً واحداً من الفضة عن كل مئة دينار يجبيها)[2].

وقد ظلت بعض هذه الضرائب مثار النزاعات التي تحدث بين التجار وجباة الضرائب لأسباب عديدة ؛ منها سوء معاملة الجابي للتاجر ، وكون العديد من الضرائب غير موضوعة بقوائم التنظيمات الضريبية ولكنها موجودة كعرف سائد، ولكن هذا يؤدي إلى حدوث خلافات مابين الطرفين، وهذا ما ألزم الإدارة الرومانية والمجلس البلدي منذ عهد تراجان بوضع قائمة جديدة تشير فيها إلى الضرائب على جميع السلع الجديدة ،ومراقبة هؤلاء الجباة لتجنب زيادة قيمة الضريبة المنصوص عليها ، وبالمقابل من يحاول الغش في دفع الضرائب تفرض عليه عقوبات صارمة قد تصل إلى الموت، ومع ذلك فإن كثيراً من الأفراد تمكنوا من التملص من دفع هذه الضرائب[3].

---

(1) المرجع المتقدم ، ص218 . رقم النقش(CIS, II, 4235)

(2) المرجع نفسه ، ص 218. رقم نقش .(IGRR, III, 1283)

(3) إحسان عباس ، ص78.

## 4ً - ضريبة التاج Aurom coronarium

كانت هذه الضريبة في الأصل اختيارية يدفعها المواطنون عند تولي الأباطرة الحكم، وعند إقامة مواكب النصر الإمبراطورية، وأثناء الاحتفال بالأعياد التذكارية، وقد أعفى بعض الأباطرة سكان الولايات من هذه الضريبة ، ولكن ما إن قارب القرن الأول الميلادي على الانتهاء حتى تحولت هذه الضريبة من ضريبة اختيارية إلى ضريبة إجبارية سنوية تحصل لصالح التاج الإمبراطوري[1].

5ً- الضرائب البلدية

المعلومات المتوفرة عن هذه الضريبة قليلة قياساً على الضرائب الأخرى، باستثناء ما تخبرنا به المراجع عن دخل تدمر من خلال التعرفة الجمركية للقوافل التجارية ، ولكن لا تستطيع جميع المدن الاعتماد كلياً على الرسوم والضرائب المشابهة من أجل دخلهم الرئيسي كما فعلت تدمر "حيث هناك النفقات التي تدفع من أجل إقامة المباني العامة والمهرجانات ، علاوة على ضريبة المدفوعات للإدارة الرومانية ".
وتشكل الضريبة المفروضة على المهاجرين الذين يستقرون في المدينة لأكثر من سنة قاعدة النظام الضريبي في المدينة في حال شراء مكان للإقامة لهم [2] .
وكانت من أهم الحسابات البلدية التعرفة الجمركية الخاصة بالاقتصاد البلدي التدمري[3].

---

( 1)Heichelheim,p341.

( 2)Ibid, p249.S.E.G.VII,71.

(3) سوف اذكر بنودهذه التعرفة الجمركية في الملحق رقم (3)

## 5- الامتيازات الضريبية للمدن السورية

من خلال النقش [1] الذي يتحدث عن التعرفة الجمركية التدمرية نجد أن روما تمكنت من أن تفرض سيادتها على تدمر ، بأن احتفظت لنفسها بإصدار القرارات الهامة حيث يرد متابعة الاعتماد على القانون فيما يتعلق بتحديد حجم وطابع الضرائب ، بمعنى آخر كان على تدمر أن تتخذ السياسة الضريبية الرومانية مقياساً لوضع سياستها ، لذا ما يطبق على تدمر الواقعة تحت السيطرة الرومانية حتى ولو كانت بصورة شكلية قد يمكن اتخاذه مقياساً لتكوين الشخصية السياسية للمدن السورية ، ولا سيما التي لم تحصل على الإعفاء الضريبي ، ومثال على ذلك أن مدينة بصرى صحيح أنها تتمتع بحقوق المستعمرة الرومانية في عهد الإمبراطور الإسكندر سيفيروس وبلغت ذروة نشاطها وازدهارها خلال القرن الثالث الميلادي؛ إلا أنها لم تمنح امتياز الإعفاء من الضرائب[2].

ويتبين من أحد النقوش[3] الذي يعود إلى سوادا الصغيرة قرب بصرى والذي يشمل مقطعاً من التعرفة الجمركية المفروضة أن الضرائب كانت تجبى من كل مراكز التجمع السكاني الواقعة ضمن المراكز التجارية، وهذا ما أدى إلى ارتفاع أسعار السلع[4].

ومن جهة أخرى نجد أن بعض المدن حصلت على امتيازات ضريبية من قبل الإمبراطورية ، بحيث إنها تقتصر على استغلال أموالها لصالح تحسين أوضاع مدينتها ، وهذا ما حصل بشكل صريح مع مدينة تدمر التي تمتعت بحقوق المستعمرة وامتيازات

(1) CIS.II, 3959.

(1) دورس ميلر ، ص137.

(3)IGRR.II.1283.

(4)شيفمان ، ص 217.

الإعفاء من الضرائب تقديراً للخدمات الجليلة التي قدمت لها دفعاً كبيراً للاقتصاد التدمري ، فقد تمكنت تدمر آنذاك أن تستمر في مواكبة ازدهارها التجاري وتحتل قدراً كبيراً من الأهمية كنقطة تجمع تجاري رئيسي للقوافل التجارية [1].

وهنا يمكننا أن نطرح تساؤلاً : هل يمكن لهذا القرار الذي منحه كل من سبتيميوس و كاركلا لمدينة تدمر سنة 200م أن يكون له انعكاس على الاقتصاد الإمبراطوري ؟ من المفترض أن تكون الإمبراطورية الرومانية بأمس الحاجة إلى تزويد الخزينة العامة بالأموال لسد الاحتياجات التي تصرف على الجيش والإمبراطورية عامة ، سواء في حربها مع البارثيين أم في صد هجمات القبائل البربرية على حدودها الغربية ، أم أن الخزانة العامة ضمن إصلاحات سبتيميوس سيفيروس الجديدة كانت إلى حد ما في حالة توازن، مما دفعه إلى منح الكثير من المدن السورية بشكل خاص بعض الامتيازات ، والتي كان أبرزها الإعفاء من الضرائب ؛ أي مساواتها مع مدينة روما نفسها ، و لعله يمكن الاستنتاج أن هذه السياسة لم تظهر نتائجها السلبية على الإمبراطورية خلال حكم الأسرة السيفيرية نظراً لاستقرار الحالة الأمنية والاقتصادية ، إلا أن الأمر تفاقم عن حده الطبيعي وظهرت خطورته في الفترة اللاحقة خلال عصر الفوضى والاضطراب الذي أدى إلى ظهور التضخم المالي ، المرتبط ليس فقط بارتفاع أسعار السلع ، إنما أيضاً بانخفاض قيمة العملة وتقلص استخدام العملة الذهبية بشكل واضح.

ولكن مع هذا كله فإن القوانين التي نصت على فرض الضرائب كانت تخضع بالتأكيد إلى تغيرات مستمرة ، هذه التغيرات كان يجب أن تتلاءم مع القوانين والتقاليد السائدة في المدن السورية، ذلك أننا نلحظ من خلال القانون التدمري أن الضرائب كانت تبرم لصالح تدمر وخزانتها، وإلا لما كان هناك ضرورة لوجود قانون تدمري ، ويعتبر هذا التنظيم من قبل السلطات الرومانية من أهم مسائل الحياة المدنية.

---

(1) عدنان البني ، ص74.

وكما أشار بليني أن ظلاً من الحرية هذه استغلها التدمريون للمناورة ضد الرومانيين، مثل هذا الإمكانية لم تخفها الشخصية السياسية التي تتمتع بها تدمر ، والتي تفرض تبعيتها لروما مع الحفاظ على شخصيتها الاستقلالية فحسب ، بل الوضع السياسي الذي كان قائماً على الحدود بين الرومان والفرس الساسانيين [1].

وما إن اقترب القرن الثالث على نهايته حتى كا ن العالم الروماني منهوك القوى ، وداعبت الآمال في قيام الإصلاح وإحلال الهدوء والسلام ، وانعكس ذلك على أحوال الناس في الولاية عامة ، إلا أن هذه الصورة المتدهورة دخلت طورها الجديد في عهد الإمبراطور دقلديانوس الذي أخضع الحكم والإدارة لنظام محكم ودقيق ، فقام بمسح أراضي الإمبراطورية كلها؛ مما أتاح له تقدير الضرائب تقديراً دقيقاً على أن تتم جباية الضرائب بصورة صارمة وشديدة ، وبناء على هذا المسح تم إيجاد وحدة جديدة من الضرائب وهي (Iugum) الفدان[2] .

وعلى ذلك أصدر سنة 301م مرسوماً يفرض فيه تحديداً للأسعار على كافة السلع التي تباع وتشرى في الإمبراطورية، وعقوبة من يخالف هذا المرسوم بالإعدام .

---

(1) شيفمان ، ص 205-207.

(2)L .Nephtali. .Roman Civiliation , Sourcebook 2 (The Empire ) New York p.462-463.

## 6 - نظام القروض

على الرغم من قلة المعلومات التي تتحدث عن نظام القروض وتنظيم البنوك في الشرق الروماني؛ إلا أنه يمكننا إعطاء صورة عامة عن هذا النظام ، وخاصة أنه كان استمراراً لما كان عليه في العصر الهلنيستي، ونلاحظ من خلال إشارات الوثائق على احتكار اليهود هذه المهنة ،حيث يقوم بإعطاء إيداعات وقروض حسب الطلب على المبالغ المودعة عنده، وتحمل جميع هذه الديون إلى العاصمة روما بعد أن يتم تسديدها في الولاية كما هو الحال في سورية .

كما أن المصادر لم تسلط الضوء على مسالة القروض بأهمية كبيرة ، إلا أنه من خلال العقود التجارية يمكن الحديث عن أعمال عديدة تتعلق بالديون ومعظمها متعلقة بالرهونات على السلع مع الإشارة إلى الشهود وتواقيعهم ، وهناك وثيقة تعود إلى القرن الثاني الميلادي في عهد ماركوس أوريليوس من دورا أوربوس[1] تظهر فيها عقد تجاري ηνομαραπ بين شخص يدعى كاليماخوس Callimachus، وآخر يدعى Seius، والذي يستدعي الانتباه في هذه الوثيقة أن العبيد يشاركون في عمليات تجارية كبيرة وعلى نطاق واسع .

" تعاقد كاليماخوس على قرض بحري Fenus nauticum مع Stichus أحد عبيد التاجر الكبير سيوس في ولاية سورية ( والتي كان ScaevolaMucius قنصلاً عليها عام 195م ) برحلة تجارية بحرية على ظهر سفينة من بيروت إلى بروندیزیوم ( في إيطالية الحالية ) ذهاباً وإياباً ، ويكون العقد ساري المفعول لمدة مائتي يوم كاملة،وقد اتفقا على أن السلع التي سيأتي بها كاليماخوس من بيروت إلى بروندیزیوم هي الرهن مقابل المبلغ،حتى Ides( اليوم التاسع من أيلول)، وتكون السفن قد اقتربت

---

(1) Rostovtzeff, A Parchment Contract of Loan form Dura Europus on the Euphrates , Y.C.S ,Vol II,1931. P.10.

من الشاطئ، إلا إن عليه أن يشتري سلعاً أخرى بها ويبحر بها بنفسه إلى سورية على متن السفينة التجارية الخاصة به، وفي حال عدم استطاع      ة كاليماخوس إنهاء عملياته التجارية ضمن الفترة الزمنية المحددة المشار إليها آنفاً ، فإن عليه أن يرد القرض كاملاً كما لو كانت الرحلة قد تمت ، وأن يدفع أيضاً كل النفقات لأولئك الذين يطالبون بالأموال وذلك لنقلها إلى روما، وقد تعهد كاليماخوس بذلك بطلب من ستيخوس عبد سيوس بإعادة المال طبقاً لما أشير إليه"[1] .

ويستنتج من هذه الرواية أنه كان هناك عقود تجارية بين كبار التجار يشترك فيها العبيد،وهذا دلالة على أن العبد كان له إمكانيات تسمح له بممارسة العمليات التجارية.

وهناك إشارات إلى قروض البذور في العديد من الوثائق، فتذكر وثيقة أن Herod المحسن الذي أقرض الفلاحين الذرة( Attic medimnoi 800000 ) مستغلاً وقت المجاعة ليس في فلسطين فحسب، إنما في سورية كلها، وكان معدل الفائدة على القروض البذور في ذلك الوقت حولي 50% [2]".

ووثيقة أخرى تذكر قروض بذار القمح السوري إلى ولاية مصر من قبل الإدارة الرومانية في وقت الجفاف على أن تُرد وقت الحصاد .

ويقوم نظام القروض هذا على أن الُمدين يقوم بإقراض الفلاحين البذار في أوقات الجفاف لقاء السداد في وقت الحصاد مع فائدة تقدر بـ 50% وعلى النقود 12 % ، ولكي يحصل الدائن على ربح وفير على اعتبار أن الدين يرد في وقت الحصاد الذي يكون فيه سعر القمح قد انخفض نظراً لوفرته ، فإنه يرفع سعر الفائدة، لذلك كان الفلاح يفضل الاقتراض من الإدارة الرومانية لكي يتجنب زيادة الفائدة أو الدين .

---

(1) Heichelhiem, p.225 : نقلاً عن . Degesta , XLV, 1,122.

(2) Keith. P.103.

وفي هذه الحالة فإنهم يطالبون بعقد ( إيصال) لرد القرض عند الحصاد دون زيادة ، فيقوم مدير الخزانة بذكر في أسفل القرض المأخوذ وتاريخ سداده دون زيادة على أن يؤدوا القسم، مع التعهد ببذر البذار دون غش ورعاية وري الأرض جيداً ، وإذا تم إهمال الأرض كان عليهم دفع الضريبة من أملاكهم الخاصة [1]، ولكن مع ذلك كانت هذه القروض مع الإدارة الرومانية رغم أنها كانت مفضلة ، إلا أن التوزيع كان معقداً وخاصة أن أبسط أنواع التشغيل كانت بحاجة إلى مصاريف ، فيلجأ الفلاحون للهروب من التسجيل تفادياً للمصاريف ، وربما كان هذا هو السبب في قلة عدد ما وصل إلينا من العقود المسجلة تسجيلاً كاملاً [2] .

ويبدو أن الإدارة الرومانية كانت تقدم البذور بمثابة قرض لمزارعي الأراضي وأرباب الإقطاعات العسكرية، وكان يحدث هذا أيضاً مع مزارعي أراضي المعابد ، ومن كل ذلك كانت الإدارة الرومانية تحقق ربحاً كبيراً من خلال الفائدة المقدرة بـ 50 %،وأن هذا النظام يساعد في إدخال أنواع جيدة من المحاصيل ، ويساعد أيضاً على تحسين نوعية المحصول .

---

(1) Keith, P.104.

(2)Johnson .A. Roman Egypt to the Reign of Diocletion, t.Frank, Economic Survey of the Ancient Roman , II, New York 1953.p460-463.

## الخاتمة

منذ قدوم الرومان إلى الشرق بدأت سورية عصر اً جديداً استمر لفترة مايزيد عن ثلاثة قرون ونصف ، استلم الرومان فيها السلطة السياسية وقاموا بعدة تغيرات ، حتى أصبحت سورية من أهم الولايات الرومانية ، وقد تجلت تلك التغيرات في مناحي الحياة الشرقية التي تأثرت في كل مجالات الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية ،ويمكن القول بأنه لا يمكن دراسة الوضع الاقتصادي لسورية بمعزل عن النواحي الأخرى ، وبالذات الناحية السياسية؛ لأنها انعكاس للناحية الإدارية والاجتماعية ، كما لا يمكن إغفال الموقع الجغرافي والتركيب الاجتماعي المتنوع لسكان سورية وانعكاساته على جميع المجالات .

## من الناحية السياسية والإدارية

تمتع الإمبراطور بمكانة كبيرة فكان مالك البلاد ، وسيد رعيته المطلق ، وتركزت في يده جميع السلطات ، وساعده على إدارة الولايات المجالس المختصة ، كما كان الإمبراطور القائد الأعلى للجيش ، الذي نال اهتماماً كبيراً نظراً لكثرة الحروب والنزاعات مع البرثيين ، فتطور تنظيم الجيش وسلاحه ومعداته وأساليبه القتالية.

وكان الإمبراطور هو المتصرف الوحيد بالأراضي التابعة له ، فكان يهديها لأتباعه ، أو يمنحها لمن يستثمرها لصالحه ، وعلى الرغم من هذه الفردية في الحكم التي تمتع بها الأباطرة ، إلا أنهم راعوا التقاليد في معاملتهم للسكان المحليين ، واحترموا عادات السكان وتقاليدهم ودياناتهم ، وذلك للحفاظ على علاقة حسنة مع سكان البلاد المحليين ، وهكذا احترم الرومان كالسلوقيين مشاعر أبناء الشرق ، وحافظوا على هدوئهم .

ونتيجة لأسلوب الرومان في معاملة السكان التابعين لهم ، تبدلت النظرة لهم ، فاعتمدوا سياسة اللين أكثر من سياسة القوة والسيادة المطلقة ، وبدأ السوريون يلاحظون ويعجبون

بحقوق المواطنة الرائعة ، التي كان يمارسها الرومان داخل مدنهم ، خاصة نمط الحكم الذاتي الذي لم يكن معروفاً سابقاً بهذا القدر من الحرية ، حتى إن تدمر وجد فيهامجلس شيوخ على النمط الإغريقي .لهذا فقد ازدادت محبة الناس للأباطرة الرومان ، وأصبحت هذه المحبة مشهوداً بها في تلك الفترة ، ونستنتج من كل ذلك أن حكمهم كان متكيفاً بشكل أو بآخر مع عادات ورغبات كل سكان الإمبراطورية .

كما وضع الرومان أسس إدارة هذا الانجاز الحضاري الهام القديم المتجدد في نفس الوقت على المدى البعيد ،وإذا طرأت عليه إصلاحات وتغيرات فقد كانت تفرضها مصلحة الجهة الحاكمة ، وهذا ماجرى في سورية إبان العصرالروماني . فلقد اعتمد الرومان الإدارة السلوقية نفسها ، ويمكننا اعتبار السلوقيون من مؤسسي الإدارة في سورية على الرغم من أنهم ورثوا أسس النظام الإداري الفرثي (الأخميني ) ، فلم يعدلوا النظام الضريبي، وبقيت الستربي قاعدة للإدارة الملكية ، كما أنهم عرفوا التنويع في النظام الإداري من مدن وإمارات وممالك ووحدات كهنوتية، شأنهم في هذا شأن الفرثيين ، لكننا قد نظلم السلوقيين إذا كنا لم نر فيهم سوى مقلدين لمن سبقوهم ، إذ لايمكن أن نتجاهل إنجازهم الرائع في إنشاء عدد كبير من المدن في سورية وفق نظام عمراني وإداري موحد هو النظام الإغريقي ؛ الذي استطاعوا من خلاله توسيع أسس المدينة (البوليس) . إن اهتمام السلوقيين بسورية وسيطرتهم عليها لم تكن بهدف أخذ الضريبة ،وإنما كان هدفهم هو تملك البلاد وتحويلها إلى وطن جديد ، لهم وذلك على عكس الرومان الذين كانت سورية بالنسبة لهم مجرّد ولاية مهمة ، ولكنها لم تكن مركزالإمبراطورية؛ فإنهم أدخلوا تنظيمات جديدة من أجل تحقيق مصالحهم كتوسيع حق المواطنة للحصول على ضرائب إضافية ، ولكننا قد نحط من شأن الرومان إذا اعتبرناهم لم يأتوا بأي جديد في المجال الإداري، فعلى الرغم من اقتباسهم النظم السلوقية إلا أنهم وضعوا تنظيمات إدارية تخدم مصلحتهم في الدرجة الأولى ، فبعد احتلال

بومبيوس لسورية عام 64ق.م ، تحولت من مملكة سلوقية إلى ولاية رومانية ، وبقيت أنطاكية العاصمة التي تربط الجميع ، وأظهر الرومان اهتمامهم بالمدن ، فأعادوا تاسيس البعض منها وأسسوا القليل منها ، في سورية الجنوبية خاصة في فلسطين والولاية العربية التي أوجدها عام 106م والتي كانت بحاجة لهذا الدعم ، على عكس سورية الشمالية التي لقيت اهتماماً من هذا النوع من قبل السلوقيين ، كما أنهم توسعوا في منح المدن الامتيازات ، فكان لكل مدينة عدد من القرى التابعة لها ، وتميزت المدينة عن القرية بوجود مجلس فيها كان يعتبر أهم جهاز إداري جماعي في سورية.

لقد مرت سورية بعدة تطورات وتقسيمات إدارية في العصر الروماني وأهمها:

1 -وضع بومبيوس أسس الإدارة الرومانية لسورية، فجعلها ولاية قنصلية .

2 -حول أوغسطس سورية إلى ولاية إمبراطورية استمرت حتى سنة 194م.

3 -جعل فلافيوس من فلسطين ولاية قائمة بذاتها ، وفصلها عن سورية .

4 -أسس ترايانوس الولاية العربية سنة 106م.

5 -قام سبتيميوس سيفيروس بتقسيم سورية إلى ولايتين : سورية المجوفة ، وسورية الفينيقية، واستمر هذا التقسيم حتى عهد ديوكليتيانوس . كما وسع سبتيميوس قاعدة المواطنة الرومانية (الجيش) ، التي تابعها ابنه كراكلا بمنح حقوق المواطنة لجميع سكان الإمبراطورية.

6 -يعتبر إصلاح ديوكليتيانوس من أهم الإصلاحات ، إذ أوجد تغييرات في إدارة الولاية،فقام بتقسيمها لعدد من الولايات ، إضافة للتقسيمات السابقة قام ديوكليتيانوس بإدخال سورية في النظام المالي الموحد للإمبراطورية ، وأعاد تحديد المدن والقرى ، وفصل بين السلطتين المدينة والعسكرية في الوظائف الحكومية ، كما قام بإصلاحات ضريبية .

ولم يكن هدف الرومان من هذه التنظيمات تطوير الولاية السورية بقدر ماكان الحفاظ على مصالحهم فيه, فأدى انشغالهم بالحروب الفرثية إلى الاعترافات بالسلالات المحلية التي لعبت دوراًهاماً في جباية الضرائب و حماية الحدود من الخطر الفرثي و قد استطاع بعض الأباطرة تفادي هذا الخطر بعقد معاهدة صلح معهم ، فتفرغوا للاهتمام بالأمور العمرانية , الذي يعكس قوة الإدارة الرومانية و اقتصادها,وهكذا بادرت السلطات إلى إنشاء الأبنية في كل مدينة أثرية من أغورا ومسارح وشوارع وحمامات عامة وهياكل و ملاعب,إضافة لاهتمامهم بشكل واضح بجر المياه و إيصالها للمدن و القرى وإيجاد وسائل لتصريف مياه السيل.كما اهتموا ببناء القنوات التي لا يزال بعض آثارها باق إلى الآن، وانعكس اهتمامهم بالمياه على الزراعة التي ازدهرت في عهدهم. ومن البديهي أن ينعكس هذا الازدهار على التجارة و الصناعة.و أما الآثار التي خلفها الرومان فتشهد على عظمتهم, كما تشهد على أهمية الثقافات المحلية التي استطاعت المحافظةعلى ذاتها و هي تستقبل المؤثرات الرومانية . يكفي اليوم التجول بين آثار تدمر و أفامية و بصرى و الكثير من المدن السورية للتعرف على مدى التنوع الحضاري للثقافات السوريةالمحلية البالغة الثراء, إن هذا التنوع يشير إلى المرونة في الإدارة الرومانية ,و من قبلها الإدارة السلوقية ، كما يدل على تنوع التنظيمات الإدارية و التي احتلت فيها المدينة المرتبة الأولى ، فأولَوْها اهتمامهم ، و تليها في الأهمية المستعمرة التي ساهمت في ترسيخ الوجود الروماني في الولاية, والحكومات المحلية و الممالك التي ورثوها عن السلوقيين، ورحبوا بوجودها في بادىء الأمر إذ إنها أزاحت عن كاهلهم بعض الأعباء, لكنهم بعد أن ثبتوا أقدامهم في الولاية و تعرفوا إليهم جيداً,شعروا بأن هذه الممالك قد قويت و أصبحت تشكل عائقاً أمام تجارتهم, و أخذوا يضمونها لسورية , الواحدة تلو الأخرى حتى شارفت على الانتهاء في عهد كراكلا .

إن تجاور المدينة مع الإمارات و الممالك و أماكن القبائل و العبادة,و كلها في غاية الاختلاف و التنوع , كمدن التترابوليس و التترارخيات في الجبال السورية و مملكة الأنباط و الايتوريين ، و كل هذا يشير إلى أن هم التوحيد لم يكن ليشكل هاجساً لدى محتلي سورية أياً كان أصلهم . و أمّا أن تحكم هذه البلاد الشاسعة على شكل ولايات رومانية ,بدءاًمن ترايانوس,فإن ذلك يترجم فن الإدارة في التوحيد التدريجي لممارسات ثقافية واجتماعية أكثر مما هي إدارة سياسية مطلقة.و بشكل عام فإن غياب التوحيد الإداري يعبر عن موقف عام لدى السلطات المتمثل بمراعاة الثقافات و اللغات و الممارسات القائمة؛لأن تغييرها لن يفيد الرومان بل على العكس فقد يضر بمصالحهم ؛ ناهيك عن صعوبة تغيير هذه النظم بين ليلة و ضحاها , حيث أثبتت هذه النظم نجاحها, إضافة إلى أن الشعب قد اعتادها عبر مئات السنين. لذلك نجدأن الرومان في البداية تركوا الحكومات المحلية كما هي .

وقد سمحت الحرية الثقافية باستمرار الحضارة المحلية الإغريقية لفترة طويلة من الزمن، فلا بد ان يكون الأمر ناتجاً عن قوة الملوك السلوقيين و الرومان ، و بالتالي عن قوة النظام الإداري الذي اتبعوه. و تمثلت الإغريقية ببقاء اللغة اليونانية في العهدين السلوقي و الروماني , أما اللغة اللاتينية فكانت لغة الإدارة الرسمية و القرارات الصادرة عن الحكومة الرومانية,و باستثناء ذلك كانت معظم النقوش تكتب باللغة اليونانية , لكن هذا لا يعني أن أغلب السكان كانوا يتكلمونها ، فعلى الأغلب تكلمها أهل المدن الإغريقية بشكل واضح,لكن أه الي القرى و الحكومات و الممالك المحلية اعتمدوا لغتهم المحلية الأمر الذي أبطأ دخول سورية في البوتقة الرومانية.

ولم تكن اللغة هي الدليل الوحيد على بطء التأثير بالرومان ، فالدليل الآخر هو التقويم السلوقي الذي بقي يستخدم في العصر الروماني على الرغم من استبداله بالتقويم الروماني,فأصبح لكل امبراطور روماني تقويم خاص به ، واستطاع بعض الولاة

المتميزين في سورية اعتماد تقويم خاص بهم،إلا أن التقويم الروماني لم يستخدم بشكل واضح إلا في المدن الكبرى , إضافة لتلك التقاويم اعتمدت الممالك والسلالات المحلية تقاويم خاصة بها ، ويدل هذاعلى عدم تقبلها النظم الإدارية الرومانية , على عكس أهالي المدن الذين أخذوا بها, كماأنهم انخرطوا في الجيش الروماني. وإن عدم استطاعة روما فرض نظمها الإدارية في كافة أرجاء سورية ؛ فمردُّه إلى اتساعها و تعدد الوحدات الإدارية فيها .

أماالجهاز الإداري الروماني فهو يشبه الجهازالسلوقي ، فتعددت و تباينت مصطلحاته ، .وضم هذا الجهاز وظائف فردية و جماعية متتعددة ورثها الرومان عنهم , و يتضح من خلال الوظائف التي وجدت في المدينة أو في القرية أن هناك استمراراً في الوظائف الإدارية على مر العصور , و أن بعضها مستمر حتى وقتنا الحاضر ,و لن يقف اختلاف المصطلحات و الأسماء المستخدمة حائلاًأمام الوصول لهذه النتيجة ، إلا أن هذه الوظائف تطورت بتغير الزمن و الحكم ,لكننا لا نستطيع أن نغفل وجود وظائف أخرى فرضتها الظروف السائدة في الفترة الرومانية والتي ستندثر بانتهاء هذه الظروف .

و تستنتج من خلال ما سبق أن العوامل المساهمة في وضع الإدارة و التنظيمات الإدارية؛ وهي مجموعة من الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والجغرافية إضافة إلى مصالح الطبقةالحاكمة, و إن إرساء أسس الإدارة يحتاج إلى فترة من الزمن تبرزمن خلالها معالم مشتركة لا يمكن التخلي عنها في كافة العصور ، مع اختلاف المصطلحات الدالةعليها, و لكن يجب الأخذ بعين الاعتبار أن التنظيمات الإدارية التي تصدر في ظل حاكم من أبناء المنطقة تكون بهدف تطويرها, أما تلك التي يقدمها المحتل فتكون بهدف حماية مصالحه الخاصة ، على الرغم من أنها في بعض الأحيان قد تحمل التطورلها, كما حصل في سورية أثناء الحكم الروماني.

و أخيراً يمكننا القول بأن انعكاسات الإدارة على كافة الأصعدة تفتح آفاقاً جديدة للبحث, أكان على الصعيد الاجتماعي,أم الصعيد الاقتصادي أو الفني .

**من الناحية الاقتصادية**

شهدت سورية تطوراً اقتصادياً مهماً تمثل في العديد من الإصلاحات التي قام بها الأباطرةالرومان، وهذا يدل على إدراك الأباطرة الرومان لأهميةالعامل الاقتصادي في التأثير على النواحي الأخرى.

فزراعياً: شهدت سورية تقدماً كبيراًنتيجة العوامل الطبيعية المتوفرة من خصوبة التربة واعتدال المناخ ووفرة المياه ، فضلاً عن السياسة والإدارة الرومانية التي تركت أثراً كبيراً على قيام حياة زراعية مستقرة ومتنوعة ما بين محاصيل حقلية ومحاصيل بستانية، هذا بالإضافة للعوامل البشرية المتمثلة في جهود الفلاح السوري الذي قد اكتسب خبرة السلوقيين في المجال الزراعي ، وعرف كيف يستفيد من مهارته في استخدام هذه الموارد لاستغلال أكبر قدر ممكن لاستصلاح الأراضي البور ، وبنفس الوقت زيادة الثروة الحيوانية في الجزء الآخر غير الصالح للزراعة ، وقد ظهر معنا من خلال البحث كيف أن الإدارة الرومانية كرست جهوداً خاصة لتطوير وسائل العمل الزراعي وتقنياته ، وخاصة في مجال حفر الآبار وشق العديد من القنوات التي يمكن مشاهدة بعض من آثارها باقية حتى الآن ، وكل هذا انصب في تنوع المحاصيل الزراعية الغذائية منها أوغير الغذائية ، ويتضح من خلال الوثائق مدى اهتمام الإدارة الرومانية بالملكيات الزراعية على اختلاف أنواعها ، وسعيها إلى نقل الملكيات الخاصة من أيدي الذين لا يحسنون استثمارها إلى ملاك آخرين قادرين على استصلاحها ، ومن

هذا تمكنا من الخروج ببعض المعلومات الهامة عن القوانين المتعلقة ببيع الأراضي ومعرفة الصيغة الدقيقة لمثل هذا النوع من العقود.

وأبرزما شهدته الزراعة في شكل الملكية الزراعية أن منظومة أراضي ( الملك ) التي كانت في العصر السلوقي لم تنهر ، حيث ظهرت هنا مساحات واسعة من الأراضي التابعة مباشرة للسلطات الرومانية ، وبعد أن تحولت سورية إلى مستعمرة إمبراطورية غدت هذه الأراضي ملكاً للإمبراطورفي أغلب أنحاءسورية.

وقد تنوعت الملكية الزراعية في سورية، فبالإضافة إلى ملكية أراضي الإمبراطورية على أساس اعتبار أن الأرض كلها ملكاً للإمبراطور ، وجدت الملكية العامة وهي ملكية كل مدينة قائمة بذاتها والقرى التي تحيط بها، والذي عرف بنظام Polis.

وظهرت الملكيات الخاصة سوءاً أكانت ملكية صغيرة يملكها فرداً واحداً ، أم ملكية كبيرة تتركز في أيدي عدد كبير من الأشخاص يعود بالمنفعة عليهم جميعاً ، كما هو الحال في الملكيات العشائرية، وأخيراً وجدت أراضي المعبد.

هذا واحتلت الصناعة مكانة هامة في سورية ، وقد أخذ أصحاب الحرف مكانة مرموقة في المجتمع ، واشتهرت سورية بصناعات متنوعة كونها مركزاً كبيراً للإنتاج الحرفي ، ووجد الاختصاص في الحرفة، الأمر الذي أدى إلى التطور المكثف للإنتاج في سورية ، والذي أكدته المصادر والمواد الأثرية التي عثر عليها في مواقع التنقيب. كما نشأ في هذا العصر اتحادات حرفية قامت على أساس الحرفة الواحدة مع إبراز دور صاحب كل حرفة في تعليم الصنعة بدقة وإتقان، والتي غالباً ما تكون وراثية المنشأ .

وأدت الحروب المتصلة بالرومان ، إلى تطور ملحوظ ونشاط كبير في الصناعات التي تستلزمها فنون القتال ، كالسفن ، ومختلف أنواع الأسلحة ، ولوازم الحرب .

وقد تميزت هذه الصناعة عن بقية صناعات العصر بأنها استخدمت آخر ما توصلت إليه التقنية الحديثة المعاصرة لها في سبيل الحصول على أسلحة أجدى وأفتك من الأسلحة ، وبخاصة في فنون الحصار .

كما أدى التطور الزراعي الذي شهدته سورية إلى أن تزدهر الصناعة وتتطور الحرف بإدخال صناعات حرفية جديدة حملتها العناصر السكانية الوافدة على سورية ، مما أدى إلى تنوع الصناعات سواء الغذائية " الزيوت و النبيذ " أم غير الغذائية .

ويذكر بعض الباحثين أن الصناعة داخل بعض ولايات الإمبراطورية الروماني ة كانت حرة . وهذا يخالف ما ورد في البحث خاصة منها الصناعات الثقيلة و صناعة التعدين اللتين تستلزمان بذل الكثير من الأموال والجهد من أجل تحقيق تقدم ملموس في صناعتها ،هذا ما يجعل فكرة قيام صناعة حرة لهذا النوع من الصناعة مستبعداً تماماً ، ونستنتج من ذلك أن الدولة أو الإمبراطور هو الذي أنشأ مصانع لإنتاج هذا النوع من الصناعة ، ورغم ذلك فإن الرومان لم يمارسوا أي نوع من أنواع الاحتكارات على الصناعات حتى الخفيفة منها ، ويأتي هذا كنتيجة حتمية لسعة الإمبراطورية الرومانية وتعداد ولاياتها الكبرى ، وحاجة سكان هذه المراكز و المناطق المحيطة بها إلى بعض المنتجات الصناعية الخفيفة ، واستبعاد استيراد هذه المنتجات حتى است يداً داخلياً (بين ولايات الإمبراطورية )، لصعوبة هذه العملية نتيجة ترامي هذه المراكز والأصقاع ، فقد كان من الصعوبة بمكان على الإمبراطورية أن تمارس احتكاراً معيناً على أنواع بعينها من المصنوعات ، باستثناء المصنوعات التي كانت تختص بها منطقة بعينها دون غيرها ، مثل صناعة الزجاج في فينيقية.

نستنتج من كل ذلك أن الإمبراطورية الرومانية لم تشجع بعض الصناعات وتحمي بعضها من منافسة البضائع المستوردة فقط ، بل سمحت لمعظم الصناعات الخفيفة بأن تكون صناعة حرة في معظم مراكز الإمبراطورية ، ولكن تحت رقابتها ضماناً لحقها في تحصيل الضرائب المتوجب أداؤها على أرباب المصانع الصناعات.

كما يذكر عدد من الباحثين أن الصناعة في العصر الروماني كانت تعقد لتموين عدد غير كبير من المقتدرين، وأنها لم تتطور إلا التطور التاريخي المحتوم لمسايرة متطلبات العصر وزيادة عدد السكان. لكن من خلال البحث وجدنا أنه نتيجة لاستقرار عدد كبير من الرومان، كان كثيرون منهم ميسوري الحال ولهم احتياجات يجب توفيرها، أدى ذلك لاهتمام معين بذله الأباطرة الرومان لتأمين هذه الاحتياجات ، لأن الرومان إزاء حاجتهم إلى موارد كثيرة لبناء قوات تماثل قوات منافسيهم ، لا بد أن يكون قد ألزمهم بالعمل على النهوض بالصناعة لتحقيق الاكتفاء الذاتي و تصدير الفائض.

كما حظيت التجارة بالنصيب الأوفر من اهتمامات الرومان الاقتصادية ، وبقيت سورية كما كانت في العصر الهلنيستي من أهم المراكز التجارية العالمية ، واستمرت تمتلك معظم الطرق التجارية ، إلى أنها نشطت وازدادت أهميتها في العهد الروماني .

وقد أثبتت الدراسة كيف لعبت الطبيعة الجغرافية لسورية دوراً استراتيجياً هاماً في انتعاش الاقتصاد التجاري الذي توفرت له عوامل تقنية في غاية الملائمة لمقومات هذا الازدهار، هو ذاك الإنتاج المتنوع للمحاصيل الزراعية والأساليب المتطورة للصناعات المتباينة ، ولا أدل على أهمية النشاط التجاري من اهتمام الإدارة الرومانية بطرق التجارة الداخلية والخارجية التي كانت عصب الحياة لسورية خاصة ،ولباقي ولايات الإمبراطورية عامة ، حيث امتدت شبكة من الطرق التجارية المدعومة بالحصون والقلاع المزودة بقنوات المياه والآبار لتسد احتياجات القوافل العابرة ؛ معلنة التفوق والإبداع والحكم المنظم ، وهذا ما تؤكده النقوش والآثار التي تركها الرومان من خلال هذه الشبكة ، فقد كان تجار القوافل السوريون يج وبون جميع أطراف العالم الروماني الذي كان قبل كل ش يء وحدة سياسية وعسكرية ، ولم يلبث أن أصبح وحدة تجارية واقتصادية ناشطة حية بفضل الروابط التي وصلت أقاصيه عبر البحر المتوسط ، تلك القوافل المحملة التي تفرغ سلعها بأسواق سورية التي انتشرت إلى العديد من

المراكزالتجارية ( تدمر - أنطاكية – دوراأوربوس ) قادمة من مؤانئ المتوسط لأقاصي الهند والصين شرقاً .

نظراً لتلك الأهمية التجارية لسورية بما تدره من أرباح وعوائد مالية راحت الإدارة الرومانية تـقنن النظم المالية لتطوير الأسس المالية القديمة بفرض مجموعة من الضرائب بنوعيها النظامية والاستهلاكية بدافع زيادة مقدار أموال الخزانة العامة للإمبراطورية ، وكان من أبرزمظاهر هذا النظام هو التعرفة الجمركية التي تمثل القانون المالي بقرار من مجلس الشيوخ وفقاً للقانون من أجل الحد من النزاعات المتكررة بين جباة الضرائب والتجار، بدلاً من جبايتها سابقاً طبقاً للعرف والتقاليد .

إن التقدم الذي حققته سورية في الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، أدى لوجود ضرائب فرضتها الإدارة الرومانية ، وكانت جميع هذه الضرائب تدخل في خزينة القصر الإمبراطوري،والضرائب المفروضة كانت تمثل مظهراً من مظاهر سلطة الإمبراطور، باعتباره مالك البلاد ، ومصدر جميع السلطات ، وكانت هذه الضرائب عينية ونقدية ، وقد اختلفت المدفوعات تبعاً للدخل ، والوضع الاقتصادي الذي وجد في الإمبراطورية.

واعتماداً على الدراسات النقدية تم التعرف على أنواع العملة المضروبة في سورية بشكل خاص وعملات الإمبراطورية بشكل عام ، وانتشار دور السك في العديد من المدن التجارية التي سكت فئات من العملات تتابين في أهميتها طبقاً للاستخدام المحلي والتداول الإقليمي ،وهذا ما أثبتته دراسة النقود في بيان عدم التكافؤ بين العملات الثلاث الذهبية والفضية والنحاسية ؛ نتيجة للتغير المستمر في كل منهما ، كما أعطت لنا هذه الدراسة صورة عن نظام البنوك ، كما أكدت الدراسة تعرض ولايات الإمبراطورية لفترات عصيبة نتج عنها اقتراض بعض الأشخاص فيما عرف بنظام القروض ، سواء العينية منها " قروض البذور" أم النقدية.

ويمكن القول : إن النقود أسهمت في انتعاش التجارة عن طريق التحول الهام من الاقتصاد العيني إلى الاقتصاد النقدي ، وقد عمل السلوقيون ومن بعدهم الرومان على تنشيط هذا التحول ، وأخذت مدن غرب سورية وجنوبها في تطويره .

وقد اتسم أواخر هذا العصر بتنافس المدن السورية فيما بينها ، حيث حاولت كل منها أن تكون الأقرب إلى الإمبراطورية من أجل الحصول على أكبرقدرممكن من المكانة والامتيازات التي يمنحها الإمبراطورلهم حين توليه العرش ، وقد ظهر هذا التنافس على النحو التالي .

1 – التنافس بين مدينة تدمر ومدينة بصرى خلال منتصف القرن الثالث الميلادي بسبب تخوفها على موقعهاعلى الطرق التجارية المؤدية إلى الجنوب العربي ، بعد أن امتدت سلطات تدمر نحوالبحرالأحمر.

2- التنافس بين مدينة تدمرومدينة أنطاكية ، فعلى الرغم من أن الأنطاكيين لهم مصالح تجارية ومشاريع اقصادية مع تدمر إلا أن موقفها العدائي ضد تدمر سببه سعي فئة لا بأس بها لكي تعود أنطاكية إلى الواجهة السياسية والاقتصادية .

3- دخول مدينة حمص في دائرة التنافس مع مدينة تدمر،لاسيما بعد التطور الذي شهدته خلال الحكم السيفيري ، حيث كانت تطمح نحو الأفضل وتدعو إلى الخلاص من الهيمنة التدمرية،وقدسنحت لها الفرصة بعدالهزيمة التي منيت بها الملكة زنوبيا أما م الإمبراطور أورليان ، إذ وقفت لجانبه ، وخاصة بعد إظهار أورليان ميله نحو أهم رموزعبادتها إله الشمس إيلاجبال.

4- ظهورالتنافس بين مدينتي أنطاكية واللاذقية الناتج عن عداء مدينة أنطاكية وكره ها لمدينة اللاذقية ، عندما أنزل عليها الإمبراطور سيفيروس سخطه وغضبه ، ليس لأنها وقفت مع خصمه نيجر وأيدت فكره فحسب ،بل لأن مواطنيها الذين جبلت نفوسهم دائماً للاستقلال في الرأي كان قد راق لهم أن يسخروا من سيفيروس أثناء إقامته في المدينة

سنة179م عندماكان يتولى قيادة الفرقة الرابعة فيها، لهذا صب جام غضبه عليها وأنزل فيها عقاباً ذو تأثير معنوي على نفوس سكانها وذلك أن مدينة اللاذقية التي ناصرته وأيدته ضد خصومه كانت تنظر بعين الطامع لما تتمتع به أنطاكية وسكانها من امتيازات على الرغم من أنها كانت تعادلها مكانة ، لكن ما لبثت أن فاقتها عندما نقل سيفيروس القيادة إلى اللاذقية جاعلاً أنطاكية تتبعها إدارياً بعد أن كانت العاصمة ، وبذلك تكون أنطاكية قد حرمت من لقبها كحاضرة وعاصمة للولاية السورية التي أصبحت مقتصرة على القسم الشمالي منها وليس سورية كلها .

وإلى جانب التنافس بين المدن السورية ، كشف البحث عن الدور البارز ال ذي قامت به مدينة تدمر في الحياة السياسية لسورية ، ولا سيما في منتصف القرن الثالث في عهد ملكها أذينة ، وقد لعب ثرائه ا وعلاقاتها التجارية الواسعة دوراً مهماً في تقدمها ، كما برز الجانب الأهم وهو النشاط الاقتصادي – التجاري من خلال قدرة زنوبيا على احتكار المنافذ التجارية الشرقية من كافة منا فذها التجارية بين مصر وبلاد العرب من جهة، وبين فارس والهند والصين من جهة أخرى .

وعموماً فإن صعود تدمروهلاكها خلق انعطافاً حاداً في التطور السياسي والاقتصادي لسورية،سواءً كان هذا الانعطاف نابعاً من أسباب خارجية أم داخلية .

وبشكل عام يمكن الإفادة من هذه الدراسة في معرفة الطرق والسبل التي جعلت من هذه الولاية تحتل هذا الحيز الهام في أولويات الإدارة الرومانية ، وأن سورية تمتعت خلال الفترة الرومانية بحالة من الأمن والسلام والاستقرار دام نحو 200سنة ، والذي أدى بدوره إلى الازدهارفي جميع المجالات الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة.

# ملحق رقم (1)

## جدول بأسماء المدن السورية في العصر الروماني

| الأسم بالعربية | الأسم اليوناني |
|---|---|
| ارواد | Aradus |
| افاميا | Apamea |
| اللاذقية | Loadicea |
| أنطاكية | Antioch |
| بتراء | Petra |
| بصرى | Bostra |
| هيليوبوليس (بعلبك) | Heliopolis |
| بيروت | Berutus |
| بيروه (حلب) | Beroi |
| تدمر | Palmyra |
| جبلة | Gabala |
| جبيل | Byblos |
| جرابلس (قرقميش) | Garchemish |
| حماه | Epiphania |
| حمص | Emesa |
| حوران | Huranlis |
| درعا (أذراعات) | Adraha |
| دمشق | Damascus |
| دوراأوربوس | Dora Europus |

| | |
|---|---|
| Rephia | رفح(رفيا) |
| Rhosos | روسوس |
| Seleucle Pieria | سلوقية بيريه |
| Tyros | صور |
| Sidon | صيدا |
| Tripolis | طرابلس |
| Tortous | طرسوس |
| Chalcis | قنسرين |
| Commagene | كوماجية |
| Caesarea | قيسارية |
| Thelsea | الضمير |
| Nazala | القريتين |
| Heirapolis | هيرابولس (منبج) |
| Balanaea | بانياس |
| Marathus | عمريت |
| Eritozia | آريتوزا(الرستن) |
| Chalkis | خالكيس(قنسرين) |
| Philipoplis | شهبا |
| Canatha | قنوات |

## ملحق رقم (2 )

## جدول بأسماء الأباطرة الرومان وسنًي حكمهم

| اسم الإمبراطور | | فترة الحكم |
|---|---|---|
| **الأســرة الـجولـيو ـ كـلاودية** | | |
| Augustus | اغسطس | 27 B.C -14 A.D |
| Tiberius | تيبيريوس | .A.D 14-37 |
| Caligula | كاليفولا | .A.D 37 – 41 |
| Claudius | كلاوديوس | .54- 41 . A.D |
| Nero | نيرون | .68 -54. A.D |
| **الحــرب الأهــلـيـة** | | |
| Galba | جالبا | .A.D . 68 69 |
| Otho | أوتو | .69. A.D |
| Vitellius | فيتيلوس | .69. A.D |
| **الأسرة الـفـلافـيـة** | | |
| Vespasian | فيسبسيان | .A.D .69 -79 |
| Titus | تيتوس | .81- 79 A.D |
| Domitianus | دوميتيانوس | .96 81. A.D |

| الأسـرة الأنـطـونـيـنـيـة | | |
|---|---|---|
| .98- 96.  A.D | نيرفا | Nerva |
| .117- 98 .  A.D | تراجانوس | Trajanus |
| .138-117 .  A.D | هادريانوس | Hadrianus |
| A.D  .138 -161. | انطونيوس بيوس | Antoninus Pius |
| A.D  .161 -180 | ماركوس اوريليوس | Marcus Aurelius |
| A.D  .161-169. | لوكيوس فيروس | Lucius Verus |

| | | |
|---|---|---|
| A.D .180 -192. | كومودوس | Commodus |
| .A.D .193 | برتيناكس | Pertinax |
| .A.D .193 | ديوديوس جوليانوس | Didius Juliaaus |
| A.D.195 -197 | كلاوديوس ألبينوس | Clodius Albinus Contender for The Throne |
| .194-193. A.D | نيجر | Pesccnnius Niger Contender for The Throne. |
| الأسـرة السيـفـيـريـة | | |
| .A.D .193-211 | سبتيموس سفيروس | Septimius Severus |
| A.D .211.212. | جيتا | Gata |
| .217- 211. A.D | كراكلا | Caracalla |
| .218 -217 . A.D | ماكرينوس | Macrinus |

| | | |
|---|---|---|
| .222 -218 . A.D | إيلاجبالوس | Elagabalus |
| .235 – 222. A.D | الكسندر سفيروس | Severus Alexander |
| .238- 235. A.D | ماكسيمينوس | Maximinus I |
| .238. A.D | جورديان الأول | Cordianus I |
| .A.D.238 | جورديان الثاني | Cordianus II |
| .A.D.238-244 | جورديان الثالث | Cordianus III |
| .A.D.244-249 | فيليب العربي | Philippus Arabianus |
| .A.D.249-251 | ديكيوس | Decius |
| A.D.251-253 | غالوس | Gallus |
| .260 -253 A.D | فاليريانوس | Valerianus |
| .A.D.259-268 | غالينوس | Gallinus |
| .A.D. 268-270 | كلوديوس الثاني | Claudius II |
| .275- 270. A.D | أورليانوس | Aurelianus |
| .276-275 A.D | تاكيتوس | Tacitus |
| .276 A.D | فلورليانوس | Florianus |
| .282- 276 A.D | بروبوس | Probus |
| .283- 282 A.D | كاروس | Carinus |
| .305- 284. A.D | ديوكليتيانوس | Diocletianus |

## ملحق رقم (3)
## أرقام وصور النقود الواردة في الرسالة






| النقد رقم (1) | كليوباترة السابعة/إصدار دمشق<br>عن بشير زهدي ،النقود الدمشيقية الأثرية عبر العصور التاريخية<br>WWW.discover –syria .com.new.705. |
|---|---|






| | |
|---|---|
| النقد رقم (2) | أغسطس . إصدار أنطاكية<br>[www.wildwinds](http://www.wildwinds). Com/coins /gree.87 |




| | |
|---|---|
| النقد رقم (3) | أغسطس وزينودور **30 – 20** ق.م |

| | |
|---|---|
| عن زياد سلهب ، خالد كيوان ، المرجع المتقدم ، 322 | |






| | |
|---|---|
| **كاناتا (قنوات) بعهد دوميتيانوس**<br>عن سلهب و كيوان ، المرجع المتقدم،274 | **النقد رقم (4)** |







| | |
|---|---|
| **ديدراخما من نماذج بصرى في عهد تراجان ومارك أوريليوس ..**<br>عن سلهب و كيوان ، المرجع المتقدم،287 ،**291** | **النقد رقم (5)** |



215

| | |
|---|---|
| إصدار بيروه (حلب) . أنطونينوس بيوس<br>عن سلهب ، كيوان ، المرجع المتقدم ، | النقد رقم (6) |

| | |
|---|---|
| <br><br>إصدار اللاذقية . أنطونينوس بيوس | النق<br>د7. |

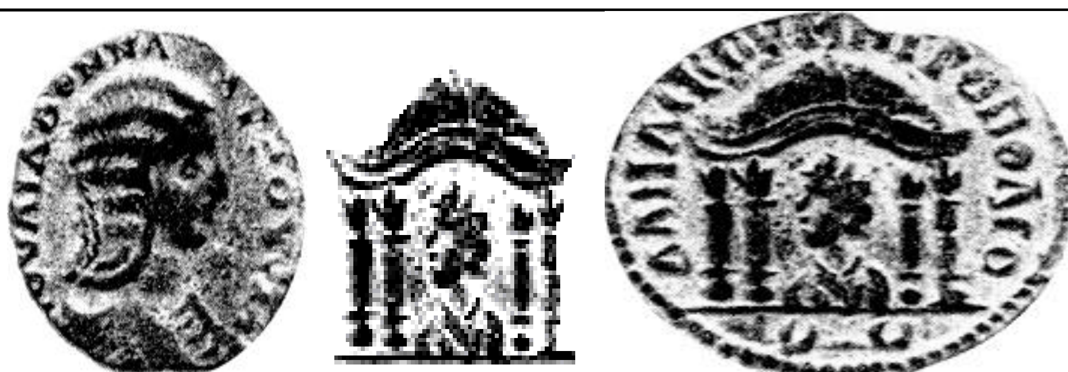
إصدار أنطاكية . هادريانوس




| | |
|---|---|
| إصدار أنطاكية . هادريانوس<br>عن سلهب و كيوان ، المسكوكات القديمة، ص247 | النقد رقم (8) |




| أدرعا . كومودوس<br>عن سلهب و كيوان ، المرجع المتقدم ، فهرس الصور **270** | **النقد رقم**<br>(**9**) |
|---|---|



| **جوليا دومنا . تيتراستيل (تيكة . دمشق )ΔΑΜΑCΚ.ΜΗΤΡΟΠΟΛ(Drew Bear. Thomas)** | **النقد رقم**<br>(**10**) |
|---|---|

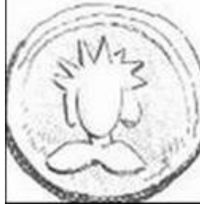
| | |
|---|---|
| <br>**جوليا دومنا . إصدار دمشق** | **النقد 11.** |



| | |
|---|---|
| **النقد رقم 12** | سبتيموس سيفيروس وزوجته . إصدار بصرى<br>سلهب ، كيوان ، المرجع المتقدم ، **288**، |



مملكبل وهليوس واللات **182**



هليوس **188**



| | |
|---|---|
| رقم النقد (**13**) | في الوسط ملكبل، إلى اليسار يرحبول (هليوس)، إلى اليمين عجل بول. الوجه الآخر (هليوس)<br>سلهب ، كيوان ، المرجع المتقدم ، **188**، **182** |



| | |
|---|---|
| النقد رقم (**14**) | إصدار اللاذقية<br>سلهب ، كيوان ، المرجع المتقدم ، فهرس الصور ،**172–173** |




| | |
|---|---|
| النقد رقم (15) | **ـ ماكرينوس معبد الفيجة ـ إصدار دمشق**<br>**عن بشير زهدي ،النقود الدمشقية الأثرية عبر العصور التاريخية**<br>**WWW.discover –syria .com.new.705.** |



| | |
|---|---|
| النقد رقم (**16**) | معبد الشمس في حمص |

عن Hans Roland Baldus, Uranius Antoninus of Emesa(AAAS)Vol XLII,p.376






**فيليب العربي . إصدار فيليبوبوليس . الربة روما**






| | |
|---|---|
| **النقد رقم** (**17**) | فيليب الأب -الربة منيرفا<br>عن سلهب و كيوان ، المرجع المتقدم، فهرس الصور **269 280** |




(**247**)

| | |
|---|---|
| **النقد رقم** (**18**) | **. فيليب العربي . إصدار هيرابوليس (منبج)**<br>www.wildwinds.com/coins cop 63 |

# ملحق رقم 4

## القانون المالي التدمري

في عام 1881 اكتشف الأمير الروسي القيصري (أباماليك لازاريف ) و هو يزور تدمر حجراً منقوشاً بكتابات استنسخ منها ما استطاع فجاءت ناقصة كملها فيما بعد أوتينغ ( Julius Euting) وهو بير(Chatles Huber) و جوزريف ايتين غويتية ( Jos Etirnnr) ثم نقل الحجر بموافقة السلطات العثمانية بمد تجزئته إلى أربع قطع حيث استقر جتى الآن من متحف الارميتاج في روسيا في لينينغراد .

ـ فالقسم الأول و حالته جيدة يتضمن نصاً بالتدميرية و باليونانية لقرار مجلس الشيوخ التدمري بقانون مالي تضمن الرسوم المرتبة على البضائع و المهن.

ـ و القسم الثاني: مشوه و ناقص و يتضمن نصاً بالتدمرية للقانون من ثلاثة أعمدة.

ـ أما القسمين الثالث و الرابع: ففيهما نص يوناني من خمسة أعمدة و هما مشوهان جداً و فوق الثالث و الرابع عنوان باليونانية يتضمن بروتوكول الامبراطور هدريان و إجمالي أبعاد اللوحة بكاملها هو 4,80م ×17,5- و تحوي أكثر من \400 سطراً\

و أورد فيما يلي صورة مستنسخة عن الحجر الأساسي للأقسام الأربعة بحرفها الأساسي ثم ترجمة النص التدمري نقلاً عدنان البني في كتابه تدمر و التدمريون .

و النصوص تتضمن القانونين القديم ( 68-69م)و الجديد 18 نيسان 448سلوقي (18نيسان 137م) و قد أدرج قانون التعرفة الجمركية هذا (القانوني المالي التدمري) في الكوربوس برقم 3913.

فيما يلي ترجمة النص التدمري بعد الاستعانة بالأقسام المماثلة في النص اليوناني

قرار مجلس الشيوخ في الثامن عشر من شهر نيسان سنة 448سلوقي (18 نيسان 137م):برئاسة بونّابن بن حيران .

و أمانة سر :الكسندر ابن الكسندر بن فيلوباتور أمين مجلس الشيوخ والشعب .

وولاية الأراخنة مالك بن علي بونا مقيم و زبيد بن نسا.

مجلس الشيوخ ,المجتمع في جلسة عادية قررما هو مرقوم أدناه:

لمّا كانت سلع عديدة في الأزمنة السابقة خاضعة في للرسوم غير مسجلة في القانون المالي و تجبي الرسوم عليها وفقاً للعرف و العادة و لمّا كان المتبع أن يذكر في العقد مع الجابي (أن يحقق الرسم وفق القانون ووفق العادة) و لمّا كان ذلك كثيراًما سبب نزاعات بين الباعة و الجباة.

قرر مجلس الشيوخ أن يقوم الشيوخ المكلفون بالسلطة الإجرائية و أعضاء مجلس العشرة بإحصاء كل ما هو غير مذكور في القانون المالي و أن يسجل في العقد الجديد و أن يوضع أمام كل سلعة الرسم الذي يجبي عنها في العادة ، فإذا أقر العقد من قبل متعهد الجباية ينقش مع القانون القديم على اللوحة القائمة أمام معبد رب أسيري.

والشيوخ المكلفون بالسلطة الإجرائية وأعضاء مجلس العشرة ووكلاء السلطة القضائية عليهم أن يحولوا دون أن يكلف متعهد الجباية من أحد أكثر النصوص عنه.

إن حمل العربة من أي نوع كان عليه رسم معادل أربعة أحمال بعير:

إن هذين السطرين يتبعان في الواقع القانوني المالي .وقد نقشا في الحقل الأول بسبب عدم وجود مكانفي الحقل الثاني وهما يشكلان قاعدة عامة تطبق على كل أنواع السلع.

إن نص القرار واضح واسم رب أسيري الذي يعني (سيد الأسرى)هو جني تركت عبادته أثراً في كتابات المندائيين وهم طائفة في جنوب الرافدين .

وفي رأس الحقل الثاني ،على امتداد أعمدة ثلاثة هناك سطر مرقوم بحروف اضخم وهو بمثابة عنوان نقرأ فيه:

القانون المالي لمستودع هادريانا تدمر وينابيع المياه (لايليو) س قيصر

وقد اتخذت تدمر اسم هادريانا بمناسبة زيادة الامبراطور هادريان سنة 129م وتدمر هو الأسم الأصلي للمدينة وبقي لدى العرب حتى الآن وبعد العنون نجد المياه تسمى (ينابيع مياه قيصر) فحسب.

ولنعرض الآن مختلف السلع المذكورة في القانون:

**1- العبيد:** (في النص التدمري من السطر 2حتى6,في النص الإغريقي من 1إلى 8)

يأخذ الجابي ممن يدخلون العبيد إلى تدمر أو إلى إقليمها عن كل عبد 22 ديناراً و عن العبد الذي يباع في المدينة ولا يصدر منها 12 ديناراً و عن العبد القديم المباع 10 دنانير.

وإذا صدر المشتري العبيد يدفع عن كل منهم 12 ديناراً.

والنصوص تستخدم كلمة العبد بالتذكير و لكن يجب أن يفهم القانون بشكل عام دون تميز في الجنس.

**2- المواد الجافة:** (النص التدمري من 7إلى10 , النص الإغريقي من 9إلى 15)

يأخذ الجابي على كل حمل جمل من المواد الجافة عند إدخالها إلى حدود تدمر عن كل حمل جمل3دينار.

وعن كل حمل جمل عند التصدير3 دينار.

والمواد الجافة تتضمن الثمار المجففة كالجوز و الفستق وحب الفاصولياء والصنوبر إلخ ...ولعل منها العلف والتبن ومن الممكن أن هذا المصطلح له معنى أوسع وفي هذه الحال يدخل تحت هذه المادة كل السلع الجافة التي لم يحدد عليها الرسم كالتماثيل البرونزية مثلاً.

**3- الارجوان:** (النص التدمري من 11إلى12، النص الإغريقي من 16إلى 18)

الصوف المصبوغ بالارجوان،كل جلد مستوردة أو مصدرة 8 آسات، وكانت الجلود المصبوغة بالأرجوان تُستورد من فينيقيا وتُصدر إلى بلاد فارس عبر تدمر.

**4-الطيوب:**

(النص التدمري من 13إلى22،النص الإغريقي من 19إلى31 )

- كل حمل جمل من الزيت المطيب في قوارير الالباستر 25دينار وكل (ما يباع بعد ذلك؟)من هذا الزيت يدفع عن الحمل 13دينار إضافي.
- كل حمل جمل من الزيت المطيب المعبأ في ضروف من جلد الماعز ،عند الإدخال 13دينار – وعند الخروج 7دينار.
- كل حمل حمار من الزيت المطيب الذي يجري إدخاله في قوارير الالباستر 13دينار .وعندالإخراج 7دينار.
- كل حمل حمار من الزيت المطيب المدخل في ضروف من جلد الماعز 7دينار .وعند الخروج 4دينار.

ويبدو أن الطيوب كانت من السلع الرئيسية في التجارة التدمرية والرسوم عليها معتدلة ويميز بدقة الطيوب الممتازة عن الطيوب العادية فالنوع الأول يحفظ في قوارير طويلة العنق كانت بالأصل تصنع من الالباستر ومختومة عاى الغالب بخاتم المنتج .

أمّا النوع الثاني فكان ينقل في الضروف ليباع من ثّم بالمفرق .

والرسوم على النوع الثاني هي نصف الرسوم على النوع الأول .أمّا رسم تصدير نوعي الطيوب فهو نصف رسم الاستيراد ولعلّ سبب ذلك الخوف من منافسة تجارة الأنباط فهؤلاء كانوا يوردون للامبراطورية الرومانية طيوب الجزيرة العربية وعطورها كما كان التدمرة يوردون طيوب الهند وعطورها .

**5- الزيت:**

(النص التدمري من 23إلى 28،النص الإغريقي من 32إلى42).

- كل حمل زيت في أربع ضروف من جلد الماعز منقول على جمل عند الدخول 13دينار .وعند الخروج 13 دينار.
- كل حمل زيت في ضرفين من جلد الماعز منقول على جمل عند الدخول 7 دينار .وعند الخروج 7 دينار.
- كل حمل زيت على الحمار ،عند الدخول 7 دينار. عند الخروج 7 دينار.

**6- الدهن:**

(النص التدمري من 29إلى 33،النص الإغريقي من 43إلى 45)

- كل حمل من الدهن ، في أربعة ضروف من جلد الماعز على جمل عند الدخول 13 دينار. عند الخروج 13 دينار.
- كل حمل من الدهن ، في ضرفين من جلد الماعز على جمل عند الدخول 7 دينار. عند الخروج 7 دينار.
- كل حمل حمار من الدهن عند الدخول 7 دينار. وعند الخروج 7 دينار.

**7- المملّحات :** (النص التدمري من 24إلى38 ،النص الإغريقي 52- وما بعده )

حمل الحمل 10د. عند الدخول وعند الخروج . النص مشوّه جداً ولكن يعرف منه أن الموضوع يتعلق بتجارة السمك المملّح .

ففي فلسطين كانت تجارة أسماك بحيرة طبريا المجففة او المملّحة رائجة .

**8- الرواحل:** (النص التدمري من 39إلى41,النص الإغريقي ناقص)

كلمة بغل التي بقيت واضحة من هذه الفقرة تدل على أن هناك رسماً على الرواحل المستوردة.

**9- المواشي:** (النص التدمري من42إلى45,النص الإغريقي من 69إلى71)

هذه الفقرة زائلة كلها تقريباً في النصين. و مع ذلك فمّا تبقى يتضح أن كل خروف يدفع عنه آس واحد عند الدخول و مثله عند الخروج.

**10- العطارون:** (النص التدمري من46إلى47,النص الإغريقي من 72إلى74)

يتقاضى الجابي شهرياً من كل عطار آسين.

المقصود حق التمتع و النص التدمري بوضوح الزيت المطيب.

أما النص اليوناني فيذكر ((الزيت))دون تمييز.

**11- المومسات :** (النص التدمري من 48 إلى52,النص الإغريقي من75إلى79)

ويجبى من المومسات اللواتي يتقاضين ديناراً وأكثر ديناراً واحداً من كل منهن ، وممن تتقاضى 8 آسات يجبى 8 آسات وممن تتقاضى 6 آسات يجبى 6 آسات.( ويبدو أن هذا الرسم شهري)

ويُستنتج ذلك من المبدأ المطبق في روما حين سن الامبراطور كاليغولا هذا الرسم . فالخليلان كنّ يدفعن رسماً يعادل ما يتقاضينه في المرة الواحدة . وفي القانون هناك ذكر للنساء العمومياتفي النص الإغريقي تستخدم كلمة ((خليلة )) دوماً فليس هناك مجال للتميز بين فئات تلك النسوة .أما في النص التدمري فتستخدم كلمتان مختلفتان للدلالة عتلى هذا النوع من النسوة .

**12- بعض الرسوم المهنية الأخرى :** (النص التدمري من 53إلى57 ،النص الإغريقي من 80إلى87 ).

في المقطع الأول المشوه يحدد رسم قدره دينار واحد شهرياً على كل دكان مهما كان النوع الذي تتعاطاه في التجارة .

وعند استيراد الجلود أو عند بيعها يرسم على كل جلد آسين .

وباعة الثياب الجوالون في المدينة يخضعون لرسوم مختلفة .

وتجارة الجلود لابد أنها كانت رائجة لوجود المدينة في وسط بدوي يعيش من منتجات الماشية، والجلود الناتجة عن الماشية ، التي تعيش في منطقة تدمر ليست معفاة من الرسوم إذا بيعت .

وسوف نرى في (المادة 23 ) أن جلود الجمال لا تدفع رسماً ، فالجلود المذكورة سابقاً هي جلود الضأن والماعز والأخيرة مفضلة في صنع الضروف . ولا بد أن الرسم على باعة الثياب متناسب مع نشاط تجارتها في المواسم .

**13- استعمال المياه:** (النص التدمري 58,النص الإغريقي 88)

من أجل استعمال المياه النبعين في المدينة 800درهم.في النص اليوناني نذكر ((سنوياً ))ورغم ذلك فالرسم باهظ ولا يمكن أن ينطبق على الإستعمالات المنزلية . فيفترض أن هذا الرسم يكون لقاء استعمال الماء في سقاية بستان أو للحمّامات .أو هو نوع من الاشتراك يؤمن لشيوخ القوافل ماء لسقاية قوافلهم ويلاحظ أن هذا الماء ليس هو الماء الذي يجري في قنوات إلى المدينة بل المياه النبعين الموجودين داخل المدينة.

**14- الحاصلات:**

(النص التدمري من 59إلى60 ,النص الإغريقي من89إلى91).

يتقاضى الجابي عن كل حمل جمل من الحنطة و النبيذ و التبن و ما شابه ديناراً واحداً كل مرة.

وعلى الراجح يعني القانون هنا المحاصيل المجنية حديثاًو رسمها يعادل نصف الرسم الموضوع على المواد الجافة (المادة 13.) و لعل تأويل ذلك أن هذه المواد معفاة من الرسم لكن الرسم يقع على الدواب التي تحملها هذا التأويل يتناقض مع ما سوف يذكر فيما بعد عن المواد الغذائية (المادة 22).

**15- الدواب:** (النص التدمري 61من62, واليوناني من 92إلى 93 )

كل جمل غير محمل يدفع عنه دينار واحد كما رسم سيليكس معتوق قيصر .

إن الرسم المحدد على الجمل الفارغ سيطبق على الحمار الفارغ آيضاً حسب العادة .

والمعتوق سيليكس كان متعهد الرسوم ، ويبدو أن رسوم تدمر كانت من الأهمية بحيث لا يترفع معتوق الامبراطورعن تعهدها .

وهذه المادة هي آخر مواد القانون القديم .

**16- القانون الجديد:** توطئة ( النص التدمري 63-68 ، النص الإغريقي 49 وما بعده )

هنا يبدأ القانون الجديد والتوضيحات التي يجب أن تُضاف للقانون القديم بموجب القرار الصادر عن مجلس الشيوخ وقد اعتقد كثير من الشارحين خطأ بأن القانون الجديد كان يسبق القانون القديم والنص يبدأ بهذه التوطئة :

قانون جمارك تدمر ، وينابيع المياه ، والملح ، الموجود في تدمر وفي إقليمها وفق عقد التعهد المبرم بحضور الوالي مارينوس.

ومن المؤكد أن الأخير كان والياً على سورية في الوقت الذي سن فيه هذا القانون وأن العقد المبرم بحضوره هو التعهد الذي يتحدث عنه القانون .

ويقتصر الأمر على سلعتين الأولى على ما يظهر من النص المشوّه هي (المواد الجافة ) التي رفع الرسم عنها من دينارين إلى أربعة (المادة 2 ) والثانية هي (الأرجوان ) الذي أصبح يدفع عن كل جزة منه 4 دنانير ، بدلاً من 8 آسات (المادة 3 ) فيكون الرسم عليه قد ضوعف 5 مرات .

ويضاف أن كل سلعة خاضعة للرسم سوف تدفع (كما هو مبين أعلاه) وبتعبير آخر لم تتغير الرسوم القديمة الأخرى .

**17- الملح:** (النص التدمري من 69إلى73 ،النص الإغريقي من 116إلى120 )

إن النصين المتعلقين بالملح مشوهان جداً .وفي الحدود التي تتضح يبدو أن الملح المستورد كان يوضع عليه رسم يعادل آساً عن كل (موديوس) قدره 16 (سكستاريوس) والشيئ نفسه للملح المستخرج محلياً . وكان على مالكي الملاحات أن يجعلوا المتعهد يقدر كمية الملح ويقبض عنها الرسم قبل وضعها في البيع .

وما تزال الملاحات مستثمرة حتى وقتنا . ففي سنة 1914 كان هناك مدير للملاحة مقيم في تدمر .

وقد ذكر غرانجزفي سنة 1735على بعد نصف فرسخ من المدينة توجد ملاحة واسعة طولها حوالي فرسخين وعرضها حوالي ثلاثة أرباع الفرسخ ... يعهّد والي دمشق هذه الملاحات بخمسة آلاف قرش لأهالي جيرود الذين يدفعون علاوة على ذلك ثلاثة (موديوس) إلى شيخ تدمر على كل دابة .

ولا تقتصر ملاحات تدمر على تقديم الملح لسكان دمشق وحمص الذين لا يستعملون غيره ، بل إلى القسم الأعظم من المدن والقرى التابعة لهما .

**18- حقوق الجابي :** (النص الإغريقي من 121إلى 138 )

في النص اليوناني حوالي ثلاثين سطراً ليس لهما مقابل في النص التدمري وخلاصتها ما يلي : إذا لم يدفع أحد أحد الرسوم يمكن للجابي أن يأخذ رهناً وفي بعض الحالات يطلب الضعف وإذا اختلف أحد مع الجابي ترفع القضية إلى موظف روماني مقيم بتدمر كان لقبه (( Juridicus )) وثمة تعداد

للحالات التي يأخذ فيها الجابي رهوناً وإذا لم تستعاد الرهون خلال وقت محدد يمكن للجابي أن يبيعها بالمزاد العلني . يلي ذلك إجراء زالت آثاره في النص تماماً .

**19- نظام المياه**: (النص الإغريقي من 139إلى149 )

إن عبارة (ينابيع مياه قيصر) التي نقرأها في النص اليوناني توضح أن الموضوع يتعلق باستعمال الينابيع . ولكن حالة الحجر في هذا الموضوع لا تسمح بتحديد ما هو المقرر في هذا الصدد ولكن تبين أن رسماً كان يُجبى من المخالفين لنظام المياه .

**20- إجراءات غير واضحة :** (النص التدمري من 74إلى101 ،النص الإغريقي من 150إلى180 ).

من هذا الموضع حتى الأخير نجد أسلوب الكتابة مختلف ، فعوضاً عن ذكر السلع الخاضعة للرسم نجد نوعاً من التعليق أو الشرح حول بعض السلع المذكورة سابقاً أو التي لم تذكر .

وبسبب تشوه النصوص ، يتعذر تحديد دواعي هذا التغير في الأسلوب ، ويفترض دينغر أن الإجراءات الجديدة قبل أن تنقش على الحجر قد أخضعت لموافقة حاكم الولاية الروماني وإننا هنا بصدد مطالعة الأخير التي تقر ، مع بعض التعديلات ، المقترحات التي تقدم بها الموظفون التدمريون . وهذا الرأي لا يفسر سنّ الرسوم الجديدة التي وضعت على برونز التماثيل أو العلف . وهي ضرائب لا يمكن أن تسن إلا من قبل السلطة البديلة والأرجح أننا في صدد خلاصة الدراسة التي قام بها الأرخنة معتمدين على المألوف في الجمارك الرومانية وعلى النصوص المستقاة من المقررات السابقة التي اتخذها في السابق ممثلو السلطة الامبراطورية وقد رأينا من قبل (المادة 15 ) أنه حتى في القانون الأول كان هناك استناداً إلى ما اعتاد أن يجبيه معتوق قيصر .

وبمطابقة النصين التدمري واليوناني نجد أن هناك ذكراً لشخص اسمه غايوس وهو وال غير معروف من قبل ( 375) كما أنه يشير إلى ما كان اعتاد أن يجبيه متعهد ضرائب اسمه أسيموس ،ويتكلم عن الرسم المتعلق باستيراد وتصدير العبيد ويبدو أن هذا الرسم يبقى كما هو في المادة الأولى من التعرفة .

ثم يأتي الحديث عن((الصوف )) وإذا كانت قراءة النص صحيحة فثمة إعفاء لتصدير الصوف ((الإيطالي )) ولكن ما هو معنى الصوف الإيطالي ؟ .

21- إن النص التدمري محفوظ جيداً في الخمسة والثلاثين سطراً (102-136 )وهي كما يلي :
إن الرسم على اللحامين يجب أن يحدد بدينار كما أورد جرمانيكوس قيصر في رسالته التي كتبها إلى ستاتيليوس : ((إن القاعدة تقضي بجباية الضرائب على أساس الآس الإيطالي وإذا كان الرسم أقل من دينار فإن المتعند سيعمل على دفعه بالعملة الصغيرة حسب العادة ))
وجثث (الحيوانات ) المرمية ليس عليها أي رسم .
ولا يذكر رسم المسلخ إلا في مرجع واحد كما يقول السيد كاينا الذي يدرس بكفاءة نادرة الضرائب غير المباشرة في الامبراطورية . فكان ذلك الرسم يجبى في المؤسسات العامة حتى المعابد . وكون جثث الحيوانات المتروكة معفاة من الرسوم قد يدل على أن الأفراد كانوا خاضعين لهذا الرسم ، وهو غير محدد في القانون الذي نحن بصدده .على الأقل في القسم الذي ما يزال واضحاً في النص .
ولا بد أنه كان زهيداً فبهذه المناسبة يذكر أن جميع الرسوم يحب أن تقدر بالعملة الرومانية وأن المتعهد لا يلزم بقبض العملة الصغيرة ، المحلية إلا في تسديد ما هو أدنى من الدينار وقد سنّ هذا المبدأ جرمانيكوس الابن المتبنى للامبراطور طيبريوس وقد كان مكلفاً بمهمة فوق العادة في الشرق عام 18 ومات قي أنطاكية سنة 19 . وكانت تدمر آنذاك مستقلة عن روما ، أما ستاتيلوس الذي وجهت إليه رساله جرمانيكوس فقد كان على ما يبدو حاكم ولاية سورية .
**22- المواد الغذائية:** (النص التدمري من 109إلى 117 ،النص الإغريقي من 187إلى193 )
أما الأغذية في القانون ((فقد قررت أن يأخذ دينار واحد لكل حمل إذا ما استورد أو صدر خارج الحدود . أ ما من ينقل الأغذية إلى الضواحي فلا يترتب عليه رسم كما هو متفق عليه ..))
أما أكواز الصنوبر وما شاكلها فقد حدد أن يدفع عنها عند استيرادها للبيع فإنها تدفع رسماً معادلاً للمواد الجافة كما هو المألوف في المدن الأخرى .
إن الفقرة الأولى والثانية في الغالب ، مستقاة من كتاب جرمانيكوس و ((المواد الغذائية )) هي الحنطة والخمر والتبغ والعلف و رسمها أعلى (المادة14 ) ويوضح هنا أن الرسم يتوجب عند اجتياز الحدود أما حركتها داخل الإقليم التدمري فلا توجب الرسم .
وأكواز الصنوبر تدفع الرسم كمواد غذائية . والصنوبر المستخرج من بعض الأنواع مرغوب جداً في الشرق وفي إيطاليا والبروفانس الفرنسية . (الأشياء المماثلة ) هي اللوز والجوز والفستق وأمثالها

من المكسّرات . والرسم على كل هذه المواد المحددة في القانون الأول (المادة 2 ) هو ضعف الرسم على المواد الغذائية .

**23- الدواب:** (النص التدمري من 118إلى123،النص الإغريقي من 194 وما بعده)

الجمال المحملة وغير المحملة التي تجتاز الحدود يدفع عن كل جمل منها دينار ، حسب القانون ، ووفق ما حدد ، صاحب السعادة كوربولون في الرسالة التي كتبها إلى بارباروس .

أما جلود الجمال فقد استبعدت لأنها غير خاضعة للرسم .

وفي السابق (المادة 15 ) لم تذكر إلا الجمال غير المحملة .

وهنا تطبق قاعدة عامة على جميع الحالات التي يكون فيها الرسم المحدد بالقانون لا يتضمن بعد الرسم الموضوع على الدواب .

وهذه القاعدة تستند إلى رسالة من كن . دوميسيوس كوروبولون، القائد الروماني الذي حكم الشرق قي عهد نيرون ، فكان والياً على سورية في سنة 62 ، امابارباروس فقد يكون مسؤولاً عن أحد مراكز الجمرك.

وكانت جلود الجمال تستخدم كغطاء للبيوت والبضائع .

ولصنع أحواض الماء عند الآبار (كم ناقة شربت بجلد مواردها) مَثَل

**24- الحشائش:** (النص التدمري من123إلى124 ، يوناني ناقص )

إن الحشائش (وهناك شيئ غير واضح لعله الخضار )

يجب أن تخضع للرسوم (إذ أنها موضوع تجارة )

وليس الأمر أمر تعيين رسم عليها ولكن تعيين ما يتوجب عليه الرسم منها . ورسم المحاصيل (المادة 14) مطبق عليها .

**25- الخليلات**: (النص التدمري من 125إلى 128 ، الإغريقي مشوه)

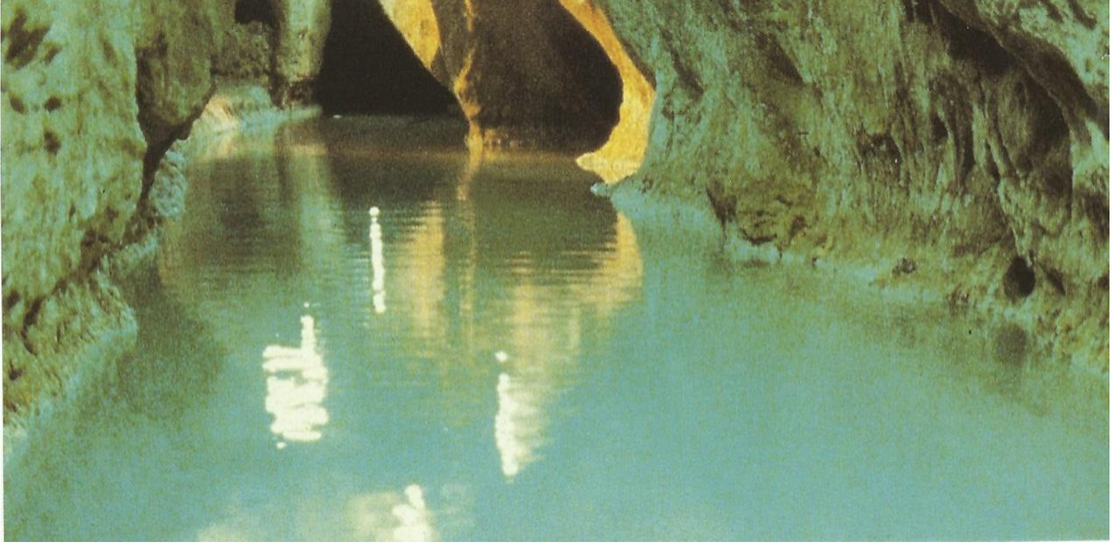
لقد حدد رسم الخليلات كما جاء في القانون : يتناول الجابي رسماً قدره دينار من كل امرأة تتقاضى ديناراً وأكثر أما إذا كان هناك من يتقاضى أقل فيتناول منها رسماً يعادل ما تتقاضى .

وهذه هي المرة الثانية التي يرد فيها ذكر الخليلات (المادة11 ) وليس من تغيير في الرسوم واستعمال صيغة المتكلم (حددتُ) تدل على اقتباس من رسالة كوربولان .

**26- التماثيل:** (النص التدمري من 128إلى130 ،الإغريقي ناقص )
تقرر أن يدفع عن الصور البرونزية والتماثيل كما يدفع عن البرونز بمعدل التمثال كنصف حمل والتمثالان كحمل واحد .
وكانت تماثيل البرونز تستورد من اليونان وقبرص ،وهنا كما في حالة الحشائش يذكر أن مادة التماثيل خاضعة لرسم دون تحديد قيمة الرسم المعتاد.

**27- الملح:** (النص التدمري من130إلى136 ،اليوناني ناقص ).
أمّا الملح فقد بد لي من الأفضل أن يعرض للبيع في الساحة العامة حيث يتجمع الناس .والتدمري الذي يشتري الملح لاستعماله يدفع آسا ايطاليا عن كل كيل (موديوس) . وضريبة الملح في تدمر كما في الولاية سوف تسحب على أساس الآس والملح يسلم للتجار البياع حسب العادة .
وهذا النص يؤيد ما ذكر سابقاً (المادة 71) ومن الفقرتين يمكن أن نستنتج أن الملح كان يباع في الساحة العامة في تدمر كما في الولاية.
وكل يستطيع شراءه إذا دفع رسماً قدره آس عن كل كيل ((موديوس)) . ولربما المقصود هو الملح الذي هو احتكار للدولة الرومانية ومتعهده لم يكن يترتب عليه أي رسم . ولذلك كان الرسم يدفع من قبل الشاري . أمّا الملح المستخرج من تدمر فيكال أولاً وبعد دفع الرسم تصبح تجارته حرة .
وهنا يصبح قانون الرسم مشوهاً ، على كل حال يتضح ذكر الضريبة على الأرجوان وعلى الباعة المتجولين والخياطين والسروجية ، وصناع الجلود .

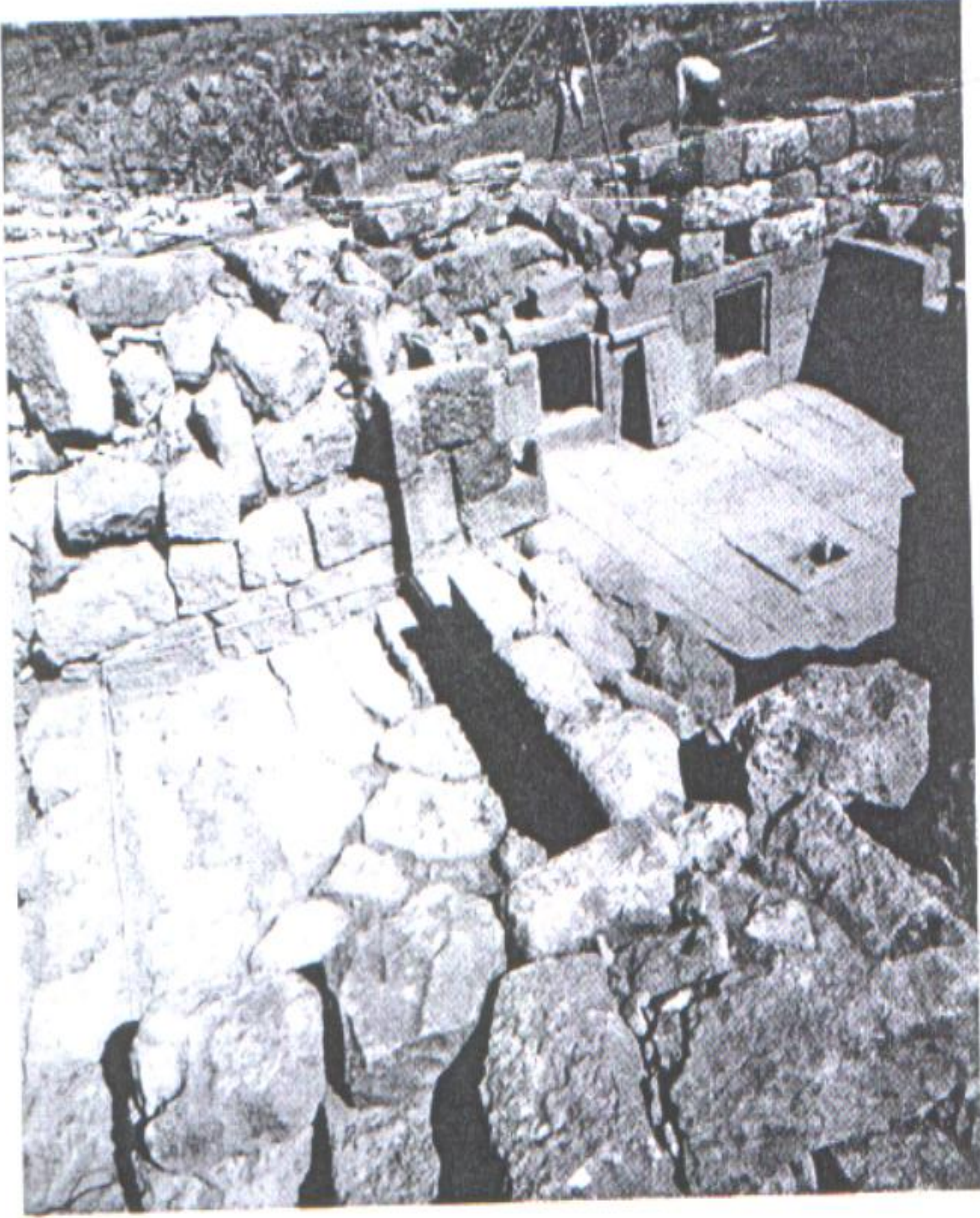
**28- المواشي:** (النص التدمري من 145 إلى149 ،الإغريقي من 231إلى237 )
مما تبقى من النص يفهم أن المواشي التي تجتاز الحدود تخضع لرسم الاستيراد ولكن إذا دخلت من أجل أن تجز فلا تدفع رسماً .
وآخر فقرة من النص التدمري منقوشة على الإطار السفلي للحقل وهي مشوّهة أكثر من النص اليوناني وحسب ما جاء في الأخير فإن حقل الرعي لا يخضع لرسم خاص . ولكن الحيوانات التي تدخل أراضي تدمر للرعي تخضع للرسم العادي وللجابي الحق في أن يوسمها إذا أراد .



صورة رقم (1) نبع أفقا
عن عفيف البهنسي ، سورية التاريخ والحضارة،منطقة البادية وتدمر ، وزارة السياحة ، ص88 .



صورة رقم (2) شكل أقنية المياه في قنوات
عن حسن حاطوم ، قنوات (قاناتا القديمة) ، ط1 ، دمشق 1997 ، فهرس الصور.



صورة رقم (3) منظر داخلي للمعصرة عن ج.م.دانتز، الكرمة في جبل العرب



الإناء الأول



الإناء الثاني

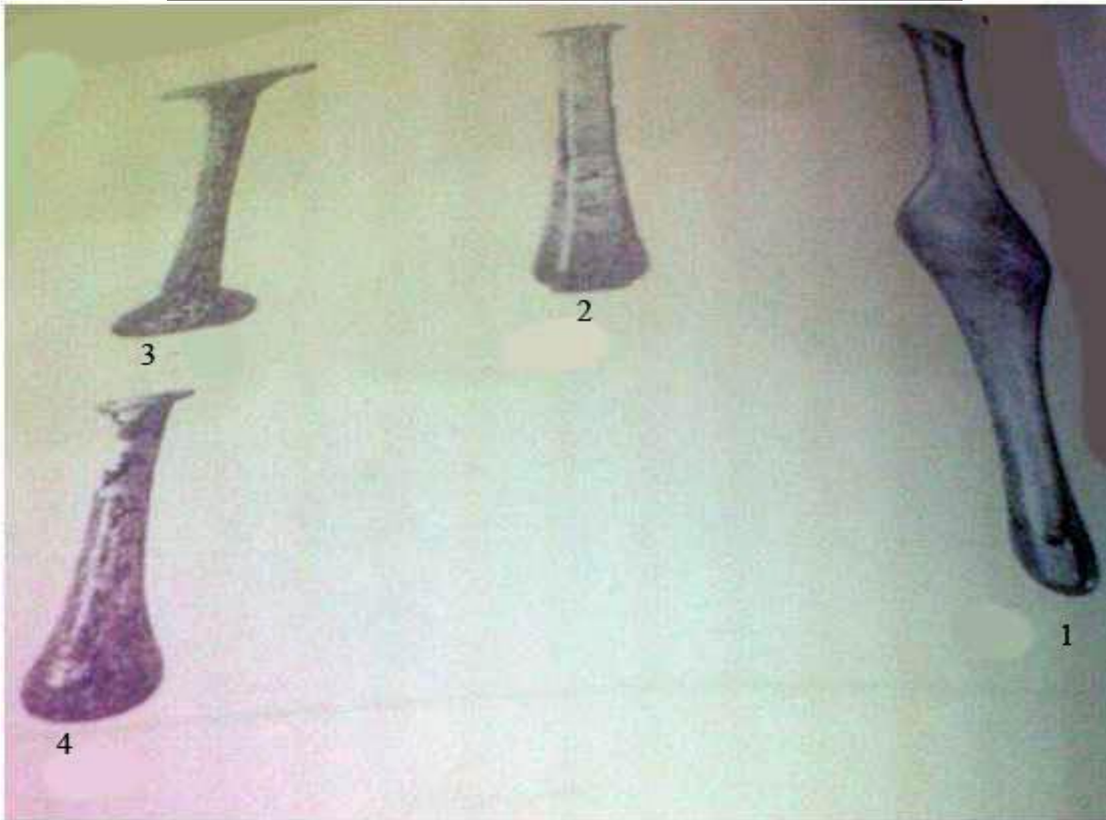


الإناء الثالث

صورة رقم (4) آنية زجاجية بزخارف نباتية
**Perkins .The Excavations atDura-Europos.(1-2)Pl.XXXVIII,(3) Pl.XXXVII , Oxford, 1973.**



صورة رقم (5)آنية ذات فوهة واسعة كالبالون
Perkins .The Excavations atDura-Europos,Pl.XXXVII,

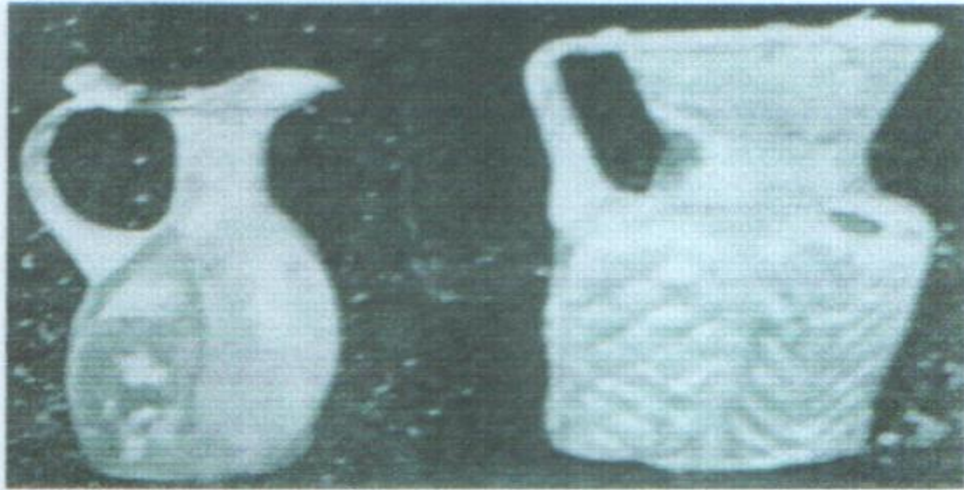



صورة رقم (6) بعض أشكال الأواني الزجاجية

Perkins .The Excavations atDura-Europos XXXVI , Oxford, 1973.



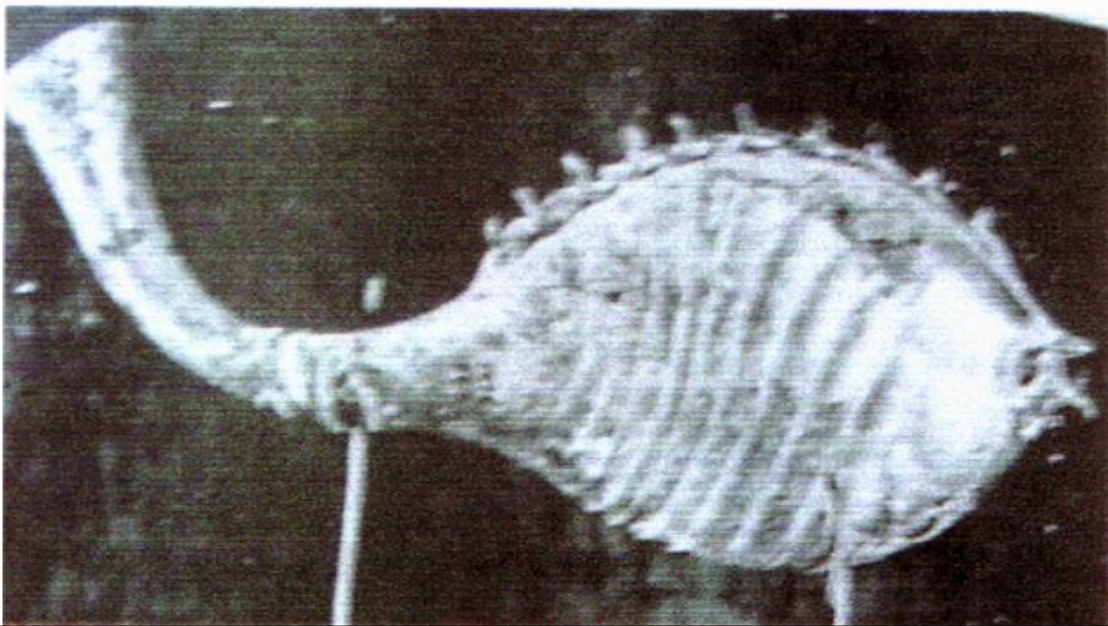
صورة رقم (7)إناء زجاجي حليبي اللون يعود للقرنين الأول والثاني
عن بشير زهدي ، لمحة عن الزجاج القديم وروائعه ، اللوح الأول.



صور رقم (8) نماذج من الآنية الزجاجية المنفوخة بواسطة أسطوانة تعود للقرن الثالث الميلادي
عن بشير زهدي، اللوح السابع .



صورة رقم (9) قماقم زجاجية صغيرة لها شكل وجه أو وجهي إنسان تعود للقرنيين الثاني والثالث
عن بشير زهدي، اللوح الثاني .



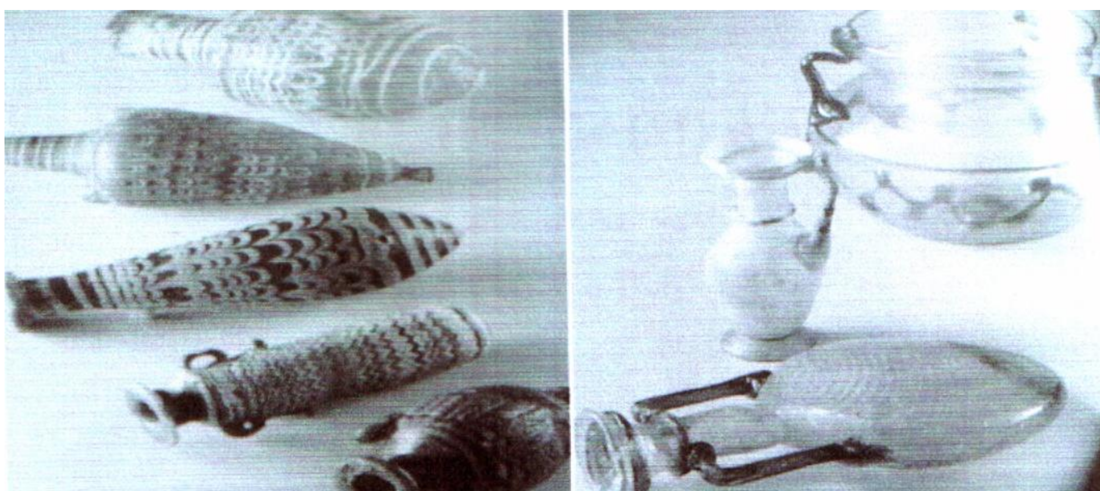
صورة رقم (10) نموذج من الزجاج المنفوخ في قالب له شكل سمكة وتعود للقرن الثالث الميلادي
عن بشير زهدي، اللوح الثاني .



صورة رقم (11)
زجاجة عسلية تزين سطحها حبيبات تشبه ثمرة الصنوبر أوعنقود العنب تعود للقرن الثالث الميلادي عن بشير زهدي، اللوح الثالث .



صورة رقم (12) زجاجات خاصة للعطر والبلسم
عن Dentezer, J, Bosra Aur Portes De LArabie, Damas2007, p.53.

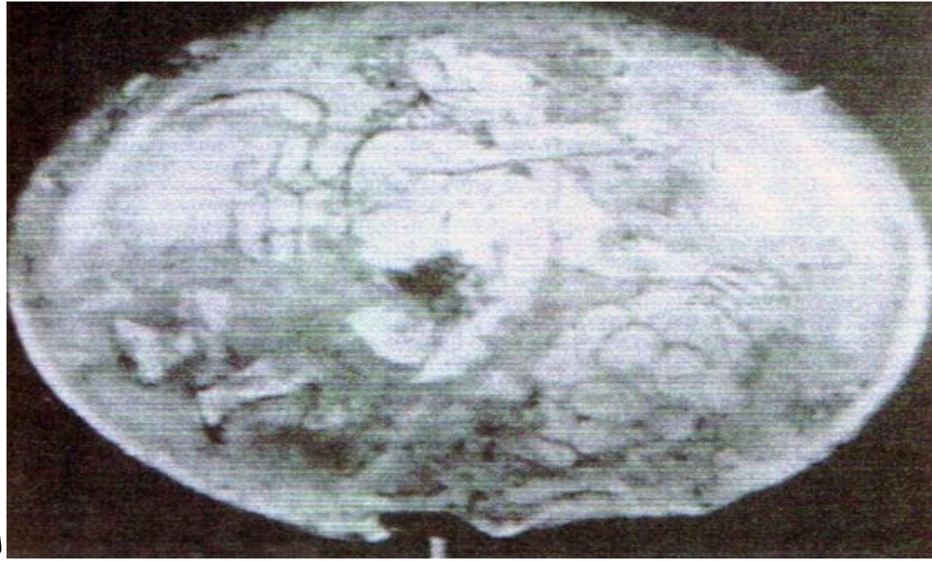


صورة رقم (13) بعض الأواني الزجاجية العائدة للفترة الرومانية
Sartre,M. La Syrie antique ,op.cit.p.73.


الصحن الأول



الصحن الثاني



الصحن الثالث

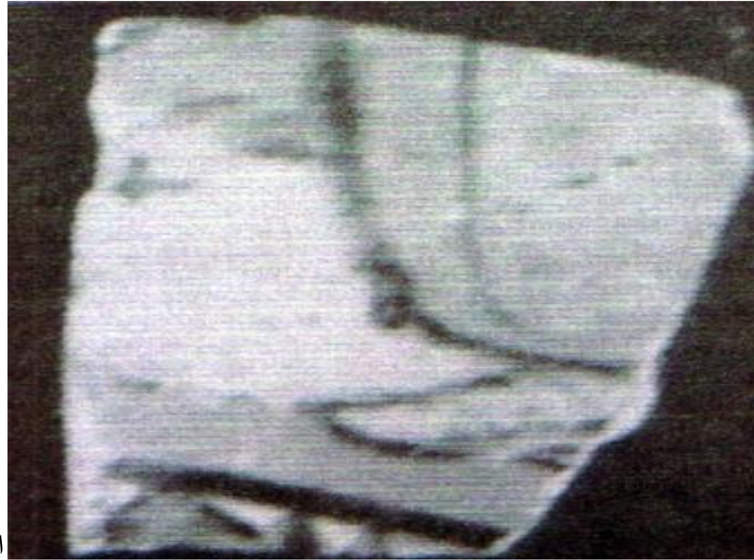
صورة رقم (14) نماذج من صحون تعود للنصف الثاني من القرن الثاني الميلادي
عن سليم عادل عبد الحق ، أوان زجاجية مصورة من العهد الروماني ، Pl.II-III



الكسرة الأولى

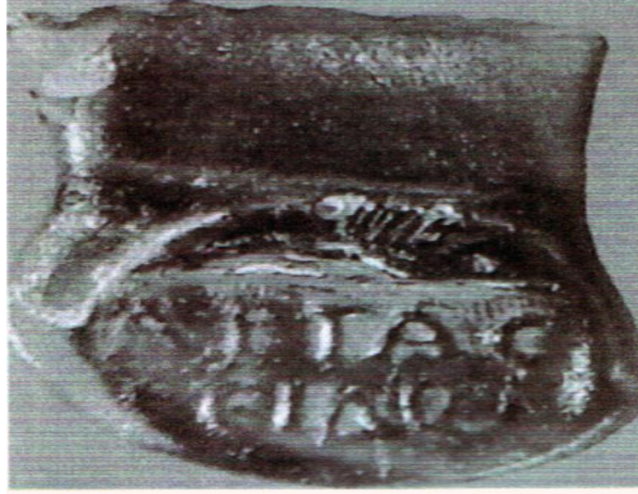


الكسرة الثانية

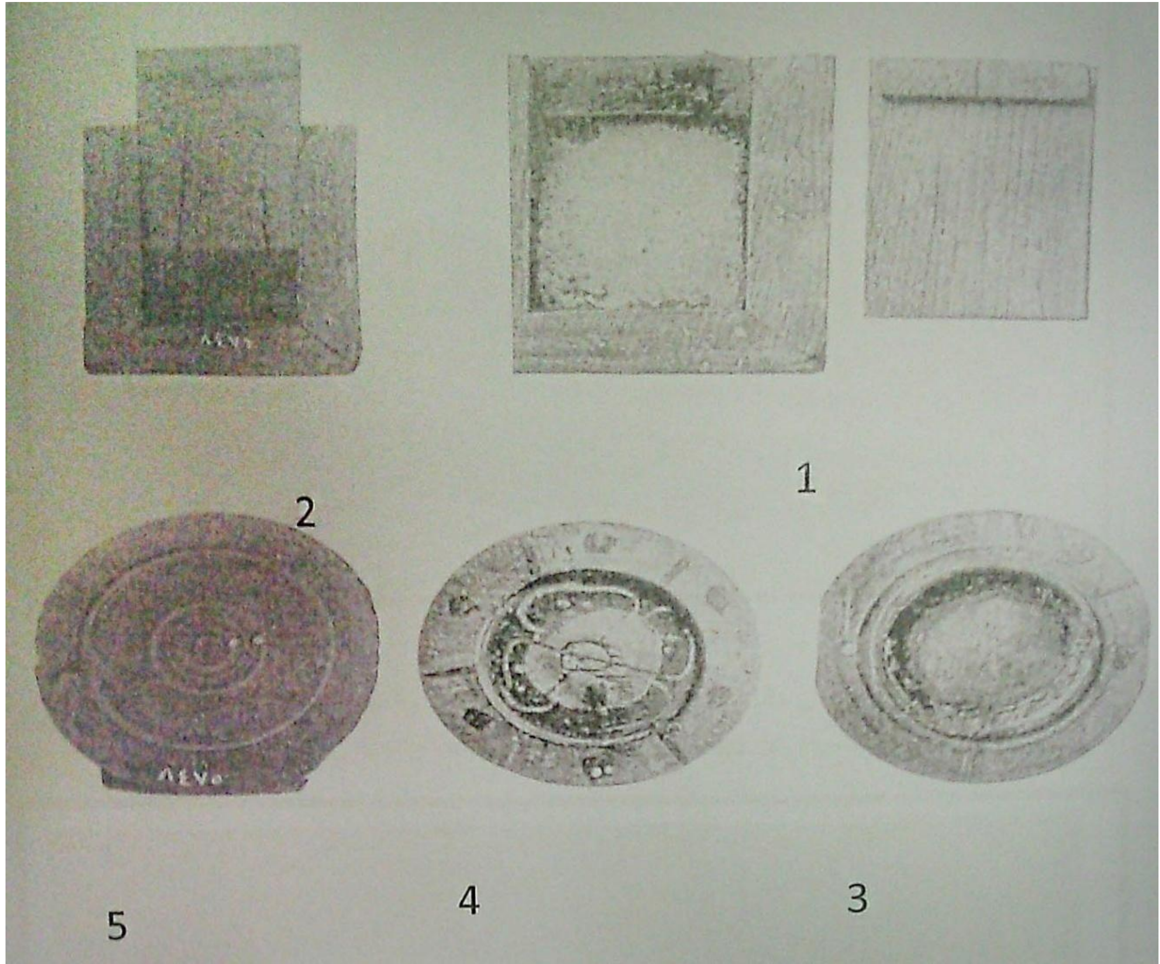


الكسرة الثالثة

صورة رقم (15) كسرات زجاجية عائدة لكاس
عن سليم عادل عبد الحق ،أوان زجاجية مصورة من العهد الروماني ، Pl.VII

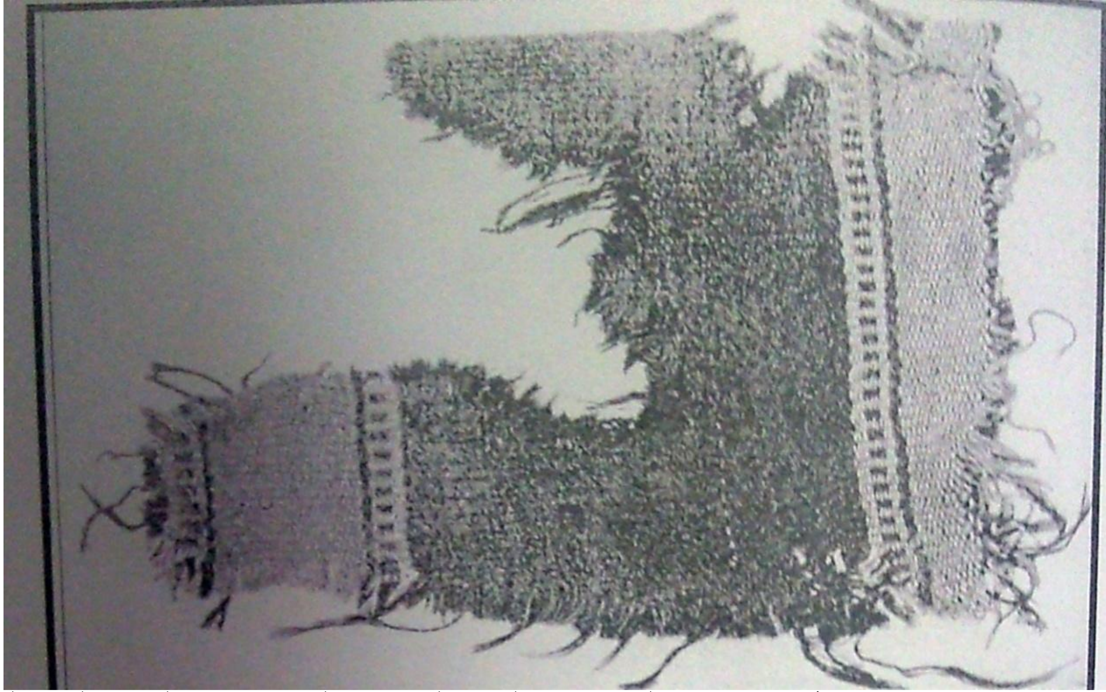


صورة رقم (16)
آنية زجاجية موقعة بإسم صانع الزجاج الصيداوي أرتاس عن
Sartre,M. La Syrie antique ,op.cit.p.73.

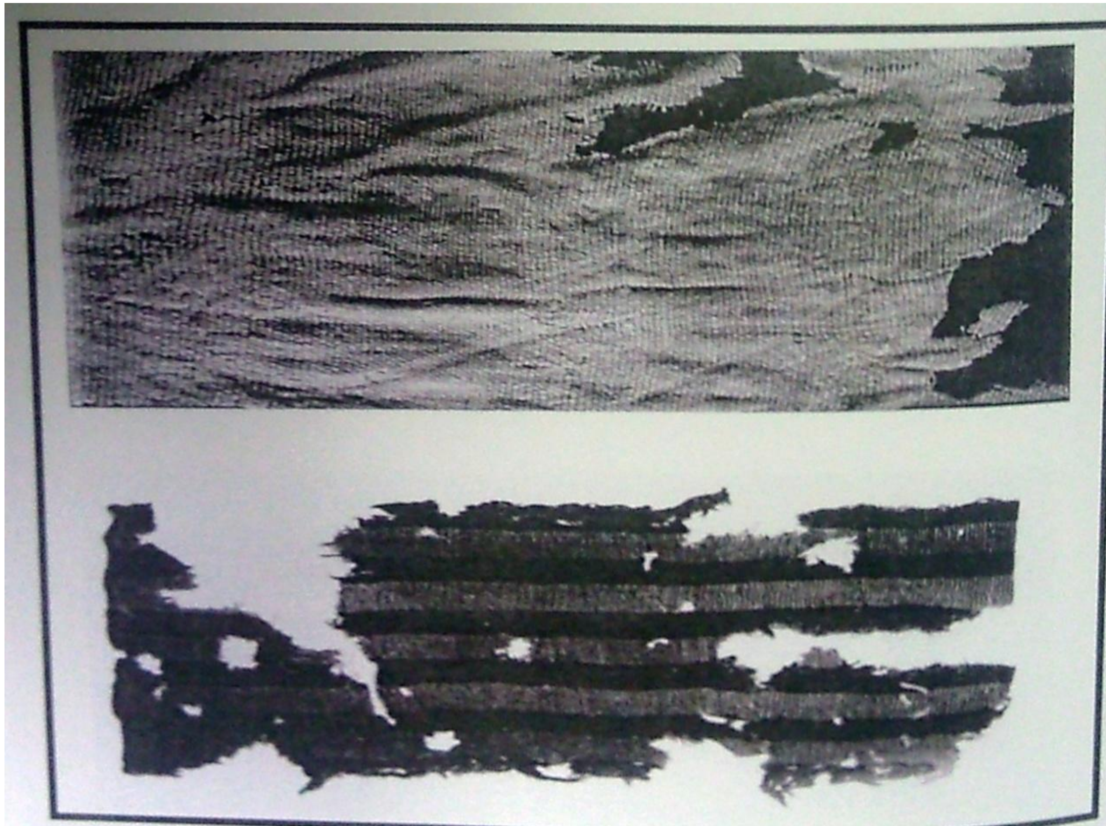



صورة رقم (17)

المرايا (1-3) عن بشير زهدي" لمحة عن المريا القديمة ونماذجها " ، اللوح الثالث والمرايا( 4-5) عن Toll.N.P. P.32



**نموذج من نسيج صوفي ، متعدد الألوان مقسم إلى ثلاثة نطاقات متفاوتة المساحة تفصلها ثلاثة نطاقات كل مساحة ومزخرفة بزخرفة هندسية**



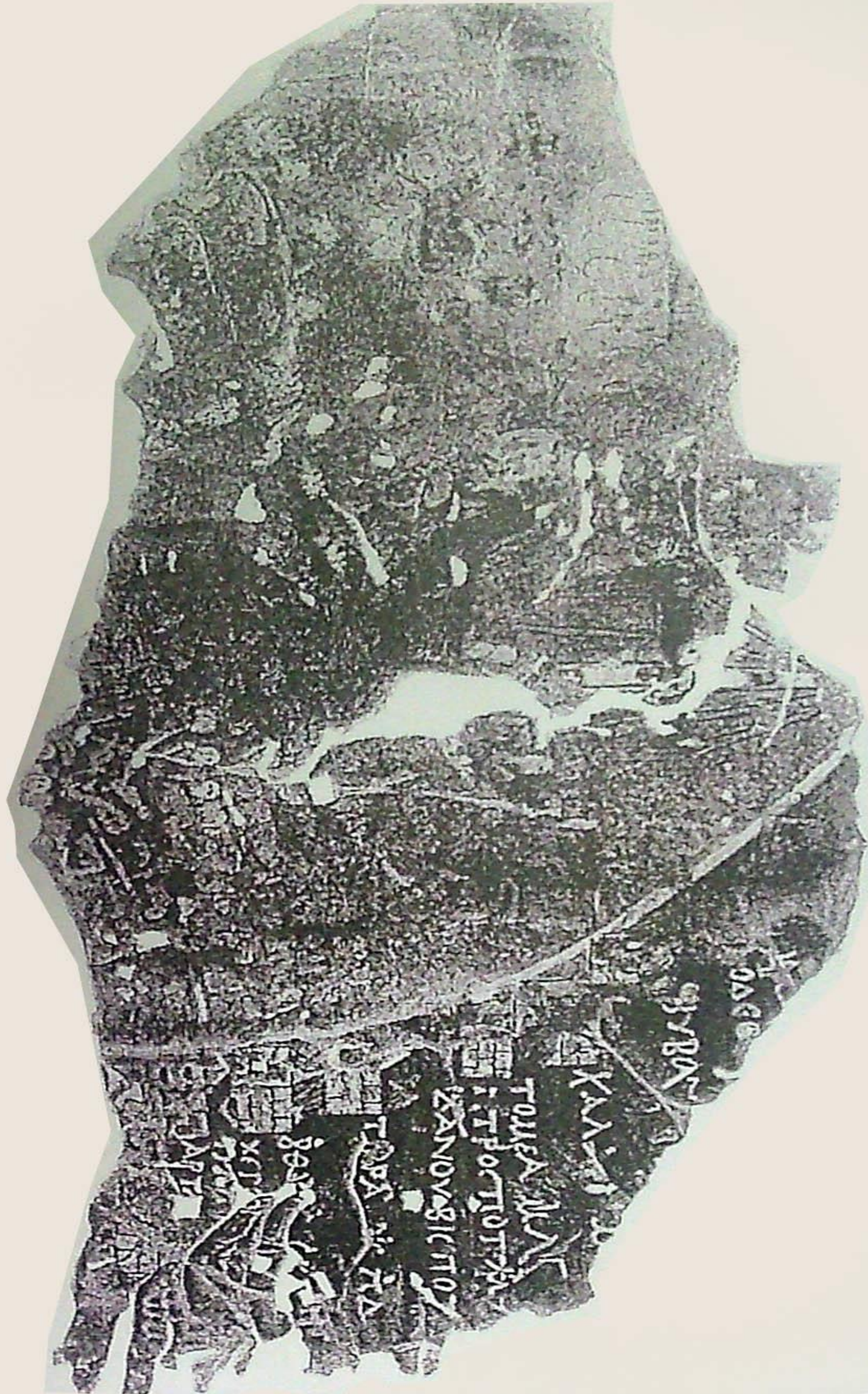
صورة رقم (18)
أنسجة متنوعة مخططة ، وسادة تظهر فيها طريقة النسيج المكون من اللحمة والسداة ، من مكتشفات دوراأوروبوس
عن عن Cumont,F1926,p.129.



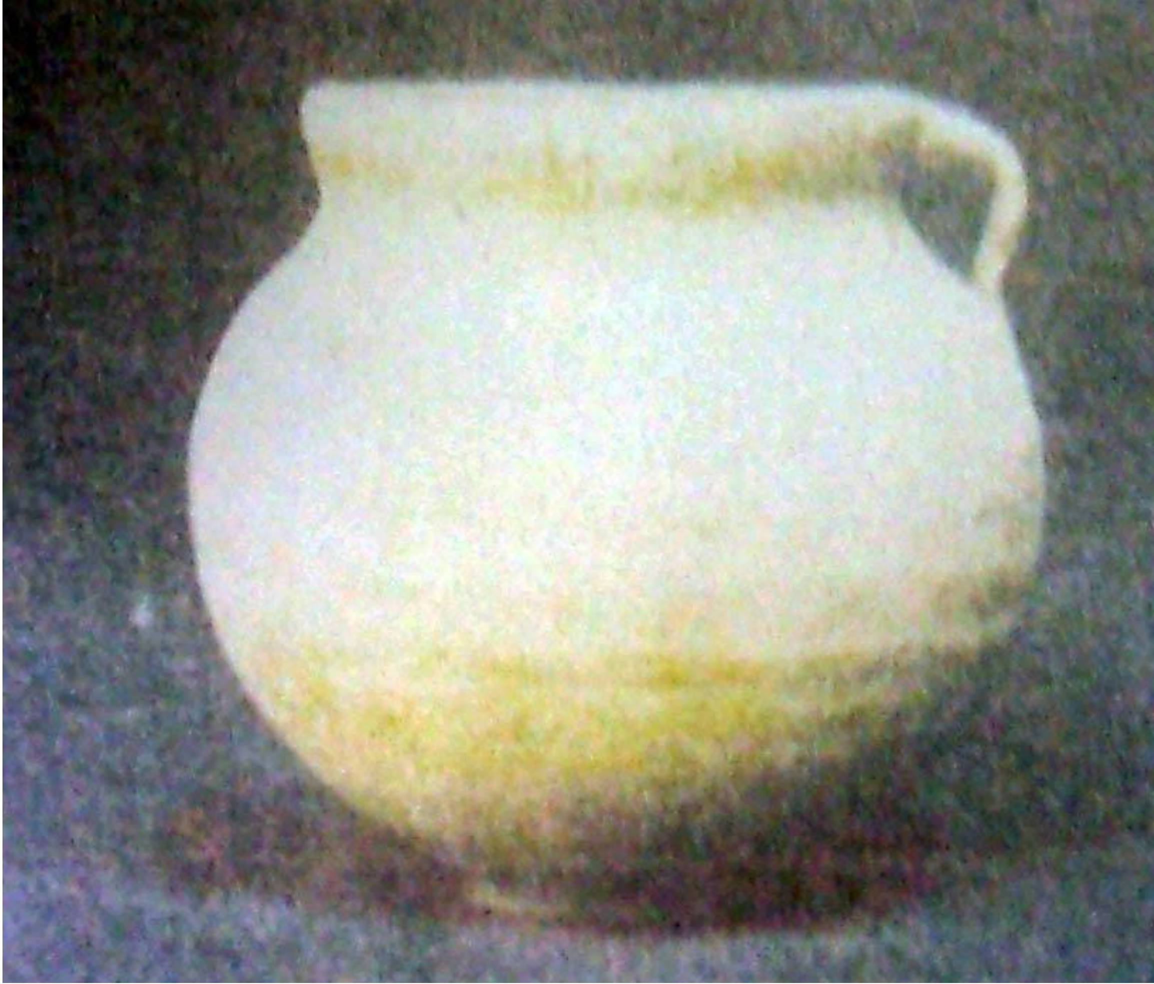
صورة رقم (19)
نسيج من صوف أرجواني مُحاك مع خيوط حريرية ذونوعية جيدة وذو لمعة مثل الحرير
عن اندرياس شمت كولينيه ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 42 ،ص428.



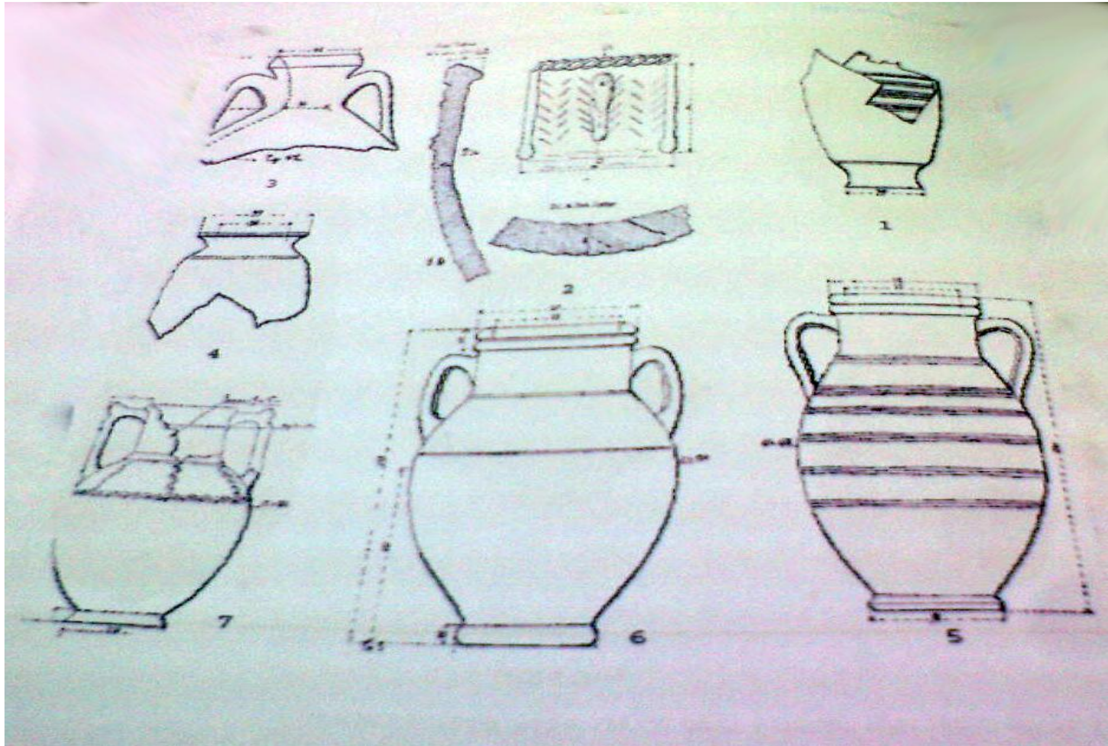
الصورة رقم (20)
لوحة مريمين الفسيفسائية عن عبد الرزاق زقزوق ، فسيفساء مريمين في متحف حماه ، الحوليات ،Pl.I



صورة رقم (21) قطعة نسيج حريري عثر عليها في دوراأوررربوس
عن .Cumont,F1926,p.110



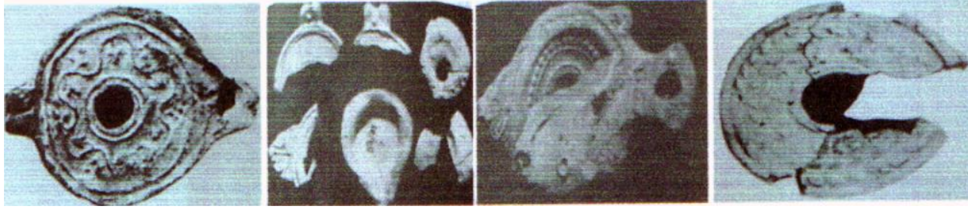
صورة رقم (22)إناء فخاري ذات فوهة واسعة كالبالون
عن معرض المكتشفات الأثرية الحديثة ،ص 113.



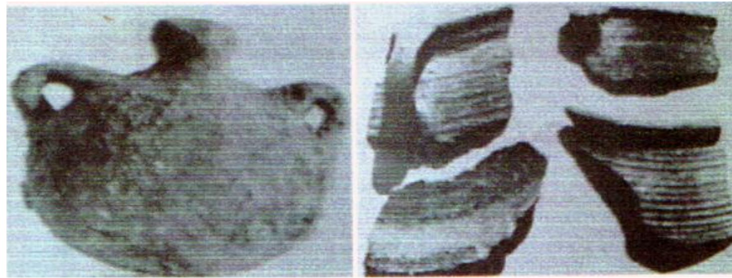
صورة رقم (23) مجموعة رسوم جرار فخارية
عن .Cumont,F1926,p.120



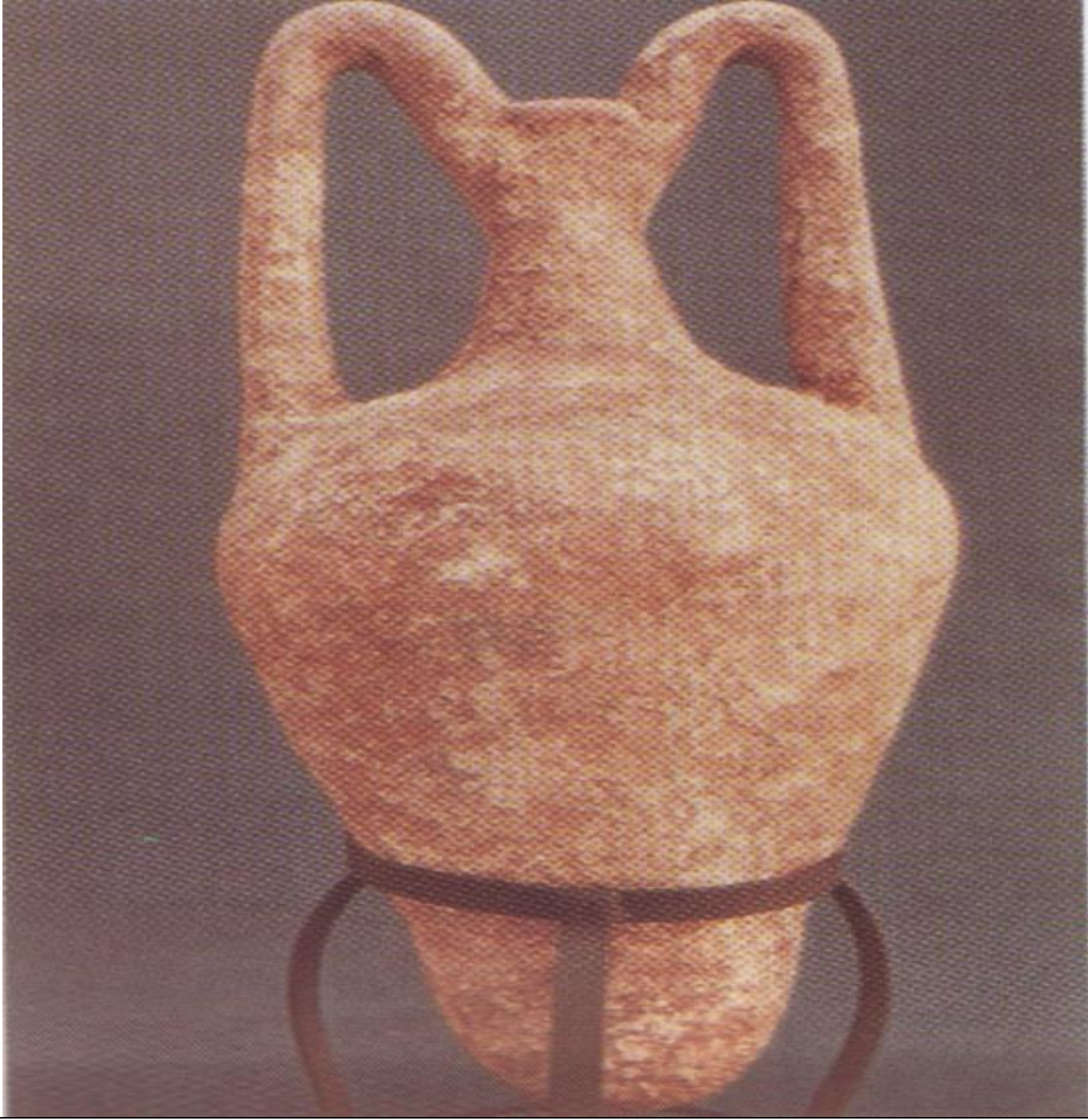
صورة رقم(24) آوان فخارية ملونة بالأخضر مختلفة الأشكال
عن .Cumont,F1926,p.129



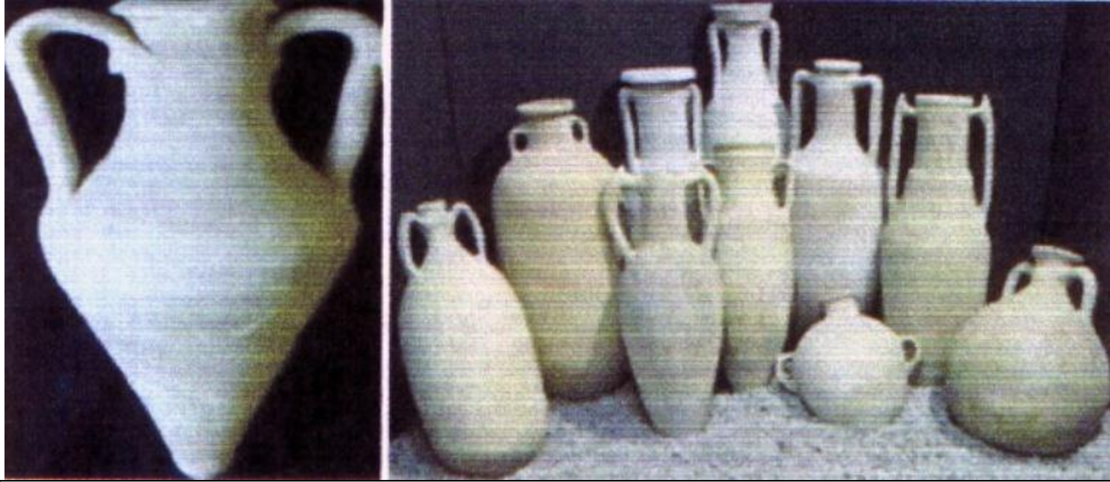
صورة رقم (25) بعض المصابيح المكتشفة في تدمر
عن ماريا كروغولسكا ، الفخار التدمري ، الحوليات ، مج42، ص 350-352.(القسم الأجنبي)



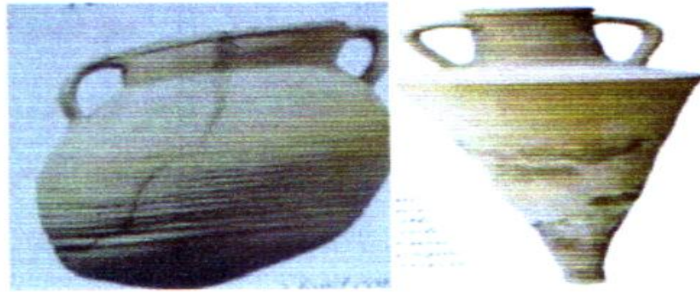
صورة رقم (26) مجموعة من قدورالطبخ والأواني الأخرى
عن ماريا كروغولسكا ،المرجع المتقدم، ص 353،351.(القسم الأجنبي)



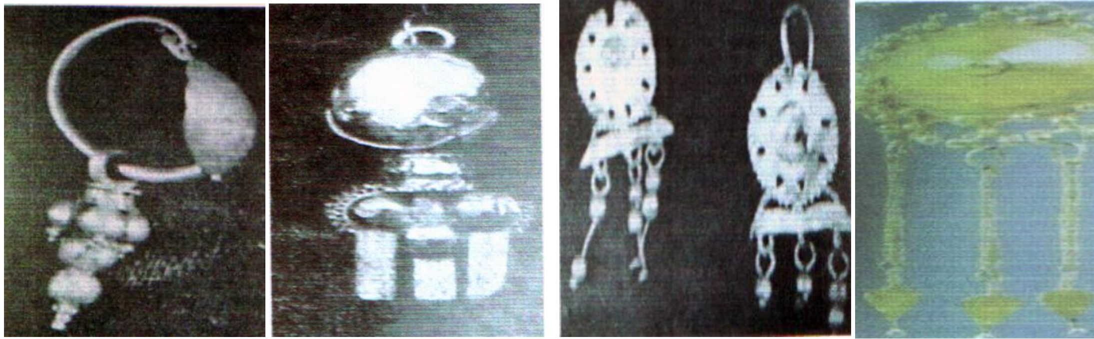
صورة رقم (26) أمفورة من مكتشفات الساحل السوري
عن عفيف البهنسي ، سورية التاريخ والحضارة،المنطقة الساحلية ، وزارة السياحة ، ص96.



صورة رقم (28) أمفورات تعود للفترة الرومانية
عن حسين حجازي ، الأثار البحرية ،ص 193.



صورة رقم (29) أمفورات مكتشفة في المنطقة الجنوبية
عن .Dentezer ,op.cit, Jp.53

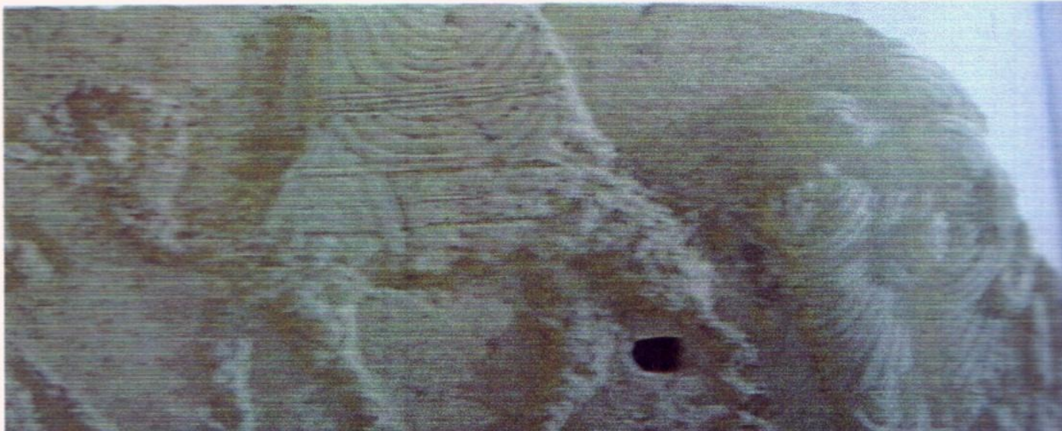


صورةرقم (30 ) صورةرقم (31) صورةرقم (32) صورةرقم (33)

**عن بشير زهدي ، الحلي الذهبية القديمة وروائعها ، الألواح ( التاسع والرابع عشر والخامس عشر )**



صورة رقم (34) منحوته لجمل محمل بالبضائع من تدمر
عن .Degeorge ,G, palmyre metropole Caravaniere , paris 2000,p.98

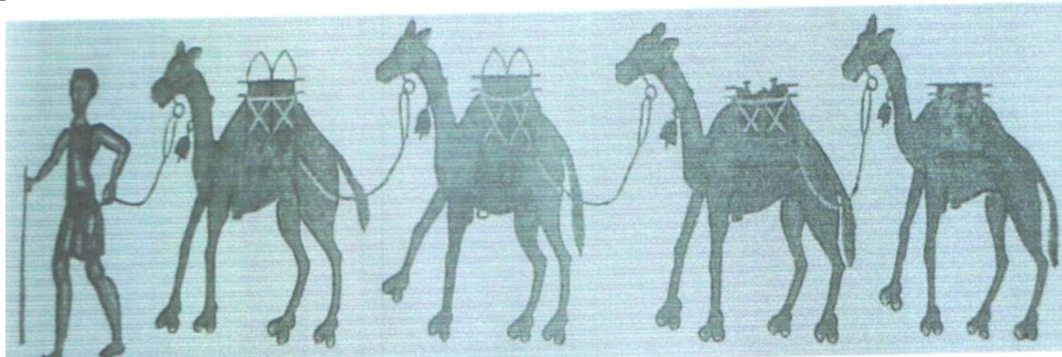




صورة رقم (35) منحوته لجمال محملة ببضائع من تدمر
Sartre .A, Sartre .M palmyre LA Cite Des Caravaniere,p.80.



صورة رقم (36) الآلهة التدمرية على ظهور الجمال
Rostovtzeff.M.Dura –Europos and its Art Oxford 1938.p.94

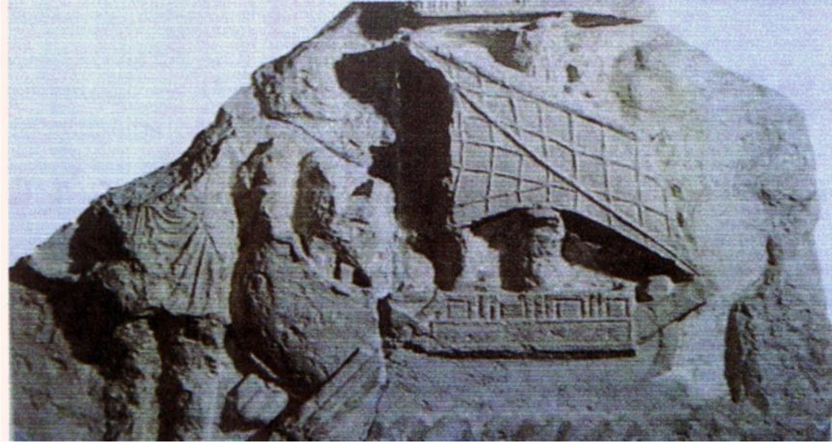


صورة رقم (37) قافلة صغيرة من الجمال
Sartre,M. La Syrie antique ,op.cit.p.77.

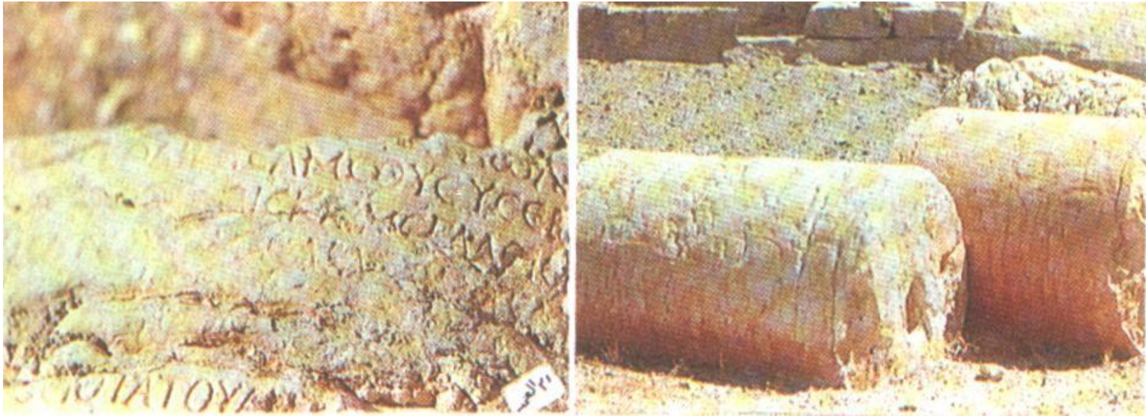


صورة رقم (38) قافلة حمير يقودها رجل

عن ج.م دانتز ، سورية الجنوبية ، ص243.



صورة رقم (39) سفينة حنينو بن حدودان وعلى متنها التاجر التدمري ماركوس
Sartre,M. La Syrie antique ,op.cit.p.69.



صورة رقم (40) أعمدة منقوشة من (أم عمد)

صورة رقم ()41

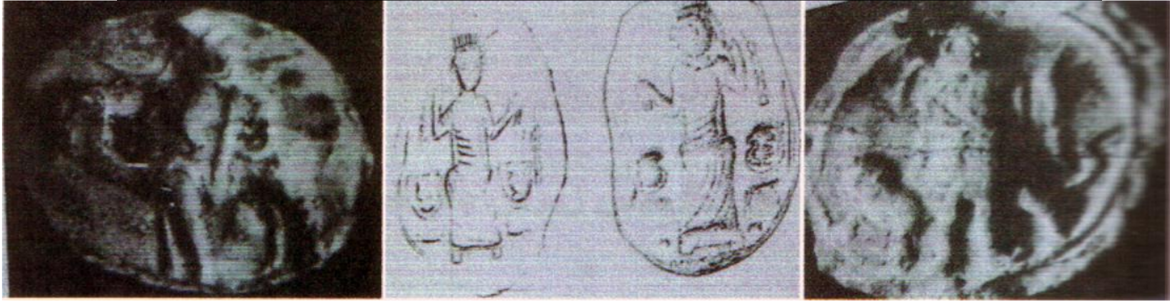




صورة رقم (42) بوابة تدمرعن ليلاس محمدعلي ، معهد شايو 2003، ص22



صورة رقم (43) إله دورا الرئيس زيوس بعل شمين
Rostovtzeff.M.Dura –Europos and its Art.p.10.



**الربة أرتميس الربة أتراكتيس راكب جمل**

**صورة رقم (44) ألواح من الطين المشترك بين تدمر ودوراأوروبوس**

**عن عفيف البهنسي ، سورية التاريخ والحضارة،منطقة البادية وتدمر ، وزارة السياحة ،ص73.**




صورة رقم (45) نقداً برونزياً يحمل الحرفين S.C
عن خالد كيوان ، إنتاج المسكوكات في دمشق وريفها ، 27.





صورة رقم (46) الأوريوس صورة رقم (47) الدينار

عن .Encyclopedia Roman world, p.106





صورة رقم (48) السستار صورة رقم (49) الآس

عن .Encyclopedia Roman world, p.106





صورة رقم (50) السومي صورة رقم (51) الدوبونديوس

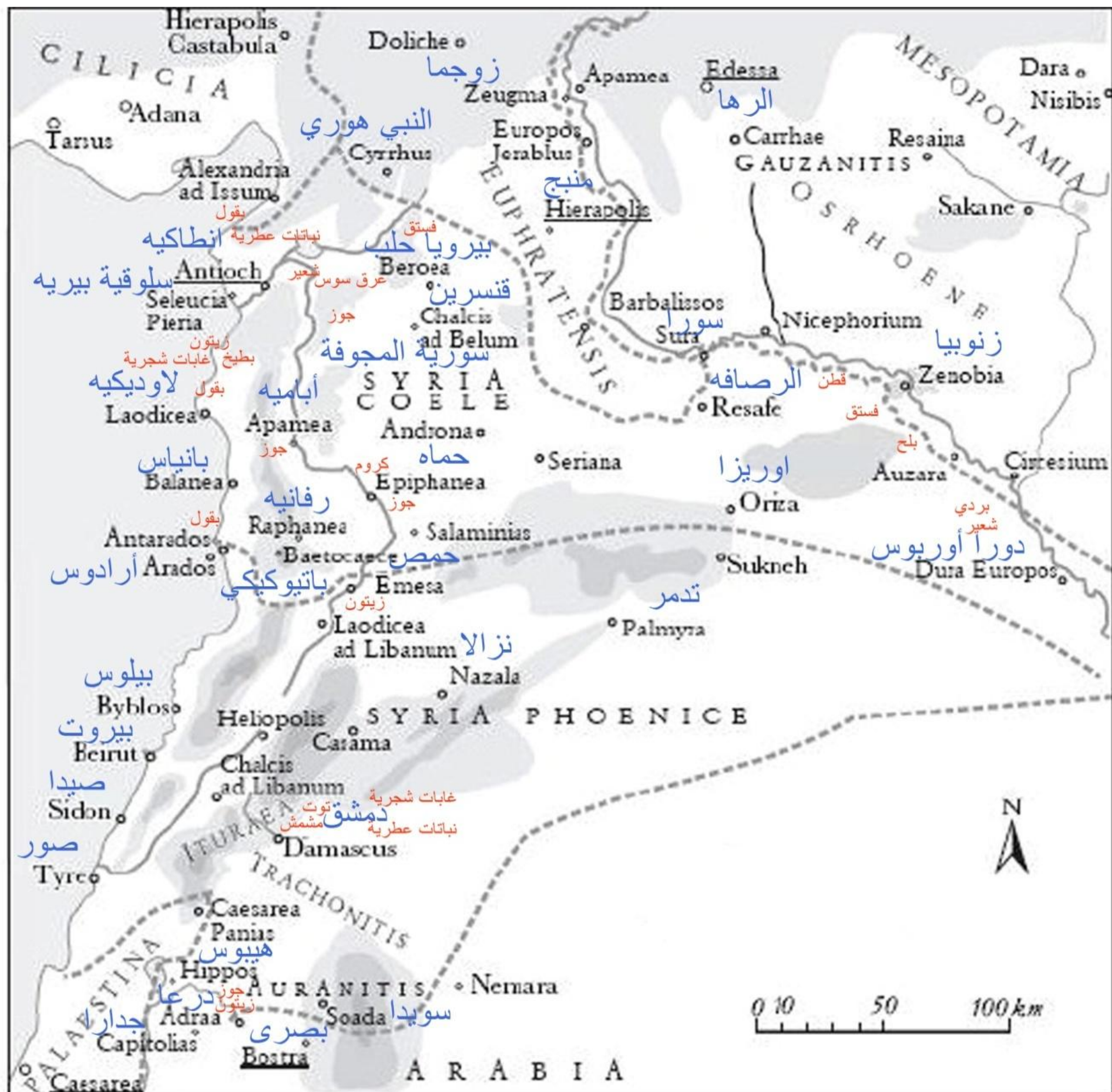
عن خالد كيوان ، إنتاج المسكوكات في دمشق وريفها ، ص 30.





صورة رقم (51) الكدرانوس صورة رقم (52) نقداً تدمرياً يحمل صورة زنوبيا

عن .Encyclopedia Roman world, p.106




**خريطة رقم (1)**

**أهم المحاصيل الزراعية في سورية في العصر الروماني**

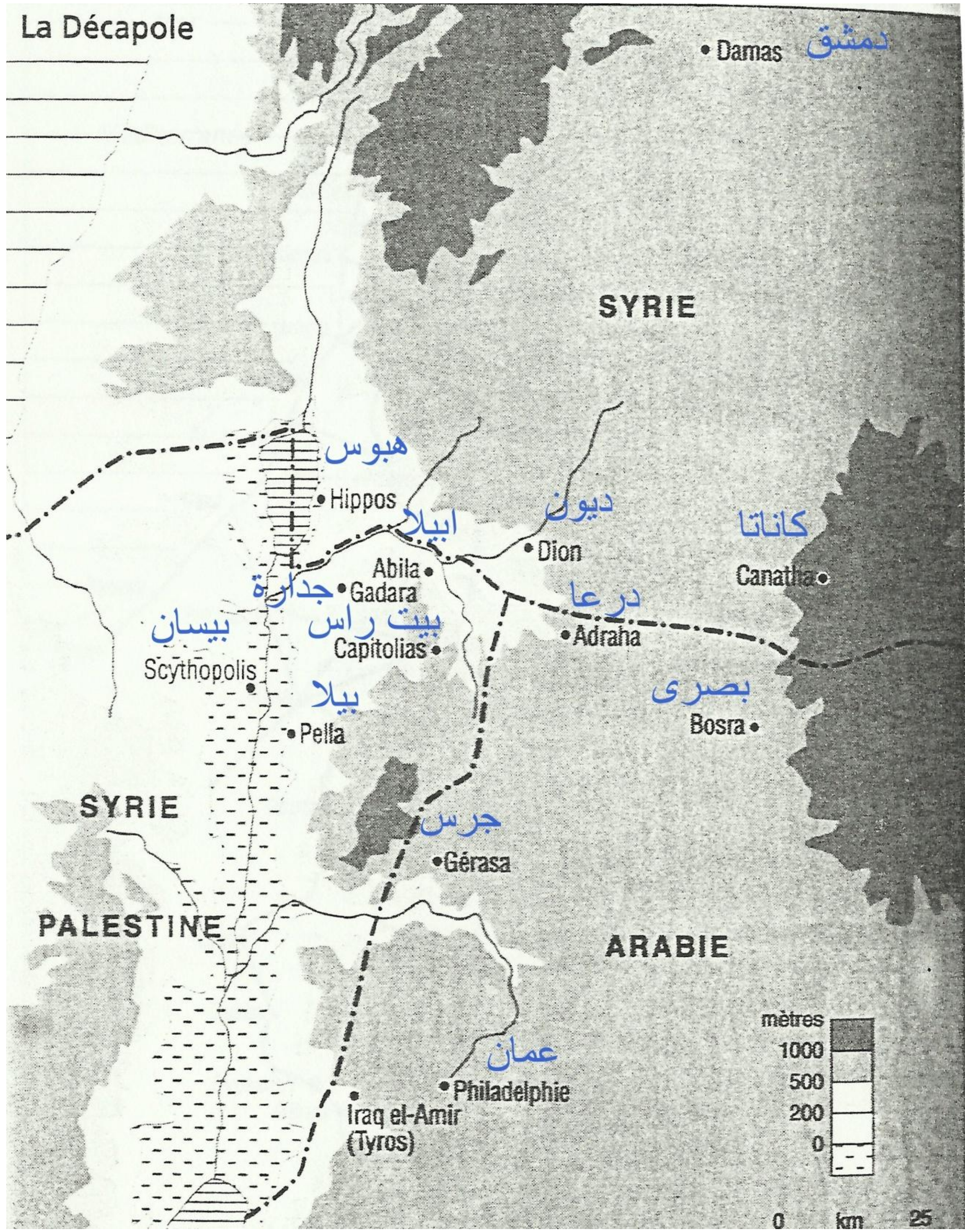
**فهرس المصورات.Ross Burns, Damascus A History, London 2007(مع التعديل)**



**خريطة رقم (2)**

**أهم الصناعات في سورية في العصر الروماني**

**Ross Burns,op.cit. (مع التعديل)**




**خريطة رقم (3) مدن الديكا بوليس**

**(مع التعديل)** Sartre.M, D´Alcxandre ÀZénobie.p.1014.




خريطة رقم (4) مدن التيترابوليس، مدن السيروستيكا

**(مع التعديل)** Sartre.M, D´Alcxandre ÀZénobie.p.1010.



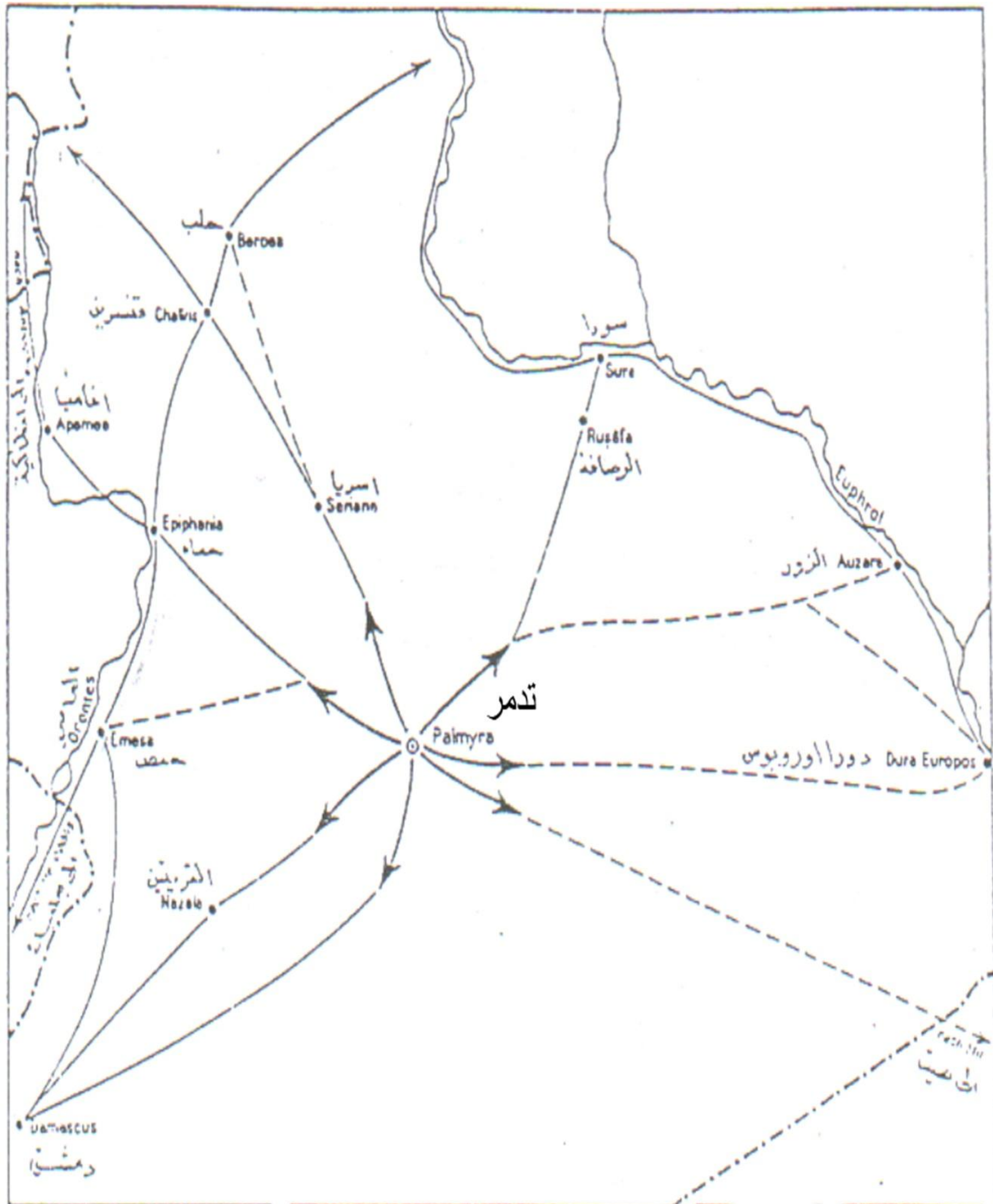
خريطة رقم (5)

أهم المدن في سورية في العصر الروماني

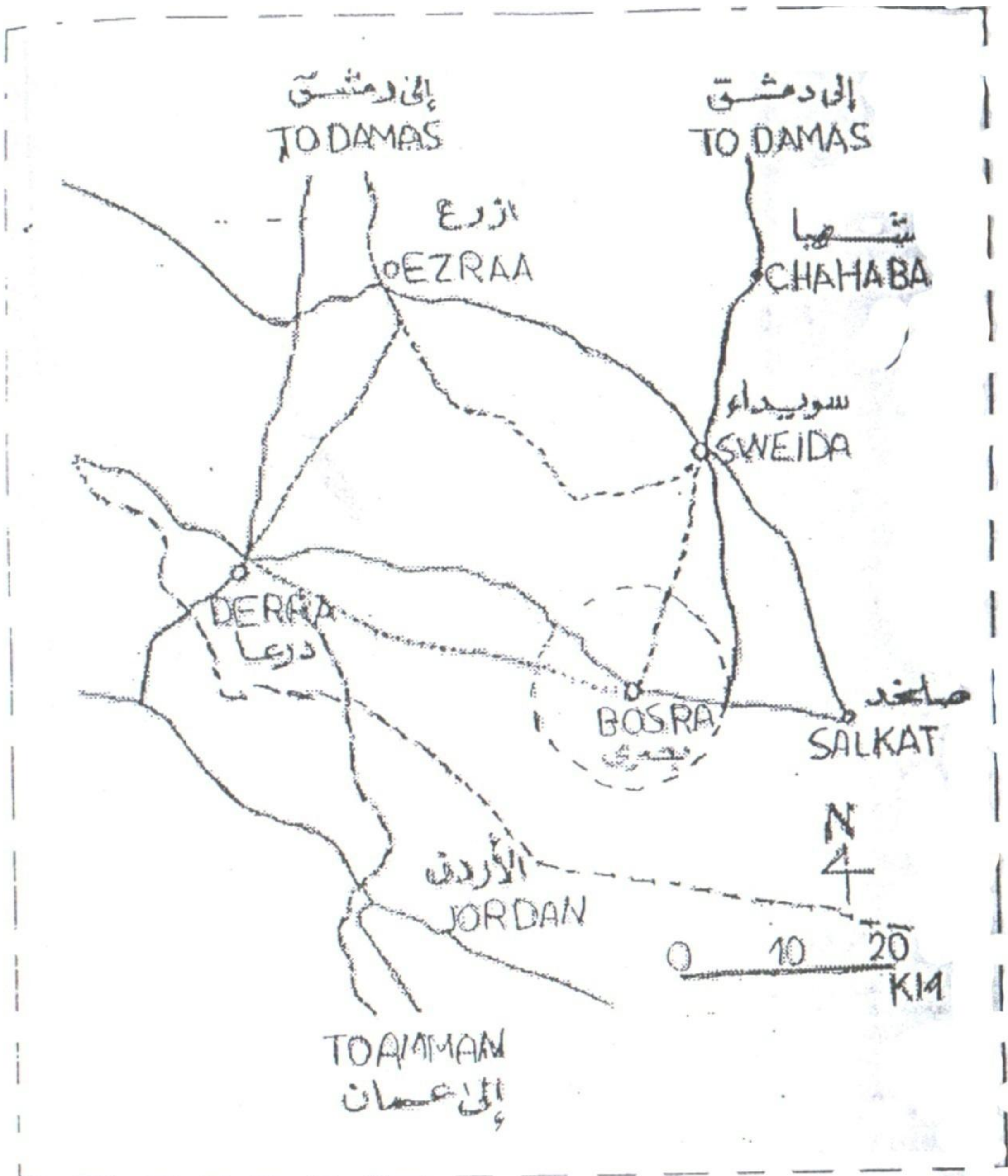
**(مع التعديل) Ross Burns,op.cit.**

خارطة رقم ( ٦ ) طرق الموصلات في العصر الهلينستي
عن عبد الله الحلو، صراع الممالك ص ٢٦٢

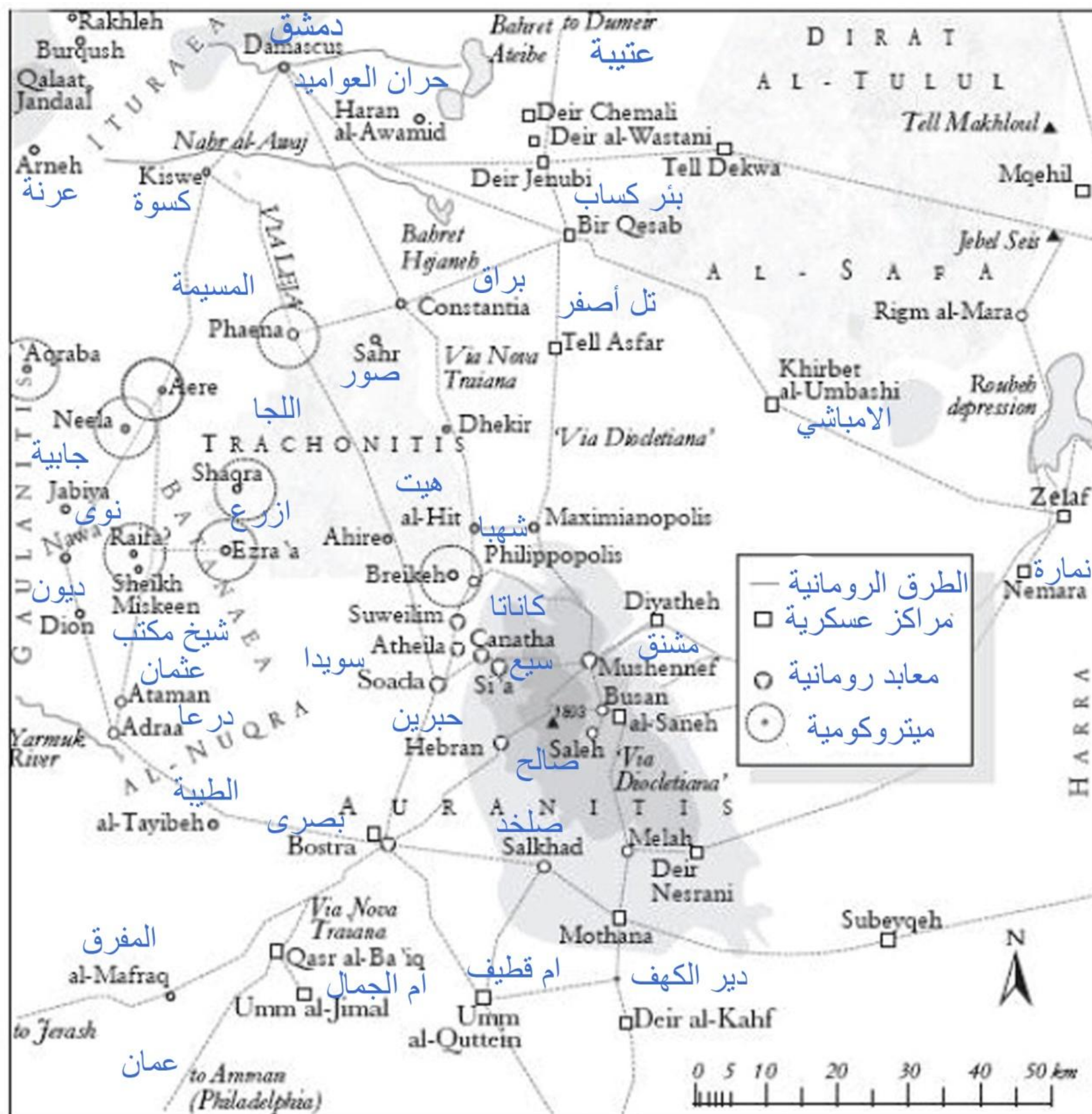
٢٧٢




خريطة رقم (7)
تبين أهمية تدمر الاستراتيجي والطرق التجارية المارة منها وإليها ، عن هورست كلينغل ،المرجع المتقدم ،ص48.




خريطة رقم(8)
تبين معالم الطرق المارة ببصرى ، عن سليمان المقداد ، المرجع المتقدم ،ص73



**خريطة رقم (9)**

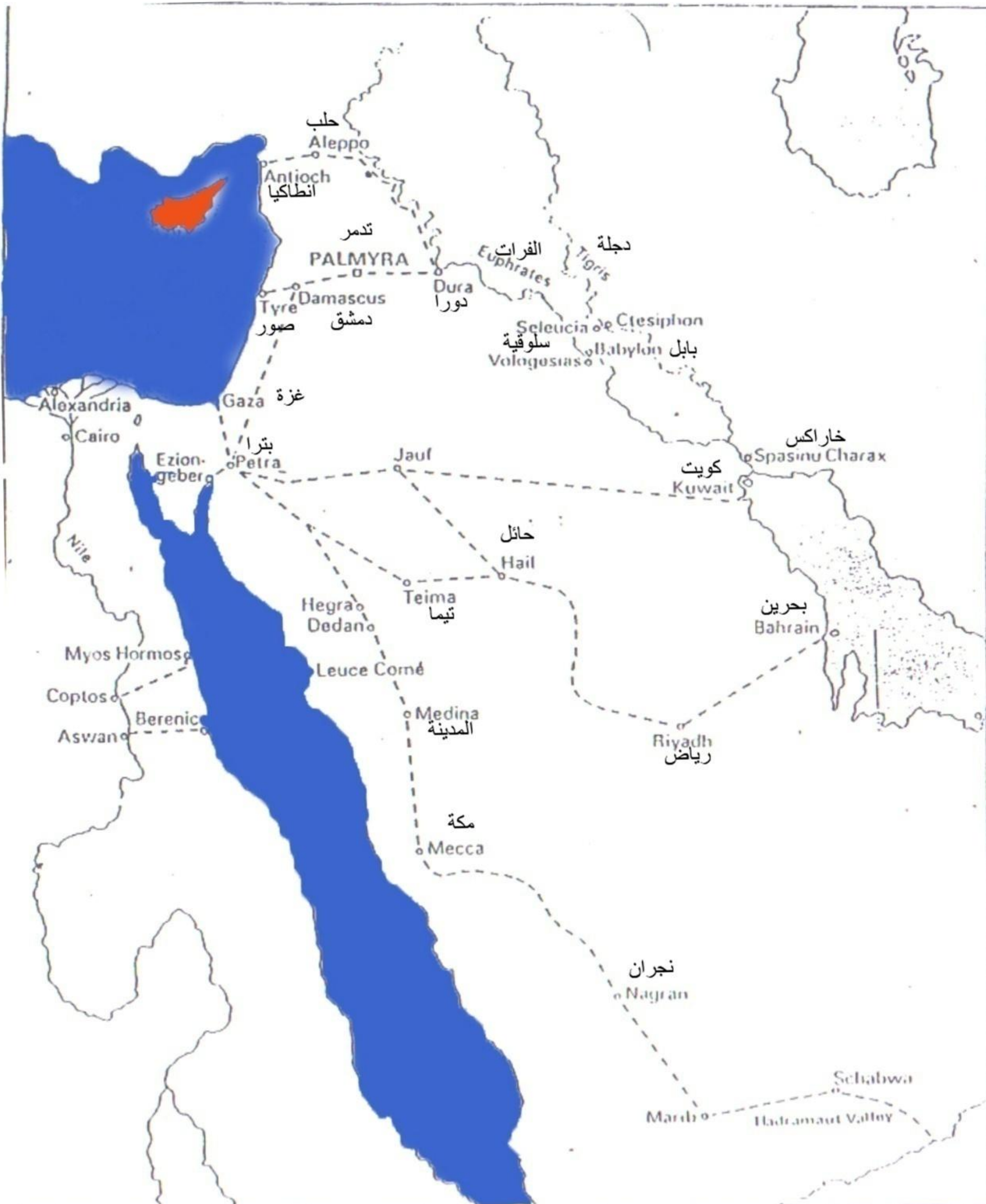
**الطرق الرومانية، المراكز العسكرية ، مراكز القرى الأم (ميتروكومية)**

**(مع التعديل) Ross Burns,op.cit.**




خريطة رقم (٣) المدن في سورية في العصر الهلينستي ، عن

Maurice Sartre , DAlexandrea Zenobie , p.1002.




**خريطة رقم(10)**

**الطرق التجارية الخارجية عن:**

**Gerard Degeorge, Palmyra, p.12.**

## أولاً- قائمةالمراجع العربية والمعربة والدوريات والمجلات العربية

### 1- المراجع العربية


(1) اثناسيوس ،متري هاجي سورية الشمالية ، خمسة مجلات ، لبنان 1937.

(2) اسماعيل، أحمد علي ، تاريخ بلاد الشام ج1 دمشق 1998.

(3) أحمد، علي عبد اللطيف ، التاريخ الروماني ، دار النهضة ، بيروت 1973.

(4) أيوب، ابراهيم ، التاريخ الروماني ، الطبعة الأولى ، لبنان 1996، ص188.

(5) اسعد، عيسى ، تاريخ حمص ، دمشق1940.

(6) انوفسكا، كرزيز، نقود تدمر، دراسة تسلسلها الزمني ودورها في التداول النقدي، ط1، دمشق 1999.

(7) البني، عدنان – أسعد، خالد ، تدمر أثرياً – تاريخياً – سياحياً ، دمشق 1999.

(8) البني، عدنان ، تدمر والتدمريين، وزارة الثقافة ، دمشق 1987م.

(9) جود الله، فاطمة ، سورية نبع الحضارات ، ط1 ، دمشق 1999.

(10) جيبون، ادوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج1 ،ط1،القاهرة 1997 .

(11) حاطم، حسن ، فليوبولس ، مدينة شهبا القديمة ط1 دمشق 1997.

(12) حاطوم ،حسن ، قنوات (قاناتا القديمة) ، ط1 ، دمشق 1997 ، فهرس الصور.

(13) حجازي ،حسين ، الآثار البحرية ، دار المجد ، دمشق 2005.

(14) خليف ، بشار ، دراسات في حضارات المشرق العربي القديم ،ط1 د.م 2003.

(15) الدبس، يوسف ، تاريخ سورية الديني والدنيوي ، مجلد3 ، 1893، 276.

(16) رضائي، عبد العظيم ، كنجينه تاريخ إيران ، اشكانيان ، انتشارات أطلس ، تهران ، اب أول ، 1378.

(17) زبادين، فوزي ، تدمر – البحر الأحمرو طريق الحرير ، الأردن 1996م.

(18) زيادة، نقولا ، فلسطين من الاسكندر إلى الفتح العربي ، الموسوعة الفلسطينية القسم الثاني ، المجلد الثاني ، الطبعة الأولى ، بيروت 1990.

(19) الزين، محمد ،دراسات في تاريخ الرومان ، دمشق 1988-1989م

(20) سارة ،خليل ، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية ،جامعة دمشق، ط1،دمشق- 2004م.

(21) سليم أحمد أمين ، دراسات في تاريخ الشرق القديم، دار المعرفة ، الإسكندرية 1992.

(22) موريس، شهاب ، دور لبنان في تاريخ الحرير ، بيروت 1968.

(23) الصباغ، ليلى ، دراسة في منهجية البحث التاريخي ، جامعة دمشق ، الطبعة الرابعة ، ط 1992.

(24) عبد الستار ، لبيب ، الحضارت ، بيروت 1986 .

(25) العابد ، مفيد ، سورية في عصر السلوقيين، دار شمأل للنشر والطباعة، دمشق 1993.

(26) عبد الحق ، سليم عادل ، روما والشرق الروماني ، دمشق 1959.

(27) عباس ،إحسان، تاريخ دولة الأنباط ، ط1 ، عمان 1987.

(28) عبد الغني ، محمد السيد محمد ، تاريخ مصر تحت حكم الرومان ، الإسكندرية 2006م.

(29) عبودي، هنر ي ، معجم الحضارات السامية ، ط2 ، طرابلس 1991.

(30) علاء الدين ، ماجد ، سويداء سورية ، موسوعة شاملة عن جبل العرب ، دمشق 1995.

(31) عصفور ، محمد أبو المحاسن ، المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية ، بيروت 1981.

(32) علي، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج2 ، ط3، بيروت 1980.

(33) عامر ،غالب ، داود نمر ، جبل العرب في العصور القديمة ، مديرية الآثار ، ط1، دمشق 2001.

(34) محمد شفيق غربال ،الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان ،بيروت 1987، ج1.

(35) غاتيه، لويس بيير ، تدمر حمص أو حمص دون تدمر ، ترجمة عدنان البني ، الحوليات الأثرية السورية ، مج42، دمشق 1996.

(36) غلاب ، محمد السيد ، الساحل الفينيقي ونظيره في التاريخ والجغرافيا ، دار العلم للملايين ، ط1 ، بيروت1969 .

(37) قسوس، نايف، وخلف، الطراونة ، موسوعة مسكوكات العالمين القديم والإسلامي ،البنك العربي 1991،

(38) القاضي، فاروق، في تاريخ مصر في العصر الروماني ، "من أغسطس إلى ديوكليتيانس" القاهرة 1998م.

(39) فرح، أبو اليسر ، الشرق الأدنى في العصر الهلنستي والروماني القاهرة 2002م.

(40) فرح ، نعيم ، ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر العربي السوري ، العصر القديم ، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية وقضايا الفلاحين في الوطن العربي ، المجلد الأول ، دمشق1993.

(41) قبيسي، بهجت ، الوجيز في تاريخ سورية والعراق القديم، دمشق 2000م.

(42) كنادي،عمار، تيترادراخما السورية من القرن الأول إلى الثالث الميلادي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، دمشق 2010،

(43) كيوان ،خالد ، ، إنتاج المسكوكات وتداولها في دمشق وريفها في العصر الروماني من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، دمشق 2008 .

(44) الموصلي ، عماد الدين ، ربوع محافظة حمص ، دمشق 1981.

(45) مادون ، محمد علي ، تفاعلات حضارية على طريق الحرير ، دمشق 1995م

(46) مقداد، خليل ، حوران عبر التاريخ ، دار حوران للنشر ، ط1 ، دمشق 1996.

(47) نصحي ، إبراهيم ، ، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج3 ، القاهرة 1976م.

(48) ورد ، نخلة ، حضارة إنطاكية عبر العصور ، دمشق، 1965.

(49) اليازجي، عيسى، مآثر سورية في العصر الروماني ، دار الفكر للأبحاث 1991م.

(50) يني، جرجي ، تاريخ سورية ، الجزء السادس ، منشورات لحد خاطر ، بيروت 1986.

## 2-المراجع المعربة

1. إيرين، فرانك ، براونستون ديفيد ، طريق الحرير ، المجلس الأعلى للثقافة، مطبعة الأهرام ، مصر 1986م.
2. ايمار، أندريه ، جانين اوبوايه ، تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف اسعد داغر، فريدم داغر مجلد، 2 ، بيروت 1964.
3. انوفسكان كرزيز، نقود تدمر، دراسة تسلسلها الزمني ودورها في التداول النقدي، ط1، دمشق 1999.
4. بابليون ، جان ، *إمبراطوريات سوريات*، تاريخ فترة التأثير السوري بالإمبراطورية الرومانية. ترجمة يوسف شلب الشام. الطبعة الأولى. دمشق. 1987م.
5. بابادوبولوس، خريسوستمس ، تاريخ كنيسة أنطاكية ، ترجمة استيفانوس حداد ، بيروت 1984.
6. بوزو، توماس ، طرق المواصلات في حوران في العهد الروماني ، سورية الجنوبية (حوران) ، ترجمة أحمد عبد الكريم وميشل عيسيى وسالم العيسى، الجزء الأول، الطبعة الأولى ، دار الأهالي ، دمشق 1988م.

7. تيكسيدور ، خافييه ، الحياة الدينية في سورية قبل الإسلام ( العصر الهليني والروماني) ترجمة موسى الخوري دمشق 1995.
8. تشالزولث م.ب ، الإمبراطورية الرومانية ، ترجمة رمزي جرجس ، محمد صقر خفاجة ، القاهرة 1999 م.
9. التهايم فرانتيس ، إله الشمص الحمصي والديانات الشرقية الرومانية في الإمبراطورية ، ترجمة إيرينا دواود ، دمشق 1990م.
10. تورتون ، جودفري ، أميراتسُوريات حَكمّن روُمَا 193-235م ترجمة خالد عيسى وأحمد سبانو ، ط2 ،دمشق 2000م .

11. جانكيل ، بيير ، عناصر جديدة لكتابة تاريخ ومناطق جبل حوران الجنوبي ، سورية الجنوبية ، ترجمة أحمد عبد الكريم ، سالم العيسى ، ميشل العيسى ، ج1 ، ط1 ، دار الأهالي دمشق 1985.
12. جونز ، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية ، ترجمة إحسان عباس ، عمان 1986.
13. حتي فيليب ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة جورج حداد ، عبد الكريم رافق ، الجزء الأول ، دار الثقافة ،بيروت 1982 .
14. داوني ،جلافيل ، إنطاكية القديمة ، ترجمة إبراهيم نصحي ، القاهرة 1967م .
15. ديورانت ، ويل ، قصة الحضارة ، ترجمة أحمد بدران ، مجلد 9-10.
16. دانتز، ج.م، الكرمة في جبل العرب البعثة السورية الفرنسية دمشق 1969م.
17. دانتز، ج.م، سورية الجنوبية (حوران) ، ترجمة أحمد عبد الكريم ، ميشيل العيسى، ج2، ط1، دمشق 1995م.
18. ديسو، رينه ، العرب قبل الإسلام ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ، محمد مصطفى زيادة ، القاهرة 1959م.
19. روستوفتزف، ميخائيل ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي ، ترجمة زكي علي ، محمد سليم سالم ، القاهرة ، 1957م.
20. سارتر، موريس ، السكان والتطور في حوران القديمة على ضوء النقوش والكتابات اليونانية واللاتينية ، مجموعة جان ماري دانتز ، سورية الجنوبية-حوران – بحوث أثرية في العصريين الهلنستي والروماني ، ترجمة أحمد عبد الكريم ، ميشل عيسى ، سالم العيسى ، دمشق 1988م.
21. شيفمان، أ ب ، المجتمع السوري في عصر البرنسيبات، ترجمة حسان إسحاق ، دمشق 1987م.

22. . ميترال فرانسوا ، تجارة تدمر ، وسيلة بين البدو والحضر ، ترجمة هيثم حسن ، الحوليات الأثرية السورية ،مج42 ، دمشق 1996.

23.فيلنوف، فرانسوا ، الاقتصاد الريفي والحياة الريفية في حران من القرن الأول وحتى القرن السابع بعد الرومان ، مجموعة جان ماري دانتز ، سورية الجنوبية-حوران – بحوث أثرية في العصريين الهلنستي والروماني ، ترجمة أحمد عبد الكريم ، ميشل عيسى ، سالم العيسى ، دمشق 1988م.

24.كلينكل ،هورست ، آثار سورية القديمة ، ترجمة قاسم طوير ، دمشق 1985 .

25.كونتنو .ج،الحضارة الفينيقية،ترجمة محمد شعيرة ،الهئية المصرية العامة للكتاب،القاهرة 1970.

26. هاردنج، لانكستر ، آثار الأردن ، ترجمة سليمان موسى ، الطبعة الثالثة ، المطبعة الوطنية ، عمان 1982.

27.لكي ، روس ، المرشد إلى الكلاسيكيات ، ترجمة جورج خوري ، ط1 ، بيروت 1994.

28.لانجر، وليم ، موسوعة تاريخ العالم ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ، ج1 ، ط1 ، القاهرة.

## 3- الدوريات والمجلات العربية

- أبو عساف، علي ، طريق الحرير والطرق التجارية القديمة مجلة دراسات تاريخية ، العددان 39-40 ، دمشق 1991م.

- أسعد، خالد، طرق القوافل التدمرية ، الحوليات الأثرية السورية ، مجلد42 ،دمشق 1996م.
- بالتي، جان شارك ،حلب والطرق التجارية الشرقية في العهود الهلينية والرومانية ، ترجمة غادة الحسين ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 43 ،دمشق 1999م.

- برنتجس، بوشارد، طريق القوافل في آسيا الوسطى ، ترجمة:هالة مصطفى ، الحولياتالأثرية السورية ، مجلد43،دمشق 1999.

- تات ، جورج ، طريق الحرير في سورية في القرن السادس الميلادي ، ترجمة غادة الحسين ، الحوليات الأثرية السورية ، مج43،دمشق 1999.

- تات ، جورج ، مسالة الدفاع عن البادية في سورية الشمالية وإعمارها بين سقوط تدمر وحكم جوستنيان ، الحوليات الآثرية السورية ، مج 42، دمشق 1996 .

- تفنان،رولان ، الذهب والملح ، مذكرة عن البيئة الطبيعية في منطقة سورية القديمة، الحوليات الأثرية السورية ، مج27 ،دمشق 1978.

- حاتم ، أنور " الذكريات السورية في روما " الحوليات الأثرية السورية ، مج11-12،دمشق1961.

- حمدان ، عبد المجيد ، " الإمبراطور فيليب العربي " ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد 85-86، دمشق 2004،
- خياطة ، محمد وحيد ، علاقات تدمر الخارجية تجارياً ودينياً ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 42، دمشق 1996.
- دانتز ، جان ماري ، الأبحاث الأثرية الفرنسية على ضوء استكشاف سورية الجنوبية البازلتية، ترجمة حسن حاطوم ، الحوليات الأثرية السورية مج47، دمشق 1997 .
- دانتز ، جاكلين ، السواكف المنقوشة بأشكال إلهية ، ترجمة حسن حاطوم ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 19، دمشق 1983م.

-داوني، جلافيل ، نظام المياه في أنطاكية في العصور القديمة ، ترجمة جورج حداد،الحوليات الأثرية السورية مجلد 1-2 دمشق 1951م.

- داوني ، سوزان ، رقائق الطين دلالة على الاتصال بين تدمر و دوراأوروبوس، ترجمة ديما خليل ، الحوليات الأثرية السورية مج 42، دمشق 1996.
- دوشيسن ، مارسيل ، لوحة فسيفساء من مريمين في متحف حماة ، ترجمة بشير زهدي ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 20، دمشق 1970.
- دانتز ، جان ماري ، تنقيبات في سيع ، ترجمة بشير زهدي ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 36-37 ، دمشق 1987.
- دانتز ، جان ماري ،تنقيبات في سيع ، ترجمة بشير زهدي ، الحوليات الأثرية السورية ،

مج 36-37، دمشق 1986-1987 .

- ري كوكيه ،جان بول ، كتابات جديدة من أرواد ، الحوليات الأثرية السورية ، ترجمة عدنان البني ، مج 18، الجزء الأول والثاني ، دمشق 1968.

- ري كوكيه ، جان بول ، الكتابات اليونانية واللاتينية في بصرى ، الحوليات الأثرية السورية ، ترجمة سليمان مقداد ، مج 15،دمشق1965.
- زهدي ، بشير، ، " كتابات يونانية في أفامية " ، الحوليات الأثرية السورية ، مجلد 23 ، دمشق 1973.
- الزين، محمد ، التقويم السلوقي وأهميته التاريخية والحضارية ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان 85-86، دمشق2004.
- الزين، محمد ، الحلف المكابي الروماني ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان 67-68، دمشق 1999.
- زهدي، بشير أقدم النقود الدمشقية ، الحوليات الأثرية السورية ، مج26،ج1 ، 1979م.
- ............... النقود التدمرية ، الحوليات الأثرية السورية مج23- 1973.
- ............... طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل ، الحوليات الأثرية السورية ، مج41، 1996م.
- ...............طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل التجارية، مجلة دراسات تاريخية ، العددان 39- 40 ، دمشق 1991م.
- ..............نقود بصرى ، الحوليات الأثرية السورية ،مج 27/ 28 ، دمشق ،1977 -1978 م
- ..............، بناء وتنظم المدن في العصر الروماني ، الحوليات الأثرية السورية ،مج 6،دمشق 1956م.

- ............... ،الحلي الذهبية القديمة وروائعها، الحوليات الأثرية السورية ، مج 13، دمشق 1963.
- .............، لمحة عن الزجاج القديم وروائعه ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 10، دمشق1960.
- ..............، لمحة عن المرايا القديمة ، الحوليات الأثرية السورية ، مج20، دمشق 1970.

- سارتر ، موريس ، التنقل والاقتصاد ومجتمع الجبل في سورية الجنوبية ، ترجمة :بشير زهدي ، الحوليات الأثرية السورية، مج 46، دمشق 1997.
- سارتر، موريس ، " الكتابات اليونانية واللاتينية الجديدة في بصرى ، الحوليات الأثرية السورية ، ترجمة سليمان المقداد ، مج 22، دمشق 1972.
- سارتر، موريس ، تدمر مدينة ذات طابع يوناني ، الحوليات الأثرية السورية ، ترجمة عدنان البني، مج 42، دمشق 1996.
- شتوفر ، آن ماري ، نسيج من تدمر ، ترجمة ريما خليل ، مجلة الحوليات الأثرية السورية ، مج 39 ، دمشق 1996 .
- شحاده ، كمال ، قناة سلمية،مجلة الحوليات الأثرية السورية –مج 7 ، دمشق 1957.

- الصفدي ، هشام ، آغوب كريشيان ، " دراسة أولية لتابوت اللاذقية ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 7 ، دمشق 1957.
- الصالح، إبراهيم ، صفحات مطوية من تاريخ دوراأوروبوس,الحوليات الأثرية السورية ،مج3، دمشق 1987م.

- صليبي ، نسيب ، التنقيب في ستة مواقع جديدة في تدمر ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 15 ،دمشق 1965
- الطه ، أحمد ، أزياء الرجال في تدمر، الحوليات الأثرية السورية ،مج 32، دمشق 1982 .
- عبد السلام ، عادل ، البيئة الجغرافية الطبيعية للبادية التدمرية وطريق الحرير ، الحوليات الأثرية السورية، مج 42 ، دمشق 1996 .
- عز الين ، عبد الحميد " مدينة حمص في العهد الروماني " ،مجلة دراسات تاريخية ، العدان 29-30 ، دمشق 1988.
- عبد الحق، سليم عادل ، بحث موجز في تاريخ مدينة حمص وآثارها ، الحوليات الأثرية السورية ، مجلد 10 ، دمشق 1960م.

- ......................، اكتشافات حديثة في المناطق الأثرية اليونانية- الرومانية في سورية ، الحوليات الأثرية السورية ، مج9 ، دمشق 1959.
- ........................ ، أواني زجاجية مصورة من العهد الروماني ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 15 ، دمشق 1965.
- ........................... ، مسرح بصرى وقلعتها ، الحوليات الأثرية السورية ، مج14،دمشق 1964.
- .............................. ، فن العمارة العسكرية السورية – منذ الألف الثاني قبل الميلاد حتى أخر العهد البيزنطي الحوليات الأثرية السورية ،مج 1 ، دمشق 1957.

- عبد الكريم ، مأمون ، إشكالية إعادة تأسيس مدينة حمص خلال العصرين الهلنستي والروماني ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 45، ،دمشق 2001 م.
- العرفي ، عقيل ، صفحات من قلعتي حلبية وزلبية ، الحوليات الآثرية السورية ، مج34،دمشق 1983.
- محمد أبو الفرج العش ، الزجاج السوري المموه بالميناء والذهب ، مجلة الحوليات الأثرية السورية ، مج16-ج1 ، دمشق 1966، ص5-7.
- غاوليكوفسكي ، ميشيل ، تدمر وتجارتها التدمرية ،ترجمة عدنان البني ، الحوليات الأثرية السورية ، مج42، دمشق 1996.
- فينيه، أندريه ، الفرات طريق تجاري لمنطقة ما بين النهرين ، ترجمة محمود حريتاني ،

الحوليات الأثرية السورية، مجلد19 ، دمشق 1969 م.

- فرزات، محمد حرب ، حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصين والشام ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان 39-40 ، دمشق 1991.
- كروغولسكا ، ماريا ، الفخار التدمري في القرن الثاني الميلادي ، ترجمة قرقماز ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 41، دمشق 1996.
- كيوان ، خالد ، هكذا كانت عبادة الحجر في حمص ، مجلة عاديات حلب ، الكتاب الثالث عشر ، حلب 2009.
- لوريش، بيير ، باب دورا في تدمر ، ت. عدنان البني ، الحوليات الأثرية السورية، مج42، دمشق 1996.
- لوفري،ج، الخانوقة ، في موقع حلبية وزلبية ، تمهيد جغرافي تاريخي لموقع حلبية وزلبية ، الحوليات الأثرية السورية ، مج1، دمشق 1957.
- المحمود، أسعد ، العلاقات بين تدمر ودورايوربوس ، الحوليات الأثرية السورية ، مج42،دمشق 1996.
- مالكوم، جولج ، التأثير الروماني في فن تدمر ، ترجمة محمد قدور ، الحوليات الأثرية السورية ،مج 42، دمشق 1996.
- ميلر ، دروس ، بصرى في بلاد العرب " مدينة نبطية رومانية " ترجمة شوقي شعث ، الحوليات الأثرية السورية ،مج36-37،دمشق 1986-1987 .
- محلي ، ساطع ، طريق الحرير " الطريق وسيلة حضارية بين الشعوب " مجلة دراسات تاريخية " ، العدادن 39-40، ط1، دمشق 1991 .
- نصر الله ، يوسف ، " القلمون في العهد الروماني البيزنطي " ، الحوليات الأثرية السورية ، ترجمة عدنان البني ، مج 8-9، دمشق 1958-1959
- نقاش ، أليس ، التأثيرات الشرقية على الزخرفة المعمارية في شمال سورية ، ترجمة غادة الحسن ، الحوليات الأثرية السورية ، مج 43، دمشق 1999.

- هاربر ، ريتشارد ، " التقرير الأول والثاني من الحفريات في دبسي الفرج، الحوليات الأثرية السورية ،ترجمة خالد اسعد ، مج 24، الجزء الأول والثاني ، دمشق 1974.

## ثانياً - قائمة المصادر والنقوش و المراجع و المجلات والدوريات العلمية الأجنبية

### 2- المصادر الأدبية Soureces


- Ammianus Marcellnus, The Loeb Classical Library 3 VOL.I-U Tr.John.C. Roife , London 1950.

-Appian, Roman History ,"Syrian Wars" , edited and translated . by H.White.(London 1912) L.C.L

- Aurelius Victor, Libre Des Ce'sars, ed P.Dufraigne, Paris l975.

- Dio Cassius, Roman History, Tr. Earnest Cary.VOL IX, Londonl955.

- Herodian, History of The Roman Empire, VOL 1 -2, (LCL), VOLlBookI-IV ..VOLIlBookV-VIILTr .C.R. Whittaker London 1969-1970.

-Libanius, Antiochikos. Selected work. Tr. A.F. Norman .L.C.L. 1969.

-Malalas. The Chronicle of John Malalas, Translation by Elizabeth Jeffreys, Michael Jeffreys and Roger Scott, Sydney 1986.

- Pliny Natural History. 10 VOL, Tr. Rackham, London 1940.LCL

- Strabo.TheGeography in 8 VOL 17 BOOks ,tr.HJones, VOL7.BOOK XV'-XVI London,1983.

- Zonarus, Epitome Historiarum,," ed. by J.-P. Migne. Vol. 134-7, Lepzmg.

- The Scriptores Historiae Augstae ,T; David Magie,3 VOL,V01 L ,Harvard l921.

## 3- مجموعات النقوش

- C.LL; Corpus InscriptionumLatinorum (Berlin)'

- C.I. S: Corpus Inscriptionum semiticarum.

- IG.R.R.: Inscriptiones Graecae Ad Res Romanas Pertinentes.

- IGLS. Les Inscriptions Grecques et Latines de Ia Syria.

- O.G.I.S: Orients Greaeci Inscriptions Selectae (Leipzig )

- S.E.G: Supplementum Epigraphicum Graecum, ( Amsterdam, Gieben)

## 4 -المراجع الأجنبيةForeign References

- Abbot.F. Johanson, Municipal Administration in the Roman Empire, 1926.

- Amandry .M. La politique Monétaire des Flaviens en Syrie de 69 a' 73 " *les monnayages Syriens*" Actes de la table ronde de Damas, édit par Christian Augé, IFAPO Beyrouth.

-Augé. C, la Monnaie en Syrie a' l'époque hellénistique et Romaine, *Archéologie et Histoire de la Syrie.* édit par J.M.Dentzer. Saarbrücken. ,

- Benjamin Isaac Reflections on the Army in The East , The Defnce of The Roman and Byzantine BAR-IS, part I, Series 297 . I, Oxford 1986.

- Birley.. Septimius severus" the African Emperor New Haven yale1988.
- Biwersock. G, Studies on the Eastrn Roman Empire , Goldbach, 1994,

-Bouchier , Syria as Roman province, Oxford 1926.

- Butcher. K. Roman Syria and The Near East, The British Museum . Press,London 2003.

- Cambridge Ancient History .The Imperial Crisis And Recovery 193-324 AD.Vol XiI,Cambridge,1939; Vol XI, The Imperial Peace ,70-192,A."[1], Cambridgc l936.
- Chabot, Chiax D' Inscription de Palmyre, Paris. 1922.

- Chastagnol. Andre', llistoire Auguste, Paris Robert Laffont 1994.

- Charleworth.M.Trade -Routes and commerce of the Roman Empire Cambridge. 1924.
- Colkdige.M. The art of Palmyra. London 1967.
- Cook. S.A, F.E.Adock.Charlesworth .M.P, The Cambridge Ancient History.Vol.X, First Puplished 1934, Reprinted 1982.

- Cook. S.A. F.E. Adock,M.P.Charlesworth, C.A.H, Vol XII, First Published 1939,Reprinted 1981.

-Dabrowa.E. The Governors of Roman Syria from Augustus to Septimius Sevrus, Bonn, 1998
-De Vogue , Syrie Centrale " Architesture- Civile et Religieuse" Tome II, Paris1865-1877.
- David F. Graf , The Syrian Hauran. Rome and Arabian Frontier : from the Nabataeans to the Saracens , 1997.
- David F. Graf , The Via nova Traiana in Arabia Petraea. Rome and the Arabian Frontier : from the Nabataeans to the Saracens , 1997.

- Degeorge. G. Palmiyra " Metropole Caravanieri " Paris,200I.

- Dentzes.J.M. The Syrian Hauran, David.F.Graf.Roine and the Arabia Frontier from the Nabataeans to the Saracens,Britain,1997.

-Dobias. J. Histoire de la Province Romaine de Syrie, Praha, 1924,.

-Downny. G. A History of Antioch in Syria from Seleucus to the Arab Conquest , Second printing , University press, New Jersey, 1961.

- David F. Graf, the Saracens and the Defense of the Arabia Frontier, Britain , 1997.

-Dussaud. R. Topographie historique de la Syrie antique et médiévale. Paris1927.

- Filong.Jacqueline.vaballathus and Zenobia 270-272 A.D, Loyola Chicago 1997.university of

- Grainger. J.D. The Cities of Seleucid Syria (Oxford- 1990) .

-Grant ,M . from Alexander to Cleopatra m The Hellentic world (London 1982) .

-Griffith G.T.,The Mercenaries of the Hellenistic World Cambridge 1935.

- Head .V. B . Historia Numorum,( Oxford 1911) .

-Heichelhehn.F.M.Roman Syria ,Teny Frank An Economic survey of AncientRom vol IV . New jersey 1959.

- Hollard. D. Dominique, Hollard, Numismatique Grecque, Romaine, Dossiers Archéologie, 1999.

-Jeffreys, Michael Jeffreys and Roger Scott, Sydney 1986,

-Johnson .A. Roman Egypt to the Reign of Diocletion, t.Frank, Economic Survey of the Ancient Roman , II, New York 1953.

- Johanson.A .Egypt and The Roman Empire, USA, 1951.

-Jones , A.H .M .The Greek City from Alexander to Justinia (Oxsford 1940)

-Jones. A.H.M. Cities of the Eastern Roman Province ,Oxford 1971.

-Kennedy. D.L. Europaeant Soldiers and the Severan Siege Hatra, , The Defnce of The Roman and Byzantine BARIS, part I ,Series 297 . II, Oxford 1986.

-Kennedy. Arhaeo logical in nort Eastern Jorden 1982.

- Kennedy.D.and Riley Derrick , Rome's Desert Frontier . university of taxas , press Austin 1990.

- Krzyzanowska. A. monnaies colonials d’Antioche de pisidie , Edition de Pologne 1970.

-Lamma. Mitteeterliche . Glaser and Steinschaitarbeiten. Aus. Dem. Nahen II. Tafel .

- Maltinyly.H.and E.A. sydenliam" Tlie Roman Imperial Coinage"V.I. ed.P.H. webb. London. 1968.

- Meckler.M. clodius Albinus , 193-198 Ad ohio slate university.1998.

- .....................Elagablus( 218-222).A.D. ohio Slate university. 1997.

-.....................Seplimius severus 193-211..-VO. Ohio stale university.1998

- ..................... Gcta 211.AD. Ohio state university 1997.

- .....................Didius Julianus, 193-211. Ad. Ohio stale university 1997

-- Millar. F. the Roman Near East .31.B.C. 337AD. 2d. ed Harvard 1994.

- Momnisen. T.H, A History of Rome Under The Empire, Londonl992.

- Musil .A.Palmyrena, ,NewYork, 1958.

- Naphtali.L . Roman Civilization , Sourcebook 2 , New York .

- Parkcr.M.D.The History Of'l'he Roman Wrold (from 138-337) Part ll. Ch I. London 1958.

-Peachin.M,Roman Imperial. Titulature and Chronol'Jav AD. 235- 284 Amsterdrm. 1990.

- Poidebard. A. LA Trace De Rome " Dans Le Desert De Syrie" Paris 1934.

- Rostovtzeff.M, Caravan cities translated by T.Taibot Rice oxford 1932.

- .................. Res Gestae Divi Saporis Berytus .Vlll.l 1943.

Rostovtzeff , M . Social and Economic History of Hellenistic World (Cambridge 1953)

Rostovtzeff,Excavations at Dura Europos ,Preliminary Report Secont, of work October 1928- April 1929.London Oxford 1931.

- Sartre.M, D´Alcxandre ÀZénobie, "llistoirc du Levant Antique" Fayard, 2001.

-. .............L'oriant Roman.31B.C-235 A D.Parisl991.

- Schlumberger.D.Note Sur Ie decor Arcliitecural les Colonnades Bcrytus, II.1935.

-Seyrig. H. Palmyra the East ,Society for the Promtion of Roman Studies , oxford 1951.

- …….. les fils du Roi Odainat , Cantineau , Inventaire VIII.

-Tarn.WW, Hellenistic Civilization, 3d (London-1966) .

-Tarn, WW.The GreeKs in Bactria and. India ( Cambridge 1966)

Les Vellages  Oublies De La Syria DUNorG.- Tate.  .Février 1999..
-Thoumin. R . Histoire de Syrie, Paris, 1929.

-Thompson .M. An Inventory of Greek Coin Hoards, (New York, 1973)

-Toll .N.P. the Excavations at Dura-Europos,Prelmenary. Report of the Ninth, Season of Work 1935-1936, part 11. The N ecropolis, London Oxford 1946.

-.Wells, B.the Excavations at Dura-Europos, The Parchments and Papyri with and Account of the Iranian Fragments by W.B. Henning report V, Part I, London, Oxford 1959.

-Wroth .W. Catalogue of the Greek coins of Galatia, Cappadocia, and Syria, ( London, 1899) .

## Foreign Periodicals 5- المجلات والدوريات العلمية

- Baity J, Apamée de Syrie," Archeologie et Histoire ".ANRW, VOL II. New York 1977.

-Bellinger. A. The Syrian Tetradrachmes of Caracalla and Macrinus, Journal of the American Oriental Society.( New York 1940)( JAOS)

- Bonni .A. les catacombes Emese en syrie , Les Annales Archeolgiques de Syrie Areheologia 37,1970(A.A.S)

- Cumont. S. l.'autel Palmyrenie du Musee du capitole, Syria, 9. 1928,

-Davies,N. D.G. and Faulkner , A Syrian trading venture to Egypt , the journal of Egyptian archaeology , vol 33,London,l947.
-David F. Graf , The Saracens and the defense of the Arabain Frontier (B.A.S.O.R )Rome and the Arabian Frontier : from the Nabataeans to the Saracens , 1997 .
-David. K. Lost Latin Inscription the Banks of the Tigris, ZPE, 73 1988.

-DESREUMAX A., UNE PAIRE DE PORTRAITS SUR MOSAIQUE AVEC LEURS INSCRIPTIONS E'DESSENIEN, Syria 77.2000.
- Foster.Bcnjamin', A goianomos and Mmuhlasib joumalof the Economi and social history of the orient vol XlIl,PartII,London 1970.

- Glucch. Nelson. Nabatcan In Syria, B.A.S.O.R. Nr 58. 1992,

- Harper. G.M.Village Adininstration in The Roman Province of" Syria .Y.C.S. V0l, 1. 1928.
- Harper. G. " Village Administration in the Roman Province of Syria " Y. C.S, Volume 1, New Haven, 1928, p.159.
-Henriete. M. Le triptoleme de Maisaque D'Aion et l' Affirmation Identitaire Hellene Ashahba – philippoplis , Syria,77.
- Hopkins.KL.Taxcs and trade in tlie roman Empire the journal of the roman studies JRS, veil. Lxx 1980.
- Howgcgo.CH.The Supply And Use of money in the Roman world 200B.C to330A.D JRS,VOL LXXX11, 1992.

-Iassus. J. Ia ville d Antioche a l rpoque Romaine dapres L Archeologie,ANRW, .Berlin 1977 ..

-Jalabert. L. Rene Mouterde , Inscriptions Grecques et Latines de la Syrie VI, Paris , 1967, 2760.(IGLS)
-Jalabert. L. Rene Mouterde , Claude Mondesert, inscriptions Grecques et Latines .de la Syrie, I. IV, Paris , 1955, n1799-1801

- Jean. Y.Textcs et Fragments Grecs De Palmyre ,Syria. 78, 2000.
-Keith.H. Tax and Trade in The Roman Empire , J.R.S. Vol LXX, 1980.
-Joelle Napoli, les Remparts la fortresse de Djzla sur Le moyen-Euphrat , Syria, 2000, 77.
- Lassus. J.,la d' Antioche a l' époque Romaine dapres LArcheologieANRW, II, 1977.

- Lifshitz.B. Etudes sur 1' histoirc de l.a province Roniaine de Syrie ANRW,1I,1977.
- Loriot.Xavier.Chronologie du rcgne de Philippe L'Arabe (244. 249)

ANRW. 11.2. 1975.
-Matthews. J.F. The Tax Law of Palmyra, J.R.S.Vol LXXIV. 1984.

-Mann. J., the frontiers of the Principate the eastern frontier , ANRW,

vol II,1977.

- Maricq A. La Chronologie Des Dernieres Annees De Hatre: L Allance Romaine , Classical Et Orientlia, Syria, 34, Paris1957.

-Michel Christol . Qasrl-Azraq .et la reconquete De l orient par Aurelian , Syria 78,2001 .

-Peters. F.E., Roman and Bedouin Southern Syria, Near Eastern studies . J NES .37.1978

- Rey Coquais. J.P.," Syrie Roman de Pompèe á Dioclètien" (JRS),68, London

-Rey Coquais. J.P. Inscriptions Grecques et Latines de la Syria 7,Paris 1970 , 4028, (IGLS)

-Richmund. I.A. Palmyre ander the Aegis of Roman ,JRS, vol, LIII, London1963.

- Rostovtzeff.M. A Parchment Contract of Loan form Dura Europus on the Euphrates , Y.C.S ,Vol II,1931.

-Roysse. P, Les Inscripions Du Temple De Dmeir . Syria 23,1942-1943

-Schwartz.C.F. Les Palniyrcnicns et Egyptc ZPE. 34, 1977.

-Schlumberger .D. Palmyre et La Mesene Syria 38, 1961.

- Seyrig.H, Antiquites Syricnies . sur Les de cres de qucLqucs." Villes de SyrieAntiochc .Syria ,26, 1950.

- ............ Un Poidsde Laodicce', Syria XL1963.

- .............,textx Relats a' La granison romaine de Palmyre. Syria,14 1933.

-……... Décret Des Péliganes de Laodicée-Sur-mer Syria23,.(Paris 1946)

-…….,.Les eres de quelques villes de Syrie : Syria 27(1950)

-…….. 'Caractéres, de l'histoire d`Emese , Syria , 36, Paris, 1959

-……….” Antiqute Syriennes” Syria, 27, Paris, 1950.

-……. Le Statut de Palmyre, Syria , 22, 1941.

-**……...** antiquites Syriennes , incorporation de palmyre Eempire Romain , Syria, 18, 1932.

-………. Antiquites Syriennes “ Caracteres de I histoire d Emese" Syria, 56, Paris, 1959.

- Speidei.M, The Roman Army In Arabia, ANRW,II.8,1997.

- Suskatchwan.Richard.D.Tne Dynasty of Emesa, ANRW ,11. 8, Berlin 1977.

-Thomas S. Parker , A Tetrachic Milestone Frome Roman Arabia , ZPE,Boon 1986.

-Yon.Jean.Textcs et Fragments Grecs De Palmyre Syria. 78, 2000.

- Woodward.B..Frier, The Rental Market in Early Imperial Rome , JRS Vol LXXL London **1981 ,**